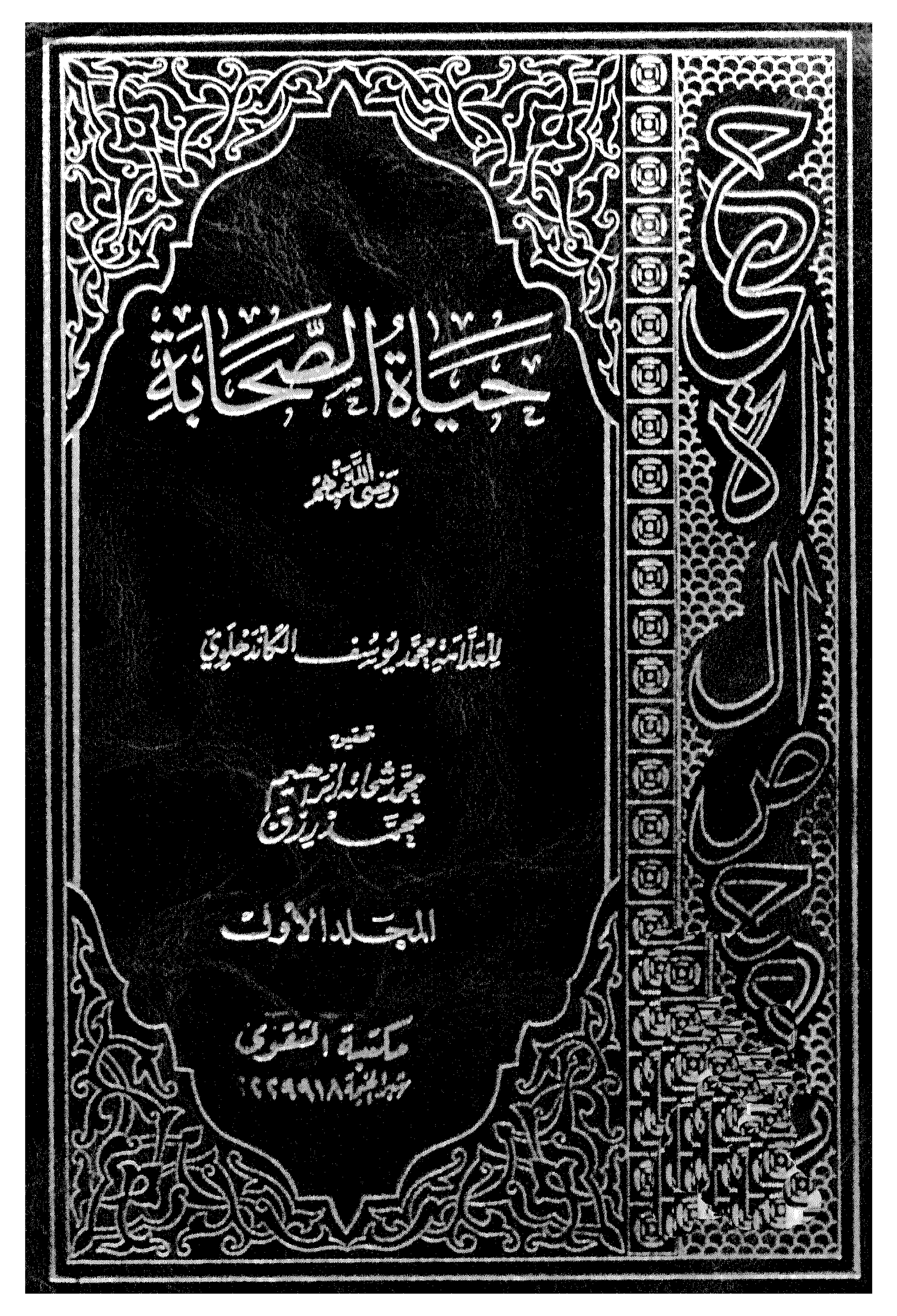

حياة الصحابة
رضي الله عنهم
للعلامة محمد يوسف الكاندهلوي
تحقيق
محمد شحاته إبراهيم
محمد رزق
المجلد الأول
مكتبة التقوى
شبرا الخيمة
حياة الصحابة


حياة الصحابة
رضي الله عنهم

دار المنار للنشر والتوزيع
٩ شارع الباب الأخضر ميدان الأمام الحسين
تليفون ٥٩١٥٠٨٩



رضي الله عنهم

للعلامة محمد يوسف الكاندهلوي

تحقيق

محمد شحاته ابراهيم
محمد رزق

الجزء الأول

دار المنار
للطبع والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالشيخ محمد يوسف الكاندهلوى

فى غربة الولاية الشمالية بمديرية « مظفرنك » فى الهند قريتان : اسمهما « جهنجهانة » و « كاندهلة » تسكنهما أسرة علمية ذات شرف ودين ، وقد عاش جد هذه الأسرة الكبيرة الشيخ « محمد أشرف » فى عهد « شاه جهان » ملك الهند ، واتفق العلماء فى عصره على تدينه وورعه واتباعه للسنة .

وقد أنجبت هذه الأسرة كبار العلماء والشيوخ ، منهم الشيخ « الهى بخش » الذى عرف بفضله وذكائه ، وكان من نجباء تلاميذ الشيخ « عبد العزيز بن الشيخ ولى الله الدهلوى » وخليفة الإمام الشهيد السيد « أحمد البريلوى » وقد ألف أربعين كتابا باللغتين العربية والفارسية ، وشرح القصيدة الشهيرة « بانت سعاد » وتوفى سنة ١٢١٥ هـ ومنهم الشيخ أبو الحسن ، والشيخ نور الحسن ، والشيخ مظفر حسن ، والشيخ محمد أسماعيل ، وأخيرا الشيخ محمد الياس ، وكانوا كلهم دعاة إلى الله ومن كبار العلماء فى عصرهم .

ميلاده : الشيخ محمد يوسف بن الشيخ محمد الياس من هذه الأسرة العريقة ، وقد ولد فى دهلى فى يوم الأربعاء ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ٢٠ مارس سنة ١٩١٧ م ، وسماه والده « محمد يوسف » .

نشأته : أدرك الشيخ « محمد يوسف » كبار الشيوخ والعلماء وشهد منذ نعومة أظفاره أسرة عامرة بالعلم والورع ، وقد أكرم الله نساء هذه الأسرة إلى جانب رجالها بالورع والدين ، فترعرع الشيخ « محمد يوسف » فى هذا المحيط العلمى الدينى ، وفى أحضان الأمهات الصالحات ، وبين عطف الشيوخ وعناية العلماء .

دراسته : حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين ، وبعد ما تلقى العلوم الابتدائية أتم دراسة الحديث الشريف فى مدرسة « مظاهر العلوم » بسهارنبور على كبار شيوخ الحديث كالشيخ عبد الرحمن مدير المدرسة الأسبق ، والشيخ منظور

أحمد خان ، والشيخ عبد الرحمن الكامل فورى ، وأخيرا الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى ابن عمه الكبير الذى أشرف على توجيه الشيخ وتربيته ، وقد تخرج الشيخ « محمد يوسف » من مدرسة الحديث فى سنة ١٣٥٤ هـ .

اشتغاله بالعلم : كان الشيخ « محمد يوسف » ولوعا بالعلم من أول عمره ، فكان يقضى أكثر وقته فى دراسة الكتب ومطالعتها وتاقت نفسه إلى التأليف أيام دراسته للحديث الشريف ، فبدأ بتأليف شرح مستفيض على « شرح معانى الآثار للطحاوى » وسماه « أمانى الأحبار » واستمر فى ذلك العمل إلى آخر أيام عمره .

المبايعة والخلافة : إن البيئة التى ولد وترعرع فيها الشيخ « محمد يوسف » كان فيها رواج كبير للاتصال بالشيوخ والمبايعة ولذلك فإن أعضاء الأسرة كلهم كانوا يتصلون بالشيوخ والموجهين ويكتسبون منهم علم الباطن ، وقد بايع الشيخ « محمد يوسف » والده العظيم الشيخ « محمد الياس » مؤسس « جماعة التبليغ » الذى كان يعتبر من كبار الدعاة إلى الله فى عصره ، وقد استخلف الشيخ « محمد الياس » رحمه الله ولده الشيخ « محمد يوسف » وفوض إليه أمانة الدعوة والتبليغ فى ٢١ رجب من سنة ١٣٦٢ هـ وبعدها لبى نداء ربه ، ومضى إلى الآخرة .

عمل الدعوة والتبليغ : فوجىء الشيخ « محمد يوسف » بتحول كبير فى حياته بعد وفاة والده ، فقد نشأ فيه من دافع التبليغ والدعوة ما جعله لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار ، وذلك رغم اشتغاله بالعلم والتأليف ، وانصرف من كل شىء إلى الدعوة فقط ، وتحولت حياته إلى قلق واضطراب يعيش فيهما كل لحة ، وأصبح التبليغ شعاره ، ودثاره ، وقد تجشم فى سبيل ذلك كل مشقة وشدة ، وواجه كل عنت وارهاق بوجه باسم وقلب خاشع ، فاستمر فى القاء الخطب والرحلات الدعوية . لقد نظم اجتماعات ولقاءات كثيرة بادىء ذى بدء فى مدن الهند وباكستان وقراهما وأرفهما ، وألقى فيها خطبا استغرقت ساعات طوالا ، ووجه الجماعات إلى خارج « دهلى » متتابعة ، وكان يبذل كل وقته بدون كلل أو تعب فى عمل الدعوة والتبليغ ما دام فى مركز التبليغ بدهلى ، إذ لم يكن يستريح فى الليل والنهار آلا ساعتين أو ثلاثا ، أما بقية وقته فكان يقضيها فى القاء الخطب ، والكلام فى المجالس ، وحلقات التعليم ، واجتماعات الشورى .

الرحلات الدعوية : أما الرحلات التى قام بها الشيخ « محمد يوسف » لتعميم عمل الدعوة ، والاجتماعات التى عقدها لنشر فكرة التبليغ فى الناس فكثيرة لا يأتى عليها الحصر ، أنه فى خلال رحلاته الدعوية التى تمتد زهاء عشرين سنة

عقد (٥٣) حفلا كبيرا فى مختلف مدن الهنـد الكبرى ، وقام برحلات واسعة جدا ، وسافر إلى باكستان الغربية والشرقية بعد التقسيم (١٦) مرة وألقى فيها خطابات هامة ، فى حفلات كبيرة منقطعة النظير ، خرجت منها جماعات كثيرة إلى أنحاء بعيدة وأقطار نائية وذلك عدا الاجتماعات العادية الكثيرة التى لا يمكن إحصاؤها .

الدعوة والتبليغ فى الحجاز والأقطار العربية الأخرى : كان الشيخ « محمد يوسف » جد حريص على أن يرى عمل الدعوة والتبليغ ينتشر فى مهد الإسلام مكة والمدينة ، وينال من أهلهما إقبالا وعناية ، وكان يعتقد أن هذه الدعوة إذا تأصلت جذورها فى هذه الأرض المقدسة تستطيع أن تنتشر فى العالم كله عن طريق المسلمين الذين يجتمعون فيها لتأدية فريضة الحج كل عام من جميع أنحاء العالم ، ولذلك بدأ الشيخ « محمد يوسف » عمله أولا فى ميناء « كراتشى » و « بمباى » حيث أقامت جماعات التبليغ تغرس فكرتها فى الحجيج الذين يزورون مكة والمدينة ، فإذا تشربوا فكرة الدعوة والتبليغ يتمكنون من التأثير فى إخوانهم العرب ، ويصبحون خير أداة لنشر الدعوة بينهم ، ولم يكتف بذلك بل تجول على البواخر فى جماعات الحجاج ، وأخذهم بالتعليم والتوجيه ، ووصل إلى الحجاز ، فزار مقرهم ، وبعث العلماء فيهم يتناولونهم التربية ، وأسست جماعات التبليغ ، وأقيمت حلقات التعليم فى الحرمين الشريفين .

ولما تعددت رحلات جماعات التبليغ فى الحجاز ، وبدأ حجاج الأقطار العربية الأخرى يستأنسون بعمل التبليغ ، طولب الشيخ من قبلهم بإرسال بعثات تبليغية فاستجاب لنداء هاتيك الأقطار ، وأرسل جماعات فى أقطار عربية مختلفة ، وأول الأقطار التى توجهت إليه الجماعات هى مصر ، والسودان ، والعراق ، ولم تمض مدة طويلة حتى بدأ هذا العمل ترسخ قواعده فى الأقطار العربية ويستأنس به حتى بدأ هذا العمل ترسخ قواعده فى الأقطار العربية ويستأنس به العامة والخاصة جميعا واتصلوا به ، حتى خرج فى سبيله العلماء مع العامة ، وتوافدوا على مركز « نظام الدين » التبليغى لدى الشيخ « محمـد يوسـف » فى دهلـى ، كما بدأ الشيخ « محمد يوسف » بإرسال بعثات تبليغية إلى مختلف أنحاء آسيا وأفريقيا وأوروبا عدا الأقطار العربية ، وقد نفق فى أعضاء هذه البعثات بكلامه المخلص الفياض روحا ضافية حثتهم على تحمل النفقات الباهظة التى تكلفها هذه الرحلات البعيدة .

وفاته : قام الشيخ « محمد يوسف » برحلة طويلة إلى باكستان بعد عودته من

الحج ، بدأها يوم ١٠ من شوال سنة ١٣٨٤ هـ الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٦٥ م وانتهت بوفاته – رحمه الله - فى أول أبريل سنة ١٩٦٥ م ، وقد زار الشيخ « محمد يوسف » جميع المدن الكبرى فى باكستان الشرقية والغربية كلتيهما وعقد فيها اجتماعات كبرى لا يوجد لها نظير فى التاريخ القريب فى كثرة الوافدين عليها والحاضرين فيها ، وقد لقى الشيخ فى هذه الرحلة من التنقلات إلى البلدان المجاورة ، والخطابات فى الحفلات ، والكلام فى المجالس ، واللقاءات المستمرة مع العامة والخاصة ، ما أتعب قلبه وكل خاطره ، وأثر على صوته المدوى المجلجل ، وأورثه السعال والحمي ، لكنه لم يبال بشىء من ذلك ،، واستمر فى أداء واجبه رغم كل هذا التعب والمرض ، وأخيرا ألقى كلمة فى حفل « بلاهور » قبل عودته إلى الهند بيوم على شدة مرضه وتعبه ، ولقد اشتد مرضه بعد الانتهاء من القاء كلمته ، فأسرع به الناس إلى مقره ، وما كاد يصل إليه حتى غشى عليه ، وظل يعانى من الشدة والألم طول الليل ، وفى اليوم التالى – وكان يوم الجمعة – نقل إلى المستشفى ولكنه قبل أن يصل إليه استأثرت به رحمة الله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان رحمه الله يقرأ قبل الوفاة هذه الكلمات « لا إله إلا الله » الحمد لله الذى أنجز وعده ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله الذى أنجز وعده، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا شىء قبله ولا شىء بعده ، لا شىء قبله ولا شىء بعده » وحينما احتضر كان يقرأ الكلمة الطيبة والأدعية المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت تعلو البسمة على وجهه بعد ما توفى .

خُلقه وخَلقه : كان الشيخ متوسط القامة ، وضىء الوجه ، ضخم الجثة ، أسود اللحية ، كثير الشعر ، منبسط الوجه ، فى عينيه بريق وجاذبية ، وكان يلف رأسه بغترة ، ويستعمل القلنسوة الهندية الساذجة ، وكان ملبسه العادى : الازار ، والقميص الطويل ، وأحيانا كان يلبس السراويل .

إذا رأيته أول مرة حسبته مستغرقا فى الفكر الطويل ، وأخذتك مهابة عظيمة منه ، ولكن سرعان ما تزول الهيبة ويحل محلها الائتلاف والانس ، وكل جليس يعتقد أنه أقرب لديه من الآخرين ، وكان لا ينطق الا بامور الدين ، ولا يسمع سوى الدين ، كان صافى الذهن ، مملوء الصدر باليقين والاخلاص ، كان واسع العلم والمعرفة وخاصة فيما يختص بالعهد النبوى وعهد الصحابة والتابيعن . كان دائم الابتسامة لكن قلبه يحترق هما ، كان يلف كمه مرة ويحله أخرى أثناء التكلم ، وبعد قليل يتنفس الصعداء ، وذلك يزيدة اضطرابا ، من لم ير الشيخ عن قرب

يصعب عليه أدراك حاله وخلقه ، ومن رآه عن قرب وصحبة عرف أنه كان آية من آيات الله فى العصر الحاضر ، وكان يسهل على الانسان أدراك خلق النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم بعد رؤيته وصحبته رحمه الله .

خصائصه ومميزاته : لقد أكرم الله سبحانه وتعالى الشيخ « محمد يوسف » بخصائص ثمينة جمة ، ولا شك أن شغفه الزائد بالدعوة إلى الإيمان بالغيب ، واتساع الانمهاك وقوة التأثير الذى تمتع به الشيخ « محمد يوسف » يتعذر نظيره فى التاريخ المعاصر ، وقد وجد فى شخصيته الفذة خصائص كثيرة علا فيها كعبه ، فإن قوة إيمانه وتوكله على الله ، وهمته العالية وشجاعته ، وصلاته الخاشعة ، ودعاءه الخالص ، وأطلاعه الواسع على حياة الصحابة الكرام رضى الله عنهم واتصاله العميق بأحوالهم ، وأهتمامه البالغ باتباع السنة ، وفهمه للقرآن ، واستخراجه لنتائج عظيمة من حياة الأنبياء عليهم السلام. ، وقوة جمعه بين الأعمال المتباينة من التأليف والدعوة ، وقلقه واضطرابه وإيمانه الخطابى ، وصبره وعزيمته ، وجهده المتواصل ، وتواضعه ، واتصاله الشديد بالله ، ثم شدة اعجاب الناس به ، كل ذلك نواح لامعة وصفات عظيمة فى حياته ، يصدق بها أولئك الآلاف المؤلفة من الناس الذين قضوا معه بعض الوقت ، أو سعدوا برفقته فى سفر .

إنه عندما كان يلقى كلمته حول صفات الله وذاته ، وضآلة الأسباب وصدق وعد الله ، بأسلوبه الخطابى الآخاذ يحول مستمعيه لمدة من الزمان من عالم المادة إلى عالم يقوم على الإيمان بالغيب وحده وعندما كان يوجه الدعوة إلى الناس ويدعوهم إلى الله ، يبهرهم بانهماكه الشديد فى دعوته ، وانصرافه التام إلى عقيدته ، ولذلك كان خطاباته وصحبته لهما تأثير عظيم فى نفوس المجتمعين والوافدين عليه ، فقد كانت تتغير حياتهم من أول يوم ، حتى فى الشكل والأخلاق والمعاشرة وطريقة التفكير والكلام .

أما دعاؤه فكان له تأثير عجيب فى النفوس ، كان لا يترك الحاضرين إلا وأبكاهم أحر البكاء ، وجعلهم يتململون ويضربون تململ السليم لا يتمالكون على انفسهم ، ولا يشعرون بما حولهم ، ويرتج الجو بصوت : آمين .

لم يقتنع الشيخ بما أكرمه الله به من التوفيق والقوة والعزة بل أن قلقه المتزايد ، واضطرابه الشديد ، وسرعته النادرة ، كل ذلك مكنه من إنجاز الأعمال فى أقل مدة وأسرع وقت ، وقد حالفه التوفيق فافتتح إرسال الجماعات إلى أقطار جديدة وبلاد جديدة ، وأصبح له العالم كله كوطنه الأصلى .

أنه نفخ فى عبادة الحج روحا جديدة ، وجعلها وسيلة للدعوة والتبليغ ، وعقد اجتماعات كبيرة حافلة حاشدة من الناس ، تضاءلت أمامها المؤتمرات السياسية الكبيرة ، وككل هذه الأعمال أنجزها الشيخ « محمد يوسف » فى خلال عشرين عاما فقط ، واهتدى به خلق كثير ، أنعم الله عليهم بالورع والتذوق فى العبادة والعاطفة الجياشة عن طريقه رحمه الله .

خواطره وأحاسيسه : كان الشيخ « محمد يوسف » يرى أن الحفلات العامة ، ودراسة الكتب ، لا يغيران وحدهما فى الوضع ولا يبعثان دافع الإيمان والثقة فى النفس ، لذا كان يرى أنه لابد من تغيير الباطن ، وتزكية الأخلاق والأعمال ، واجلال العلم والعلماء ، والثورة الدينية فى النظام كله ، والتضحية والكفاح ، والاتصال بالله وتحمل المشاق فى سبيله ، واحترام الأصول والمبادىء ، والاجتماعات الدينية والاتصال بالجماهير ، وتشكيل الجماعات ، ومطالبة الناس يبذل النفس والمال فى سبيل الله ، وحلقات التعليم ، والشورى والدعاء وقد مر هو نفسه بهذا الطريق ، ومهده لكثير من الناس .

مؤلفاته : وكان له شغف كبير بتاليف الكتب ، على الرغم من جميع الأعمال التى كان له فيها سهم كبير ، وكان رائدها ، ومن الجدير بالذكر فى مؤلفاته كتابان :

أحدهما : « **أمانى الأخبار** » الذى يحتوى على مجلدات ضخمة ، وهذا الكتاب دليل على سعة اطلاعه على الحديث والآثار ، وعمق نظره فى الفقه والمعرفة .

ثانيهما : « **حياة الصحابة** » وفيه شهادة كافية على تبحره فى السيرة النبوية ، وأحوال الصحابة ، ولا شك أنه ذخيرة علمية نادرة ، ومرآة لحياة الصحابة الدعوية وسلوكهم وأخلاقهم . إن لهذا الكتاب تأثيرا أى تأثير !

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير الكتاب

بقلم العلامة

السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإنَّ السيرة النبويَّة وسيَرَ الصحابة وتاريخهم من أقوى مصادر القوة الإيمانّية والعاطفة الدينيّة ، التى لا تزال هذه الأمة والدعوات الدينية تقتبس منها شُعلة الإيمان وتشعل بها مجامرِ القلوب ، التى يُسرع انطفاؤها وخمودُها فى مهبِّ الرياح والعواصف المادية ، والتى إذا انطفأت فقدت هـذه الأمة قوتها وميزتها وتأثيرها ، وأصبحت جُثّة هامدة تحملها الحياة على أكتافها .

إنها تاريخ رجال جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها ، وصدَّقتها قلوبُهم ، وما كان قولهم إذا دُعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنا مُنَادياً يُنَادى للإيمان أن آمنوا بربّكم فآمنّا** ﴾ (١) ، ووضعوا أيديَهم فى يد الرسول ﷺ ، وهانت عليهم نفوسُهم وأموالُهم وعشيرتُهم ، واستطابوا المرارات والمكاره فى سبيل الدعوة إلى الله ، وأفضَى يقينُها إلى قلوبهم ، وسيطر على نفوسهم وعقولهم ، وصَدَرَتْ عنهم عجائب الإيمان بالغيب ، والحبُّ لله والرسول ، والرحمة على المؤمنين والشدَّة على الكافرين ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، وإيثار الآجل على العاجل ، والغيب على الشهود ، والهداية على الجباية ، والحرص على دعوة الناس ، وإخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن جَوْر الأديان إلى عَدْل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتها، والاستهانة بزخارف الدنيا وحُطَامها ، والشوق إلى لقاء الله والحنين إلى الجنة ،

---

(١) آل عمران : ١٩٣ .

وعلوِّ الهمَّة وبُعد النظر فى نشر رفْد الإسلام وخيراته فى العالم ، وانتشارهم لأجل ذلك فى مشارق الأرض ومغاربها ، وسهولها وحُزُونها ، وأغوارها وأنجادها ، ونَسُوا فى ذلك لذّاتهم ، وهجروا راحاتهم ، وغادروا أوطانهم ، وبذلو مهجهم وحُرَّ أموالهم ؛ حتى ألقى الدين بجرانه ، وأقبلت القلوبُ إلى الله ، وهبّت ريحُ الإيمان قويةً عاصفةً طيبةً مباركةً ، وقامت دولة التوحيد والإيمان والعبادة والتقوى ، ونَفَقَتْ سوق الجنَّة ، وانتشرت الهداية فى العالم ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً .

ضمَّت وقائعَهم كُتب التاريخ ، وحفظت أخبارَهم دواوينُ الإسلام ، وكانت دائماً مادة الجديد والبَعْث الجديد فى حياة المسلمين ، ولذلك اشتدَّت عنايةُ دعاة الإسلام والمصلحين بهذه الحكايات ، واستعانوا بها فى إيقاظ همم المسلمين وإلهاب قلوبهم بجذْوة الإيمان والحماسة الدينية .

ولكن أتى على المسلمين حينٌ من الدهر زَهِدوا فيه فى هذا التاريخ وتناسَوه ، وانصرف كتّابُهم ومؤلفوهُم ووعاظُهم ودعاتُهم عنه إلى أخبار الزهَّاد والمشايخ والأولياء المتأخرين ، وطفحتْ الكتب والمجاميعُ بحكاياتهم وكراماتهم ، وأُولع الناسُ بها ولعاً شديداً ، وشغلت مجالسَ الوعظ وحلقاتِ الدروس وصفحاتِ الكُتب .

وكان مِنْ أول من انتبه – على ما نعرف – فى هذا العصر إلى فضل أخبار الصحابة وأحوالهم فى الدعوة الأسلامية والتربية الدينية ، وإلى قيمة هذه الثروة – المطمورة فى الأوراق – الإصلاحية والتربوية ، وتاثيرها فى القلوب ، وكان مِنْ أول من أقبل عليها وعُنى بها وأنصف لها المصلحُ الكبير والداعيةُ المشهور الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى رحمه الله (م ١٣٦٣ هـ) ، فقد عكف عليها مطالعةً ومدارسةً وحكاية وتذكيراً ، رأيتُ له شغفاً عظيماً بالسيرة النبوّية وأخبار الصحابة – رضى الله عنهم – يتذاكرها مع تلاميذه وأصحابه ، وتُقرأ عليه كل ليلة فيسمعها فى رغبة ونهامة وإجلال ، ويحب إحياءها ونشرها ومذاكراتها ، وكان ابنُ أخيه المحدِّث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى صاحب « أوجز المسالك إلى موطَّأ الإمام مالك » ألف كتاباً متوسطاً فى « أردو » فى أخبار الصحابة رضى الله عنهم سمَّاه « حكايات الصحابة » وسُرَّ به الشيخ سروراً عظيماً ، وألزم المشتغلين بالدعوة والرحلات فى سبيلها مطالعة هذا الكتاب ومدارسته ، وكان - ولا يزال - من أهمِّ الكتب المقررة للدعاة والمتطوِّعين ، ومن الكتب التى نالت قبولاً عظيماً ورواجاً كبيراً فى الأوساط الدينية .

وورث الشيخُ محمد يوسف والدَه العظيم الشيخَ محمد إلياس ، ورثه فى حمل أعباء الدعوة وأمانتها ، وورثه فى ذَوْقه واتجاهه فى الشَّغَف بالسيرة وأحوال الصحابة ، وكان هو الذى يقرأُ له هذه الحكايات والدروس من السيرة وتراجم الصحابة فى حياته ، وأكبَّ بعد وفاته – مع الاشتغال الشديد بالدعوة – على مطالعة كتب السيرة والتاريخ وطبقات الصحابة ، ولا نعرف – فيمن نعرف – أوسع نظراً فى أخبارهم ، ودقائق أحوالهم ، وأكثرَ استحضاراً لها ، وأحسنَ استشهاداً بها ، وأجمل اقتباساً منها ، وأكثَر إيراداً لها فى الحديثَ والمحاضرات منه ، وتكاد تكون هذه الحكاياتُ التاريخية والقصص الحقُّ مصدر قوة كلامه وتأثيره وسر سحره ووقعه فى القلوب ، وحَمْل الجماعات الكبيرة على التضحية والإيثار ، والاستهانة بالمتاعب والمصاعب ، وتكبّد المشاق فى سبيل الله ، لقد بلغت الدعوةُ فى عهده إلى الأقطار العربية ، وإلى أمريكا وأوروبا واليابان وجزر المحيط الهندى ، ومسَّت الحاجة إلى كتاب كبير يطالعه المشتغلون بالدعوة ، والخارجون فى الرحلات ، ويُدارسونه ويُغَذُّون به قلوبَهم وعقولهم ، ويُلْهبون به عواطفهم الدينية ، ويكون حافزاً لهم على تقليدهم وبذل نفسهم ونفيسهم فى سبيل الدعوة ، والتجول فى العالم والهجرة والنصرة ، وفضائل الأعمال ومكَارم الأخلاق ، وإذا قرأوا هذه الأخبار تضاءلت نفوسُهم أمامها كما تتضاءل السواقى أمام البحار ، وطوالُ الرجال أمام الجبال الشُمّ ، فاتهموا يقينهم واستصغروا أعمالهم ، واحتقروا حياتهم ، وارتفعت هِمَمُهم ، وطَمحَت نفوسُهم وتحركت عزائمهم .

وأراد الله أن يكون للشيخ محمد يوسف فضلُ التأليف فى هذا الموضوع الجليل مع فضل الدعوة إليه ، مع أنَّ حياته المشغولة المتنقِّلة المزدحمة بالرحلات والضيوف والوفود والدروس أبعدُ شيء من حياة التأليف والكتابة ، ولكنه استطاع بتوفيق الله تعالى وعونه وبعلوِّ همته وقوة عزيمته أن يشتغل بالتأليف ، ويجمع بين الدعوة والكتابة – وما أصعب الجمع بينهما – وقد استطاع بحول الله وقوته أن يشتغل بشرح « شرح معانى الآثار » للإمام الطحاوى ، فألف كتاب « أمانى الأخبار » فى مجلدات كبار ، واستطاع بحول الله وقوته أن يؤلف كتاب « حياة الصحابة » فى ثلاث مجلدات ضخام يجمع فيه ما انتشر وتفرَّق فى كتب السِّيَر والتاريخ والطبقات ، ويبدأ بأخبار الرسول الأعظم ﷺ ، ويُثَنّى بقصص الصحابة – رضى الله عنهم – ويُعْنَى بجوانب تَخُصَ الدعوة والتربية ، وتهمُّ الدعاةَ والمربِّين بصفة خاصّة ، فيكون تذكرة الدعاة وزادَ العاملين ، ومدرسة الإيمان واليقين لعامة المسلمين .

وقد جمع هذا الكتاب من أخبار الصحابة رضوان الله عليهم وسيرهم وقصصهم وحكاياتهم ما يندر وجودُه فى كتابٍ واحدٍ ، لأنه اقتبس من كتب كثيرة ، ككتب الحديث والمسانيد وكتب التاريخ وكتبِ الطبقات ، لذلك جاء هذا الكتاب يصوِّرُ ذلك العصر ويمثل حياة الصحابة رضى الله عنهم وخصائصهم وأخلاقهم وخواطرهم ، وقد أسْبَغت هذه الدقّة وهذا الاستقصاء والإكثار من الروايات والقصص على الكتاب تأثيراً لا يكون للكتب التى بُنِيت على الإجمال والاختصار ومغزى القصة ، ويعيش القارىء لأجله فى مُحيط الإيمان والدعوة ، والبطولة والفضيلة ، والإخلاص والزهد .

وإذا صحّ أنَّ الكتاب صورةُ نفسيّة للمؤلف وقطعةٌ من قلبه ، وأنه يؤثِّر بقدر ما يكتبه المؤلف عن عقيدة واقتناع وتأثر وانطباع ، وبقدر ما يعيش فى مادته ومعناه — إذا صحّ هـذا فانا أؤكد أنَّ الكتاب مُؤثِّر وناجح ، لأن المؤلف قد كتبه عن عقيدة وحماسة ، ولذّة وعاطفة ، وقد خالط حبُّ الصحابة لحمه ودمه ، واستولى على مشاعره وتفكيره ، وقد عاش فى أخبارهم وأحاديثهم زمناً طويلاً ، ولا يزال يعيش فيها ، ويستقى من منابعها ، فسح الله فى مدته ، وبارك فى حياته .

لم يكن هذا الكتاب فى حاجة إلى تصدير مثلى لجلالة مؤلفه وإخلاصه ، فإنّه — على ما أعتقد وأعرف — موهبة إلهيّة وحسنة من حسنات الزمان فى قوة الإيمان ، وقوة الدعوة والانقطاع إليها والتفانى فى سبيلها ، لا يوجد أمثاله إلا بعد فترات طويلة ، وهو يقود حركة دينية من أقوى الحركات وأوسعها وأعظمها تأثيراً فى النفوس ، ولكنَّه أراد أن يُكرمنى بذلك ، وأردت أن يكون لى نصيبٌ فى هذا العمل الجليل ، فكتبت هذه الكلمة متقرِّباً بها إلى الله ، تَقَبَّلَ الله هذا الكتاب ونفع به عباده .

أبو الحسن على الحسنى الندوى سهارنبور

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب حياة الصحابة

رضي الله عنهم

مدخل إلى أبواب الكتاب :

- الآيات القرآنية فى طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله ﷺ .
- الأحاديث فى طاعة النبى ﷺ واتّباعه واتّباع خلفائه رضي الله عنهم .
- الآيات القرآنية فى النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم .
- قوله تعالى فى أصحاب النبى ﷺ .
- ذكر الرسول ﷺ والصحابة رضى الله عنهم فى الكتب المتقدّمة على القرآن .
- الأحاديث فى صفة النبى ﷺ .
- الآثار فى صفة الصحابة الكرام رضى الله عنهم .

الآيات القرآنية
فى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ

﴿ الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ ، الرَّحمَن الرَّحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبُدُ وإيَّاكَ نستعين ، إهدنا الصِّرَاطَ المستقيمَ ، صِرَاطَ الَّذين أنعمت عَلَيهمْ ، غَير المَغْضُوب علَيْهمْ وَلاَ الضَّالِّين ﴾ (١) : ﴿ إنَّ اللهَ ربِّى وربُّكم فاعبدُوهُ هذا صِرَاطٌ مُستقيمٌ ﴾ (٢) ،

وقال الله تعالى : ﴿ قل إنَّنِى هَدَانى رَبِّى إلى صراط مُستقيمٍ ، دِيناً قِيماً مِلَّةَ إبراهِيمَ حنيفاً وما كَانَ من المُشرِكينَ ، قُلْ إنَّ صَلاتى ونُسُكى ومحيايَ ومَماتِى للهِ رَبِّ العالمينَ ، لا شَرِيكَ له وبذلك أمُـرْتُ وأنا أوَّلُ المسْـلِمينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناسُ إنِّى رسولُ اللهِ إليكم جميعاً الذى له مُلْكُ السماوات والأرْض لاَ إلَه إلاَّ هُوَ يُحْيِى ويُميتُ ، فآمنوا بِاللهِ وَرَسُولِه النَّبِىِّ الأمِّىِّ الَّذى يُؤمِنُ باللهِ وكَلِماتِه واتَّبِعوهْ لعلَّكم تَهْتَدُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلاَّ لِيُطَاعَ بِإذن الله ، وَلَوْ أنَّهُمْ إذْ ظَلَمُوا أنفُسَهُم جاؤوك فاسْتغفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لهم الرَّسولُ لوجدُوا اللهَ توّاباً رَحِيماً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا أطِيعُوا اللهَ ورسَولَهُ ولاَ تولَّوْا عنهُ وأنتم تَسْمَعُونَ ﴾ (٦) ، وقال : ﴿ وأطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ ﴾ (٧) ،

وقال : ﴿ وأطيعُوا اللهَ ورسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، واصْبُروا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرينَ ﴾ (٨) .

---

(١) الفاتحة . (٢) سورة آل عمران الآية : ٥١ .

(٣) سورة الأنعام الآيات : ١٦١ – ١٦٣ . (٤) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .

(٥) سورة النساء الآية ٦٤ . (٦) سورة الأنفال الآية : ٢٠ .

(٧) سورة آل عمران الآية : ١٣٢ . (٨) سورة الأنفال الآية : ٤٦ .

وقال: ﴿ يَا أَيُّها الذَين آمنوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسُولَ وأُولِى الأَمْرِ مِنكُمْ فإن تنازعتُم فى شىء فردُّوهُ إلَى الله والرّسولِ إنْ كنتمْ تؤمنُونَ باللهِ واليَومِ الآخرِ ذَلكَ خَيرٌ وأحسنُ تأويلاً ﴾(١)

وقال تعالى: ﴿ إنَّما كانَ قولَ المؤمنَين إذا دُعوا إلى الله ورسُوله ليحَكُمَ بَينهُم أن يَقولُوا سَمِعنا وأطعنا، وأُولئك هَمُ المفْلحُونَ * ومن يُطعِ الله ورسُوله ويخشَ الله ويتَّقْه فأولئك هم الفائزون ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ قل أطيعوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسولَ فإن تولوا فإنَّما عَلَيْه مَا حُمِّل وَعَلَيكم ما حُملْتُم، وإن تُطيعُوه تَهْتَدوا وَمَا على الرَّسُولِ إلاَّ البَلاَغُ المبينُ* وَعدَ اللهُ الذين آمنوا منكُم وعملوا الصَّالحات ليَسْتخْلفنَّهم فى الأرض كَمَا اسْتخَلفَ الذينَ من قبْلهم، ولَيُمَكِّنَنَّ لهم دينهمُ الَّذى ارْتَضى لهَمَ، ولَيُبَدِّلَنَّهم مِن بَعدِ خوفِهِمْ أمْناً، يعبدونني لاَ يُشركون بى شيئاً، ومن كَفَرَ بَعْدَ ذلك فأولئكَ هُمَ الفَاسَقُون * وأقيمُوا الصّلاة وآتوا الزّكاةَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ لعلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ يَا أيُّهَا الّذين آمنوا اتَّقوا الله وقُولُوا قَوْلاً سديداً * يُصلْحْ لَكَم أعْمَالَكُمَ ويغفِر لَكُم ذُنُوبكَم، وَمَن يُطعِ اللهَ وَرَسُولَهَ فقد فازَ فَوْزاً عَظيماً ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذيَن آمَنُوا اسْتجيُبوا لله وللرُّسُول إذا دَعَاكُمْ لما يُحييكُمْ واعلَمُوا أنَّ الله يَحُولُ بين المَرْءِ وقَلْبه وأنَّه إليه تُحشَرُونَ ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ قل أطيعُوا اللهَ والرَّسولَ فإن تولَوا فإنَّ الله لاَ يُحِبُّ الكَافِرِيَن ﴾ (٦).

---

(١) سورة النساء الآية: ٥٩.

(٢) سورة النور الآيتان: ٥١، ٥٢.

(٣) سورة النور الآيات: ٥٤ — ٧٠.

(٤) سورة الاحزاب الايتان: ٧٠، ٧١.

(٥) سورة الأنفال الآية: ٢٤.

(٦) سورة آل عمران الآية: ٣٢.

وقال تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أطَاعَ اللهَ ، وَمَن تَوَّلى فَمَا أرسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حفيظاً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنِ يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فأولئكَ مَعَ الَّذينِ أنعَم اللهُ عَلَيْهِمْ من النبيِّين والصديِّقين والشَّهَدَاء والصَّالحينَ وحَسُنَ أولئك رَفِيقاً * ذلِك الفضْلُ مِن اللهِ وكفى بِاللهِ عَلِيماً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ومن يُطِع اللهَ ورسولَه يُدْخلْهُ جَنَّاتٍ تجرْى من تَحْتها الأنهارُ خَالدينَ فيهَا وَذَلكَ الفوزُ العظيمُ * وَمَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَه ويتعدَّ حُدُودَه يُدْخلْهُ نَاراً خَالداً فيها ولَهُ عَذابٌ مهُينٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ... وأصلحُوا ذَاتَ بَيْنُكم ، وأطيعُوا اللهَ ورسُولَه إن كنتُم مُؤمنين * إنما المؤْمنونَ الذين إذا ذُكرَ اللهُ وجلَتْ (٤) قلوبُهُمْ ، وإذا تُليتْ عليهمْ آياتُه زادتْهُم إيماناً ، وعَلَى ربِّهم يتوكَّلُونَ * الَّذين يُقيمون الصَّلاة ومما رزقْنَاهُمْ يُنفقُون * أولَئِكَ هم المؤمنون حقّاً ، لهم درجات عندَ ربهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريِمٌ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَالمؤْمنُونَ والمؤْمناتُ بعضُهم أولياءُ بعضٍ ، يَأْمرونَ بالمعرُوف ، وينهَونَ عن المنكر ، ويقيمُونَ الصَّلاةَ ، ويؤتُونَ الزَّكاة ، ويُطيعُونَ اللهَ ورسولَه ، أولئك سيرحَمُهُمُ اللهُ إن اللهَ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إن كنتم تحبُّون اللهَ فاتَّبعوني يُحْبِبْكُم اللهُ ويغفرْ لَكُم ذُنوبَكُم واللهَ غفورٌ رحيمٌ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ لَقَد كَانَ لَكُم في رَسُولِ اللهُ أسوةٌ (٨) حسنةٌ لمن كَانَ يَرْجُو اللهَ واليَومَ الآخَر وذَكَر اللهَ كَثيراً ﴾ (٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتاكُم الرَّسولُ فَخُذوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا ﴾ (١٠)

* * *

---

(١) النساء الآية ٨٠ . (٢) النساء : ٦٩ ، ٧٠ . (٣) النساء : ١٣ ، ١٤ .

(٤) وجلت : اى خافت وفزعت . (٥) الأنفال : ١ — ٤ .

(٦) التوبة الآية : ٧١ . (٧) آل عمران الآية : ٣١ . (٨) أى قدوة محمودة .

(٩) الأحزاب الآية : ٢١ . (١٠) الحشر الآية : ٧ .

الأحاديث فى طاعة النبى ﷺ واتِّباعه واتِّباع خلفائه رضى الله عنهم

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى » .

وأخرج البخارى أيضًا عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً (١) : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى ، من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » كذا فى « الجامع » (٢ / ٢٣٣) .

وأخرج البخارى أيضاً عن جابر رضى الله عنه قال : جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم فقالوا : إنَّ لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً قال بعضهم : إنَّه نائم ، وقال بعضهم : إنَّ العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : مَثَلُه كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدُبة وبعث داعياً ؛ فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدُبة ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدُبة ، فقالوا : أَوِّلُوها له يفقَهْها ، قال بعضهم : إنَّه نائم ، وقال بعضهم : إنَّ العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : الدار الجنة ، والداعى محمد ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فَرْقٌ (٢) بين الناس .

وأخرج الدارمى عن ربيعة الجَرَشى رضى الله عنه بمعناه ، كما فى « المشكاة » (ص ٢١) . وأخرج الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : يا قوم ، إنِّى رأيت الجيش بعينى ، وإنى أنا النذير العُريان (٣) ، فالنَّجاءَ ، فالنَّجاء ، فأطاعه طائفة

---

(١) الحديث المرفوع ما انتهى سنده إلى النبى ﷺ .

(٢) قوله (فرّق) بفتح الرآء المشددة على انه فعل ماضى ، كذا فى رواية ابى ذر وفى رواية غيره بسكون الراء وبتنوين القاف يعنى فارقٌ بين المطيع والعاصى أ . هـ عمدة القارى شرح صحيح البخارى للإمام بدر الدين العينى جـ ٢٠ ص ٢٠٧ .

(٣) كانت عادة العرب إذ راى احد منهم خطراً داهماً او جيشاً صغيراً صعد على مكان مرتفع وخلع ثيابه واخذ يشير بها وهو يصيح فى الناس منذراً ومحذراً فعرف بهذا اللقب وصيره للناس مثلاً لتشنيع الأمر والتحذير من خطره .

من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فَنَجَوا ، وكذّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ؛ فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذّب ما جئت به من الحق » .

وأخرج الترمذى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليأتين على أمتى كما أتى على بنى إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ » ؛ حتى إنْ كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك ، وإنَّ بنى إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملَّة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملَّة ، كلُّهم فى النار إلا ملَّة واحدة . قالوا : من هى يا رسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابى » .

وأخرج الترمذى وأبو داود – واللفظ له – عن العِرْباض بن سارية رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت [1] منها العيون ووجلت [2] منها القلوب ، فقال رجل : يا رسول الله ، كأنَّ هذه موعظة مودِّع فماذا تعهد إلينا ؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً [3] ؛ فإنَّه من يَعِشْ منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيرا ، فعليكم بسنَّتى وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين ، تمسّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ [4] ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنَّ كل مُحْدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

وأخرج رَزِين عن عمر رضى الله عنه مرفوعاً : « سألت ربِّى عن اختلاف أصحابى من بعدى ، فأوحى إلَىّ : يا محمد ، إنَّ أصحابك عندى بمنزلة النجوم من السماء بعضها أقوى من بعض ولكلٍّ نور ، فمن أخذ بشىء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى » ، وقال : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » [5] ، كذا فى جمع الفوائد (٢ / ٢٠١) .

---

(١) أسرع دمعها وسال بغزارة . (٢) خافت وفزعت .

(٣) إى إن كان عبداً حبشياً إذا أمركم بمعروف لما رواه البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ قال : « إنما الطاعة فى معروف » . (٤) النواجذ مقدمة الأسنان وهى التى تظهر عند الضحك .

(٥) قال العجلونى فى كشف الخفا حديث « أصحابى كالنجوم » رواه البيهقى وأسنده الديلمى عن ابن عباس بلفظ « أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء بأيهن اقتديتم إهتديتم » أ . هـ. وقال ابن بدران فى شرح روضة الناظر لابن قدامه المقدسى فى الجزء الأول ص ٢٦٧ ط الحلبى : وقد أطال البدر الزركشى فى كتابه (تخريج أحاديث المنهاج والمختصر) الكلام على حديث « أصحابى كالنجوم » وبين أنه روى من طرق متعددة جميعا مطعون فيها ثم قال : روى من طرق كثيرة ولا يصح وقال ابن حزم فى رسالته الكبرى فى إبطال القياس هو خبر موضوع كذب باطل ، وقال البزار هذا الحديث لا يصح وقال البيهقى هذا الحديث مشهور المتن وأسانيده ضعيفة ولم يثبت فى هذا إسناد . انتهى كلام الزركشى .

وأخرج الترمذى عن حُذيفة رضى الله عنه مرفوعاً : « إنّي لا أدرى قَدْر بقائى فيكم فاقتدوا باللَّذْين من بعدى - وأشار إلى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما - واهتدوا بَهَدْى عمّار ، وما حدَّثكم ابن مسعود فصدِّقوه » .

وأخرج أيضاً عن بلال بن الحارث المُزَنى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحيا سنّة من سنّتى قد أميتت بعدى فإن له من الأجر مثل أجور من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً . ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الإثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً » .

وأخرج ابن ماجه أيضاً نحوه عن كَثير بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عن جده .

وأخرج الترمذى أيضاً عن عمرو بن عوف رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الدين ليأرز [(١)] إلى الحجاز كما تأرز الحيّة إلى جُحْرها [(٢)]، وليَعْقلَن الدين من الحجاز مَعْقل الأرْويَّة من رأس الجبل . إنَّ الدين بدأ غريبا وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء وهم الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى » .

وأخرج أيضاً عن أنس رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « يا بنى ، إن قدرْتَ أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غشٌ لأحد فافعل ، ثم قال : يا بنى ، وذلك من سنَّتى ، ومن أحب سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى ، كان معى فى الجنة » .

وأخرج البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا : « من تمسك بسنَّتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد » . ورواه الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه إلا أنه قال : « فله أجر شهيد » ، كذا فى الترغيب (١ / ٤٤) .

وأخرج الطبرانى وأبو نُعَيْم فى الحِلية عن أبى هريرة رضى الله عنه : « المتمسك بسنَّتى عند فساد أمتى له أجر شهيد » .

وأخرج الحكيم عنه : « المتمسك بسنَّتى عند اختلاف أمتى كالقابض على الجمر » كذا فى كنز العمال (١ / ٤٧) .

وأخرج مسلم عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً : « من رغب عن سنَّتى فليس منى » . وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر وزاد فى أوله : « من أخذ سنتى فهو منى » .

وأخرج الدارقطنى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً : « من تمسك بالسنَّة دخل الجنَّة » .

---

(١) يتجمع ويثبت .

(٢) اى تلوذ إليه وتكمن فيه .

وأخرج السَّجْزى عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً : « من أحيا سنَّتى فقد أحبَّنى ومن أحبَّنى كان معى فى الجنة » .

* * *

الآيات القرآنية فى النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ محمدٌأبا أحدٍ من رَجالكُمْ ، ولكِنْ رَسُولَ اللهِ وخاتمَ النَّبيِّين وكانَ اللهُ بكلِّ شيْءٍ عَليماً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها النبُّى إنَّ أرْسَلْنَاك شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً ، ودَاعِياً إلى الله بإذنِهِ وسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إنَّا أرْسَلْنَاك شَاهداً ومُبَشِّراً ونَذيراً ، لتؤْمِنْوا بالله ورسُولِهِ وتعزِّرُوهُ (٣) وتوقِّرُوهُ وتُسبِّحوه بُكْرةً وأصِيلاً (٤) ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إنَّا أرسَلْناكَ بالحقِّ بَشيراً ونذِيراً ولا تُسألُ (٦) عنْ أصْحَابِ الجَحِيم ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ إنَّا أرسَلْناكَ بالحقِّ بَشيراً ونذِيراً ﴾ (٨) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٠

(٢) سورة الأحزاب الآيتين ٤٥ ،٤٦

(٣) أى : تنصرونه بأموالكم وأنفسكم .

(٤) أى تسبحون الله أول النهار وآخره .

(٥) سورة الفتح الآيتان : ٨ ، ٩ .

(٦) أى ما عليك من حسابهم من شىء مادمت قد بلغت رسالة ربك فاعرض عنهم ولا تعبأ بهم .

(٧) سورة البقرة الآية : ١١٩ .

(٨) سورة فاطر الآية : ٢٤ .

وقال تعالى : ﴿ وإنْ من أُمَّة إلاَّ خَلاَ فيها نَذيرٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وما أَرسَلْناك إلاَّ كافَّة للنَّاسِ بَشيراً ونَذيراً ولكنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وما أَرْسَلْنَاك إلاَّ مُبشِّراً ونذيراً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وما أَرْسَلْنَاك إلاَّ رحْمَةً للعالَمين ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذى أَرْسَل رسُولَه بالهُدى ودِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّين كلِّه ولو كَرِهَ المشْرِكُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ ويومَ نَبعثُ فى كُلِّ أُمَّة شهيداً عَلَيهم مِنْ أنفُسهم وجئْنَا بكَ شَهيداً على هَؤُلاَء ، ونزَّلنا عليك الكتابَ تِبياناً لكُلِّ شَيءٍ وهدىً ورحمةً وبُشْرى للمسْلمين ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وكَذَلكَ جَعَلناكُم أمةً وسَطًا لتكونُوا شُهَداء عَلى النَّاسِ ويكونَ الرَّسُولُ عليكُم شَهيداً ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ قد أنزلَ اللهُ إليكُمْ ذِكْراً ، رَسُولاً يتلُو عَلَيْكَم آيات الله مُبَيِّنات لِيُخرِجَ الَّذينَ آمنُوا وعَملُوا الصَّالحاتِ من الظُّلُمَاتِ إلى النُّور ، ومَن يُؤمنْ بالله ويعْملْ صالحاً يُدْخلْهُ جناتٍ تجرى من تحْتِها الأنهارُ خالدِين فيها أبداً قد أحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً ﴾ (٨) .

وقال تعالى : ﴿ لَقد مَنَّ اللهُ على المؤمنَين إذْ بعثَ فيهم رَسولاً من أنفُسِهم يتلُو عَلَيهم آياته ، ويزَكِّيهم ، ويعَلِّمُهم الكتابَ والحكمة وإن كانوا من قبلُ لَفِى ضَلالٍ مبينٍ ﴾ (٩) .

وقال تعالى : ﴿ كَمَا أرسَلْنَا فيكُمْ رسُولاً منكم يَتْلُو عَليكُم آيَاتنا ، ويُزَكِّيكُم ، ويعلمُكُم الكتَابَ والحكْمَةَ ويُعلِّمُكُم ما لم تكونُوا تَعْلَمُونَ * فاذكُرُونى أذكرْكُم واشكُروا لِى ولاَ تَكْفُرونَ ﴾ (١٠) .

---

(١) سورة فاطر : ٢٤ (٢) سورة سبأ : ٢٨ ، (٣) سورة الفرقان الآية : ٥٦

(٤) سورة الأنبياء : ١٠٧ ، (٥) سورة الصف : ٩ ، (٦) سورة النحل الآية : ٨٩ ،

(٧) سورة البقرة الاية : ١٤٢ ،

(٨) سورة الطلاق الآيتان : ١٠ ، ١١ ،

(٩) سورة آل عمران الآية : ١٦٤ ،

(١٠) سورة البقرة الآيتان : ١٥١ ، ١٥٣ ،

وقال تعالى : ﴿ لقدْ جاءكم رسولٌ من أنفسِكُم عزيزٌ عليه ما عنِتُّم ، حريصٌ عليكم ، بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فبما رحْمة من الله لنْتَ لهم ، ولو كنتَ فظًّا غليظ القَلْب لا نفضّوا من حولك ، فاعْفُ عنهم ، واستغفرْ لهم ، وشاورْهُم فى الأمْرِ ، فإذا عزمْتَ فتوكَّلْ على الله إنَّ الله يحبُّ المتوكِّلينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إلاَّ تنصروهُ فقد نصره اللهَ ، إذ أخرجَهُ الَّذين كَفَرُوا ثانَي اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقولُ لصاحبه لاَ تحزنْ إنَّ الله معنا فأنزلَ الله سكينَتَهُ عليه ، وأيَّدَهُ بجنودٍ لم تروْها ، وجعل كلمةَ الَّذين كَفروا السُّفلى ، وكلمةُ الله هىَ العُليا ، واللهُ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ محمدٌ رسول الله ، والذينَ معهُ أشدّاءُ على الكفار رُحماءُ بينهم ، تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فَضْلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثرِ السُّجود ، ذلك مثلُهُم فى التوراة ، ومثلُهم فى الإنجيل كزرعٍ أخرجَ شَطْأه فآزَرَهُ فاستغلظَ فاستوى على سُوقه يُعْجِبُ الزُّرَّاع ليغيظ بهم الكفّار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذينَ يتَّبعون الرَّسولَ النبىَّ الأمِّى الذى يجدُونه مَكتوباً عندهم فى التَّوراة والإنجيل ، يأمُرهم بالمعروف وينهاهُم عن المنكرِ ويُحلُّ لهم الطَّيبات ويحرِّمُ عليهم الخبائثَ ، ويضعُ عنهمْ إصْرَهُم والأغلالَ الَّتى كَانت عليهمْ ، فالذين آمنوا بهِ وعزَّروهُ ونصروهُ واتَّبعُوا النُّورَ الذى أُنزل معَه أولئكَ هُمُ المفْلحُونَ ﴾ (٥) .

قوله تعالى فى أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام

﴿ لَقَد تَابَ الله على النبىِّ والمهاجرِين والأنْصَار الَّذين اتَّبعوهُ فى ساعة العُسرة من بعد ما كاد يَزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم ، ثم تابَ عليهم إنَّه بهم رؤوفٌ رحيمٌ * وعلى الثَّلاثة الذين خُلِّفُوا ؛ حتَّى إذا ضاقتْ عليهمُ الأرضُ بما رحُبتْ ، وضاقتْ عليهم أنفسُهُم ، وظنُّوا أنْ لاَ مَلْجَأ من الله إلاَّ إليه ، ثُمَّ تابَ عَلَيْهم ليتُوبوا إنَّ الله هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٢٨ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .
(٣) سورة التوبة الآية : ٤٠ .
(٤) سورة الفتح الآية : ٢٩ .
(٥) سورة الأعراف الآية : ١٥٧ .
(٦) سورة التوبة الآيتان : ١١٧ ، ١١٨ .

وقال تعالى : ﴿ لقد رضيَ الله عن المؤمنين إذْ يُبايعونك تحتَ الشَّجرة ، فعلمَ ما في قُلوبهم ، فأنزلَ السكينةَ عليهمْ وأثابهُم فَتحاً قريباً ، ومغانمَ كثيرةً يأخذُونَها وكان اللهُ عَزيزاً حكيماً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ والسَّابقون الأوَّلون من المهاجرِين والأنصارِ والَّذين اتَّبعوهُم بإحسانٍ ، رَضيَ الله عنهم ورَضُوا عنهُ ، وأعدَّ لهُمْ جنَّاتٍ تجرِي تَحْتَها الأنهارُ خَالدين فيها أبداً ذلك الفوزُ العظيمُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ للفقَراء المهاجرين الَّذين أُخْرجوا منْ ديارهم وأمْوالهم يبْتَغونَ فضْلاً من الله ورضْواناً ، وينصرون الله ورسولَه ، أولئكَ هُمُ الصَّادقون * والَّذين تبوَّءُوا الدَّار والإيمانَ منْ قَبْلهِم ، يُحبُّون من هاجر إليهمْ ، ولا يجدُونَ في صُدورهمْ حاجَةً مما أوتوا ، ويُؤثرون على أنفسِهِمْ ولَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ ، ومَن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئكَ هم المُفْلحون ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ الله نزَّلَ أحسنَ الحديث ؛ كتاباً مُتَشابهاً ، مثانيَ تقشعرُّ منهُ جلودَ الَّذين يَخْشَونَ ربَّهم ثمَّ تلينُ جلودُهُم وقلوبُهم إلى ذكرِ الله ، ذلك هُدَى الله يهدي به مَنْ يشاءُ ومَن يُضلِلِ الله فما له منْ هاد ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إنَّما يُؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكِّروا بها خرُّوا سُجَّداً وَسبَّحوا بحمد ربِّهم وهُمْ لا يستكبرون * تتجَافى جنوبُهم عن المضاجعِ يدْعُون ربَّهُمْ خوْفاً وطَمَعاً ومما رزقناهم يُنفقون * فَلاَ تعلمُ نفسٌ ما أخفَى لهم من قُرَّة أعْيُنٍ جزَاءً بما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا عند الله خيرٌ وأبقَى للَّذين آمَنُوا وَعَلَى ربِّهْم يتوكَّلُون * والَّذين يَجْتَنبونَ كَبَائرَ الإثْمِ والفَواحشَ وإذا ما غَضبوا هم يَغْفرُونَ * والَّذين استجابُوا لربِّهم وأقامُوا الصَّلاة وأمرهُم شُورَى بينَهم ومِمَّا رزقْناهُم يُنفقون * والَّذين إذا أصابَهم البَغْيُ هُمْ ينْتَصِرُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الفتح الآيتان : ١٨ ، ١٩ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٠٠ .

(٣) سورة الحشر الآيتان : ٨ ، ٩ .

(٤) سورة الزمر الآية : ٢٣ .

(٥) سورة السجدة الآيات : ١٥ - ١٧ .

(٦) سورة الشورى الآيات : ٣٦ - ٣٩ .

وقال تعالى : ﴿ مِنَ المؤمنِينَ رجالٌ صَدَقوا ما عاهدُوا اللهَ عَلَيْه ، فمنهُم مَن قَضَى نحْبَهُ (١) ومنهُم مَن يَنتظِر وما بَدَّلوا تَبديلاً * ليجزِىَ اللهُ الصَّادِقين بِصدْقِهِم ويعذِّبَ المنافِقِين إنْ شاءَ أوْ يَتُوبَ علَيْهِم إنَّ اللهَ كَانَ غفوراً رَحيماً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أمَّنْ هُوَ قانتٌ آناءَ الَّليل ساجِداً وقائماً يَحْذَرُ الآخِرةِ ويرجو رحمةَ ربِّهِ قُلْ هَلْ يَستوِى الَّذين يعلَمُونَ والَّذين لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

* * *

ذكر الرسول ﷺ والصحابة رضى الله عنهم فى الكتب المتقدمة على القرآن

أخرج أحمد عن عطاء بن يَسَار قال : لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فقلت : أخبرنى عن صفاتِ رسول الله ﷺ فى التوراة ، فقال : أجلْ والله إنه لموصوفٌ فى التوراة بصفته فى القرآن : « يا أيها النبىُّ إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ، ونذيراً ، وحرزاً للأمِّيين (٤) ، أنت عبدى ورسولى ، سميتُك المتوكِّل ، لا فَظٌّ ولا غليظٌ ولا صخَّاب (٥) فى الأسواق ، ولا يدفَع بالسيئة السيئةَ ولكن يعفو ويغفرُ ، ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملّة العوجاءَ بأن يقولوا لا إله إلا الله ، يفتحُ به أعيناً عُمْياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلْفاً » وأخرجه البخارى بنحوه عن عبد الله ، والبيهقى عن ابن سَلاَم ، وفى رواية : « حتى يقيم به الملّة العوجاء » . وأخرجه ابن إسحاق عن كعب الأحبار بمعناه . وأخرجه البيهقى عن عائشة رضى الله عنها مختصراً ، وذكر وَهْب بن مُنَبِّه أنّ الله تعالى أوحى إلى داود فى الزبور : « يا داود إنَّه سيأتى من بعدك نبِّى اسمه أحمد ومحمد ، صادقاً سيِّداً ، لا أغضب عليه أبداً وقد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ، وأمته مرحومة ؛ أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت

(١) أى : وفى نذره فمات شهيداً فى سبيل الله ومنهم من ينتظر الوفاء .
(٢) سورة الأحزاب الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ .
(٣) سورة الزمر الآية : ٩ .
(٤) أى حصناً للعرب وزخراً لهم .
(٥) قال ابن منظور فى لسان العرب الصخب الصياح والجلبة وشدة الصوت واختلاطه والمعنى : أن النبى ﷺ لا يخرج عن حلمه ولين جانبه وهدوء صوته فى الأماكن التى يكثر فيها الصياح والضجيج والتخاصم .

الأنبياء ، وفرضت عليهم الفرائض التى افترضت على الأنبياء والرسل ، حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء .. إلى أن قال :: يا داود ، إنّى فضلت محمداً وأمته على الأمم كلّها » . كذا فى البداية (٢ / ٣٢٦) .

وأخرج أبو نُعَيم فى الحلية (٥ / ٣٨٦) عن سعيد بن أبى هلال أنَّ عبد الله ابن عمرو قال لكعب : أخبرنى عن صفة محمد ﷺ وأمته ، قال : أجدُهم فى كتاب الله تعالى : (إنَّ أحمد وأمته حمَّادون يحمدون الله عز وجل على كل خير وشر ، يكبِّرون الله على كل شَرَف [١] ، ويسبِّحون الله فى كل منزل ، نداؤهم فى جو السماء ، لهم دويٌّ فى صلاتهم كدويٍّ النحل على الصخر ، يَصُفُّون فى الصلاة كصفوف الملائكة ، ويَصُفُّون فى القتال كصفوفهم فى الصلاة . إذا غَزَوا فى سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم برماحٍ شداد . إذا حضروا الصف فى سبيل الله كان الله عليهم مظلاًّ – وأشار بيده – كما تضلُّ النسور على وكورها ، لا يتأخرون زحفاً أبداً) وأخرجه أيضاً بإسناد آخر عن كعب بنحوه وفيه : « وأمته الحمَّادون يحمدون الله على كل حال ويكبِّرونه على كل شَرَف ، رُعاة الشمس [٢] ، يصلُّون الصلوات الخمس لوقتهن ولو على كُنَاسة ، يأتزرون [٣] على أوساطهم ويوضّئون أطرافهم » . وأخرج أيضاً بإسناد آخر عن كعب مطوَّلاً .

* * *

(١) أى : مكان مرتفع .

(٢) يرقبونها ليتعرفوا من خلال سيرها على أوقات الصلاة حتى يتمكنوا من إقامتها فى وقتها .

(٣) أى يشدون الأحزمة على أوساطهم ليستعينوا بذلك على قيام الليل .

الأحاديث فى صفة النبى ﷺ

أخرج يعقوب بن سفيان الفَسَوى الحافظ عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : سألت خالى هند بن أبى هالة – وكان وصَّافاً – عن حِلْية رسول الله ﷺ وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئاً أتعلّق به ، فقال :

وكان رسول الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً ، يتلألأ وجهه تلألُؤ القمر ليلة البدر ، أطولَ من المربوع (١) وأقصر من المشذَّب (٢) عظيم الهامة (٣) رَجْل الشعر (٤) ، إذا تفرقت عقيصته (٥) فَرَق ، وإلا فلا يجاوزشعُره شحمةَ أذنيه إذا وفَّره ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج (٦) الحواجب ، سوابغ (٧) فى غير قَرَن ، بينهما عِرْق يدرُّه (٨) الغضب ، أقنى (٩) العرنين (١٠) ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشم (١١) ، كَثُّ (١٢) اللحية ، أدعج (١٣) سهل الخدين ، ضليع الفم ، أشنب (١٤) ، مُفَلَّج (١٥) الأسنان ، دقيق المَسربة (١٦) ، كان عنقه جيد دُمية (١٧) فى صفاء الفضة ، معتدلَ

---

(١) المربوع : ما بين الطويل والقصير على حد سواء .

(٢) المشذب : المفرط فى الطول كما ذكر صاحب لسان العرب .

(٣) عظيم الهامة : أى الرأس .

(٤) رجل : بكسر الجيم وضمها واسكانها هو ما كان بين الجعودة والسبوطة كما ذكر صاحب لسان العرب ، اى ان شعر رأسه ﷺ لم يكن فيه إلا تكسر قليل .

(٥) اى : إذا عقدت ضفائره تفرقت هنا وهناك وإذا حلت لم يتجاوز شعره فى طوله شحمه أذنيه .

(٦) قال ابن منظور فى لسان العرب الزج رقة محط الحاجبين ودقتهما وطولهما وسبوغهما واستقامتها .

(٧) طويلة الشعر غير موصوله .

(٨) يجعله الغضب ممتلئاً دماً .

(٩) القنا : طول الأنف ودقة ارنبته .

(١٠) ما صلب من الأنف .

(١١) الشمم ارتفاع فى قصبة الأنف مع استواء أعلاه .

(١٢) اى : غليظها .

(١٣) قال ابن منظور الدعج شدة سواد العين وشدة بياض بيضاها .

(١٤) ضليع الفم : واسعه والعرب تحمد الفم الواسع ، والأشنب شديد بياض الأسنان وبريقها مع حدتها .

(١٥) تفليج الأسنان تباعد ما بينها قليلاً .

(١٦) المسربة بضم الراء الشعر المستدق النابت وسط الصدر إلى البطن ا ه لسان العرب .

(١٧) الدمية صورة مجسمة تتخذ من رخام أوعاج ونحوه .

الخَلْق ، بادناً (١) متماسكاً ، سَوَاء البطن والصدر، عريض الصدر ، بعيدَ ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس (٢) ، أنورَ المتجرد ، موصولَ ما بين اللبة والسُّرَّة بشعر يجرى كالخط ، عارى الثديَيْن والبطن مما سوى ذلك ، أشعرَ الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، طويَل الزندين ، رَحْبَ الرَّاحة ، سبط القصب ، شثن (٣) الكفَّين والقدمين ، سائل الأطراف ، خُمْصان الأخْمَصَين (٤) ، مسيح (٥) القدمين ، ينبو عنهما الماءُ ، إذا زال قَلْعاً (٦) ، يخطو تكفُّؤاً ويمشى هوناً ، ذَريع (٧) المشية ، إذا مشى كأنما ينحطُّ من صبب (٨) وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظرُه إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام » .

قلت : صفْ لى منطقه ، قال : « كان رسولُ الله ﷺ متواصلَ الأحزان ، دائمَ الفكرة ، ليست له راحة ، لا يتكلَّم فى غير حاجة ، طويلَ السكوت : يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه (٩) ، يتكلم بجوامع الكلم ، كلامه فَصْل لا فضول ولا تقصير ، دَمث (١٠) ، ليس بالجافى ولا المَهين ، يعظِّم النِّعمة وإن دقَّت ، لا يذم منها شيئاً ولا يمدحه ، ولا يقوم لغضبه .. إذا تُعرِّض للحق .. شيءُ حتى ينتصر له ، وفى رواية : لا تغضبه الدنيا وما كان لها ، فإذا تُعرِّض للحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيءٌ حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفِّه كلِّها ، إذا تعجَّب قَلَبها ، وإذا تحدَّث يصل بها يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح (١١) ، وإذا فرح غضَّ طرفه ، جُلُّ ضحكه التبسُّم يفترُّ (١٢) عن مثْل حبِّ الغمام (١٣) » .

قال الحسن : فكتمتُها الحسينَ بن على زماناً ثم حدَّثته فوجدته قد سبقنى إليه فسأله عما سألتُه عنه ووجدتُه قد سأل أباه عن مَدْخله ومَخْرجه ومجلسه وشكله فلم يدعْ منه شيئاً .

---

(١) عظيم البدن فى تماسك وانسجام (٢) أى : رؤوس العظام .
(٣) أى : غليظ الأصابع .
(٤) أى : شديد تجافى القدمين عن الأرض .
(٥) أملسهما .
(٦) أى : إذا رفع قدميه عن الأرض رفعهما بقوة .
(٧) أى : سريع .
(٨) موضع منحدر .
(٩) أى : جوانب فمه .
(١٠) حسن الخلق .
(١١) أى : بالغ فى الاعراض .
(١٢) أى : يضحك .
(١٣) أى : البرد والمعنى يضحك فتبرز اسنانه البيضاء النقية كأنها البرد النازل من السحب .

قال الحسين : سألت أبى عن دخول رسول الله ﷺ فقال : « كان دخولُه لنفسه مأدوناً له فى ذلك ، وكان إذا أوى إلى منزله جزَّأ دخولَه ثلاثة أجزاء : جزءاً لله وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه ، ثم جزَّأ جزأه بينه وبين الناس فردَّ ذلك على العامة والخاصَّة لا يدَّخر عنهم شيئاً . وكان من سيرته فى جزء الأمّة إيثار أهل الفضل بإذنه وقَسْمه على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذى ينبغى لهم ويقول : « ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ ، وأبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى حاجته ؛ فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ثَّبت الله قدميه يوم القيامة » ، لا يُذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيرَهْ ، يدخلون عليه رُوّاداً ولا يفترقون إلاّ عن ذَواق – وفى رواية : ولا يفترقون إلا عن ذوق – ويخرجون أدلّة – يعنى على الخير .

قال : وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ؟ فقال : « كان رسول الله ﷺ يخزُن لسانه إلا بما يعنيه . ويؤلّفهم ولا ينفِّرهم . ويكرم كريم كل قوم ويولِّيه عليهم . ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى على أحد منهم بِشْرَةَ ولا خُلُقَه . يتفقَّد أصحابه ، ويسأل الناس عمَّا فى الناس ، ويحسِّن الحسن ويقوِّيه ، ويقبِّح القبيح ويوَهِّبه . معتدل الأمر غير مختلف . لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا . لكلِّ حال عنده عتاد . ولا يقصِّر عن الحق ولا يجوزه . الذين يلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة .

قال : فسألته عن مجلسه كيف كان ؟ فقال : « كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يُوطن الأماكن (١) وينهى عن إيطانها . وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك . يعطى كل جلسائه نصيبه ، لا يحسب جليسه أنَّ أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه (٢) فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول . قد وسع الناسَ منه بَسطُه وخُلُقه فسار لهم أباً وصاروا عنده فى الحق سواء ، مجلسُهُ مجلسُ حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا تُرفع فيه الأصوات ، ولا تُؤْبن (٣) فيه الحرم ، ولا تُنْثَى

---

(١) اى : لا يجعل الرجل موطناً فى المجلس يخصه به بل كان يسوى بينهم جميعاً فى المجالس كما يسوى بينهم فى سائر الأمور .

(٢) قاومه : اى وقف معه قائماً .　　(٣) تؤبن : تعاب .

فلتاته (١) ، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعين يوقّرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ، ويؤثرون ذا الحاجة ، ويحفظون الغريب » .

قال : فسألته عن سيرته فى جلسائه فقال : « كان رسول الله ﷺ دائم البِشْر ، سهل الخُلُق ، لين الجانب ، ليس بفظ ، ولا غَليظ ، ولا سخّاب ، ولا فحاش ، ولا عيّاب ، ولا مزّاح . يتغافل عما لا يشتهى ، ولا يُؤيس منه راجيَه ، ولا يخيب فيه . قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والإكثار ، وما لا يعنيه . وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحداً ولا يعيّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه . إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فإذا تكلم سكتوا وإذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده . يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه . ويصبر للغريب على الجَفْوة فى منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه ليستجلبونه (٢) فى المنطق ، ويقول : إذا رأيتم صاحب حاجة فارْفدوه (٣) . ولا يقبل الثناء إلا من مكافىء ولا يقطع على أحد حديثه حتى يَجُور فيقطعه بنهى أو قيام » .

قال : فسألته كيف كان سكوته ؟ قال : « كان سكوته على أربع : الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكير ؛ فأما تقديره ففى تسويته النظر والاستماع بين الناس وأمّا تذكُّره — أو قال : تفكُّره — ففيما يبقى ويفنى . وجُمع له ﷺ الحلم والصبر فكان لا يغضبه شىء ولا يستفزّه . وجُمعَ له الحذر فى أربع : أخذه بالحسنى ، والقيامُ لهم فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ﷺ .

وقد روى هذا الحديث بطوله الترمذى فى الشمائل عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : سألتُ خالى : فذكَره ، وفيه تحديثه عن أخيه الحسين عن أبيه على ابن أبى طالب . وقد رواه البيهقى فى الدلائل عن الحاكم بإسناده عن الحسن قال : سألتُ خالى هند بن أبى هالة .. فذكره ، كذا ذكر الحافظ ابن كثير فى البداية (٦ / ٣٣) قلت : وساق إسناد هذا الحديثَ الحاكم فى المستدرك (٣ / ٦٤٠) ثم قال ... فذكر الحديث بطوله . وأخرجه أيضاً الرُويانى والطبرانى وابن عساكر كما فى كنز العمال (٤ / ٣٢) والبغوى كما فى الإصابة (٣ / ٦١١) ، وفيما ذكر فى الكنز فى آخره : وجُمع له الحذر فى أربع : أخْذُه بالحسنى ليُقْتَدَى به ، وتَرْكُ القبيح

---

(١) أى : لا تذاع فلتاته ولا تشاع زلاته .

(٢) يستدرجونه فى الكلام لما فيه من حلاوة وطلاوة .

(٣) فارفدوه : اعينوه .

ليُتناهى عنه ، واجتهاده الرأى فيما أصلَح أمته ، والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة . وهكذا ذكره فى المجمع (٨ / ٢٧٥) عن الطبرانى :

* * *

الآثار فى صفة الصحابة الكرام رضى الله عنهم

أخرج ابن جريج وابن أبى حاتم عند السُّدّى فى قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجَتْ للناس** ﴾ [1] قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (لو شاء الله لقال : « أنتم » فكنَّا كلّنا ولكن قال : « كنتم » خاصّة فى أصحاب محمد ﷺ ومَنْ صنع مثل صنيعهم [2] ، كانوا خيرَ أمّة أخرجَتْ للنَّاس) . وعند ابن جرير عن قَتادة رضى الله عنه قال : ذُكَر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ هذه الآية : (**كُنتُمْ خَيْرَ أمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**) الآية ، ثم قال : (يا أيُّها الناس ، من سرّه أن يكون من تِلْكم الآية فليؤدّ شرط الله منها) . كذا فى كنز العمال (١ / ٢٣٨) .

وأخرج أبو نُعيم فى الحلية (١ / ٣٧٥) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : (إنَّ الله نظر فى قلوب العباد فاختار محمداً ﷺ فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه . ثم نظر فى قلوب الناس بعده فاختار الله له أصحاباً ، فجعلَهم أنصارَ دينه ووزراءَ نبيّه ﷺ ، فما رآه المؤمنون حسناً فهو حسنٌ وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيحٌ) وأخرجه ابن عبد البر فى الاستيعاب (١ / ٦) عن ابن مسعود رضى الله عنه بمعناه ولم يذكُر : (فما رآه المؤمنون – إلى آخره) وأخرجه الطَّيالسى (ص ٣٣) أيضاً نحو حديث أبى نُعيم .

وأخرج أبو نُعيم أيضاً عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : (من كان مُستّناً فليستنَّ بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمّة ، أبرّها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلّها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ ونقل دينه ،

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

(٢) ذكر الإمام الطبرى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة** ﴾ للعلماء أقوالاً اختار منها أنهم أصحاب النبى ﷺ واستدل بما رواه بسنده عن الحسن قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا إنكم وفيتم سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله » وقد سوى الإمام الطبرى بين ما لو قال أنتم خير أمة وكنتم خير أمة فلم يجعل بين الأسلوبين فرقاً مستدلاً على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **واذكروا إذا أنتم قليلٌ** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم** ﴾ انظر جـ ٤ ص ٤٥ .

فتشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم ؛ فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله ربِّ الكعبة : كذا فى الحلية (١ / ٣٠٥) ٠ وأخرج أيضاً عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : (أنتم أكثرُ صياماً وأكثرُ صلاةً وأكثرُ اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيراً منكم !! قالوا : لِمَ يا أبا عبد الرحمن ، قال : هم كانوا أزهد فى الدنيا وأرغب فى الآخرة) كذا فى الحلية (١ / ١٣٦) ٠ وأخرج أيضاً عن أبى وائل قال : سمع عبد الله رجلاً يقول : أين الزاهدون فى الدنيا الراغبون فى الآخرة ؟ فقال عبد الله : (أولئك أصحاب الجابية [١] ، اشترط خمسُ مائة من المسلمين أن لا يرجعوا حتى يُقتلوا ، فحلقوا رؤوسهم ولقُوا العدو فقُتلوا إلاَّ مخبرٌ عنهم » كذا فى حلية الأولياء (١ / ١٣٥) ٠

وأخرج أيضاً عن ابن عمر رضى الله عنهما انه سمع رجلاً يقول : أين الزاهدون فى الدنيا الراغبون فى الآخرة ؟ فأراه قبرَ النبى ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال : (عن هؤلاء تسأل) كذا فى الحلية (١ / ٣٠٧) ٠

وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى أراكة يقول : صليتُ مع على رضى الله عنه صلاة الفجر ، فلما انفَتَلَ عن يمينه مكث كأنَّ عليه كآبةً ، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيدَ رُمْح صلّى ركعتين ثم قَلَب يده فقال : (والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يُشبههم !! لقد كانوا يُصبحون صُفْراً شُعْثاً غُبْراً بين أعينهم كأمثال رُكب المعزى ، قد باتوا الله سُجْداً وقياماً ، يتلُون كتاب الله ، يتراوحون [٢] بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادُوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم ، والله لكأنْ القومَ باتوا غافلين) !! ثم نهض فما رُئِىَ بعد ذلك مفتراً [٣] يضحك حتى قتله ابن مُلْجَم عدوُّ الله الفاسق ، كذا فى البداية (٨ / ٦) ٠ وأخرجه أيضاً أبو نُعيم فى الحلية (١ / ٧٦) والدينَوَرى والعسكرى وابن عساكر كما فى الكنز (٨ / ٢١٩) ٠

وأخرج أبو نعيم (١ / ٨٤) أيضاً عن أبى صالح قال : دخل ضرار بن ضمرة

---

(١) قال ياقوت فى معجم البلدان الجابية بكسر الباء وتخفيف الياء قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان أ ٠ هـ وقد كانت مركزاً هاماً للجيوش الإسلامية فى عصر عمر وقد خطب فيها خطبته المشهورة ٠

(٢) المعنى أنهم كانوا يطيلون السجود ليستريحوا من عناء الوقوف ويطيلون الوقوف ليستريحوا من عناء السجود والله أعلم ٠

(٣) مفتراً : فاتحاً فمه ٠

الكنانى على معاوية فقال له : صفْ لى علياً ، فقال : أوَتُعْفينى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أُعفيك ، قال : (أما إذْ لابَدَّ ؛ فإنَّه كان – والله – بعيدَ [١] المدى ، شديد[٢] القوى ، يقول فَصْلاً [٣] ويحكم عدلاً ، يتفجَّرُ العلمُ من جوانبه ، وتنطق الحكمةُ من نواحية ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنسُ بالليل وظلمته ، كان – والله – غزير العَبْرة [٤] ، طويل الفكرة ، يقلِّبُ كفّه [٥] ويخاطب نفسه ، يُعجبه من اللباس ما قَصُر ، ومن الطعام ما جَشُب [٦] ، كان – والله – كأحدنا يُدنينا إذا أتيناه ، ويُجيبنا إذا سألناه ، وكان مع تقرُّبه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ، فإن تبسم فَعَنْ[٧] مثل اللؤلؤ المنظوم ، يُعَظِّمُ أهل الدين ، ويُحبُّ المساكين ، لا يطمعُ القوىُّ فى باطله ، ولا ييأسُ الضعيف من عدله ، فأشْهدُ بالله لقد رأيتُه فى بعض مواقفه – وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه – يميلُ فى محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ[٨] تململ السليم [٩] ، ويبكى بكاء الحزين ، فكأنى أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا ، يا ربنا ، يتضرع إليه ثم يقول للدنيا : إلىَّ تَغَرَّرْت ؟! إلىَّ تشوَفت؟! هيهات هيهات ، غُرِّى غيرى ، قد بَتَتُّك [١٠] ثلاثاً ، فعمرُك قصيرٌ ، ومجلسُك حقيرٌ ، وخطرُك يسير [١١] ، آه ، آه ، من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق) !! فوَكَفتْ دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها [١٢] بكمه – وقد اختنق القوم بالبكاء – فقال : (كذا كان أبو الحسن رحمه الله ، كيف وَجْدُكَ [١٣] ، عليه يا ضرار ؟) قال : « وَجْد مَنْ ذُبح واحدها فى حِجْرها ، لا ترقأُ دمعتها ، ولا يسكن حزنها ثم قام فخرج ، وأخرجه أيضاً ابن عبد البر فى الاستيعاب (٣ / ٤٤) عن الحرمازى – رجل من هَمدان عن ضرار الصُدَائىِ بمعناه ،

---

(١) طويل النظر يحسب لكل أمر حسابه ،

(٢) شديد الحواس من سمع وبصر وغيرهما ،

(٣) حقاً وجداً لا هزل فيه ، (٤) العَبرة بفتح العين : الدمعة ،

(٥) أى تحسراً على تقصيره فى طاعة ربه ،

(٦) ما جشب : ما غلظ وخشن ،

(٧) إذا فتح فاه أسفر عن أسنان بيضاء نقية تشبه اللؤلؤ فى تألفها ،

(٨) يتململ : يضطرب ويتقلب ، (٩) السليم : الملسوع ،

(١٠) أى : طلقتك ،

(١١) أى : شانك يقال فلان ذو خطر أى ذو شان ،

(١٢) نشف الثوب العرق : شربه ،

(١٣) وجدك : حزنك ،

وأخرج أبو نُعيم عن قتادة قال : سُئل ابن عمر رضى الله عنهما هل كان أصحاب النبى ﷺ يضحكون ؟ قال : (نعم والإيمانُ فى قلوبهم أعظمُ من الجبال) كذا فى الحلية (١ / ٣١١) . وأخرج هنّاد عن سعيد بن عمر القرشي أنَّ عمر رضى الله عنه رأى رُفْقة من أهل اليمن رحالهم الأدَمُ [١] فقال : (من أحبَّ أن ينظر إلى شَبَه كانوا بأصحاب رسول الله ﷺ فلينظر إلى هؤلاء) كذا فى كنز العمال (٧ / ١٦٣).

وأخرج الحاكم في المستدرك (٣ / ٢٦٤) عن أبى سعيد المَقْبُرى قال : لما طُعن أبو عبيدة رضى الله عنه قال : يا معاذُ صلِّ بالناس ، فصلى معاذ بالناس ، ثم مات أبو عبيدة بن الجراح ، فقام معاذ فى الناس فقال : (يا أيها الناس ، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً فإن عبد الله لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له . ثم قال : إنكم أيها الناس ، قد فُجعتم برجل - والله - ما أزعم أنى رأيت من عباد الله عبداً قطُّ أقل غِمْراً [٢] ، ولا أبرأ صدراً ، ولا أبعد غائلة [٣] ، ولا أشد حباً للعاقبة ، ولا أنصح للعامة منه ، فترحَّموا عليه ثم أصْحِروا [٤] للصلاة عليه ، فوالله لا يلى عليكم مثله أبداً) . فاجتمع الناس وأخرج أبو عبيدة رضى الله عنه وتقدَّم معاذ رضى الله عنه فصلّى عليه ، حتى إذا أُتى به قبره دخل قبره معاذ بن جبل وعمرو بن العاص والضحَّاك بن قيس ، فلما وضعوه فى لحده وخرجوا فشنّوا عليه التراب ، فقال معاذ بن جبل : (يا أبا عبيدة ، لأثنينَّ عليك ولا أقول باطلاً أخاف أن يلحقنى بها من الله مَقْتٌ : كنتَ - والله - ما علمتُ من الذاكرين الله كثيراً ، ومن الذين يمشون على الأرض هَوْناً [٥] وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً [٦] ، ومن الذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتُروا وكان بين ذلك قواماً ، وكنت والله من المُخبتين [٧] ، المتواضعين ، الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويُبغضون الخائنين المتكبرين) .

وأخرج الطبرانى عن ربْعى بن حِراش قال استأذن عبد الله بن عباس على معاوية

---

(١) الأدم بضم الهمزة وسكون الدال جمع أدم كأحمر وحمر وهى فى الابل البياض مع شدة سوادِ المقلتين كما فى النهاية لابن الأثير .

(٢) غمراً : أى حقداً .　　(٣) غائلة : داهية .

(٤) أصحروا : اخرجوا إلى الصحراء .　　(٥) أى : متواضعين عليهم السكينة والوقار .

(٦) أى قالوا قولاً فيه سلامتهم وسلامة من يخاطبهم مع التحلى بالحلم والعفو .

(٧) الخاشعين .

رضى الله عنهم وقد عَلقت عنده بطون قريش وسعيد بن العاص جالس عن يمينه ، فلما رآه معاوية مقبلاً قال : يا سعيد ، والله لألقَينّ على ابن عباس مسائل يعيى (١) بجوابها ، فقال له سعيد : ليس مثل ابن عباس يعيني بمسائلك ، فلما جلس قال له معاوية : ما تقول فى أبى بكر ؟ قال : (رحم الله أبا بكر ، كان ـ والله ـ للقرآن تالياً ، وعن المَيْل نائياً ، وعن الفحشاء ساهياً ، وعن المنكر ناهياً ، وبدينه عارفاً ، ومن الله خائفاً ، وبالليل قائماً ، وبالنهار صائماً ، ومن دنياه سالماً وعلى عدل البرية عازماً ، وبالمعروف آمراً وإليه صائراً ، وفى الأحوال شاكراً ، ولله فى الغدو والرواح ذاكراً ، ولنفسه بالمصالح قاهراً . فاق أصحابه ورعاً وكفافاً وزهداً وعفافاً وبّراً وحياطة وزهادة وكفاءة ، فأعقبَ الله مَنْ ثَلَبه (٢) اللعائن إلى يوم القيامة) .

قال معاوية : فما تقول فى عمر بن الخطاب ؟ قال : (رحم الله أبا حفص ، كان ـ والله ـ حليف الإسلام ، ومأوى الايتام ، ومحلّ الإيمان ، ومعاذ الضعفاء ، ومعقل الحنفاء ، للخَلْق حصناً ، وللناس عوناً ، قام بحق الله صابراً محتسباً حتى أظهر الله الدين وفتح الديار ، وذُكر الله فى الأقطار والمناهل وعلى التلال وفى الضواحى والبقاع ، وعند الخَنى (٣) وقوراً ، وفى الشّدة والرخاء شكوراً ، ولله فى كل وقت وأوان ذكروا ، فأعقب الله من يبغضه اللعنة إلى يوم الحسرة) .

قال معاوية رضى الله عنه : فما تقول فى عثمان بن عفان ؟ قال : (رحم الله أبا عمرو ، كان ـ والله ـ أكرم الحَفَدة ، وأوصلَ البررة ، وأصبر الغزاة ، هجّاداً بالأسحار ، كثيرَ الدموع عند ذكر الله ، دائم الفكر فيما يعنيه الليلَ والنهار ، ناهضا إلى كل مكرمة ، يسعى إلى كل منجية ، فرّاراً من كل مُوبقة ، وصاحب الجيش والبئر (٤)، وخَتَن (٥) المصطفى على ابنتيه ، فأعقب الله من سبّه الندامة إلى يوم القيامة) .

قال معاوية : فما تقول فى على بن أبى طالب ؟ قال : (رحم الله أبا الحسن كان ـ والله ـ علمَ الهدى ، وكهفَ التقى ، ومحل الحجى (٦) ، وطوْد البهاء (٧) ،

---

(١) أى : يعجز .

(٢) المعنى : أى فصب الله اللعائن على من ألحق به العيب والسوء .

(٣) الفحش فى القول والفعل .

(٤) البئر هى بئر رومة وكان عثمان قد اشتراها من يهودى وجعلها للمسلمين ، كما أنه هو مجهز جيش العسرة . (٥) الختن : بفتح التاء الصهر . (٦) الحجى : العقل .

(٧) البهاء : الحسن والظرف .

ونور السُّرَى (١) فى ظلم الدُّجَى ، داعياً إلى المَحَجَّة العظمى ، عالماً بما فى الصحف الأولى ، وقائماً بالتأويل والذكرى ، متعلِّقاً بأسباب الهدى ، وتاركاً للجَوْر والأذى . وحائداً عن طرقات الرَّدَى ، وخيرَ من آمن واتقى ، وسيِّدَ من تقمَّص وارتدى ، وأفضلَ من حجَّ وسعى ، وأسمحَ من عدل وسوَّى ، وأخطبَ أهل الدنيا إلا الأنبياء والنبى المصطفى ، وصاحب القبلتين ، فهل يوازيه موحِّدٌ ؟! وزوج خير النساء ، وأبو السبطين ، لم تَرَ عينى مثله ولا ترى إلى يوم القيامة واللقاء ، من لعنه فعليه لعنةُ الله والعباد إلى يوم القيامة) .

قال : فما تقول فى طلحة والزبير ؟ قال : (رحمة الله عليهما ، كانا .. والله .. عفيفَين ، برَّين ، مسلمَين ، طاهرَين ، متطهِّرَين ، شهيدَين ، عالمَين ، زَلاَّ زلَّة والله غافرٌ لهما إن شاء الله بالنُّصرة القديمة والصُّحبة القديمة والأفعال الجميلة) .

قال معاوية : فما تقول فى العبَّاس ؟ قال : (رحم الله أبا الفضل كان .. والله . صنو (٢) أبى رسول الله ﷺ ، وقرَّة عين صفىِّ الله ، كهف الأقوام (٣) ، وسيِّد الأعمام ، وقد عَلاَ بصراً بالأمور ونظراً بالعواقب ، قد زانه علْم ، قد تلاشت الأحساب عند ذكر فضيلته ، وتباعدت الأسباب عند فخر عشيرته ، ولم لا يكون كذلك ! وقد ساسه (٤) أكرم من دبَّ وهب عبدُ المطلب ، أفخر من مشى من قريش وركب) ؟ ... فذكر الحديث ، قال الهيثمى (٩ / ١٦٠) : رواه الطبرانى ، وفيه من لم أعرفهم .

* * *

---

(١) السرى : السير ليلاً .   (٢) أى مثله .   (٣) مأواهم وملاذهم .
(٤) ساسه : أى رباه وتعهده .

الباب الأول

باب
الدعوة إلى الله وإلى رسوله

كيف كانت الدعوةُ إلى الله وإلى رسوله ﷺ أحَبَّ إلى النبى ﷺ وإلى الصحابة ﭫ من كل شىء !! وكيف كانوا حريصين على أن يهتدىَ الناس ويدخلوا فى دين الله وينْغمسوا فى رحمة الله !! وكيف كان سعيهم فى ذلك لإيصال الخلق إلى الحق !!

* * *

حب الدعوة والشغف بها
حرص النبى ﷺ على إيمان جميع الناس

أخرج الطبرانى عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **فمنهم شقِّى وسعيدٌ** ﴾ (١) ، ونحو هذا من القرآن قال : (إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويبايعوه على الهدى ، فاخبره الله عز وجل أنّه لا يؤمن إلاّ من سبق له من الله السعادةُ فى الذّكْر الأول ، ولا يضلّ إلاّ من سبق له من الله الشقاءفى الذّكْر الاول ، ثم قال الله عز وجل لنبيه ﷺ : ﴿ **لعلّك باخعٌ نفسَك ألاَّ يكونوا مُؤْمنين * إنْ نَشأ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِنَ السّماء آيةً فظلّت أعناقُهمْ لَهَا خاضِعِين** ﴾ (٢) . قال الهيثمى (٧ / ٨٥) رجاله وُثّقوا إلا أنَّ علّى بن أبى طلحة قيل لم يسمع من ابن عباس . انتهى .

* * *

عرضه ﷺ الدعوة علي قومه
عند وفاة أبى طالب

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال لّما مرض أبو طالب دخل عليه رَهْط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا : إنّ ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول

---

(١) سورة هود الآية : ١٠٥ .
(٢) سورة الشعراء الآيتان : ٣ ، ٤ .

فلو بعثتَ إليه فنهيتَه . فبعث إليه فجاء النبى ﷺ فدخل البيت وبينهم وبين أبى طالب قَدْرُ مجلس رجلٍ ، فخشى أبو جهل - لعنهُ الله - إنْ جلس إلى جنب أبى طالب أنْ يكون أرقَّ له عليه ؛ فوثب فجلس فى ذلك المجلس ، ولم يجدْ رسول الله ﷺ مجلساً قُربَ عمِّه فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أىْ ابن أخى ، ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ؟ قال : وأكثروا عليه من القول ، وتكلَّم رسول الله ﷺ فقال: « يا عمّ إنِّى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها ؛ تَدينُ لهم بها العرب وتُؤدِّى إليهم بها العجمُ الجزيةَ » ففزعوا لكلمته ولقوله ، فقال القوم : كلمة واحدة !! نعمْ وأبيكَ عشراً ، فقالوا : وما هى ؟ وقال أبو طالب : وأيُّ كلمة هى يا ابن أخى ؟ قال ﷺ : « لا إله إلا الله » ، فقاموا فَزِعين ينفضُون ثيابهم وهم يقولون : « أجعَلَ الآلهةَ إلهاً واحداً إنَّ هذا لَشىءٌ عُجَاب » ، قال : ونزلت من هذا الموضع - إلى قوله : « بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ » . وهكذا رواه الإمام أحمد والنِّسائى وابن أبى حاتم وابن جرير كلهم فى تفاسيرهم ، ورواه الترمذى وقال : حسن ، كذا فى التفسير لابن كثير (٤ / ٢٨) ؛ وأخرجه البيهقى (٩ / ١٨٨) أيضاً والحاكم (٢ / ٤٣٢) بمعناه وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه ، وقال الذهبى : صحيح أ . هـ .

عرضه ﷺ الكلمة على أبى طالب عند وفاته

وعند ابن إسحاق عن ابن عباس رضى الله عنهما - كما فى البداية (٣ / ١٢٣) - قال : لَّما مَشوا إلى أبى طالب وكلَّموه وهم أشراف قومه : عُتبةُ بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأُميةُ بن خَلَف ، وأبو سفيان بن حَرب ، فى رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنَّك منَّا حيث قد علمتَ ، وقد حضرك ما ترى ، وتخوَّفنا عليك ، وقد علمتَ الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادْعه فخذْ لنا منه وخذْ له منّا ليكفَّ عنا ولنكفَّ عنه ولْيدَعْنا وديننا ولْنَدَعه ودينه .

فبعث إليه أبو طالب فجاءه ، فقال : يا ابن أخى ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « نعم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » ، فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات ، قال : « تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه » فصفَّقوا بأيديهم ، ثم قالوا : يا محمد ، أتريد أنّ تجعلَ الآلهة إلهاً واحداً ؟ إنَّ أمرك لعجبٌ !! قال : ثم قال بعضهم لبعض : إنَّه - والله - ما هذا الرجل بمعطيكُم شيئاً مما تريدون ، فانطلقُوا وامضُوا على دين آبائكم حتى يحكُم الله بينكم وبينه ، ثم تفرّقوا .

قال : فقال أبو طالب : والله يا ابن أخى ، ما رأيتك سألتهم شططاً ، قال : فطمع رسول الله ﷺ فيه ، فجعل يقول له : أىْ عم ، فأنت فُقْلها أستحلُّ لك بها الشفاعة يوم القيامة » فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخى . والله لولا مخافةُ السُّبَّة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظنَّ قريش أنى إنما قلتها جَزَعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلاَّ لأسرَّكَ بها ... فذكر الحديث ... وفيه راوٍ مبهم لا يُعرف حالُه .

وعند البخارى عن ابن المسيِّب عن أبيه أنَّ أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبى ﷺ وعنده أبو جهل فقال : « أىّ عم ، قل : لا إله إلا الله كلمةً أحاجُّ بها عند الله » ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملّة عبد المطلب ؟ فلم يزالا يكلِّمانه حتى قال آخر ما كلَّمهم به : على ملّة عبد المطلب ؛ فقال النبى ﷺ : « لأستغفرَنَّ لك ما لم أُنهَ عنك » فنزلت : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ [١] . ونزلت : ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾ [٢] ، ورواه مسلم . وأخرجاه أيضاً من طريق آخرَ عنه بنَحْوه وقال فيه : فلم يزلْ رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قاله : على ملّة عبد المطّلب ، وأبى أن يقول : « لا إله إلا الله » فقال النبى ﷺ : « أمَا لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك » ، فأنزلَ الله — يعنى بعد ذلك — فذكر الآيتين .

وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والنِّسائى والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما حضرتْ وفاةُ أبى طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال : « يا عمّاه ! قُلْ : لا إله إلا الله أشهدْ لك بها يوم القيامة » ، فقال : لولا أنّ تعيِّرنى قريش يقولون : ما حمله عليه إلاّ فزعُ الموت لأقررتُ بها عينك ، ولا أقولها إلا لأُقِر بها عينك ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [٣] . كذا فى البداية (٣ / ١٢٤) .

* * *

---

(١) سورة التوبة الآية : ١١٣ .
(٢) سورة القصص الآية : ٥٦ .
(٣) سورة القصص الآية : ٥٦ .

إنكاره ﷺ أن تترك الدعوة إلى الله

وأخرج الطبراني والبخاري في التاريخ عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال : جاءت قريش إلى أبي طالب .. فذكر الحديث كما سيأتي في باب تحمُّل الشدائد وفيه : فقال له أبو طالب : يا ابن أخي ، والله ما علمتُ إنْ كنت لي لمطاعاً، وقد جاء قومك يزعمون أنَّك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم تسمعهم ما يؤذيهم فإنْ رأيت أن تكفّ عنهم . فحلّق ببصره إلى السماء فقال : « والله ما أنا بأقدرَ أنْ أدَع ما بعثتُ به مِنْ أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار » .

وعند البيهقي أنَّ أبا طالبَ قال له ﷺ : يا ابن أخي ، إنَّ قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا ، فأبْقِ علّي وعلى نفسك ولا تحمِّلْني مِنَ الأمر مالا أطيق أنا ولا أنت ، فاكفُفْ عن قومك ما يكرهون من قولك ، فظنَّ رسول الله ﷺ أنْ قد بَدَا لعمه فيه ، وأنّه خاذلُه ومسلمُه وضَعفُ عن القيام معه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عَم ، لو وُضعت الشمسُ عن يميني والقمرُ عن يساري ما تركت هذا الأمر حتى يُظهِرَهُ الله أو أهلكَ في طلبه » ؛ ثم استعبر (١) رسول الله ﷺ فبكى - فذكر الحديث كما سيأتي .

وأخرج عبد بن حُمَيد في مسند عن ابن أبي شيبة بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : اجتمع قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فَرّق جماعتنا وشتَّت أمرنا وعاب ديننا ، فليُكلمْهُ ، ولينظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما نعلم أحداً غيرَ عُتبة بن ربيعة ؛ قالوا : إئته يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة فقال : يا محمد ، أنت خيرٌ أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ ، فقال : أنت خيرٌ أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ ، قال : فإن كنتَ تزعم أنَّ هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبْتَ ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك !! إنَّا - والله - ما رأينا سَخْلَة (٢) قط أشأم على قومه منك ، فرقتَ جماعتنا ، وشتَّت أمرنا ، وعبتَ ديننا ، وفضحتنَا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أنَّ في قريش ساحراً وأنَّ في قريش كاهناً ، والله ما ننتظر إلا مثلَ صيحة الحبلى أن يقوم

---

(١) أي ظهر عليه الحزن الشديد ، الذي لا يملك معه أن يحبس عينيه من الدمع .

(٢) السخل المولود المحبب إلى أبويه وهو في الأصل ولد الغنم ويقال للأوغاد من الرجال أيضاً سُخّل وسُخّالُ .

بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى !! أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإنْ كان إنما بك الباهٌ (١) ، فاختر أيَّ نساء قريش شئت فلنزوجكَ عشراً .

فقال رسول الله ﷺ : « فَرغت ؟ » قال : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، حمَ تنزيلٌ من الرحمن الرحيم . كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُه قرآناً عربياً لقوم يعلمون . - إلى أنْ بلغ - فإن أعرضوا فقل أنذرتكُم صاعقةً مثلَ صاعقة عادٍ وثمود » ، فقال عتبة : حسْبُك !! ما عندك غير هذا ؟ قال : « لا » ، فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءَك ؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلِّمونه إلا كلّمته ، قالوا: فهل أجابك ؟ فقال : نعم ، ثم قال : لا والذى نَصَبَها بَنيَّة (٢) ما فهمتُ شيئاً مِمَّا قال غير أنَّه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود !! قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال ؟! قال : لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة .

وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم وزاد : وإن كنتَ إنما بك الرئاسة عقدنا ألويتنا لك فكنتَ رأساً ما بقيت . وعنده : أنَّه لما قال : « فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » أمسك عتبة على فيه وناشده الرَّحِم أن يكفَّ عنه ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ، ما نرى عتبة إلا صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، انطلقوا بنا إليه . فأتوه ، فقال أبو جهل : والله يا عتبة ، ما جئنا إلا أنك صبْوتَ إلى محمد وأعجبك أمره ، فإن كان بك حاجــة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب وأقسم بالله لا يُكلِّم محمداً أبداً ، وقال لقد علمتُم أنى من أكثر قريش مالاً ولكنى أتيته - وقصَّ عليهم القصة - فأجابنى بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة ، قرأ « بسم الله الرحمن الرحيم ، حم . تنزيل من الرحمن الرحيم - حتى بلغ - فإنَّ أعرضوا فُقْل أنذرتكُم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » . فأمسكت بفيه وناشدته الرَّحم أنْ يكفَّ ، وقد علمتم أنّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب !! فخفت أن ينزل عليكم العذاب . كذا فى البداية (٣ / ٦٢) . وأخرجه أبو يَعْلَى عن جابر رضى الله عنه مثل حديث عبد بن حُمَيد . وأخرجه نُعيم في الدلائل (ص ٧٥) بنحوه ، قال الهيثمى (٦ / ٢٠) : وفيه الأجلحُ الكِندى وثَّقه ابن مَعِين وغيره وضعفَّه النِّسائى وغيره ، وبقية رجاله ثقات . انتهى .

---

(١) الباءُ والباءة والباه القدرة على النكاح .

(٢) أى اقسم بالله الذى نصب الكعبة للناس قبله .

وأخرج أبو نُعيم في دلائل النبوة (ص ٧٦) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن قريشاً أجتمعت لرسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد ، فقال عتبة بن ربيعة لهم : دعونى حتى أقومَ إليه أكلمه فإنى عسى أن أكون أرفق به منكم ، فقام عتبة حتى جلس إليه فقال : يا ابن أخى ، أراكَ أوسطنا (١) بيتاً ، وافضلنا مكاناً ، وقد أدخلت على قومك ما لم يُدخل رجل على قومه مثله !! فإنْ كنت تطلب بهذا الحديث مالاً فذلك لك على قومك أنْ يُجمع لك حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تطلب شَرَفاً فنحن نشرِّفك حتى لا يكون أحد من قومك أشرف منك ، ولا نقطع أمراً دونك ، وإن كان هذا عن ملمٍّ (٢) يصيبك فلا تقدر على النزوع منه بذلنا لك خزائننا حتى نُعْذَر فى طلب الطبِّ لذلك منك ، وإن كنت تريد ملكاً ملَّكناك .

فقال رسول الله ﷺ : « أفرغت يا أبا الوليد ؟ » قال : نعم ، قال : فقرأ عليه رسول الله ﷺ حم السَّجْدة ، حتى مرَّ بالسجدة ، فسجد رسول الله ﷺ وعتبة مُلْقٍ يده خَلْف ظهره حتى فرغ من قراءتها ، ثم قام عتبة ما يدرى ما يرجع به إلى نادى قومه ، فلما رأوه مقبلاً قالوا : لقد رجع إليكم بوجه غير ما قام من عندكم ، فجلس إليهم فقال : يا معشر قريش ، قد كلمته بالذى أمرتمونى به حتى إذا فرغت كلمنى بكلام لا والله ما سمعت أذناى مثله قط وما دريت ما أقول له !! يا معشر قريش ، فاطيعونى اليوم واعصونى فيما بعده واتركوا الرجل واعتزلوه ، فوالله ما هو بتارك ما هو عليه ، وخلُّوا بينه وبين سائر العرب ، فإن يظهر عليهم يكن شرفه شرفكم وعزه عزكم ، وإن يظهروا عليه تكونوا قد كُفيتموه بغيركم . قالوا : صبأت يا أبا الوليد . وهكذا ذكره ابن إسحاق بطوله كما ذكر فى البداية (٣ / ٦٣) ، وأخرجه البيهقى أيضاً من حديث عمر مختصراً ، قال ابن كثير فى البداية (٣ / ٦٤) : وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه .

إصراره ﷺ على الجهاد بما بعثه الله

وأخرج البخارى عن المِسْور بن مَخْرَمة ومروان قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية - فذكر الحديث بطوله كما سياتى فى هذا الباب فى الأخلاق المُفضية إلى هداية الناس ، وفيه : فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيل بن ورْقاء الخُزاعى فى نفر من قومه

---

(١) أشرفنا .

(٢) ملم : أى مس من الجن قد اصابك .

من خُزاعة – وكانوا عَيْبَةَ نصح (١) رسول الله ﷺ من أهل تِهامة – فقال : إنى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت ، فقال رسول الله ﷺ : « إنا لم نجيء لقتال أحد ، ولكنَّا جئنا معتمرين ، وإن نَهكَتهُمُ الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا مادَدْتُهم (٢) مدة ويخلُّوا بيني وبين الناس ، فإن أظهرُ فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جَمُّوا (٣) ، وإن هم أبَوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنَّهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى (٤) ، ولينفذنَّ أمر الله » .

وعند الطبرانى عن المسْور ومروان مرفوعاً : « يا ويح قريش !! لقد أكلتهم الحرب ، فماذا عليهم لو خَلُّوا بيني وبين سائر العـــرب ، فإن أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن الله أظهرنى عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يقبلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟! فوالله لا أزال أجاهدهم على الذى بعثنى الله حتى يظهرنى الله أو تنفرد هذه السالفة » كذا فى كنز العمال (٢ / ٢٨٧) . وهكذا أخرجه ابن إسحاق من طريق الزُّهْرى ، وفى حديثه : « فما تظن قريش ؟افوالله لا أزال أجاهد على هذا الذى بعثنى الله به حتى يظهِرَه الله أو تنفرد هذه السالفة » ، كذا فى البداية (٤ / ١٦٥) .

أمره ﷺ علياً فى غزوة خيبر بالدعوة إلى الإسلام

وأخرج البخارى عن سهل بن سعد رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطيَنَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسولَه ويحبه الله ورسولُه » قَال : فبات الناس يدوكون (٥) ليلتهم أيُّهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس غَدَوا على النبى ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال « أين على بن أبى طالب » ؟ فقالوا هو يا رسول الله يشتكى عينيه ، قال : فأرسل إليه فأتى فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال على : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال رسول الله ﷺ : « انفُذ على رِسْلَك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعُهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حَقِّ الله

---

(١) خاصة سره وموضع ثقته .   (٢) أى : امهلتهم مدة .
(٣) جموا : استراحوا .
(٤) السالفة : صفحة العنق والمراد حتى ينقطع عنقى من جسدى بالقتل أو بالموت .
(٥) أى يخمنون ويخوضون ويتمنون كلهم ان يكون ذلك الرجل .

تعالى فيه ، فوالله لئن يهدىَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم » (١) وأخرجه أيضاً مسلم (٢ / ٢٧٩) . نحوه .

صبره ﷺ فى دعوة الحَكَم بن كَيْسان إلى الإسلام

وأخرج ابن سعد (٤ / ١٣٧) عن المقداد بن عمرو قال : أنا أسرت الحَكَم بن كَيْسان ، فأراد أميرنا ضرب عنقه ، فقلت : دَعْهُ نقْدَمْ به على رسول الله ﷺ ، فقدمنا فجعل رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام فأطالَ ، فقال عمر : علام تكلّم هذا يا رسول الله ؟ والله لا يسلم هذا « آخـر الأبد ، دَعْنى أضربْ عنقه وَيَقْدَم إلى أمه الهاوية ، فجعل النبى ﷺ لا يُقبل على عمر حتى أسلم الحكم ، فقال عمر : فما هو إلاّ أن رأيته قد أسلم حتى أخذنى ما تقدَّم وما تأخَّر ، وقلت : كيف أردُ على النبى ﷺ أمراً هو أعلم به منى ؟! ثم أقول : إنما أردت بذلك النصيحة لله ولرسوله ، فقال عمر : فأسلم والله فحسن إسلامه وجاهد فى الله حتى قتل شهيداً ببئر معونة (٢) ، ورسول الله ﷺ راضٍ عنه ودخل الجنان .

وعنده أيضاً (٤ / ١٣٨) عن الزهرى قال : قال الحكم : وما الإسلام ؟ قال : « تعبد الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمداً عبده ورسوله » ، فقال : قد أسلمت ، فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه فقال : « لو أطعتكم فيه آنفاً فقتلتُه دخل النار » .

قصة إسلام وحشّى بن حرب

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بعث رسول الله ﷺ إلى وحشىٍّ بن حرب قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام ، فأرسل إليه : يا محمد ، كيف تدعونى وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلقَ أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مُهاناً ؛ وأنا صنعت ذلك ؟! فهل تجد لى من رخصة ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إلاَّ مَنْ تاب وَآمَن وَعَمِلَ عَمَلاً صَالحاً ، فأولَئِك يُبدِّلُ الله سَيئاتِهمْ**

---

(١) حمر النعم : هى الإبل الحمراء وقد كانت عند العرب من أنفس الأموال .

(٢) بئر معونة مكان فى أرض نجد يقع بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم وهى إلى حرة بنى سليم أقرب كما قال ابن هشام فى سيرته ، وعندما استشهد سبعين قارئاً من أصحاب النبى ﷺ قتلهم المشركون -- من سليم وعصيّه ورتل وذكوان -- غدراً وقد أرسلهم النبى ﷺ يدعون الناس إلى الله ويعلمونهم القرآن وقصتهم -- في الصحيح وكتب السير -- مشهورة .

حَسَنات ، وكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحيماً ﴾ (١) . فقال وحشى : يا محمد ، هذا شرط شديد « إلاَّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً » فلعلِّى لا أقدر على هذا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إنَّ اللهَ لا يغفِرُ أن يُشركَ به ويغفرُ ما دون ذَلكَ لمن يَشاءُ ﴾ (٢) ، فقال وحشى : يا محمد ، هذا أرى بعد مشيئة ، فلا أدرى هل يغفر لى أم لا فهل غير هذا؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ يا عبادىَ الذينَ أسْرَفُوا على أنفسهم لاَ تقنَطُوا من رَحمة الله ، إنَّ اللهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً إنَّهُ الغفورُ الرحيمُ ﴾ (٣) ، قال وحشى هذا نعم ، فأسلم ؛ فقال الناس : يا رسول الله ، إنا أصبنا ما أصاب وحشى ، قال : « هى للمسلمين عامّة » . قال الهيثمى (٧ / ١٠٠) : وفيه أبْيَنُ بن سفيان ضعَّفه الذهبى .

وعند البخارى (٢ / ٧١٠) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنَوا فأكثروا ، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذى تقول وتدعو إليه لحسنٌ لو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفارة ، فنزل : ﴿ والَّذين لاَ يَدْعُون مَعَ الله إلهاً آخر ، ولاَ يقْتلَونَ النَّفْس الَّتى حَرمَ اللهُ إلاَّ بالحقِّ ، وَلاَ يَزْنُونَ ﴾ (٤) ، ونزل : ﴿ قلْ يَا عِبَادىَ الذين أسْرَفوا عَلَى أنفُسِهِم لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ الله ﴾ (٥) .

بكاء فاطمة على تغير لونه ﷺ من أجل المجاهدة على ما بعثه الله

وأخرج الطبرانى وأبو نُعيم فى الحلية والحاكم عن أبى ثعلبة الخُشَنى قال : قدم رسول الله ﷺ من غَزاة له ، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين وكان يعجبه إذا قدم من سفر أن يدخل المسجد فيصلى فيه ركعتين يُثَنِّى بفاطمة ثم أزواجه – فقدم من سفره مرة فأتى فاطمة فبدأ بها قبل بيوت أزواجه ، فاستقبلته على باب البيت فاطمة فجعلت تقبل وجهه – وفى لفظ : فاه – وعينيه وتبكى ، فقال لها رسول الله ﷺ : « ما يبكيك ؟ » قالت : أراك يا رسول الله ، قد شحب (٦) لونك ،

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٧٠ . (٢) سورة النساء الآية : ٤٨ .
(٣) سورة الزمر الآية : ٥٣ . (٤) سورة الفرقان الآية : ٦٨ .
(٥) وأخرجه أيضاً مسلم (١ / ٧٦ وأبو داود (٢ / ٢٣٨) والنّسائى ، كما فى العينى (٩ / ١٢١) وأخرجه البيهقى (٩ / ٨٩) بنحوه .
(٦) شحب : تغير من هزال أو عمل أو جوع أو سفر ، كما ذكر ابن منظور فى لسان العرب .

واخلولقت (١) ثيابك ، فقال لها رسول الله ﷺ : « يا فاطمة لا تبك فإنَّ الله بعث أباك بأمر لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَر ولا وبر (٢) ولا شَعَر إلا أدخله الله به عزاً أو ذلاً حتى يبلغَ حيث يبلغ الليل » كذا فى كنز العمال (١ / ٧٧) . وقال الهيثمى (٨ / ٢٦٢) : رواه الطبرانى ، وفيه يزيد بن سنان أبو فَرْوة وهو مقارب الحديث مع ضعف كثير - انتهى ، وقال الحاكم (٢ / ١٥٥) : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه (٣) ، وتعقبه الذهبى فقال : يزيد بن سنان هو الرّهاوى ضعفه وأحمد وغيره ، وعُقْبة (أى شيخه) نَكِرة لا تعرف - انتهى ، وذكر عُقْبة فى اللسان فقال : قال البخارى فى صحته نظر ، وذكره ابن حبَّان فى الثقات . انتهى .

حديث تميم الدارىّ فى انتشار دعوة الإسلام

وأخرج أحمد والطبرانى فى تميم الدارىّ رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهارُ ، ولا يترك الله بيت مَدَر ، ولا وَبَر إلا أدخله الله هذا الدين بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل ، عزّاً يعز الله به الإسلام وأهله وذلاً يذل الله به الكفر » ، وكان تميم الدارى يقول : عرفت ذلك من أهل بيتى ، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعزّ ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذلَّ والصَّغَار والجزية . كذا فى المجمع (٤) (٦ / ١٤) ، (٨ / ٢٦٢) . قال الهيثمى (٦ / ١٤) : رجال أحمد رجال الصحيح . انتهى ، وأخرج الطبرانى نحوه عن المقداد أيضاً .

حرص عمر على رجوع المرتدين إلى الإسلام

وأخرج عبد الرزاق عن أنس رضى الله عنه قال : بعثنى أبو موسى بفتح تُسْتَر(٥) إلى عمر ، فسألنى عمر - وكان ستة نفر من بكربن وائل قد ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين فقال : ما فعل النفر من بكر بن وائل ؟ قلت : يا أمير

(١) أى : بليت .

(٢) البيت من المدر هو البيت الذى يبنى بالطوب اللبن أو الحجارة ، والبيت من الوبر هو الخيمة التى تتخذ من جلد الإبل ، والبيت من الشعر هو الخيمة التى تتخذ من جلد الماعز .

(٣) يعنى البخارى مسلم . (٤) أى : مجمع الزوائد للهيثمى .

(٥) من أعظم مدن خوزستان وهو تعريب شوستر ومعناه التفضيل فى الطيب والنزهة ، أفاده صفى الدين البغدادى فى كتابه مراصد الإطلاع .

المؤمنين ، قوم قد ارتدُّوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين ما سبيلهم إلاَّ القتل ، فقال عمر : لأن أكون أخذتُهم سِلْماً أحبّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس من صفراء وبيضاء ، قلت : يا أمير المؤمنين ، وما كنت صانعاً بهم لو أخذتهم ، قال لي : كنت عارضاً عليهم الباب (١) الذى خرجوا منه أن يدخلوا فيه ، فإن فعلوا ذلك قبلت منهم وإلا استودعتهم السجن . كذا فى الكنز (١ / ٧٩) . وأخرجه البيهقى(٨ / ٢٠٧) أيضاً بمعناه .

وعند مالك والشافعى وعبد الرزاق وأبى عُبَيد فى الغريب والبيهقى (ص ٢٠٧) عن عبد الرحمن القارىّ قال : قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجل من قِبَلِ أبى موسى رضى الله عنه ، فسأله عن الناس فأخبره ، ثم قال : هل كان فيكم من مُغَرِّبَة (٢) خبر ؟ فقال : نعم ، رجل كفر بعد إسلامه ، قال فما فعلتم به ؟ قال : قرَّبناه فضربنا عنقه ، قال عمر : فهلاّ حبستموه ثلاثاً ، وأطعمتموه كل يوم رغيفاً ، واستتبتموه ؛ لعله يتوب ويراجع أمر الله ؟! اللهمَّ ، إنِّى لم أحضر ، ولم آمر ، ولم أرض إذ بلغنى !! .

وعند مُسَدَّد وابن عبد الحكم عن عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جدِّه قال : كتب عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى عمر رضى الله عنه يسأله عن رجل أسلم ثم كفر ، ثم أسلم ثم كفر ، حتى فعل ذلك مراراً ، أيَقبلُ منه الإسلام ؟ فكتب إليه عمر أن أقبل منه الإسلام ما قبل الله منهم ، اعرض عليه الإسلام فإن قبل فاتركه وإلا فاضرب عنقه ، كذا فى الكنز (١ / ٧٩) .

بكاء عمر على مجاهدة راهب

وأخرج البيهقى وابن المنذر والحاكم عن أبى عمران الجونى قال : مّر عمر رضى الله عنه براهب فوقف ونودى بالراهب فقيل له : هذا أمير المؤمنين ، فاطلَّعَ فإذا إنسان به من الضر والاجتهاد وتَرْكِ الدنيا ، فلما رآه عمر بكى ، فقيل له : إنه نصراني ، فقال عمر : قد علمت ولكنى رحمته ، ذكرت قول الله عز وجل : ﴿ **عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً** ﴾ (٣) ، رحمت نصبَه واجتهاده وهو فى النار ، كذا فى كنز العمال (١ / ١٧٥) .

---

(١) أى : الإسلام الذى ارتدوا عنه .

(٢) هل من مغربة بفتح الغين وتشديد الراء وكسر التاء من غير تنوين وهو مثل يضرب والمراد منه هل من خبر غريب تخبرنا به . انظر هذا المثل فى مجمع الأمثال للميدانى جـ٣ ص٥٠ رقم المثل ٤٥٩ .

(٣) سورة الغاشية الآيتان : ٣ ، ٤ .

الدعوة للأفراد والأشخاص

دعوة النبى ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه

أخرج الحافظ أبو الحسن الأطرابلسى عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ - وكان له صديقاً فى الجاهلية - فلقيه فقال : يا أبا القاسم ، فُقِدْتَ من مجالس قومك واتَّهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها ، فقال رسول الله ﷺ : « إنى رسول الله أدعوك إلى الله » ، فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر ، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشَبَيْنَ (١) أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبى بكر ؛ ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فأسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبى عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبى سَلَمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبى الأرقم، فأسلموا رضى الله عنهم ، كذا فى البداية (٣ / ٢٩) .

وذكر ابن إسحاق أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لقى رسول الله ﷺ فقال : أحقٌ ما تقول قريش يا محمد من تَرْك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا ، وتكفيرك آباءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « بلى (٢) ، إنّى رسول الله ونبيُّه ، بعثنى لأُبلِّغ رسالته ، وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره ، والموالاة على طاعته » وقرأ عليه القرآن ، فلم يقرَّ ولم ينكر ، فأسلم وكفر بالأصنام، وخلع الأنداد، وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدِّق . قال ابن إسحاق : حدَّثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصين التميمى أن رسول الله ﷺ قال : « ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلاَّ كانت عنده كَبْوة (٣) ، وتردّد ونظر إلاَّ أبا بكر ، ما عَكَم (٤) عنه حين ذكرته ولا تردد فيه » - عكم : أى تلبَّث .

وهذا الذى ذكره ابن إسحاق فى قوله : « فلم يقر ولم ينكر » مُنْكَرٌ ، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البَعْثة ، وكان يعلم من

---

(١) أى الجبلين .

(٢) أى : أحق أنك مخطىء كما تزعم قريش فى دعوتهم لترك آلهتهم وتسفيه عقولهم ... ألخ فأجاب النبى ﷺ بقوله بلى أى لست مخطئاً .

(٣) كبوة : أى تردد وتوقف . (٤) عكم : أى ما تمهل فى قبوله .

صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله ؟! ولهذا بمجرد ما ذكر له أنّ الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ولا عَكَم ، وقد ثبت فى صحيح البخارى عن أبى الدرداء رضى الله عنه فى حديث ما كان بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الخصومة وفيه : فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله بعثنى إليكم فقلتم : كذبتَ ، وقال أبو بكر : صدق ، وواسانى بنفسه وماله ؛ فهل أنتم تاركون لى صاحبى ؟ » مرَّتين ؛ فما أوذى بعدها ، وهذا كالنص على أنَّه أول من أسلم ، كذا فى البداية (٣ / ٢٦ و ٢٧) .

دعوته ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

أخرج الطبرانى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللّهمَّ أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام » ، فجعل الله دعوة رسوله ﷺ لعمر بن الخطاب ، فبنى عليه الإسلام وهدم به الأوثان ، قال الهيثمى (٩ / ٦١) : رجاله رجال الصحيح غيرمجالدَ بن سعيد وقد وُثِّق – انتهى ، وعند الطبرانى من حديث ثَوْبان – فذكر الحديث كما سيأتى فى باب تحمّل الصحابة الشدائد فى سعيد بن زيد وزوجته فاطمة أخت عمر ، وفيه : وأخذ رسول الله ﷺ بضَبْعَيه [1] وهزه وقال : « ما الذى تريد ؟ وما الذى جئت ؟ » فقال له عمر : اعرض علَّى الذى تدعو إليه ، فقال : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله »، فأسلم عمر مكانه وقال : اخرج ، وعند أبى نعيم فى الحلية (١ / ٤١) عن أسْلَمَ قال : قال لنا عمر رضى الله عنه : أتحبُّون أن أعلمكم أول إسلامى؟ قلنا : نعم ، قال : كنت من أشد الناس عداوة إلى رسول الله ﷺ ، قال : فأتيت النبى ﷺ فى دار عند الصَّفا ، فجلست بين يديه ، فأخذ بمجمع قميصى ثم قال : « أسلم يا ابن الخطاب ، اللّهمَّ اهده » قال : فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّك رسول الله قال : فكبَّر المسلمونَ تكبيرة سُمعت فى طرق مكة – فذكر الحديث ، وأخرجه البزار أيضاً بسياقٍ آخر كما سيأتى .

دعوته ﷺ لعثمان بن عفان رضى الله عنه

أخرج المدائنى عن عمرو بن عثمان قال : قال عثمان دخلت على خالتى أعودها – أرْوَى بنت عبد المطلب – فدخل رسول الله ﷺ فجعلت أنظر إليه – وقد

---

(١) عضديه .

ظهر من شأنه يومئذ شيء - ، فأقبل عليٌّ فقال : « مالك يا عثمان ؟ » قلت : أعجب منك ومن مكانك فينا وما يقال عليك ، قال عثمان : فقال : « لا إله إلا الله » - فالله يعلم لقد اقشعررت - ثم قال : ﴿ **وفي السماء رزقُكم وما تُوعدونَ ، فوَرَبِّ السماء والأرض إنَّهُ لَحَقّ مثلَ ما أنكُم تَنْطِقُونَ** ﴾[1] ، ثم قام فخرج فخرجت خلفه وأدركته فأسلمت ، كذا في الاستيعاب (٤ / ٢٢٥) .

دعوته ﷺ لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه

ذكر ابن إسحاق أنَّ على بن أبى طالب رضى الله عنه جاءوهما - أى النبى ﷺ وخديجة رضى الله عنها - يصلّيان ، فقال على : يا محمد ، ما هذا ؟ قال : « دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعث به رسله ، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته ، وأن تكفر اللاَّت والعُزْى » ، فقال على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمراً حتى أحدِّث به أبا طالب ؛ فكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سرَّه قبل أن يستعلن أمره ، فقال له : يا على ، إذ لم تسلم فاكتم ، فمكث عليٌّ تلك الليلة ، ثم إنَّ الله أوقع فى قلب عليٌّ الإسلام فاصبح غادياً إلى رسول الله حتى جاءه ، فقال : ماذا عرضت عليَّ يا محمد ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من الأنداد » ، ففعل عليٌّ وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبى طالب ، وكتم عليٌّ إسلامَه ولم يظهره ، كذا فى البداية (٣ / ٢٤) .

وعند أحمد وغيره عن حَبَّة العُرَنى قال : رأيت علياً يضحك على المنبر ، ولم أره ضحك ضحكاً أكثر منه حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ذكرت قول أبى طالب ، ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله ﷺ ونحن نصلّى ببطن نَخْلة فقال : ماذا تصنعان يا ابن أخى ؟ فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقال : ما بالذى تصنعان بأس ولكن لا تعلونى استى [2] أبداً ، فضحك تعجباً لقول أبيه ثم قال : اللّهمَّ لا أعترف[3] عبداً من هذه الأمة عَبَدَكَ قبلى غير نبيك - ثلاث مرات - لقد صلّيت قبل أن يصلّى الناس سبعاً ، قال الهيثمى (٩ / ١٠٢) : رواه أحمد وأبو يعلى باختصار ، والبزار والطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن ، انتهى .

---

(١) سورة الذاريات الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) مقعدتى ، والهمزة فيها همزة وصل والمعنى لا يكون من تحتى وهو ابن أخى محمد اعلى منى وهو من الكنايات اللطيفة .

(٣) لعل الصواب لا أعرف عبداً أو لا أعترف أنْ عبداً .

دعوته ﷺ لعمرو بن عَبَسَة رضى الله عنه ·

أخرج أحمد (٤ / ١١٢) عن شدّاد بن عبد الله قال : قال أبو أمامة : يا عمرو بن عَبسَة بأىِّ شَىء تدّعى أنك رُبْعُ (١) الإسلام ؟ قال : إنى كنت فى الجاهلية أرى الناس على ضلالة ولا أرى الأوثان شيئاً ، ثم سمعت عن رجل يخبِّر أخباراً بمكّة ويحدِّث أحاديث ، فركبت راحلتى حتى قدمت مكة فإذا أنا برسول الله ﷺ مستَخْفياً ، وإذا قومه عليه جُرآء ، تلطّفت له فدخلت عليه فقلت : ما أنت ؟ قال : « أنا نبى الله » ، فقلت : وما نبى الله ؟ قال : « رسول الله » قال : قلت : آلله أرسلك ؟ قال : « نعم » قلت : بأى شىء أرسلك ؟ قال : « بأن يوحَّد الله ولا يُشرَكَ به شىءٌ ، وكسر الأوثان ، وصلة الرحم » ، فقلت له : من معك على هـذا ؟ قال : « حرٌّ وعبد » - أو عبد وحر - وإذا معه أبو بكر ابن أبى قُحافة وبلال مولى أبى بكر ، قلت : إنِّى متبعك ، قال : « إنك لا تستطيع ذلك يومك (٢) هذا ، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بى قد ظهرت فالحق بى » ، قال فرجعت إلى أهلى وقد أسلمت ·

فخرج رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة ، فجعلت أتخبَّر الأخبار حتى جاءَ رَكَبَة من يثرب ، فقلت : ما هذا المكّى الذى أتاكم ؟ قالوا : أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك وحيل بينهم وبينه ، وتركْنا الناسَ إليه سراعاً ، قال عمرو بن عبسة : فركبت راحلتى حتى قدمت عليه المدينة فدخلت عليه فقلت : يا رسول الله ، أتعرفنى ؟ قال : « نعم ، ألستَ أنت الذى أتيتنى بمكة ؟ » قال : قلت : بلى ، فقلت : يا رسول الله ، علمنى مِّما علمك الله وأجهل (٣) - فذكر الحديث بطوله ، وهكذا أخرجه ابن سعد (٤ / ١٥٨) عن عمرو بن عبسة مطوّلاً ، وأخرجه أيضاً أحمد (٤ / ١١١) عن أبى أُمامة عن عمرو بن عبسة - فذكر الحديث وفيه : قلت : بماذا أرسلك ؟ فقال : « بأن تُوصل الأرحام ، وتُحقَن الدماء ، وتُؤمَن السبل ، وتُكسر الأوثان ، ويُعبد الله وحده لا يشرك به شىء » · قلت : نِعْمَ ما أرسلك به وأشهدُك أنى قد آمنت بك وصدَّقتك ، أفأمكث معك أم ما ترى ؟ فقال : « قد ترى

(١) أى رابع أربعة بدليل قوله فى أواخر الحديث « فقلت من معك على هذا ؟ فقال : حرٌ وعبد - أو عبد وحر - وإذا معه أبو بكر بن أبى قحافة وبلال مولى أبى بكر » فالرسول أولهم وأبو بكر ثانيهم وبلال ثالثهم وزعم عمرو بن عبسة أنه رابعهم ·

(٢) أى فى هذا الوقت فاليوم يطلق ويراد به الوقت مطلقاً طال أم قصر وله سبع إطلاقات أو أكثر تراجع فى كتب اللغة ·

(٣) أى وأنا أجهله ·

كراهة الناس لما جئتُ به فامكث فى أهلك ، فإذا سمعت بى قد خرجت مخرجى (١) فائتنى » . وأخرجه أيضاً مسلم والطبرانى وأبو نُعيم كما فى الإصابة (٣ / ٦) وابن عبد البَرّ فى الاستيعاب (٢ / ٥٠٠) من طريق أبى أمامة بطوله ، وأبو نُعيم فى دلائل النبوة (ص ٨٦) .

دعوته ﷺ لخالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه

أخرج البَيْهقى عن جعفر بن محمد بن خالد بن الزُبير عن أبيه - أو عن محمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان - قال : كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً وكان أول إخوته أسلم . وكان بَدْء إسلامه أنه رأى فى المنام أنه وُقفَ به على شفير النار . . . فذكر من سَعَتها ما الله أعلم به - ويرى فى النوم كأنَّ أباه يدفعه فيها ، ويرى رسول الله ﷺ آخذاً بحَقْوَيه (٢) لئلاً يقع ، ففزع من نومه فقال : أحلف بالله إنَّ هذه لرؤيا حق . فلقى أبا بكر بن أبى قحافة فذكر ذلك له ، فقال : أريد بك خيرٌ ، هذا رسول الله ﷺ اتْبَعْهُ فإنك ستتبعه وتدخل معه فى الإسلام ، والإسلام يحجُزُك أن تدخل فيها ، وأبوك واقع فيها ، فلقى رسول الله ﷺ وهو بأجْياد ، فقال : يا محمد ، إلامَ تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ولا يبصر ، ولا ينفع ولا يدرى مَنْ عَبدَه ممن لا يعبده » !! قال خالد : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، فسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلامه .

وتغيّب خالد وعلم أبوه بإسلامه ، فأرسل فى طلبه فأتى به . فأنَّبه وضربه بمَقْرعة فى يده حتى كسرها على رأسه ، وقال : والله لأمنعنَّك القوت ، فقال خالد : إن منعتنى فإن الله يرزقنى ما أعيش به ، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يلزمه ويكون معه ؛ كذا فى البداية (٣ / ٣٢) . وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٣ / ٢٤٨) ، من طريق الواقدى عن جعفر بن محم بن خالد بن الزبير عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - فذكره وفى حديثه : وأرسل أبوه فى طلبه من بقى من ولده ممن لم يسلم ورافعاً مولاه فوجدوه ، فأتوا به أباه - أبا أحَيْحة - فأنَّبه وبكَّته وضربه بمقرعة فى يده حتى كسرها على رأسه ، ثم قال : أتبعتَ محمداً وأنت ترى خلافَه قومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيبهم من مضى من آبائهم ؟ فقال خالد : قد صدق - والله - واتبعته ، فغضب أبوه - أبو أحيحة - ونال منه وشتمه ، ثم قال :

---

(١) أى هاجرت هجرتى إلى المدينة .

(٢) الحَقو بفتح الحاء هو الموضع الذى يربط عنده الإزار والسروال .

اذهب يا لكَعُ (١) ! حيث شئت والله لأمنعنَّك القوت ، قال خالد : فإن منعتنى فإنَّ الله عزَّ وجل يرزقنى ما أعيش به . فأخرجه وقال لبنيه : لا يكلّمه أحدُ منكم إلا صنعت به ما صنعت به ، فانصرف خالد إلى رسول الله ﷺ فكان يلزمه ، ويكون معه . وأخرجه ابن سعد (٤ / ٩٤) عن الواقدى عن جعفر بن محمد عن محمد ابن عبد الله نحوه مطوّلاً . وهكذا ذكره فى الاستيعاب (١ / ٤٠١) من طريق الواقدى وزاد : وتغيّب عن أبيه فى نواحى مكّة حتى خرج أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية ، فكان خالد أول من هاجر إليها . وأخرج الحاكم (٣ / ٣٤٩) أيضاً عن خالد بن سعيد أنَّ سعيد ابن العاص بن أمية مرض فقال : لئن رفعنى الله من مرضى هذا لا يعبد إله ابن أبى كبشة (٢) ببطن مكة أبداً ، فقال خالد بن سعيد عند ذلك : اللّهمّ لا ترفعه ، فتوفى فى مرضه ذلك . وهكذا أخرجه ابن سعد (٤ / ٩٥) .

دعوته ﷺ لضماد رضى الله عنه

أخرج مسلم والبيهقى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدِم ضمَاد مكة وهو رجل من أزْدشنوءة وكان يرقى (٣) من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إنَّ محمداً مجنون فقال : أين هذا الرجل ؟ لعلَّ الله أن يشفيَه على يدىَّ ، فلقيت محمداً فقلت : إنى أرقى من هذه الرياح وإنَّ الله يشفى على يدىَّ من شاء فهلمّ ؛ فقال محمد : « إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يُضْلِلْ فلا هادى له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » — ثلاث مرات ، فقال : والله لقد سمعتُ قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ، فهلُمَّ يدك أبايعْك على الإسلام . فبايعه رسولُ الله ﷺ ؛ فقال له : وعلى قومك ، فقال : وعلى قومى . فبعث النبى ﷺ جيشاً فمرُّوا بقوم ضمَاد ، فقال : صاحب الجيش للسريَّة : هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً ؟ فقال رجل منهم : أصبت منهم مَطْهرَة (٤) ، فقال : ردُّها عليهم فإنهم قوم ضمَاد . وفى رواية . فقال

---

(١) أى : يا لئيم .

(٢) أبو كبشة هو زوج حليمة السعدية التى أرضعته ﷺ فكان المشركون ينسبونه إليه تهكماً به واستخفافاً بدعوته .

(٣) كان يعالج الناس بالرقى من الجن والسحر والأمراض التى تنشا عنه ويسمونها الرياح .

(٤) المطهرة إناء يوضع فيه الماء الذى يتطهر به وتسمى إداوة .

له ضماد : أعدْ علّى كلماتُك هؤلاء ، فلقد بلغنَ قاموس البحر [1] . كذا فى البداية (٣ / ٣٦) .

وأخرجه أيضا النِّسائى والبَغَوى ومُسَدَّد فى مسنده كما فى الإصابة (٢ / ٢١٠) . وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوّة (ص ٧٧) من طريق الواقدى ، قال : حدْثنى محمد بن سُلَيط عن أبيه عن عبد الرحمن العدوى قال : قال ضِمَاد : قدمت مكة معتمراً فجلست مجلساً فيه أبو جهل وعتبة بن ربيعة وأمّية بن خَلَف ، فقال أبو جهل : هذا الرجل الذى فَرّق جماعتنا ، وسفَّه أحلامنا ، وأضلّ من مات منا ، وعاب آلهتنا ؛ فقال أمية : الرجل : الرجل مجنون غير شكٌّ . قال ضماد : فوقعتْ فى نفسى كلمتُه وقلت : إنى رجل أعالج من الريح ، فقمت من ذلك المجلس وأطلب رسول الله ﷺ فلم أصادفه ذلك اليوم حتى كان الغد ، فجئته فوجدته جالساً خلف المَقَام يصلِّى ، فجلست حتى فرغ ثم جلست إليه فقلت : يا ابن عبد المطلب ، فاقبل علىّ فقال : ما تشاء ؟ فقلت : إنِّى أعالج من الريح ، فإن أحببت عالجتك ولا تُكبرنَّ ما بك فقد عالجت من كان به أشدّ مما بك فبرأ ، وسمعت قومك يذكرون فيك خصالاً سيئة : من تسفيه أحلامهم ، وتفريق جماعتهم ، وتضليل من مات منهم ، وعيب آلهتهم ، فقلت : ما فعل هذا إلاّ رجل به جنَّة .

فقال رسول الله ﷺ : « الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه ، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلله فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله » . قال ضماد : فسمعت كلاماً لم أسمع كلاماً قطٌّ أحسن منه فاستعدته الكلام فأعاد علّى ، فقلت : إلامَ تدعو ؟ قال : « إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، وتخلع الأوثان من رقبتك ، وتشهد أنّى رسول الله » . فقلت : فماذا لى إن فعلت ؟ قال : « لك الجنة » ، قلت : فإنّى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأخلع الأوثان من رقبتى وأبرأ منها ، وأشهد أنَّك عبد الله ورسوله . فأقمت مع رسول الله ﷺ حتى عُلِّمت سوراً كثيرة من القرآن ، ثم رجعت إلى قومى . قال عبد الله بن عبد الرحمن العدوى : فبعث رسول الله ﷺ علّى بن أبى طالب رضى الله عنه فى سرّية وأصابوا عشرين بعيراً بموضع واستاقوها ، وبلغ علىّ بن أبى طالب أنّهم قوم ضِمَاد فقال : ردّوها إليهم ، فُردَّت .

---

(١) اى بلغت أكثره أو غايته والقاموس بالفارسية هو البحر .

دعوته ﷺ لحُصَين والد عمران رضى الله عنهما

أخرج ابن خُزَيْمَةَ عن عِمران بن خالد بن طُلَيق بن محمد بن عمران بن حصين قال : حدثنى أبى عن أبيه عن جهد : أن قريشاً جاءت إلى الحُصَين - وكانت تعظِّمه - فقالوا له : كلِّم لنا هذا الرجل فإنَّه يذكر آلهتنا ويسبُّهم ، فجاؤوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبى ﷺ ، فقال : « أوسعوا للشيخ - وعمران وأصحابه متوافرون - فقال حُصين : ما هذا الذى بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم ، وقد كان أبوك حصينة (١) وخيراً ؟ فقال : « يا حُصَين ، إنَّ أبى وأباك فى النار ، يا حصين ، كم تعبد من إله » قال : سبعاً فى الأرض وواحداً فى السماء ، قال : « فإذا أصابك الضرّ من تدعو ؟ » قال : الذى فى السماء قال : « فإذا هلك المال من تدعو ؟ » قال : الذى في السماء ، قال : « فيستجيب لك وحده وتشركهم معه ، أرضيته فى الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟ » قال : ولا واحدة من هاتين ؛ قال : وعلمت أنِّى لم أكلم مثله ، قال : « يا حُصَين ، أسلم تسلم » ، قال : إنَّ لى قوماً وعشيرةً فماذا اقول ؟ قال : « قل : اللَّهمَّ ، أستهديك لأرشد أمرى وزدنى علماً ينفعنى » ، فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم . فقام إليه عِمْران فقبَّل رأسه ويديه ورجليه ، فلما رأى ذلك النبى ﷺ بكى ، وقال : « بكيتَ من صنيع عمران ، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته ، فلمَّا أسلم قضَى حقَّه فدخلنى من ذلك الرِّقَّة » . فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه : « قوموا فشيِّعوه إلى منزله » فلما خرج من سُدَّة الباب رأته قريش فقالوا : صبأ !! وتفرقوا عنه كذا فى الإصابة (١ / ٣٣٧) .

دعوته ﷺ لرجل لم يسمَّ

أخرج أحمد عن أبى تميمة الهجيمى عن رجل من قومه أنه أتى رسول الله ﷺ - أو قال : شهدت رسول الله ﷺ - وأتاه رجل فقال : أنت رسول الله ؟ - أو قال أنت محمد - ؟ فقال : « نعم » ، قال : ما تدعو ؟ قال : « أدعو (٢) الله عز وجل وحده ، مَنْ إذا كان لك ضُرٌّ فدعوته كشفه عنك ، ومن إذا أصابك عام (٣) فدعوته انبت لك ، ومن إذا كنت فى أرض قفر فأضللتَ (٤) فدعوته ردَّ عليك » . فاسلم

---

(١) يقال رجل حصينة إذا كان متحصناً ، بدين آبائه حليماً متعقلاً .

(٢) أى أعبده . (٣) أى جدب .

(٤) أى ضاعت منك الدابة .

الرجل ثم قال : أوصينى يا رسول الله ، فقال :« لا تسبنَّ شيئاً » - أو قال : « أحداً » ، شكَّ الحكم - قال : فما سببتُ بعيراً ولا شاة منذ أوصانى رسول الله ﷺ . قال الهيثمى (٨ / ٧٢) : وفيه الحكم بن فُضَيل وثَّقه أبو داود وغيره وضعّفه أبو زُرعة وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح أ . هـ .

دعوته ﷺ لمعاوية بن حَيْدة رضى الله عنه

أخرج ابن عبد البَرّ فى الاستيعاب - وصحّحه - عن معاوية بن حَيْدة القُشَيرى قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد الأنامل - وطبَّق بين كفَّيه إحداهما على الأخرى - أن لا آتيك ولا آتى دينك !! فقد أتيتك أمراً لا أعقل شيئاً إلا ما علمنى الله ، وإنى أسألك بوجه الله العظيم بِم بعثك ربُّنا إلينا ؟ قال : « بدين الإسلام » ، قال : وما دين الإسلام ؟ قال : « أن تقول : أسلمت وجهى لله وتخلَّيت ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وكلُّ مسلم على كلِّ مسلم محرَّم ، أخوان نصيران ، لا يقبل الله ممَّن أشرك بعد ما أسلم عملاً حتى يفارق المشركين ، ما لى أمسك بحُجَزكم عن النَّار ؟ ألاً وإنَّ ربى داعّى وإنَّه سائلى هل بلَّغت عبادى ؟ فأقول : ربِّ قد بلَّغت ، ألاَ فليبلِّغ شاهدُكم غائبَكم ، ألاَ ثم إنَّكم تُدعَون مُفدَّمَةً أفواهكم بالفِدام [1] ، ثم إنَّ أول شىء ينبىء عن أحدكم لَفَخذُه وكفُّه » . قال : قلت : يا رسول الله ، هذا ديننا ؟ قال : « هذا دينك وأينما تُحْسنْ يَكْفك » - وذكر تمام الحديث .

فهذا هو الحديث الصحيح بالإسناد الثابت المعروف ، وإنما هو لمعاوية بن حيدة لا لحكيم أبى معاوية ، وقد أخرج قبله حديث حكيم هذا أنه قال : يا رسول الله ؟ ربنا بِمَ أرسلك ؟ قال : « تعبد الله ولا تشرك به شيئا،وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وكلُّ مسلم على كلِّ مسلم محرَّم ، هذا دينك ،وأينما تكن يكفك »، هكذا ذكره ابن أبى خيثمة ، وعلى هذا الإسناد عوَّل فيه وهو إسناد ضعيف ، كذا فى الاستيعاب (١ / ٣٢٣) . وقال الحافظ فى الإصابة (١ / ٣٥٠) : ولكن يحتمل أن يكون هذا آخر ولا بُعد فى أن يتوارد اثنان على سؤال واحد ، ولا سيما مع تباين المخرِّج ، وقد ذكره ابن أبى عاصم فى الوحدان ، وأخرج الحديث عن عبد الوهاب بن نجدة وهو الحوطى شيخ ابن أبى خيثمة فيه . انتهى .

---

(١) الفدام ما يشد على فم الأبريق والكوز لتصفية الشراب .

دعوته ﷺ لعديّ بن حاتم رضي الله عنه

أخرج أحمد عن عديّ بن حاتم قال : لّما بلغنى خروج رسول الله ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة ، فخرجت حتى وقعت ناحية الروم - وفى رواية : حتى قدمت على قيصر - قال : فكرهت مكانى ذلك أشدّ من كراهتى لخروجه ، قال : قلت : والله لولا (١) أتيت هـذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضرنى وإن كان صادقاً علمت ، قال : فقدمت فأتيته ، فلما قدمت قال الناس : عدىّ بن حاتم ، عدى بن حاتم !! قال : فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لى : « يا عدىّ بن حاتم ، أسلم تسلم - ثلاثاً - قال : قلت : إنّى على دين ، قال : « أنا أعلم بدينـك منك » فقلت : أنت أعلم بدينى منى ؟! قال : « نعم ، ألستَ من الرَّكوسيَّة (٢) وأنت تأكل مرْباع (٣) قومك ؟» قلت : بلى ، قال : « هذا لا يحل لك فى دينك » ، قال : فلم يَعْدُ أن قالها فتواضعتُ لها ، فقال : أما إنّى أعلم الذى يمنعك من الإسلام ، تقول : إنّما أتّبعه ضَعَفَةُ الناس ومن لا قوة لهم وقد رمتهم العرب ، أتعرفُ الحيرة ؟ » قلت : لم أرها وقد سمعت بها ، قال : « فوالذى نفسى بيده ليُتمَّنَّ الله هذا الأمر حتى تخرج الظّعينة (٤) من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد ، ولَيُفْتَحَنَّ كنوز كسرى بن هُرمُز » ، قال : قلت : كسرى بن هُرمُز ؟ قال : « نعم كسرى بن هرمز ، ولَيُبذَلَنَّ المال حتى لا يقبله أحد » .

قال عدىّ بن حاتم : فهذه الظعينة تأتى من الحيرة فتطوف بالبيت فى غير جوار ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى ، والذى نفسى بيده لتكوننَّ الثالثة ، لأن رسول الله ﷺ قد قالها ، كذا فى البداية (٥ / ٦٦) وأخرجه البغوى أيضاً فى معجمه بمعناه ، كما فى الإصابة (٢ / ٤٦٨) .

وأخرج أحمد أيضاً عن عدىّ بن حاتم ، قال : جاءت خيل رسول الله ﷺ وأنا بعقرب (٥) فأخـذوا عمّتى وناساً فلما أتوا بهم رسول الله ﷺ قال : فصُفُّوا له ، قالت : يا رسول الله ، بان الوافد (٦) ، وانقطع الولد ، وأنا عجوز كبيرة ما بى من

---

(١) لولا هنا حرف تحضيض وهو الأمر بشدة بمعنى هلا .

(٢) ملة تشبه النصرانية من جهة والصابئة عباد النجوم من جهة أخرى . كما أفاده ابن منظور فى لسان العرب . (٣) أى أنك تاخذ من قومك وحدك ربع الغنيمة وهذا ظلم لهم .

(٤) الظعينة المرأة المسافرة .

(٥) اسم موضع . (٦) بان الوافد : انقطع الزائر وابتعد .

خدْمة ، فَمُنَّ عليَّ مَنَّ الله عليك ، فقال : « ومن وافدك ؟ » قالت : عديٌّ بن حاتم ، قال : « الذى فَّر من الله ورسوله ؟ » قالت : فَمُنَّ علّى ، فلما رجعَ ورجُلٌ إلى جنبه نرى أنه على – قال : سَلِيه حُمْلاناً ، قال : فسألتْه فأمَر لها ، قال عدىّ : فأتتنى فقالت : لقد فعلتَ فعلةٌ ما كان أبوك يفعلها وقالت ، إيته راغباً أو راهباً ، فقد أتاه فلانا فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه ، قال : فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان – أو صبى – ، فذكر قربهم منه – ، فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر ، فقال له : « يا عدىُّ بن حاتم ، ما أفَّرك (١) ؟! أفَّرك أن يقال : لا إله إلا الله فهل من إله إلا الله ؟! ، ما أفرك ؟ أفرك أن يقال : الله أكبر ، فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل ؟! » قال فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال : « إنَّ المغضوب عليهم اليهود ، وإنَّ الضالين النَّصارى » .

قال : ثم سألوه : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فلكم أيُّها الناس أن ترضخوا من الفضل ، ارتضخ امرؤ بصاع ، ببعض صاع ، بقبضة ، ببعض قبضة » – قال شعبة : « وأكثر علمى أنه قال : (بتمرة ، بشقّ تمرة) وإنَّ أحدكم لاقى الله فقائل ما أقول : ألم أجعلكَ سميعاً بصيراً ؟ ألم أجعل لك مالاً وولداً ؟ فماذا قدَّمت؟ فينظر من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، فلا يجد شيئاً ، فما يتَّقى النار إلا بوجهه ، فاتقوا النَّار ولو بشقّ تمرة ، فإنَّ لم تجدوه فبكلمة ليّنة ، إنى لا أخشى عليكم الفاقة ؛ لينصرنَّكم الله وليعطينَّكم – أو ليفتحنَّ عليكم - حتى تسير الظَّعينة بين الحيرة ويثرب ، أو أكثر ، ما تخاف السَّرَق على ظعينتها » . وقد رواه الترمذى وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك . وأخرج البيهقى شيئاً منه من آخره ، وهكذا أخرجه البخارى مختصراً كما فى البداية (٥ / ٦٥) .

دعوته ﷺ لذى الجَوْشَن الضبابى رضى الله عنه

أخرج الطبرانى عن ذى الجَوْشَن الضبابى قال : أتيت النبى ﷺ بعد أن فرغ من أهل بدر بابن فرس (٢) لى يقال لها « القَرْحاء » ، فقلت : يا محمد ، قد جئتك بابن القرحاء لتتخذه (٣) ، قال : « لا حاجة لى فيه وإن أردتَ أقيضك (٤) بها المختارة من

(١) ما الذى حملك على الفرار .

(٢) يطلق الابن على الذكر والأنثى أحياناً فيما لا يعقل من الحيوان والطير .

(٣) لتستعمله فى الركوب .

(٤) أبدلك بها .

دروع بدر فعلتُ » . فقلت : ما كنت لأقيضه اليوم بُغرة (١) ، قال : « لا حاجة لى فيه » ثم قال : « يا ذا الجوشن ، ألا تسلم فتكون من أول أهل هذا الأمر ؟ » فقلت : لا ، قال : « لم ؟ » قال : قلتُ : رأيتُ قومك قد ولعوا (٢) بك . قال : « فكيف بلغك من مصارعهم ببدر ؟ » قلت : قد بلغنى (٣) ، قال : « فإنا نُهدى (٤) لك » ، قلت : إن تغلب على الكعبة وتقطنها ، قال : « لعلك إن عشت ترى ذلك ، ثم قال : « يا بلال ، خذ حقيبة الرجل فزوده من العجوة » ، فلما أدبرت قال : « أما إنَّه من خير فرسان بنى عامر » . قال : فوالله إنِّى بأهلى بالغور إذ أقبل راكب ، فقلت : ما فعل الناس ؟ قال : والله قد غلب محمد على الكعبة وقطنها ، فقلت : هبَلَتْنى أمى ولو أسلمت يومئذ ثم أساله الحيرة لأقطعنيها !! .

وفى رواية : فقال له النبى ﷺ : « ما يمنعك من ذلك ؟ » قال : رأيت قومك قد كذَّبوك وأخرجوك وقاتلوك فانظر ماذا تصنع ؟ فإن ظهرتَ عليهم آمنت بك واتبعتك ، وإن ظهروا عليك لم أتبعك . قال الهيثمى (٦ / ١٦٢) : رواه عبد الله ابن أحمد وأبوه - ولم يسق المتن - والطبرانى ، ورجالهما رجال الصحيح ، وروى أبو داود بعضه . انتهى .

دعوته ﷺ لبشير بن الخَصاصِيَة رضى الله عنه

أخرج ابن عساكر عن بشير بن الخَصاصيَة قال : أتيت رسول الله ﷺ فدعانى إلى الإسلام ، ثم قال لى : « ما اسمك » قلت : نذير ، قال : « بل أنت بشير » فأنزلنى بالصُّفَّة ، فكان إذا أتته هديَّة أشركنا فيها وإذا أتته صدقة صرفها إلينا ، فخرج ذات ليلة فتبعته فاتى البقيع فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنَّا بكم لاحقون ، وإنا لله وإنَّا إليه راجعون -- لقد أصبتم خيراً بجيلاً (٥) ، وسبقتم شرًّا (٦) طويلاً » . ثم التفت إلَى فقال : « من هذا ؟ » فقلت : بشير ، فقال : « أما ترضَى إن أخذ الله سمعَك وقلبَك وبصرك إلى الإسلام من بين ربيعة الفَرَس الذين يقولون : ان لولاهم لائتفكت (٧) الأرض بأهلها » ، قلت : بلى ، يا رسول الله ، قال :

---

(١) ما كنت لأرضى بها بديلاً من الخيل الجياد .

(٢) شغلوا بقتالك وتكذيبك .

(٣) بلغنى ما بلغنى وعرفت ما عرف الناس من أمرك وأمرهم .

(٤) أى نبين لك الخير وننصح لك بان تدخل فى الإسلام .

(٥) أى واسعاً . (٦) سبقتم شراً طويل المدى لم يصل إليكم . (٧) انقلبت .

« ما جاء بك ؟ » قلت : خفتُ أن تُنكب أو تصيبك هامةٌ من هوامّ الأرض [١] .

وعنده أيضاً والطبراني والبيهقي : « يا بشير ، ألاَ تحمد الله الذى أخذ بناصيتك إلى الإسلام من بين ربيعة ؛ قوم يَرَون أن لولاهم لائتفكتِ الأرضُ بمن عليها » . كذا فى المنتخب (٥ / ١٤٦) .

دعوته ﷺ لرجل لم يسمَّ

أخرج أبو يَعْلى عن حرب بن سُريج قال : حدثنى رجل من بلْعَدَوِيَّة ، قال : حدثنى جدّى قال : انطلقت إلى المدينة فنزلت عند الوادى ، فإذا رجلان بينهما عنز واحدة وإذا المشترى يقول للبائع : أحسن مبايعتى ، قال : فقلت فى نفسى : هذا الهامشى الذى قد أضلَّ الناس أهو هو ؟ قال : فنظرت فإذا رجل حسن الجسم ، عظيم الجبهة ، دقيق الأنف ، دقيق الحاجبين ، وإذا من ثُغْرَة [٢] نحره إلى سُرَّته مثل الخيط الأسود شعر أسود ، وإذ هو بين طِمْرين قال : فدنا منا فقال : السلام عليكم ، فرددنا عليه ، فلم ألبث أن دعا المشتري فقال : يا رسول الله ، قل له : يحسن مبايعتى ، فمدَّ يده وقال : « أموالكم تملكون ، إنّى أرجو أن ألقى الله عز وجل يوم القيامة لا يطلبنى أحد منكم بشىء ظلمته فى مال ولا فى دم ولا عرض إلاّ بحقه ، رحم الله أمرأ سهل البيع ، سهل الشراء ، سهل الأخذ ، سهل العطاء ، سهل القضاء ، سهل التقاضى » ، ثم مضى .

فقلت : والله لأقضينَّ هذا فإنه حسن القول ، فتبعته فقلت : يا محمد ، فالتفت إلّى بجميعه [٣] فقال : « ما تشاء ؟ » فقلت : أنت الذى أضللتَ الناس وأهلكتَهم وصدَدتهم عمَّاكان يعبد آباؤهم ؟ قال : « ذاك الله » . قال : ما تدعو إليه؟ قال : « أدعو عباد الله إلى الله » قال : قلت : ما تقول ؟ قال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنّى محمد رسول الله ، وتؤمن بما أنزله علّى ، وتكفر باللاَّت والعُزَّى ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة » . قال : قلت : وما الزكاة ؟ قال : « يردّ غنينا على فقيرنا » ؛ قال : قلت : نعمَ الشىء تدعو إليه . قال : فلقد كان وما فى الأرض أحد يتنفس أبغض إلّى منه ، فما برح حتى كان أحب إلىَّ من ولدى ووالدىَّ ومن الناس أجمعين . قال : فقلت : قد عرفتُ ؛ قال : « قد عرفتَ ؟ » قلت نعم ؛ قال : « تشهد أن لا إله إلا الله وأنّى محمد رسول الله ، وتؤمن بما أنزل علّى » ، قال : قلت :

---

(١) دوابها المؤذية كالحيات والأقارب .

(٢) ثغرة النحر ما فوق الصدر .   (٣) أى بكل جسمه وهذه كانت عادته ﷺ .

نعم ، يا رسول الله إنّى أرد ماءً عليه كثير من الناس فأدعوهم إلى ما دعوتنى إليه ، فإنّى أرجو أن يتّبعوك ، قال : نعم ، فادعهم » ؛ فأسلم أهل ذلك الماء رجالهم ونساؤهم ، فمسح رسول الله ﷺ رأسه . قال الهيثمى (٩ / ١٨) وفيه : راوٍ لم يسمَّ ، وبقية رجاله وُثّقوا . انتهى .

وأخرج أحمد عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ دخل على رجل من بنى النجار يعوده ، فقال له رسول الله ﷺ : « يا خال ، قل : (لا إله إلا الله) ، فقال : خالٌ أنا أو عمٌّ ؟ فقال النبى ﷺ : « لا ، بل خال » ؛ فقال : قل : (لا إله إلا الله) » ، قال هو خيرٌ لى ؟ قال : « نعم » . قال الهيثمى (٥ / ٣٠٥) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وأخرج البخارى وأبو داود عن أنس رضى الله عنه أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبى ﷺ فمرض ، فأتاه يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له : « أسلم » فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال أطعْ أبا القاسم ؛ فأسلم . فخرج النبى ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذى أنقذه بى من النار » كذا فى جمع الفوائد (١ / ١٢٤) .

وأخرج أحمد وأبو يعلى عن أنس أنَّ النبى ﷺ قال لرجل : « أسلم تسلم » ، قال : إنّى أجدنى كارهاً ، قال : « إن كنت كارهاً » . قال الهيثمى (٥ / ٣٠٥) : رجالهما رجال الصحيح .

دعوته ﷺ لأبى قحافة رضى الله عنه

أخرج الطبرانى عن أسماء بنت أبى بكر قالت : لما كان يوم الفتح قال رسول الله ﷺ لأبى قُحافة : « أسلم تسلم » . قال الهيثمى (٥ / ٣٠٥) : رجاله رجال الصحيح . انتهى . وعند ابن سعد (٥ / ٤٥١) : عن أسماء قالت : لما دخل رسول الله ﷺ مكة واطمأنَّ وجلس فى المسجد أتاه أبو بكر بأبى قحافة ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « يا أبا بكر ، ألا تركتَ الشيخ حتى أكون أنا الذى أمشى إليه ؟ » قال : يا رسول الله ، هو أحقُّ أن يمشى إليك من أن تمشى إليه . فأجلسه رسول الله ﷺ بين يديه ووضع يده على قلبه ثم قال : « يا أبا قحافة ، أسلم تسلم » ؛ قال : فأسلم وشهد شهادة الحق قال : وأُدخل عليه ورأسه ولحيته كأنّهما ثُغامة [١] ، فقال رسول الله ﷺ : « غيِّروا هذا الشيب وجنِّبوه السواد » [٢] .

---

(١) نبت ابيض الزهر والثمر .

(٢) أى غيروه بالحناء ونحوها من الألوان إلا اللون الأسود فإنه يعد بالنظر إليه : مثلة .

دعوته ﷺ لأفراد المشركين ممَّن لم يسلم

دعوته عليه الصلاة والسلام لأبى جهل

أخرج البيهقى عن المغيرة بن شعبة قال : إنَّ أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أنى أمشى أنا وأبو جهل بن هشام فى بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبى جهل : « يا أبا الحَكَم ، هَلُمَّ إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله » ، فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت مُنته عن سب آلهتنا؟! هل تريد إلاَّ أن نشهد أنَّك قد بلّغت ؟! فنحن نشهد أن قد بلغتَ ، فوالله لو أنِّى أعلم أنَّ ما تقول حقٌّ لا تبعتك .

فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليَّ فقال : والله إنى لأعلم أنّ ما يقول حقٌّ ولكن يمنعنى شىء : أنَّ بنى قُصَىّ قالوا : فينا الحجابة (١) فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا السِّقاية (٢) ، فقلنا نعم ؛ ثمَّ قالوا : فينا النَّدوة (٣) ، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا اللّواء (٤) ، فقلنا : نعم ، ثم أطعموا وأطعمنا ، حتى إذا تحاكَّت الرُّكَب (٥) ، قالوا : منا نبى ، والله لا أفعل !! كذا فى البداية (٣ / ٦٤) .

وأخرجه أيضاً ابن أبى شيبة بنحوه ، كما فى الكنز (٧ / ١٢٩) وفى حديثه : « يا أبا الحَكَم هَلُمَّ إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه ، أدعوك إلى الله » .

دعوته عليه الصلاة والسلام للوليد بن المغيرة

وأخرج إسحاق بن راهَوَيْه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عَم ، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ، قال : لِمَ ؟ قال : ليعطوكَهُ ، فإنَّك أتيت محمداً لتعرضَ (٦) ما قِبَلَه ، قال : قد عَلِمت قريش أنى من أكثرهم مالاً . قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومكَ أنَّك مُنكر له ، قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار منى ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده منى ولا بأشعار الجن ،

---

(١) حمل مفاتيح البيت والقيام بخدمته .

(٢) أى سقاية الحجيج .

(٣) أى هم رؤساء الدار التى كانوا يجتمعون فيها للمشورة .

(٤) راية الحرب . (٥) أى تلاصقت وهو كناية عن التساوى فى الفضل .

(٦) أى لتأخذ شيئاً مما فى يديه فى نظير اتباعك له .

والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا ، ووالله إنَّ لقوله الذى يقول حلاوة ، وإنَّ عليه لطلاوة[1] ، وإنَّه لمثمرٌ أعلاه ، مُغْدقٌ [2] أسفله ، وإنه لَيَعلُوا ولا يُعلى ، وإنه ليحطم ما تحته ، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : قف عنى حتى أفكر فيه ، فلما فكَّر قال : إنْ هذا إلا سحر يُؤثر [3] ، يأثره عن غيره ، فنزلت : ﴿ ذَرْنى وَمَنْ خلَقْتُ وَحِيداً [4] * وَجَعلتُ له مَالاً مَمْدُوداً * وبَنينَ شهُوداً ﴾ [5] . هكذا رواه البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن محمد الصنعانى بمكة عن إسحاق . وقد رواه حمَّاد بن زيد عن أيوب عن عكرمة – مرسلاً – فيه أنّه قرأ عليه : ﴿ إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإِحْسانِ وإيتاءِ ذِى القُرْبَى ، ويَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لعَلَّكُم تَذكَّرونَ ﴾ [6] . كذا فى البداية (٣ / ٦٠) . وأخرجه ابن جرير عن عكرمة كما فى التفسير لابن كثير (٤ / ٤٤٣) .

دعوته ﷺ الاثنين [7]

أخرج ابن عساكر عن معاوية رضى الله عنه قال : خرج أبو سفيان إلى بادية له مُردفاً هنداً ، وخرجت أسير أمامهما وأنا غلام علي حمارة [8] لى إذ سمعنا رسول الله ﷺ ، فقال أبو سفيان : أنزل يا معاوية حتى يركب محمد ، فنزلت عن الحمارة وركبها رسول الله ﷺ فسار أمامنا هنيهة ، ثم التفت إلينا فقال : « يا أبا سفيان بن حرب ، ويا هند بنت عُتبة ، والله لتموتنَّ ثم لتبعثنَّ ، ثم ليدخلنَّ المحسن الجنة والمسيء النار ، وأنا أقول لكم بحقٌ وإنَّكم لأولُ من أُنذرتم » ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ حم تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ – حتى بلغ – ﴿ قَالَتَا أتَيْنا طَائعينَ ﴾ [9] . فقال له أبو سفيان : أفَرَغْتَ يا محمد ؟ قال : نعم . ونزل رسول الله ﷺ عن الحمارة وركبتها ، وأقبلت هند على أبى سفيان فقالت ألهذا الساحر أنزلتَ ابنى ؟ قال : لا والله ما هو بساحر ، ولا كذَّاب ؛ كذا فى الكنز (٧ / ٩٤) . وأخرجه الطبرانى

---

(١) حسناً وبهاءً .

(٢) كثير غزير ومعنى قوله هذا ان القرآن أوله كآخره فى غزارة الخير وكثرة الفوائد .

(٣) يتناقله الكهان فيما بينهم . (٤) أى لا ند له فى الغنى والشرف .

(٥) سورة المدثر الآيات : ١١ – ١٣ . (٦) سورة النحل الآية : ٩٠ .

(٧) ذكر فيما مضى دعوته الافراد وهنا يذكر دعوته إثنين إثنين ولا حاجة لهذا التقسيم .

(٨) لعله قال حمار لان أنثى الحمار لا يقال لها حمارة فى اللغة الفصحى وإنما أتان .

(٩) سورة فصلت الآيات : ١ – ١١ .

أيضاً مثله . قال الهيثمي (٦ / ٢٠) : حُمَيد بن مُنْهب لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

وأخرج ابن سعد (٣ / ٥٥) عن يزيد بن رومان قال : خرج عثمان بن عفان وطلحة بن عُبيد الله رضى الله عنهما على إثر الزبير بن العوام رضى الله عنه ، فدخلا على رسول الله ﷺ ، فعرض عليهما الإسلام ، وقرأ عليهما القرآن ، وأنبأهما بحقوق الإسلام ، ووعدهما الكرامة من الله . فآمَنَا وصدّقا ، فقال عثمان يا رسول الله ، قدمتُ حديثاً من الشام ، فلما كنا بين مَهعَان والزرقاء فنحن كالنيام إذا منادٍ نادينا أيُّها النيام ، هُبوا فإن أحمدَ قد خرج بمكة ، فقدمنا فسمعنا بك . وكان إسلام عثمان قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم .

وأخرج ابن سعد (٣ / ٢٤٧) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال : قال عمار بن ياسر رضى الله عنه : لقيت صهيب بن سنان رضى الله عنه على باب دار الأرقم ورسول الله فيها فقلت له : ما تريد ، قال لى : ما تريد أنت ، فقلت : أردت أن أدخل على محمد فأسمعَ كلامه ، قال : وأنا أريد ذلك ، فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا ، ثم خرجنا ونحن مُسْتَخْفُون ؛ فكان إسلام عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلاً ، رضى الله عنهم .

وأخرج ابن سعد (٣ / ٦٠٨) عن خُبَيب بن عبد الرحمن قال : خرج أسعد ابن زُرَارة وذَكْوان بن عبد قيس إلى مكة يتنافران إلى عُتبة بن ربيعة ، فسمعا برسول الله ﷺ فأتياه ، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن ، فأسلما ولم يقربا عتبة بن ربيعة ، ورجعا إلى المدينة ؛ فكانا أول من قدم بالإسلام بالمدينة .

عرضه ﷺ الدعوة على الجماعة

مبالغة رؤساء قريش فى إظهار العناد والتحدى

أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابنى ربيعة ، وأبا سفيان بن حرب، ورجلاً من بنى عبد الدار ، وأبا البَخْترى أخا بنى الأسد ، والأسود بن عبد المطَّلب بن أسد ، وزَمْعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبى أمية ، وأميةَ بن خلف ، والعاص بن وائل ، ونبيها ومُنَبِّها ابنى الحجَّاج السَّهْمِيَّيْن، اجتمعوا - أو من اجتمع منهم - بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصموه حتى تُعذروا (١) فيه ،

(١) أى حتى لا يكون له عذر بعد ذلك إذا ما اتخذتم فى شانه ما يرده عنكم .

فبعثوا إليه أنَّ أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا وهو يظن أنه قد بدا فى أمره بَدَاء (١) – وكان عليهم حريصاً يحب رُشدهم ، ويَعزُّ عليه عَنَتُهم (٢) – حتى جلس إليهم . فقالوا : يا محمد ، إنَّا قد بعثنا إليك لنُعذر فيك ، وإنَّا – والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومكَ !! لقد شتمتَ الآباء ، وعبتَ الدين ، وسفَهت الأحلام ، وشتمتَ الآلهة ، وفرّقتَ الجماعة ، فما بقى من قبيح إلاَّ وقد جئته فيما بيننا وبينك – فإنْ كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإنْ كنت إنَّما تطلب الشرف فينا سوَّدْناك علينا ، وإنْ كنت تريد ملكاً ملَّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب عليك – وكانوا يسمُّون التابع من الجنِّ « الرَّئِي » – فربما كان ذلك ، بذلنا أموالنا فى طلب الطبِّ حتى نبرئك منه أو نُعذر فيك .

فقال رسول الله ﷺ : « ما بى ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكنَّ الله بعثنى إليكم رسولاً وأنزل علَّى كتاباً ، وأمرنى أنْ أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلَّغتكم رسالاتِ ربى ، ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظُّكم من الدنيا والآخرة ، وإنْ تردُّوه علىَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » – أو كما قال رسول الله ﷺ .

فقالوا : يا محمد ، فإنْ كنت غير قابل منَّا ما عرضنا عليك فقد علمتَ أنه ليس أحدٌ من الناس أضيقَ بلاداً ، ولا أقلَّ مالاً ، ولا أشد عيشاً منا ؛ فاسأل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فلْيُسيِّر عنا هذه الجبال التى قد ضيَّقت علينا ، وليبسط لنا بلادَنا وليُفَجَّر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعثْ لنا من مضى من آبائنا ، وليكنْ فيمن يبعث لنا منهم قصىُّ بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً ؛ فنسألهم عمَّا تقول أحقٌ هو أم باطل ؟ فإن صنعت ما سألناك وصدَّقوك صدَّقناك ، وعرفنا به منزلتك عند الله وأنَّه بعثك رسولاً كما تقول . فقال له رسول الله ﷺ : « ما بهذا بعثت ، إنما جئتكم من عند الله بما بعثنى به ، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ؛ فإن تقبلوه فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه علىَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » .

---

(١) أى بدا فى الأمر الذى جاء به شيءٌ لم يعلمه من قبل .
(٢) إعراضهم وجمودهم على دين آبائهم تقليداً لهم من غير وعى ولا إدراك .

قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فسَلْ ربك أن يبعث مَلَكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويغنيك بها عما نراك تبتغي - فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه - حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذى يسأل ربَّه هذا ، وما بعثت إليكم بهذا ، ولكنَّ الله بعثنى بشيراً ونذيراً ؛ فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإنْ تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » .

قالوا : فأسقط السماء كما زعمت أنَّ ربك إن شاء فعل ذلك ، فإنَّا لن نُؤمن لك إلا أن تفعل. فقال لهم رسول الله ﷺ : « ذلك إلى الله إنْ شاء فعل بكم ذلك » . فقالوا : يا محمد ، أمَا علم ربك أنَّا سنجلس معك ونسألك عمَّا سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب ؟ فيقدم إليك ويعلمك ما تُراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنَّه إنَّما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له « الرحمن » وإنَّا - والله - لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد !! أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تُهلكنا ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلاً (١) .

فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبد المطَّلب - فقال : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك أنْ تُعجِّل لهم ما تُخوِّفهم به من العذاب ؛ فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلَّمًا ، ثم ترقى به وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنَّك كما تقول ، وايْمُ الله لو فعلتَ ذلك لظننتُ أنِّى لا أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينًا أسفًا لما فاته ممَّا كان طمع فيه من قومه حين دَعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إيَّاه ، وهكذا رواه زياد بن

---

(١) أى معاينة ... أو كفيلاً أو شهيداً أو بأصناف من الملائكة يأتون قبيلاً ، أو ضمناء يضمنون لنا إتيانك به وهذه الأقوال الخمسة ذكرها القرطبى فى تفسيره .

عبد الله البَكّائى عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما – فذكر مثله سواء ؛ كذا فى التفسير لابن كثير (٣ / ٦٢) والبداية (٣ / ٥٠) .

دعوته ﷺ لأبى الحَيْسم وفتية من بنى عبد الأشهل

وأخرج أبو نُعيم عن محمد بن لبيد أخى بنى الأشهل قال : لَما قدم أبو الحَيْسم أنس بن رافع مكة – ومعه فتيةٌ من بنى عبد الأشهل فيهم إياس بن مُعاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج – سمع رسول الله ﷺ بهم ، فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم : « هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ » فقالوا : وما ذاك؟ قال : « أنا رسول الله بعثنى الله إلى العباد أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا ، ونزَّل علىَّ الكتاب » . ثم ذكر الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن معاذ – وكان غلامًا حَدَثًا – : أىْ قوم ، هذا – والله – خير مما جئتم له . فأخذ أبو الحيسم أنس بن رافع حفنة من البطحاء وضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا ، فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ وانصرفوا إلى المدينة ، فكانت وقعة « بُعاث » الأوس والخزرج ، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أنْ هَلَك . قال محمود بن لبيد : فأخبرنى مَنْ حضره من قومى عند موته : أنَّهم لم يزالوا يسمعونه يهلِّل الله ، ويكبِّره ، ويسبِّحه ، حتى مات ، فما يشكُّون أنْ قد مات مسلمًا ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع ؛ كذا فى كنز العمال (٧ / ١١) . وأخرجه أيضًا أحمد والطبرانى ، ورجاله ثقات ، كما قال الهيثمى (٦ / ٣٦) . وأسنده أيضًا ابن إسحاق فى المغازى عن محمود بن لبيد بنحوه ، رواه جماعة عن ابن إسحاق وهو من صحيح حديثه كما قال فى الإصابة (١ / ٩١) .

عرضه ﷺ الدعوة على المجامع

دعوته عليه الصلاة والسلام لعشيرته الأقربين وبطون قريش

أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أنزل الله : ﴿ وأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأقْرَبِينَ ﴾(١) ؛ خرج النبى ﷺ حتى علا المَرْوة ثم قال : « يا آل فِهر » فجاءته قريش ، فقال أبو لهب بن عبد المطلب : هذه فهر عندك فقُلْ . فقال : « يا آل غالب » ، فرجع بنو محارب وبنو الحارث ابنا فهر ، فقال : « يا آل لؤى بن غالب » ،

---

(١) سورة الشعراء الآية : ٢١٤ .

فرجع بنو تَيْم الأدرم بن غالب ، فقال : « يا آل كعب بن لؤى » ، فرجع بنو عامر بن لُؤى ، فقال : « يا آل مُرَّة بن كعب » ، فرجع بنو عَدِىّ بن كعب وبنو سَهْم وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى ، فقال : « يا آل كلاب بن مرة » ، فرجع بنو مخزوم بن يقظة بن مُرَّة وبنو تَيْم بن مرة ، فقال : « يا آل قصى » ، فرجع بنو زُهْرة بن كلاب ، فقال : « يا آل عبد مناف » ! فرجع بنو عبد الدار بن قُصَى وبنو أسد بن عبد العزى بن قصى وبنو عبد بن قصى . فقال أبو لهب : هذه بنو عبد مناف عندك فقل . فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين وأنتُم الأقربون من قريش ، وإنى لا أملك لكم من الله حظًا ولا من الآخرة نصيبًا إلا أن تقولوا : (لا إله إلا الله) فاشهد بها لكم عند ربكم وتدين لكم العرب وتذَّل لكم العجم » . فقال أبو لهب : تبًّا لك فلهذا دعوتنا ؟! فأنزل الله : ﴿ **تبَّت يَدَا أبى لَهَبٍ** ﴾(١) . يقول : خَسرتْ يدا أبى لهب . كذا فى الكنز (١ / ٢٧٧) .

وأخرج أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أنزل الله : ﴿ **وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ أتى النبى ﷺ فصعد عليه ، ثم نادى : « يا صباحاه » ، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجىء إليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله ﷺ : « يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى كعب ، أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ » قالوا : نعم ، قال : « فإنِّى نذيرٌ لكم بين يدى (٢) عذاب شديد » ، فقال أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله عز وجل : ﴿ **تبَّت يَدَا أبِى لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾ ، وأخرجه الشيخان نحوه كما فى البداية (٣ / ٣٨) .

عرضه ﷺ الدعوة فى مواسم الحج وعلى قبائل العرب

عرضه عليه الصلاة والسلام الدعوة على بنى عامر وبنى محارب

أخرج أبو نعيم فى دلائل النبوة (ص ١٠١) عن عبد الله بن كعب بن مالك

---

(١) سورة المسد الآية : ١ .

(٢) أى فإنى أبلغكم رسالة ربى وأنا حريص على إيمانكم حتى لا يصيبكم عذاب ليس بينه وبينكم إلا وقت قصير فقد روى الإمام أحمد فى مسنده أن الرسول ﷺ قال : « بعثت أنا والساعة جميعًا إن كادت لتسبقنى » .

رضى الله عنهما قال : أقام رسول الله ﷺ ثلاث سنين من نبوته مستخفياً ، ثم أعلن في الرابعة ، فدعا عشر سنين يوافى الموسم ، يتّبع الحـاجّ فى منازلهم : بعُكاظ ومَجَنَّة ، وذى المجاز (١) ، يدعوهم إلى أنْ يمنعوه حتى يبلِّغَ رسالة ربه عزّ وجل ولهم الجنّة ، فلا يجد أحداً ينصره ، حتى إنّه يسأل عن القبائل ومنازلهم قبيلةً قبيلة ، حتى انتهى إلى بنى عامر بن صعصعة فلم يلق من أحد من الأذى قط ما لقى منهم حتى خرج من عندهم وإنّهم ليرمونه من ورائه ، حتى انتهى إلى بنى مُحارب بن خَصَفَة ، فوجد فيهم شيخاً ابن مائة سنة وعشرين سنة ، فكلّمه رسول الله ﷺ ودعاه إلى الإسلام وأنْ يمنعه حتى يبلِّغ رسالة ربه ، فقال الشيخ : أيُّها الرجل ، قومك أعلم بنبأك ، والله لا يؤوب(٢) بك رجل إلى أهله إلا آب بشرٍّ ما يؤوب به أهل الموسم (٣) ، فأغنِ عنا نفسك ، وإن أبا لهب لقائم يسمح كلام المحاربى ثم وقف أبو لهب على المحاربى فقال : لو كان أهل الموسم كلهم مثلك لترك هذا الدين الذى هو عليه ، إنه صابىءٌ كذابٌ ، قال المحاربى : أنت - والله - أعرف به ، هو ابن أخيك ولحمتك (٤) ثم قال المحاربى : لعلَّ به - يا أبا عتبة - لَمَماً (٥) ؟ فإنَّ معنا رجلاً من الحى يهتدى لعلاجه ، فلم يرجع أبو لهب بشيء ، غير أنه إذا رآه وقف على حيٍّ من أحياء العرب صاح به أبو لهب إنّه صابىء كذاب ؛ وفى إسناده الواقدى .

عرضه عليه الصلاة والسلام الدعوة على بنى عبس

وأخرج أبو نعيم (ص ١٠٢) أيضاً من طريق الواقدى عن عبد الله بن وابصة العبسى عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسول الله ﷺ فى منازلنا بمنى - ونحن نازلون بالجَمْرة الأولى التى تلى مسجد الخَيْف وهو على راحلته مُرْدفاً خلفه زيد بن حارثة - فدعانا ، فوالله ما استجبنا له ولا خير لنـا ، قال : وقد كنّا سمعنا به وبدعائه فى الموسم ، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له ، وكان معنـا مَيْسرة بن مسروق العبسى ، فقال : أحلف بالله لو صدَّقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحُل به وسط رحالنا

---

(١) قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان قال الواقدى : عكاظ بين نخلة والطائف وذو المجاز خلف عرفه ومجنة بمر الظهران ، وهذه أسواق قريش والعرب ولم يكن فيه أعظم من عكاظ ، قالوا : كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذى القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذى المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج أ . هـ جـ ٤ ص ١٤٢ .

(٢) لا يرجع . (٣) الموسم الحج . (٤) قطعة منك .

(٥) قال ابن منظور فى لسان العرب اللمة واللمم كلاهما الطائف من الجن .. ثم قال واللمم الجنون وقيل طرف من الجنون يلم بالإنسان .

لكان الرأى ، فأحلف بالله ليظهرنّ أمره حتى يبلغ كلّ مبلغ . فقال له القوم . دَعْنا عنك لا تعرَّضنا لما لا قِبَلَ لنا به ، فطمع رسول الله ﷺ فى مَيْسرة فكلّمه . فقال مَيْسرة : ما أحسن كلامك وأنوره ! ولكنّ قومى يخالفوننى ، وإنّما الرجل بقومه فإن لم يعضدوه فالعداء أبعد (١) .

فانصرف رسول الله ﷺ وخرج القوم صادرين إلى أهليهم . فقال لهم ميسرة : ميلو بنا إلى فَدَك فإنّ بها يهودَ نسائلهم عن هذا الرجل . فمالوا إلى يهود فأخرجوا سِفْراً لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله ﷺ : النبى الأمى العربى ، يركب الجمل ، ويجتزىء بالكِسْرة ، وليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد (٢) ولا بالسبط (٣) ، فى عينه حُمْرة ، مشرَّب (٤) اللون . فإنْ كان هذا هو الذى دعاكم فأجيبوه وادخلوا فى دينه ، فإنّا نحسده فلا نتبعه ، ولنا منه فى مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب إلا اتّبعه أو قاتله ، فكونوا ممّن يتّبعه . فقال مَيْسرة : يا قوم ، إنّ هذا الأمر بيّنٌ ، قال القوم : نرجع إلى الموسم فنلقاه . فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وحجّ حجّة الوداع لقيه مَيْسرة فعرفه . فقال يا رسول الله ، والله ما زلت حريصاً على اتّباعك من يوم أنختَ بنا حتى كان ما كان ، وأبى الله إلاّ ما ترى من تأخير إسلامى ، وقد مات عامة النّفر الذين كانوا معى فأين مدخلهم يا نبى الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « كل من مات على غير دين الإسلام فهو فى النار » ، فقال : الحمد لله الذى أنقذنى فاسلم فحسن إسلامه ، وكان له عند أبى بكر رضى الله عنه مكان . وذكره فى البداية (٣ / ١٤٥) عن الواقدى بإسـناده مثله .

عرضه عليه الصلاة والسلام الدعوة على كِنْدة

وأخرج أبو نُعيم فى الدلائل (ص ١٠٣) أيضاً من طريق الواقدى حدثنى محمد بن عبد الله بن كَثير بن الصَّلْت عن ابن رومان وعبد الله بن أبى بكر وغيرهما رضى الله عنهم قالوا : جاء رسول الله ﷺ كِندة فى منازلهم بعُكاظ ، فلم يأت حيّاً

---

(١) المعنى إن لم ينصره قومه وهم أحباؤه لا ينصره أعداؤه من باب أولى ، ولعله قصد بالعداء من سوى قومه مطلقاً .

(٢) قال فى اللسان الجعد فى الشعر خلاف السبط وقيل هو القصير .

(٣) وقال فى اللسان وشعر سَبْط وسَبِطٌ مسترسل غير جعد والمعنى أن شعره بين القصر والطول .

(٤) أبيض فيه حمرة .

من العرب كان ألين منهم ، فلمَّا رأى لينهم وقوة جَبْههم (١) له جعل يكلمهم ويقول : « أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له ، وأن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم ، فإنْ أظهْر فانتم بالخيار » . فقال عامتهم ما أحسن هذا القول !! ولكنَّا نعبد ما كان يعبد آباؤنا . قال أصغر القوم : يا قوم ، اسبقوا إلى هذا الرجل قبل أن تُسبقوا إليه ، فوالله إنَّ أهل الكتاب ليُحدِّثون أنَّ نبياً يخرج من الحَرَم قد أظلَّ زمانُه . وكان فى القوم إنسان أعور فقال : أمسكوا علىَّ ، أخرجته عشيرته وتؤونه ؟! أنتم تحملون حرب العرب قاطبة ؟! لا ، ثم لا . فانصرف عنهم حزيناً ، فانصرف القوم إلى قومهم فخبروهم . فقال رجل من اليهود : والله إنَّكم مخطئون بخطئكم ، لو سبقتم إلى هذا الرجل لسدتُم العرب ، ونحن نجد صفته فى كتابنا . فوصفه القوم الذين رأوه كل ذلك يصدقونه بما يصف من صفته ، ثم قال : نجد مخرجه بمكة ودار هجرته يثرب . فأجمع القوم ليوافوه فى الموسم قابلٍ ، فحبسهم سيد لهم عن حج تلك السنة فلم يواف أحد منهم . فمات اليهودىُّ فسُمِعَ عند موته يُصدِّق بمحمد ﷺ ويؤمن به .

عرضه عليه الصلاة والسلام الدعوة على بنى كعب

وأخرج أبو نعيم فى دلائل النبوة (ص ١٠٠) عن عبد الرحمن العامرى عن أشياخ من قومه قالوا : أتانا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عُكاظ ، فقال : « ممَّن القوم ؟ » قلنا من بنى عامر بن صَعْصَعة . قال : « من أىِّ بنى عامر ؟ » قلنا : بنو كعب بن ربيعة . قال : « كيف المَنَعَةُ فيكم ؟ » قلنا : لا يُرام ما قبلنا ، ولا يُصطلى بنارنا (٢) قال : فقال لهم : « إنِّى رسول الله ، فإنْ أتيتكم تمنعونى حتى أبلِّغ رسالة ربى ؟ ولم أكره أحداً منكم على شىء » . قالوا : ومِنْ أىِّ قريش أنت ؟ قال : « من بنى عبد المطلب » . قالوا : فأين أنت من بنى عبد مناف ؟ قال : « هم أول من كذَّبنى وطردنى » . قالوا : ولكنَّا لا نطردك ولا نُؤمن بك ، ونمنعك حتى تبلغ رسالة ربك . قال : فنزل إليهم والقوم يتسوقون إذ أتاهم بُجْرة بن قيس القُشَيرى فقال : من هذا الذى أراه عندكم ؟ أنْكُره (٣) . قالوا : محمد بن عبد الله القرشى . قال : ما لكم وله ؟ قالوا : زعم لنا أنَّه رسول الله ، يطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلِّغَ رسالة ربه .

---

(١) أى التفاتهم .

(٢) المعنى أى لا ينال منا احد شيئاً إلا بإرادتنا ولا يحظى منا احد بشىء لا نريد ان نعطيه إياه وهو كناية عن القوة والمنعة .

(٣) أى لا اعرفه .

قال : فماذا رددتم عليه ؟ قالوا : قلنا فى الرَّحب والسَّعة ، نُخرجك إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع به أنفسنا ، قال بُجْرة : ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشىء أشَّر من شىء ترجعون به ، بدأتم لتنابذ [١] الناس ، وترميكم [٢] العرب عن قوس واحدة ، قومه أعلم به ، لو آنسوا [٣] منه خيراً لكانوا أسعد الناس به ، تعمدون إلى رَهيق [٤] قوم قد طرده قومه وكذَّبوه فتؤونه وتنصرونه ، فبئس الرأى رأيتم !! ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال : قُم فالحق بقومك ، فوالله لولا أنَّك عند قومى لضربت عنقك ، قال : فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها ، فغمز الخبيثُ بُجْرة شاكلتها [٥] فقمصت[٦] برسول الله ﷺ فألقته ، وعند بنى عامر يومئذ ضُباعة بنت عامر بن قُرط — كانت من النسوة اللاَّتى أسلمن مع رسول الله ﷺ بمكة — جاءت زائرة إلى بنى عمها ، فقالت : يا آل عامر ، — ولا عامر لى — أيُصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم لا يمنعه أحدٌ منكم ؟ فقام ثلاثة نفر من بنى عمِّها إلى بُجرة واثنين أعاناه ، فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض ، ثم جلس على صدره ثم علَوا وجوههم لطماً ، فقال رسول الله ﷺ : « اللَّهم بارك على هؤلاء ، والعن هؤلاء » قال : فأسلم الثلاثة الذين نصروه فقتلوا شهداء ؛ وهلك الآخرون لعناً ، واسم الاثنين اللَّذين نصرا بُجْرة ابن فراس ؛ حزن بن عبد الله ، ومعاوية بن عبادة ، وأما الثلاثة الذين نصروا رسول الله ﷺ فغطريف ، وغَطفان ، ابنا سهل ، وعُروة بن عبد الله ، وأخرجه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى مغازيه عن أبيه به كما فى البداية (٣ / ١٤١) .

وعند ابن إسحاق عن الزُّهْرى أنَّه أتى بنى عامر بن صَعْصَعة ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجل منهم — يقال له بَحيرة ابن فراس — : والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له : أرأيت إنْ نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » ، قال : فقال له : أفنهدُف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ لاحاجة لنا بأمرك فأبَوا عليه ، فلما صَدَر [٧] الناس رجعت بنو

---

(١) أى فعلتم ما يشتمكم به الناس ويسبونكم عليه .

(٢) أى تحاربكم مجتمعة . (٣) أبصروا وعلموا

(٤) الرهيق السفيه والضعيف . (٥) شاكلتها : خاصرتها .

(٦) وثبت ونفرت . (٧) رجع .

عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافى معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدّثوه بما يكون فى ذلك الموسم . فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بنى عامر ، هل لها من تلاف [1] ؟هل لذُنابها من مطلب [2] ؟ والذى نفسُ فلان بيده ما تقوّلها إسماعيلى [3] قط ، وإنّها لحق فأين رأيكم كان عنكم ؟ كذا فى البداية (٣ / ١٣٩) .

وذكره الحافظ أبو نعيم (ص ١٠٠) عن ابن إسحاق عن الزُّهْرى من قوله : فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم . إلى آخره .

وأخرج ابن إسحاق أيضاً عن الزهرى : أنَّه عليه السلام أتى كندة فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مُلَيح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم نفسه ، فأبَوا عليه .

عرضه عليه الصلاة والسلام الدعوة على بنى كَلْب

وعن محمد بن عبد الرحمن بن حُصَين : أنَّه أتى كَلْبًا فى منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، حتى إنَّه ليقول : يا بنى عبد الله ، إنَّ الله قد أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

عرضه عليه الصلاة والسلام الدعوة على بنى حنيفة .

وعن عبد الله بن كعب بن مالك رضى الله عنهما : أنَّ رسول الله ﷺ أتى بنيى حنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، فلم يك أحدٌ من العرب أقبحَ رداً عليه منهم . كذا فى البداية (٣ / ١٣٩) .

عرضه عليه الصلاة والسلام الدعوة على بكر

وأخرج الحافظ أبو نُعَيم عن العباس رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « لا أرى لى عندك ولا عند أخيك مَنَعَة ، فهل أنت مخرجى إلى السوق غداً حتى نقرَّ فى منازل قبائل الناس »، وكانت مجمع العرب . قال فقلت : هذه كِنْدة ولفُّها[4]

---

(١) أى لهذه الحادثة من تفاد أو المعنى هل هذه المسالة تمر عليكم دون أن تفكروا فيها فتتفادوا أخطارها .

(٢) هل لطريقها من مطلب وذنابة الطريق وجهه وهو تحسر على ما فاتهم .

(٣) أى ما قالها رجل من بنى إسماعيل قبله .

(٤) اللف كما فى اللسان الحزب والطائفة .

وهى أفضل من يحج البيت من اليمـــن ، وهذه منازل بكر بن وائل ، وهذه منازل بنى عامر بن صَعْصَعة ، فاختر لنفسك ؟ قال فبدأ بكِنْدة فأتاهم فقال « ممَّن القوم؟ » قالوا : من أهل اليمن ، قال : « من أىِّ اليمن ؟ » قالوا : من كِنْدَة ، قال « من أىِّ كِنْدة ؟ » قالوا : من بنى عمرو بن معاوية ، قال : « فهل لكم إلى خير ؟ » قالوا : وما هو ؟ قال : « تشهدون أنْ لا إله إلا الله ، وتقيمون الصلاة ، وتؤمنون بما جاء من عند الله » ، قال عبد الله بن الأجلح : وحدَّثنى أبى عن أشياخ قومه أنَّ كندة قالت له : إن ظفرتَ تجعلْ لنا الملك من بعدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الملك لله يجعله حيث يشاء » ، فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتنا به ، وقال الكلبى : فقالوا : أجئتنا لتصدَّنا عن آلهتنا وننابذ العرب ، إلحق بقومك فلا حاجة لنا بك ،

فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال : « ممَّن القوم ؟ » قالوا : من بكر ابن وائل ، قال : « من أىِّ بكر بن وائل ؟ » قالوا : من بنى قيس بن ثعلبـــة ، قال : « كيف العــــدد ؟ » قالوا : كثير مثل الثرى ، قال : « فكيف المنعة ؟ » فقالوا : لا مَنَعة ، جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نُجير عليهم ، قال : « فتجعلون لله عليكم إنْ هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتستنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدوه ثلاثا وثلاثين وتكبِّروه أربعاً وثلاثين» ، قالوا : ومن أنت ؟ قال : « أنا رسول الله » ثم انطلق فلمّا ولّى عنهم قال الكلبى : وكان عمّه أبو لهب يتبعه فيقول للناس : لا تقبلوا قوله ، ثم مرَّ أبو لهب فقالوا : هل تعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم هذا فى الذروة منا ، فعن أى شأنه تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا : زعم أنه « رسول الله » ، قال : ألاَ لاَ ترفعوا برأسه قولاً ، فإنَّه مجنون يهذى من أمِّ رأسه ، قالوا : قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر ، كذا فى البداية (٣ / ١٤٠) ،

عرضه عليه الصلاة والسلام الدعوة على قبائل بمنى

وأخرج ابن إسحاق عن ربيعة بن عبَّاد رضى الله عنه قال : إنى لغلام شاب مع أبى بمنى ، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : « يا بنى فلان ، إنى رسول الله إليكم ، آمركم أنْ تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى ، وتصدِّقوا بى ، وتمنعونى حتى أبَيِّن عن الله ما بعثنى به » ، قال : وخلفه رجل أحول وضىء ، له غديرتان [١] ، عليه حُلَّة عدنيّة [٢] ، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل :

---

(١) خصلتان من الشعر ، (٢) نسبة إلى عدن من بلاد اليمن ،

يا بنى فلان ، إنَّ هذا إنما يدعوكم إلى أنْ تسلخوا (١) اللاَّت والعُزَّى من أعناقكم ، وحلفاءَكم من الجن من بنى مالك بن أقَيْش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه . قال : فقلت لأبى : يا أبت ، من هذا الرجل الذى يتبعه ويردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العُزَّى بن عبد المطلب أبو لهب . كذا فى البداية (٣ / ١٣٨) . وأخرجه أيضاً عبد الله بن أحمد والطبرانى عن ربيعة بمعناه ، قال الهيثمى . (٦ / ٣٦) وفيه : حسين بن عبد الله بن عبيد الله وهو ضعيف ووثَّقه ابن مَعين فى رواية . انتهى . قلت : وفى رواية ابن إسحاق رجل لم يُسمَّ .

وأخرج الطبرانى عن مُدْرِك قال : حججت مع أبى ، فلما نزلنا منى إذا نحن بجماعة فقلت لأبى : ما هذه الجماعة ؟ قال : هذا الصابىء فإذا رسول الله ﷺ يقول : « يا أيُّها الناس ، قولوا : لا إله إلاَّ الله تفلحوا » قال الهيثمى (٦ / ٢١) : ورجاله ثقات .

وأخرج البخارى فى التاريخ أبو زُرعة والبغوى وابن أبى عاصم والطبرانى عن الحارث بن الحارث الغامدى رضى الله عنه قال : قلت لأبى ونحن بمنى : ما هذه الجماعة ؟ قال : هؤلاء اجتمعوا على صابىء لهم . قال : فتشرَّفتُ (٢) ، فإذا برسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله ، وهم يردون عليه الحديث . كذا فى الإصابة (١ / ٢٧٥) .

وأخرج الواقدى عن حسّان بن ثابت رضى الله عنه قال : حججت والنبى ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام وأصحابه يعذّبون ، فوقفت على عمرَ يعذب جارية بنى عمرو ابن المؤمَّل ، ثم ثبت على زِنِّيرة فيفعل بها ذلك ؛ كذا فى الإصابة (٤ / ٣١٢) .

عرضه عليه الصلاة والسلام الدعوة على بنى شَيْبان

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل (ص ٩٦) عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما أمر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ أنْ يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منىً حتى دَفَعْنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم — وكان أبو بكر مقدَّماً فى كل حين وكان رجلاً نسّابه — فقال : ممَّن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : وأىُّ ربيعة أنتم ؟ . . .

---

(١) أى تنقضوا العهد الذى بينكم وبين اللات والعزى فلا تعبدوهما وتنقضوا العهد الذى بينكم وبين ما تعبدونهم من الجن من بنى مالك بن اقيش . (٢) تطلعت من علو .

فذكر الحديث بطوله وفيه قال : ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينةُ والوقار ، وإذا مشايخُ لهم أقدار وهيئات ، فتقدَّم : أبو بكر فسلم – قال على : وكان مقدَّماً فى كل حين فقال لهم أبو بكر : ممَّن القوم : قالوا : نحن بنو شَيْبان بن ثعلبة ، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبى أنت وأمى ليس بعد هؤلاء من عزٍّ فى قومهم ، وكان فى القوم : مفروق بن عمرو ، وهانىء بن قَبيصة ، والمثنَّى بن حارثة ، والنعمان بن شَريك ، وكان أقرب القوم إلى أبى بكر مفروق بن عمرو ، وكان مفروق قد غلب عليهم بياناً ولساناً ، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبى بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال له : إنَّا لنزيد على الألف ولن يُغلب ألف من قلة ، قال : فكيف المنعَة فيكم ؟ قال : علينا الجُهد ولكل قوم جَدّ ، قال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوِّكم ؟ قال مفروق : إنَّا أشدُّ ما نكون غضباً حين نَلْقى ، وإنَّا أشدُّ ما نكون لقاءً إذا غضبنا ، وإنا لنؤثر الجياد[1] على الأولاد ، والسلاح على اللقَاح [2] ، والنصرُ من عند الله ، يُديلينا مرة ويُديل علينا مرة ؛ لعلك أخو قريش ؟ قال أبو بكر : إنْ كان بلغكم أنَّه رسول الله ﷺ ، فها هو ذا ، فقال مفروق : قد بلغنا أنَّهُ يذكر ذلك ،

ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فقال : إلامَ تدعو يا أخا قريش ؟ فتقدّم رسول الله ﷺ فجلس ، وقام أبو بكر يظلّله بثوبه ، فقال رسول الله ﷺ : « أدعوكم إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله وحده ، وأنى رسول الله ، وأنْ تؤونى ، وتمنعونى ، وتنصرونى حتى أؤدى عن الله تعالى ما أمرنى به ، فإنَّ قريشاً قد تظاهرت [3] على أمر الله ، وكذَّبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد » قال له : وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ **قُلْ تَعَالوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيكُمْ ، أَلاَّ تُشْرِكُوا بِه شَيْئاً ، وَبالوَالِدَيْن إِحْسَاناً** ﴾ – إلى قوله تعالى ﴿ **فَتَفرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه ، ذَلِكُمْ وصَّاكُمْ بِه لعَلَكُمْ تتَّقوَن** ﴾ [4] ،

فقال له مفروق : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل

---

(١) الجياد : الخيل السريعة ،

(٢) اللقاح جمع لقحة وهى الناقة الحلوب ،

(٣) تعاونت بعضها مع البعض على محاربة الله بتكذيب رسوله وصد النَّاس عن دعوته ،

(٤) سورة الأنعام الآيات : ١٥١ – ١٥٣ ،

الأرض ولو كان من كلامهم لعَرفناه ، فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ **إنَّ الله يأمُر بالعدل والإحسان** ﴾ – إلى قوله تعالى – ﴿ **لعلَّكم تذكَّرون** ﴾ (١) .

فقال له مفروق : دعوتَ – والله – يا قرشى إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك (٢) قوم كذَّبوك وظاهروا عليك .

وكأنه أحبَّ أنْ يَشركه فى الكلام هانىء بن قبيصة فقال : وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا . فقال له هانىء : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، وصدَّقت قولك ، وإنى أرى أنَّ تركَنا ديننا واتِّباعنا إياك على دينك لمجلس جلستَه إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر فى أمرك ، وننظر فى عاقبة ما تدعونا إليه – زلَّةٌ فى الرأى ، وطَيْشة فى العقل ، وقلة نظر فى العاقبة ، وإنَّما تكون الزَّلة مع العَجَلة ، وإنَّ مِنْ ورائنا قوماً نكره أنْ نعقد عليهم عقداً . ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر .

وكأنَّه أحب أنْ يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا . فقال المثنى . قد سمعت مقالتك ، واستحسنت قولك يا أخا قريش ، وأعجبنى ما تكلمت به ، والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة ، إنَّما نزلنا بين صيَرين (٣) : أحدهما اليمامة ، والأخرى السَّماوة .

فقال له رسول الله ﷺ « وما هذان الصَّيران ؟ » فقال له : أما أحدهما فطُفوف (٤) البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أنْ لا نُحدث حدثاً ، ولا نؤوى مُحدثا (٥) .

ولعلَّ هذا الأمر الذى تدعونا إليه ممَّا تكرهه الملوك ، فأمَّا ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وأما ما كان مما يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فإن أردت أن ننصرك مما يلى العرب فعلْنا .

فقال رسول الله ﷺ : « ما أسأتم الردّ إذْ أفصحتم بالصدق ، إنه لا يقوم بدين الله إلا مَنْ حاطه من جميع جوانبه » . ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يد أبى بكر ، ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ . قال على رضى الله عنه : وكان صدُقاً صُبُراً – رضوان الله عليهم أجمعين – . كذا فى

---

(١) سورة النحل الآية : ٩٠ . (٢) أفك : كذب .

(٣) الصير : هو الماء الذى يحضره القوم .

(٤) الطفوف : جمع طف وهو ما اشرف من الأرض .

(٥) المحدث : القاتل .

دلائل النبوة لأبى نُعيم . وقال فى البداية (٣ / ١٤٢) : رواه أبو نُعيم والحاكم والبيهقى ، والسيّاق لأبى نُعيم - فذكر الحديث وفيه بعد قوله : « إنّه لا يقوم بدين الله إلا مَنْ حاطه من جميع جوانبه » ثم قال رسول الله ﷺ : « أرأيتم ؟ إن لم تلبثوا إلاّ يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ، ويُفرشكم بناتهم ، أتسبّحون الله وتقدّسونه ؟ » فقال له النعمان بن شريك : اللّهمّ وإنّ ذلك لك يا أخا قريش ، فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ **إنّا أرسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبشّراً ونذيراً * ودَاعياً إلَى اللهِ بإذْنه وسَرِاجاً منُيراً** ﴾ [١] .

ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يدى أبى بكر رضى الله عنه . قال على رضى الله عنه : ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال : « يا علىٌّ أيّةُ أخلاقٍ للعرب كانت فى الجاهلية ، - ما أشرفها ؟! - بها يتحاجزون [٢] فى الحياة الدنيا » . قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ؛ فما نهضنا حتى بايعوا النبى ﷺ ؛ قال على : وكانوا صُدَقاء صُبَراء ، فسُرَّ رسول الله ﷺ من معرفة أبى بكر بأنسابهم . قال : فلم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم : « احمدوا الله كثيراً » فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس ، قتلوا ملوكهم ، واستباحوا عسكرهم ، وبى نُصروا » . قال ابن كثير فى البداية (٣ / ١٤٥) : هذا حديث غريب جداً ،كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق،ومكارم الشيم ، وفصاحة العرب .

وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنّهم لما تحاربوا هُمْ وفارس والتقَوْا معهم بقُراقر - مكان قريب من الفرات - جعلوا شعارهم اسم محمد ﷺ فُنصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك فى الإسلام . انتهى . وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٧ / ١٥٦) : أخرج الحاكم وأبو نُعيم والبيهقى فى الدلائل بإسناد حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما : حدثنى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فذكر شيئاً من هذا الحديث .

عرضه عليه الصلاة والسلام الدعوة على الأوس والخزرج

وأخرج أبو نُعيم فى الدلائل (ص ١٠٥) من طريق الواقدى عن إسحاق بن حباب عن يحيى بن يعلى قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوماً - وهو

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) يتحاجزون : يمنع بعضهم بعضاً من الاعتداء .

يذكر الأنصار وفضلهم وسابقتهم – ثم قال : إنّه ليس بمؤمن من لم يحبّ الأنصار ويعرف لهم حقوقهم ، هم – والله – ربّوا الإسلام كما يُربى الفَلُوُّ فى غنائهم بأسيافهم وطول ألسنتهم وسخاء أنفسهم ، لقد كان رسول الله ﷺ يخرج فى المواسم فيدعو القبائل ، ما أحدٌ من الناس يستجيب له ويقبل منه دعاءه ، فقد كان يأتى القبائل بمجنَّة وعُكاظ وبمنى حتى يستقبل القبائل يعود إليهم سنة بعد سنة ، حتى إنَّ القبائل منهم من قال : ما آنْ لك أن تيأس منا ؟ من طول ما يعرض نفسه عليهم ، حتى أراد الله عزَّ وجلَّ ما أراد بهذا الحىَّ من الأنصار فأعرض عليهم الإسلام ، فاستجابوا وأسرعوا وآوَوا ونصروا وواسوا – فجزاهم الله خيراً – قدمنا عليهم ، فنزلنا معهم فى منازلهم ، ولقد تشاحُّوا فينا ، حتى إن كانوا ليقترعون علينا ، ثم كنّا فى أموالهم أحقَّ بها منهم طيبة بذلك أنفسهم ؛ ثم بذلوا مهج أنفسهم دون نبيهم ﷺ وعليهم أجمعين .

وأخرج أبو نُعيم أيضاً فى الدلائل (ص ١٠٥) عن أمِّ سعد بنت سعد بن الربيع رضى الله عنهما قالت : أقام رسول الله ﷺ بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله عزّ وجلّ فيُؤذى ويُشتم ، حتى أراد الله عزّ وجلّ بهذا الحىَّ من الأنصار ما أرد من الكرامة، فانتهى رسول الله ﷺ إلى نفر ، منهم عند العقبة وهم يحلقون رؤوسهم ، قلت : من هم يا أمّة ؟ قالت : ستة نفر أو سبعة ، منهم من بنى النجار ثلاثة : أسعد بن زُرارة وابنا عفراء ، ولم تُسمِّ لى من بقى ، قالت : فجلس رسول الله ﷺ إليهم : فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، فقرأ عليهم القرآن ، فاستجابوا لله ولرسوله ، فوافَوا قابل وهى العقبة الأولى ؛ ثم كانت العقبة الآخرة ، قلت لأمّ سعد : وكم كان رسول الله ﷺ أقام بمكة ؟ قالت : أما سمعت قول أبى صِرْمَة قيسِ بن أبى أنس ؟ قلت : لا أدرى ما قال ، فأنشدنى قوله :

ثَوَى فى قريشٍ بِضْعَ عشْرَة حَجَّة يُذكِّرُ لو لاقَى صديقاً مواتيا

وذكر الأبيات كما سيأتى فى باب النُصرة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

وأخرج أبو نُعيم أيضاً فى الدلائل (ص ١٠٥) عن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه ، والزُّهرى رضى الله عنه قال : لّما اشتد المشركون على رسول الله ﷺ قال لعمّه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : « يا عم ، إنَّ الله عزّ وجلّ ناصر دينه بقوم يهون عليهم رَغْمُ قريش عزاً فى ذات الله تعالى ، فامضِ بى إلى عُكاظ ، فأرنى منازل أحياء العرب حتى أدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ، وأن يمنعونى ويؤونى حتى أبلّغ عن الله عزّ وجلّ ما أرسلنى به » ، قال : فقال العباس : يا ابن أخى ، امضِ إلى عُكاظ فأنا

ماضٍ معك حتى أدلّك على منازل الأحياء ، فبدأ رسول الله ﷺ بثَقيف ، ثم استقرى القبائل فى سنته ، فلما كان العام المقبل – وذلك – حين أمر الله تعالى أن يعلن الدعاء – لقي الستة نفرِ الخزرجيين والأوسيين : أسعد بن زُرارة ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وعبد الله بن رواحة ، وسعد بن الربيع ، والنعمان بن حارثة ، وعُبادة بن الصامت ، فلقيهم النبى ﷺ فى أيام مِنًى عند جَمرة العقَبَة ليلاً ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى عبادته ، والموازرة على دينه الذى بعث به أنبياءه ورسله ، فسألوه أنْ يَعرِض عليهم ما أُوحِي إليه ، فقرأ رسول الله ﷺ سورة إبراهيم : ﴿ وإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ اجعلْ هَذا البَلَدَ آمِناً ﴾ إلى آخر السورة – فرقّ القوم وأخبتوا (١) حين سمعوا وأجابوه .

فمرّ العباس بن عبد المطلب وهو يكلّمهم ويكلّمونه ، فعرف صوت النبى ﷺ فقال : ابن أخى ، من هؤلاء الذين عندك ؟ قال : يا عمّ ، سكان يثرب : الأوس والخزرج قد دعوتهم ما دعوت إليه مَنْ قبلَهم من الأحياء فأجابونى وصدقونى ، وذكروا أنَّهم يخرجوننى إلى بلادهم ، فنزل العباس بن عبد المطلب وعقل راحلته ثم قال لهم : يا معشر الأوس والخزرج ، هذا ابن أخى ، وهو أحبُّ الناس إلىّ ، فإن كنتم صدَّقتموه وآمنتم به وأردتم إخراجه معكم فإنى أريد أن آخذ عليكم موثقاً تطمئنُ به نفسى ولا تخذلوه ولا تغرّوه ؛ فإنَّ جيرانكم اليهودُ ، واليهودُ له عدّو ، ولا آمن مكرهم عليه ، فقال أسعد بن زرارة – وشقّ عليه قول العباس حين اتّهم عليه سعداً وأصحابه – قال : يا رسول الله ، ائذن لنا فلنجبْهُ غير مُخْشنين بصدرك ولا متعرِّضين لشىء مما تكره إلا تصديقاً لإجابتنا إياك ، وإيماناً بك ، فقال رسول الله ﷺ : « أجيبوه غيرَ متَّهمين » ، فقال أسعد بن زُرارة – وأقبل على رسول الله ﷺ بوجهه – فقال : يا رسول الله ؟ إنَّ لكل دعوة سبيلاً ، إنْ لينٌ وإنْ شدةٌ ، وقد دعوتَ اليوم إلى دعوة متجهِّمة للناس متوعِّرة عليهم ، دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك على دينك وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك ، ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار والأرحام القريب والبعيد وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك ، ودعوتنا ونحن جماعة فى دار عز ومَنَعَة لا يطمع فيها أحد أن يرأس علينا رجل من غيرنا قد أفرده قومه وأسلمه (٢) أعمامه وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك ، وكل هؤلاء الرتب مكروهة عند الناس إلاّ من عزم الله على رشده والتمس الخير فى عواقبها وقد

---

(١) خشعوا . (٢) أى فارقوه واعتزلوه .

أجبناك إلى ذلك بألسنتنا وصدورنا ، وأيدينا ، إيماناً بما جئت به ، وتصديقاً بمعرفة ثبتت فى قلوبنا ، نبايعك على ذلك ونبايع ربّنا وربّك ، يد الله فوق أيدينا ، ودماؤنا دون دمك ، وأيدينا دون يدك ، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا ، فإنْ نفى بذلك فلله نَفى وإن نغدر فبالله نغدر ونحن به أشقياء ، هذا الصدق منا يا رسول الله : والله المستعان ،

ثم أقبل على العباس بن عبد المطلب بوجهه فقال : وأما أنت أيُّها المعترض لنا بالقول دون النبى ﷺ - والله أعلم ما أردت بذلك ؟ - ذكرت أنّه ابنُ أخيك وأحبُّ الناس إليك ، فنحن قد قطعنا القريب إلينا والبعيد وذا الرحم ، ونشهد أنه رسول الله الله أرسله من عنده ، ليس بكذاب ، وأنَّ ما جاء به لا يشبه كلام البشر ، وأما ما ذكرت أنَّك لا تطمئن إلينا فى أمره حتى تأخذ مواثيقنا فهذه خصلة لا نردّها على أحد أرادها لرسول الله ﷺ ، فخذ ما شئت ، ثم التفت إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، خذ لنفسك ما شئت ، واشترط لربك ما شئت ، فذكر الحديث بطوله فى بَيْعهم ،

وستأتى أحاديث البَيْعة فى البيعة على النُّصْرة ، وأحاديث الباب فى باب النُّصْرة فى ابتداء أمر الأنصار إن شاء الله تعالى ،

عرضه ﷺ الدعوة فى السوق

أخرج أحمد عن ربيعة بن عبّاد من بنى الدِّيل - وكان جاهلياً فأسلم - قال : رأيت رسول الله ﷺ فى الجاهلية فى سوق ذى المَجاز وهو يقول : « يا أيُّها الناس ، قولوا ، لا إله إلا الله تفلحوا » ، والناس مجتمعون عليه ، وراءه رجل وضىء الوجه أحول ، ذو غديرتين يقول : إنَّه صابىء كاذب ، يتّبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمُّه أبو لهب ، وأخرجه البيهقى بنحوه كذا فى البداية (٣ / ٤١) وقال الهيثمى (٦ / ٢٢) : رواه أحمد وابنه والطبرانى فى الكبير بنحوه والأوسط باختصار بأسانيد ، وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات الرجل ، انتهى ، وعَزَاه الحافظ فى الفتح (٧ / ١٥٦) إلى البيهقى وأحمد ، وقال : صحَّحه ابن حبان ، انتهى ، قال الهيثمى (٦ / ٢٢) : وفى رواية : ورسول الله ﷺ يفرّ منه وهو يتبعه ، وفى رواية :والناس منقصفون (١) عليه ، فما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت ، انتهى ، وقد تقدم له طريق فى عرضه ﷺ الدعوة على القبائل ،

---

(١) منقصفون : أى متتابعون ومتزاحمون حتى يقصف بعضهم بعضاً من القصف وهو الكسر والدفع الشديد لفرط الزحام ،

وأخرج الطبرانى عن طارق بن عبد الله قال : إنّى بسوق ذى المجاز إذْ مرّ رجل شاب عليه حُلَّة من برد أحمر وهو يقول : « يا أيها الناس ، قولوا : لا إله إلا الله تُفلحوا » ورجل خلفه قد أدمى عرقوبيه وساقيه يقول : يا أيُّها الناس ، إنَّه كذاب فلا تطيعوه . فقلت : من هذا ؟ قال : غلام بنى هاشم الذى يزعم أنَّه « رسول الله » وهذا عمه عبد العُزّى . فذكر الحديث . قال الهيثمى (٦ / ٢٣) وفيه : أبو حباب الكلبى وهو مدلّس ، وقد وثّقه ابن حبَّان ، وبقية رجاله رجال الصحيح . انتهى .

وأخرج أحمد عن رجل من بنى مالك بن كنانة قال : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذى المجاز يتخلَّلها يقول : « يا أيها الناس ، قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا » . قال : وأبو جهل يَحثى عليه التراب ويقول : لا يُغوينَّكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللاَّت والعزَّى ؛ وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ . قلت : انْعَتْ لنا رسول الله ﷺ .

قال : بين بُردين أحمرين ، مربوعٌ ، كثير اللحم ، حسن الوجه ، شديد سواد الشَّعر ، أبيض شديد البياض ، سابغ [١] الشَّعَر . قال الهيثمى (٦ / ٢١) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . انتهى . وأخرجه البيهقى أيضاً بمعناه إلا أنه لم يذكر نعته ﷺ كما فى البداية (٣ / ١٣٩) ، وقال: كذا قال فى هذا السياق أبو جهل . وقد يكون وهماً ، ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا وتارة يكون ذا ، وأنهما كانا يتناوبان على أذاته ﷺ . انتهى . وقد تقدَّم عرضه ﷺ الدعوة فى سوق عكاظ فى عرضه الدعوة على القبائل .

عرضه ﷺ الدعوة على عشيرته الأقربين

ما قاله عليه الصلاة والسلام لفاطمة وصفيّة وغيرهما

وأخرج أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت : لَما نزلت : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [٢] ، قام رسول الله ﷺ فقال : « يا فاطمة ابنة محمد ، يا صفية ابنة عبد المطلب يا بنى عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلونى من مالي ما شئتم » انفرد بإخراجه مسلم .

جمعه عليه الصلاة والسلام عشيرته وأهل بيته على الطعام للدعوة إلى الله

وأخرج أحمد أيضاً عن على رضى الله عنه قال : لَما نزلت هذه الآية :﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ جمع النبى ﷺ من أهل بيته فاجتمع ثلاثون ، فأكلوا وشربوا

---

(١) سابغ الشعر : أى مسترسل الشعر . (٢) سورة الشعراء الآية : ٢١٤ .

قال : وقال لهم : « من يضمن عنى دَيْنى ومواعيدى ، ويكون معى فى الجنة ، يكون خليفتى فى أهلى ؟ » فقال رجل : يا رسول الله ، أنت كنت بحراً من يقوم بهذا ؟ قال : ثم قال الآخر – ثلاثاً – قال : فعرض ذلك على أهل بيته ، فقال على رضى الله عنه : أنا .

وأخرج أحمد أيضاً عن على رضى الله عنه قال : جمع رسول الله ﷺ – أو دعا رسول الله ﷺ – بنى عبد المطلب وهم رَهْط ، وكلُّهم يأكل الجَذَعة ويشرب الفَرَق . فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو كأنه لم يُمسّ . ثم دعا بغُمَر (١) فشربوا حتى رَوُوا وبقي الشراب كأنه لم يُمسّ أو لم يُشرب ، وقال : « يا بنى عبد المطلب ، إنى بُعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامّة فقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم ، فأيُّكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ؟ » فلم يقم إليه أحد . قال : فقمت إليه – وكنت أصغر القوم – قال : فقال : اجلس ثم قال – ثلاث مرات – : كل ذلك أقوم إليه فيقول : اجلس ، حتى كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى . كذا فى التفسير لابن كثير (٣ / ٣٥٠) .

وأخرج البزّار عن على رضى الله عنه قال : لّما نزلت ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ قال رسول الله ﷺ : « يا على ، اصنع رِجْل شاة بصاع من طعام ، واجمع لى بنى هاشم » – وهم يومئذ أربعون رجلاً ، أو أربعون غير رجل – قال : فدعا رسول الله ﷺ بالطعام ، فوضعه بينهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، وإنَّ منهم من يأكل الجذعة بإدامها ؛ ثم تناول القدح فشربوا منه حتى رَوُوا – يعنى من اللَّبن – ، فقال بعضهم : ما رأينا كالسِّحر – يروون أنه أبو لهب الذى قاله – فقال : « يا على ، اصنع رجل شاة بصاع من طعام ، وأعدد قَعْبًا من لبن . قال : ففعلت . فأكلوا كما أكلوا فى اليوم الأول ، وشربوا كما شربوا فى المرة الأولى ، وفضل كما فضل فى المرة الأولى . فقال : ما رأينا كاليوم فى السحر . فقال : « يا على ، اصنع رجل شاة بصاع من طعام ، وأعدد قعبًا من لبن » ففعلت . فقال : « يا على اجمع لى بنى هاشم » ، فجمعتهم فأكلوا وشربوا ، فبدرهم رسول الله ﷺ فقال :«أيكم يقضى عنى دَيْنى ؟ » قال : فسكتُّ وسكت القوم . فأعاد رسول الله ﷺ المنطق، فقلت : أنا يا رسول الله ، فقال : « أنت يا على ، أنت يا على !! » قال الهيثمى (٨ / ٣٠٢) : رواه البزَّار واللفظ له ؛ وأحمد باختصار ، والطبرانى فى الأوسط باختصار أيضًا ، ورجال أحمد وأحد إسنادى البزّار رجال الصحيح غير شَرِيك ، وهو ثقة . انتهى .

(١) الغمر هو القدح الصغير .

وأخرجه أيضًا ابن أبى حاتم بمعناه وفى حديثه : فقال : « أيُّكم يقضى عنى دَيْنى ، ويكون خليفتى فى أهلى ؟ » قال : فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط[1] ذلك بماله ، قال : وسكتُّ أنا لسنِّ[2] العباس ، ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس ، فلَّما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله ، قال : وإنّى يومئذ لأسوأهم هيئة ، وإنى لأعمش العينين ، ضخم البطن ، خَمْش الساقين ، كذا فى التفسير لابن كثير (٣ / ٣٥١) . وأخرجه البيهقى فى الدلائل وابن جرير بابسط من هذا السياق بزيادات أخر بإسناد ضعيف ، كما فى التفسير لابن كثير (٣ / ٣٥٠) ؛ والبداية (٣ / ٣٩) . وقد تقدّم الحديث بسياق آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما فى عرض الدعوة على المجامع (ص ٩٠) .

عرضه ﷺ الدعوة فى السفر

دعوته عليه الصلاة والسلام فى سفر الهجرة

أخرج أحمد (٤ / ٧٤) عن ابن سعد رضى الله عنهما وسعد الذى دل رسول الله ﷺ على طريق رَكوبة . قال ابن سعد : حدّثنى أبى أنّ رسول الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر رضى الله عنه . وكانت لأبى بكر عندنا بنت مسترضعة[3] ، وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار فى الطريق إلى المدينة . فقال له سعد : هذا الغائر من رَكوبة وبه لصّان من أسلَم يقال لهما : المُهانان ، فإن شئت أخذنا عليهما ، فقال رسول الله ﷺ ، « خُذْ بنا عليهما » ، قال سعد : فخرجنا حتى أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه : هذا اليمانى : فدعاهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام ، فأسلما ، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا : نحن المهانان . فقال : « بل أنتما المكرمان » وأمرهما أن يقدَما عليه المدينة ، فذكر الحديث ، قال الهيثمى : (٦ / ٥٨) : رواه عبد الله بن أحمد ، وابن سعد اسمه : عبد الله ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

دعوته عليه الصلاة والسلام للأعرابى فى سفر

وأخرج الحاكم أبو عبد الله النَّيْسابورى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فاقبل أعرابى ، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ : « أين

(١) أى أن يستغرق دينه ما معه من مال وكان رجلاً شحيحًا .

(٢) أى من أجل كبر سنه .

(٣) ترضعها امرأة منا فإن العرب كانوا يرسلون أبناءهم إلى قبائل غير قبائلهم ليسترضعوا فيها .

تريد ؟ » قال : إلى أهـلى ، قال : « هـل لك إلى خير ؟ » قال : مـا هـو ؟ قال : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله » قال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال : « هذه الشجرة » فدعاها رسول الله ﷺ وهى على شاطىء الوادى ، فأقبلت تخُدّ (١) الأرض خدًّا فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثًا فشهدت أنه كما قال ، ثم أنها رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابى إلى قومه فقال : إن يتّبعونى أتيتك بهم وإلاّ رجعت إليك وكنت معك ، وهذا إسناد جيّد ولم يُخرِّجوه ولا رواه الإمام أحمد ، كذا فى البداية (٦ / ١٢٥) ، وقال الهيثمى (٨ / ٢٩٢) :رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يَعْلى أيضًا والبزار ، انتهى .

دعوته عليه الصلاة والسلام لبُريدة بن الحُصيب ومن معه فى سفر الهجرة

وأخرج ابن سعد (٤ / ٢٤٢) عن عاصم الأسلمى قال : لّما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة فانتهى إلى الغَميم أتاه بُرَيْدة بن الحُصَيْب ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم هو ومن معه - وكانوا زُهاء ثمانين بيتًا . ، فصلّى رسول الله ﷺ العشاء فصلّوا خلفه .

مشيه ﷺ على القدمين للدعوة

خروجه عليه الصلاة والسلام ماشيًا إلى الطائف

أخرج الطبرانى عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال : لّما توفى أبو طالب خرج النبى ﷺ إلى الطائف ماشيًا على قدميه يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، فانصرف ، فأتى ظلّ شجرة فصلّى ركعتين ثم قال : « اللّهم إنّى أشكو إليك ضعف قوتى ، وهوانى على الناس ، أرحم الراحمين ، أنت أرحم الراحمين ، إلى مَنْ تكلنى؟ إلى عدو يتجهمنى أم إلىَ قريب ملّكته أمرى ؟ إن لم تكن غضبان علىّ فلا أبالى ، غير أن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بوجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصَلُح عليه أمر الدنيا والآخرة - أن ينزل بى غضبُك ، أو يحل بى سخطك ، لك العُتبى (٢) حتى ترضى ولا قوة إلا بالله » قال الهيثمى (٦ / ٣٥) وفيه : ابن إسحاق وهو مدلّس ثقة ، وبقية رجاله ثقات ، انتهى ، وسيأتى الحديث من طريق الزهرى ، وغيره مطولاً فى تحمّل الشدائد والأذايا فى الدعوة إلى الله .

---

(١) تشقها شقًا .

(٢) أصل العتبى رجوع المستعتب بكسر التاء إلى محبة صاحبه والعتبى أيضًا الرضا يقال أعتبه أعطاه العتبى ورجع إلى مسرته .

الدعوة إلى الله تعالى فى القتال

ما قاتل عليه الصلاة والسلام قومًا حتى دعاهم

أخرج عبد الرازق عن ابن عباس رضى الله عنهما : ما قاتل رسول الله ﷺ قومًا حتى دعاهم ، وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه ؛ ورواه أحمد فى مسنده ، والطبرانى فى معجمه ، كذا فى نصب الراية (٢ / ٢٧٨) ، وقال الهيثمى (٥ / ٣٠٤) : رواه أحمد وأبو يَعْلى والطبرانى بأسانيد ، ورجال أحدها رجال الصحيح ، انتهى ، وأخرجه أيضًا ابن النجار كما فى كنز العمال (٢ / ٢٩٨) ؛ والبيهقى فى سننه (٩ / ١٠٧) .

أمره عليه الصلاة والسلام البعوث بتأليف الناس ودعوتهم

وأخرج ابن مَنْده وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عائذ رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث بَعْثًا قال : « تألّفوا الناس ولا تُغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل بيت مَدَر ولا وَبَر إلاّ تاتونى بهم مسلمين أحبّ إلىّ من أن تاتونى بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم » ، كذا فى الكنز (٢ / ٢٩٤) ، وأخرجه أيضًا ابن شاهين والبغوى كما فى الإصابة (٣/١٥٢) ، والترمذى (١ / ١٩٥) .

أمره عليه الصلاة والسلام أمير السرية بالدعوة

وأخرج أبو داود (ص ٣٥٨) واللفظ له ، ومسلم (٢ / ٨٢) وابن ماجة (ص ٢١٠) والبيهقى (٩ / ١٨٤) عن بُرَيدة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرًا على سَريّة أو جيش أوصاه بتقوى الله فى خاصّة نفسه وبمن معه من المسلمين خيرًا ، وقال : « إذا لقيت عدوَّك من المشركين فادعهم إلى أحد ثلاث خصال - أو خلال - فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم : ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أنَّ لهم ما للمهاجرين ، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنَّهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى كان يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الفىء [1] والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن أجابوا فاقبل منهم

(١) الفىء هو ما أخذ من العدو من غير قتال والغنيمة ما أخذ من العدو بالقتال .

وكف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم ، فإنَّكم لا تدرون ما يحكم الله فيهم ، ولكن أنزلوهم على حكمكم ثم اقضوا فيهم بعدُ ما شئتم » . قال الترمذى : حديث بريدة حديث حسن صحيح . وأخرجه أيضًا أحمد والشافعى والدارمى والطحاوى وابن حبّان وابن الجارود وابن أبى شيبة وغيرهم كما فى كنز العمال (٢ / ٢٩٧) .

أمره عليه الصلاة والسلام عليًا بأن لا يقاتل قومًا حتى يدعوهم إلى الإسلام

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى قوم يقاتلهم ، ثم بعث إليه رجلاً فقال : « لا تدعه من خلفه وقل له : لا تقاتلهم حتى تدعوهم » . قال الهيثمى (٥ / ٣٠٥) : رجال الصحيح غير عثمان ابن يحيى القرقسانى وهو ثقة أ.هـ .

وأخرج ابن راهَوية عن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ بعثه وجهًا [١] ثم قال لرجل : « الحق ولا تَدْعُه من خلفه ، فقل : إن النبى ﷺ يأمرك أن تنتظره ؛ وقل له : لا تقاتل قومًا حتى تدعوهم » . كذا فى كنز العمال (٢ / ٢٩٧) . وعند عبد الرازق عن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال له حين بعثه : « لا تقاتل قومًا حتى تدعوهم » ؛ كذا فى نصب الراية (٢ / ٣٧٨) . وقد تقدَّم (ص ٦٢) فى حديث سهل بن سعد رضى الله عنه عند البخارى وغيره أن النبى ﷺ قال لعلى رضى الله عنه يوم خيبر : « انفُذ على رِسْلِك [٢] حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى فيه ، فوالله ، لأن يهدىَ الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم » .

أمره عليه الصلاة والسلام فروة القطيعى بالدعوة فى القتال

وأخرج ابن سعد وأحمد وأبو داود والترمذى (٢ / ١٥٤) وحسَّنه ، والطبرانى والحاكم عن فروة بن مُسَيك القطيعى رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله، ألا أقاتل من أدبر من قومى بمن أقبل منهم؟ فقال: « بلى » ؛ ثم بدا لى فقلت : يا رسول الله ، لا ، بل هم أهل سبأ ، هم أعزُّ وأشدُّ قوة . فأمرنى رسول الله ﷺ وأذن لى فى قتال سبأ . فلما خرجت من عنده أنزل الله فى سبأ ما

---

(١) أى إلى ناحية من النواحى .	(٢) أى على مهلك .

أنزل . فقال رسول الله ﷺ : « ما فعل القطيعي ؟ » فأرسل إلى منزلي فوجدني قد سرت فردّني . فلما أتيت رسول الله ﷺ وجدته قاعداً وحوله أصحابه فقال : « ادعُ القوم ، فمن أجاب منهم فأقبل ومن أبى فلا تعجل عليه حتى يُحدَث إليّ » فقال رجل من القوم يا رسول الله ، ما سبأ أرض أو امرأة ؟ قال : « ليست بأرض ولا أمرأة ، ولكن رجل ولد عشرة من العرب . فأما ستة فتيامنوا وأما أربعة فتشاءموا فأما الذين تشاءموا : فلَخْم ، وجُذام ، وغسّان ، وعاملة ، وأما الذين تيامنوا : فالأزْد ، وكنْدة ، وحِمْيَر ، والأشعريون ، والأنْمار ، ومَذْحِج » فقال : يا رسول الله ، وما أنمار ؟ قال : « هم الذين منهم : خَثْعَم ، وبَجيلة » . كذا في كنز العمال (١ / ٢٦٠) .

وعند أحمد أيضاً وعبد بن حُمَيد عن فروة رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أقاتل بمُقبل قومي مُدبرهم ؟ قال رسول الله ﷺ : « نعم ، فقاتلْ بمقبل قومك مدبرهم » ، فلما ولّيت دعاني فقال : لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام » فقلت : يا رسول الله ، أرأيت بسبأ ؟ أوادٍ هو أم جبل أو ما هو ؟ قال : « لا ، بل هو رجل من العرب وُلد له عشرة » — فذكر الحديث . . وهذا إسناد حسن وإن كان فيه أبو حباب الكلبي وقد تكلّموا فيه ، لكن رواه ابن جرير عن أبي كريب عن العبقري عن أسباط — ابن نصر عن يحيى بن هانيء المرادي عن عمه أو عن أبيه — شك أسباط — قال : قدم فروة بن مُسَيك على رسول الله ﷺ فذكره ، كذا في التفسير لابن كثير (٣ / ٥٣١) .

أمره عليه الصلاة والسلام خالد بن سعيد بالدعوة حين بعثه إلى اليمن

وأخرج الطبراني عن خالد بن سعيد رضى الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقال : « من لقيت من العرب فسمعت فيهم الأذان فلا تعرِض لهم ، ومن لم تسمع فيهم الأذان فادعهُم إلى الإسلام » . قال الهيثمي (٥ / ٣٠٧) وفيه : يحيى بن عبد الحميد الحمّاني وهو ضعيف .

ردّه عليه الصلاة والسلام الذين سبوا في القتال بغير الدعوة إلى مأمنهم

وأخرج البيهقي (٩ / ١٠٧) عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : أُتيَ رسول الله ﷺ بأسارى من اللاّت والعزّى ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « هل دعوتموهم إلى الإسلام ؟ » فقالوا : لا . فقال لهم : « هل دعوكم إلى الإسلام ؟ » فقالوا : لا . قال : « خلّوا سبيلهم حتى يبلغو مأمنهم » ثم قرأ رسول الله ﷺ هاتين الآيتين : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (١)

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان : ٤٦ ، ٤٧ .

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾(١)، إلى آخر الآية . قال البيهقي : رَوْح بن مسافر ضعيف . وعند الحارث من طريق الواقدي كما في الكنز (٢ / ٢٩٧) ، قال : بعث النبي ﷺ إلى اللاَّت والعزَّى بَعْثًا ، فأغاروا على حيٍّ من العرب فسَبوا مقاتلتهم وذريتهم ، فقالوا يا رسول الله أغاروا علينا بغير دُعَاء ، فسأل النبي ﷺ أهـل السَّرِيَّة فصدَّقوهم . قال النبي ﷺ :« ردّوهم إلى مأمنهم ثم ادعوهم » .

إرساله ﷺ الأفراد للدعوة إلى الله وإلى رسوله

بعثه عليه الصلاة والسلام مصعبًا إلى المدينة

أخرج أبو نعيم في الحلية (١ / ١٠٧) عن عُروة بن الزبير رضي الله عنهما : أنَّ الأنصار لما سمعوا من رسول الله ﷺ قوله ، وأيقنوا واطمأنَّت أنفسهم إلى دعوته ، فصدَّقوه وآمنوا به — كانوا من أسباب الخير ، وواعدوه الموسم من العام القابل فرجعوا إلى قومهم - بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا رجلاً من قِبَلك ، فيدعو الناس إلى كتاب الله فإنه أدنى أن يُتبع . فبعث إليهم رسول الله ﷺ مُصْعَب بن عُمير رضي الله عنه أخا بني عبد الدار ، فنزل في بني غَنْم على أسعد بن زُرارة يحدّثهم ويقص عليهم القرآن . فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ يدعو ويهدي الله على يديه حتى قلّ دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس ولا محالة ، وأسلم أشرافهم ، وأسلم عمرو ابن الجَموح ، وكُسرت أصنامهم . ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ وكان يُدعى المُقرىء .

وأخرجه الطبراني عن عروة رضي الله عنه مطوّلاً ، فذكر عرضه ﷺ الدعوة على الأنصار كما سيأتي في ابتداء أمر الأنصار — رضي الله عنهم — وفيه : فرجعوا إلى قومهم فدعَوْهم سرًّا ، وأخبروهم برسول الله ﷺ والذي بعثه الله به (ودعا إليه بالقرآن) حتى قلّ دار من دور الأنصار إلاَّ أسلم فيها ناس لا محالة . ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا رجلاً من قِبَلك ، فيدعو الناس بكتاب الله ، فإنَّه أدنى أن يُتبع ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مُصْعَب بن عمير أخا بني عبد الدار . فنزل في بني غَنْم على أسعد بن زرارة ، فجعل يدعو الناس ، ويفشو الإسلام ، ويكثر أهله ، وهم في ذلك مستخْفون ، بدعائهم . ثم ذكر دعوة مصعب لسعد بن معاذ وإسلامه وإسلام بني عبد الأشهل كما سيأتي في دعوة مصعب . ثم قال : ثم إنَّ بني النجار

(١) سورة الأنعام الآية : ١٩ .

أخرجوا مصعب بن عمير واشتدوا على أسعد بن زرارة ، فانتقل مصعب بن عمير إلى سعد بن معاذ ، فلم يزل يدعو ويهدى (الله) على يديه حتى قلّ دار من دور الأنصار إلاّ أسلم فيها ناس لا محالة ، وأسلم أشرافهم ؛ وأسلم عمرو بن الجموح ، وكُسرت أصنامهم . فكان المسلمون أعزّ أهلها ، وصلح أمرهم . ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ وكان يُدعى المُقرئ . قال الهيثمى (٦ / ٤٢) وفيه : ابن لَهيعة وفيه ضعف ، وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات . انتهى .

وهكذا أخرجه أبو نُعيم فى الدلائل (ص ١٠٨) بطوله ، وقد أخرجه أبو نُعيم فى الحلية (١ / ١٠٧) عن الزُّهرى بمعنى حديث عروة عنده مختصراً ، وفى حديثه : أنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ مُعاذ بن عَفْراء ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلاً من قبَلَكَ فليدُع الناس بكتاب الله ، فإنه قَمِنٌ - أى حقيق - أن يُتبع . فبعث إليهم رسولَ الله ﷺ مصعب بن عمير رضى الله عنه - فذكر مثله .

بعثه عليه الصلاة والسلام أبا أمامة إلى قومه باهلة

وأخرج الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى قومى أدعوهم إلى الله عزّ وجلْ ، وأعرض عليهم شرائع الإسلام ، فأتيتهم وقد سقَوا إبلهم وحلبوها وشربوا ، فلما رأونى قالوا : مرحبًا بالصُّدَىّ ابن عَجْلان . قالوا : بلغنا أنك صبوت إلى هذا الرجل . قلت : لا ، ولكن آمنت بالله ورسوله ، وبعثنى رسول الله ﷺ إليكم أعرض عليكم الإسلام وشرائعه . فبينا نحن كذلك إذ جاؤوا بقصعتهم فوضعوها واجتمعوا حولها فاكلوا بها . قالوا : هَلُمَّ يا صُدىّ ، قلت ويحكم !! إنما أتيتكم من عند من يُحرِّم هذا عليكم إلا ما ذكّيتم كما أنزل الله . قالوا : وما قال ؟ قلت : نزلت هذه الآية ﴿ حُرِّمت عَلَيكُمُ المَيْتةُ وَالدَّمُ ولَحْمُ الخِنزير ﴾ - إلى قوله - ﴿ وأن تَسْتَقْسِمُوا بِالأزْلاَمِ ﴾[1] ، فجعلت أدعوهم إلى الإسلام ويأبَون . قلت لهم : ويحكم ، إيتونى بشَرْبة من ماء فإنّى شديد العطش ، قال : وعَلَىَّ عمامةٌ . قالوا : لا . ولكن ندعك تموت عطشًا . قال : فاعتممت وضربت برأسى فى العمامة ونمت فى الرمضاء فى حرٍّ شديد ، فأتانى آتٍ فى منامى بقدح زجاج لم يَرَ الناس أحسن منه ، وفيه شراب لم يَرَ الناس آلف[2] منه ، فامكننى منها فشربتها ، فحيث فرغت من شرابى استيقظت ، ولا والله ما عطشت ولا عرفت عطشًا بعد تيك الشربة . قال الهيثمى (٩ / ٣٨٧) وفيه : بشير بن شريح

---

(١) سورة المائدة الآية : ٣ .   (٢) أطعم وأوفق .

وهو ضعيف أ . هـ وأخرجه ابن عساكر أيضًا بطوله مثله كما فى كنز العمال (٧ / ٩٤٥) ، وأخرجه أبو يعلى مختصراً وزاد فى آخره : ثم قال لهم رجل منهم : أتاكم رجل من سَرَاة [١] قومكم فلم تتحفوه [٢] ؟ فأتونى بلبن ، فقلت : لا حاجة لى به ، وأريتهم بطنى فأسلموا عن آخرهم . ورواه البيهقى فى الدلائل وزاد فيه : أنه أرسله إلى قومه باهلة ، كذا فى الإصابة (٢ / ١٨٢) . وأخرجه الطبرانى بإسنادين ، وإسناد الأولى حسن ، فيها : أبو غالب وقد وُثِّق – انتهى . وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٣ / ٦٤١) . وقال الذهبى : وصدقه ضعَّفه ابن مَعين .

بعثه عليه الصلاة والسلام رجلاً إلى بنى سعد

وأخرج ابن أبى عاصم عن الأحنف بن قيس رضى الله عنه قال : بينما أنا أطوف بالبيت فى زمن عثمان رضى الله عنه إذ أخذ رجل من بنى ليث بيدى ، فقال : ألا أبشِّرك ؟ قلت : بلى . قال : أتذكر إذ بعثنى رسول الله ﷺ إلى قومك فجعلت أعرض عليهم الإسلام وأدعوهم إليه فقلتَ أنت : إنك لتدعونا إلى خير وتأمر به ، وإنه ليدعو إلى الخير ؟ فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « اللهم اغفر للأحنف » . فكان الأحنف يقول : فما شىء من عملى أرْجَى عندى من ذلك – يعنى دعوة النبى ﷺ . تفرَّد به على بن زيد وفيه ضعف ، كذا فى الإصابة (١ / ١٠٠) وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٦١٤) بنحوه .

وأخرجه أيضًا أحمد والطبرانى وفى حديثهما : إذ بعثنى رسول الله ﷺ إلى قومك من بنى سعد أدعوهم إلى الإسلام فقلتَ : والله ، ما قال إلاَّ خيراً . – أو لا أسمع إلاَّ حسنًا – فإنى رجعت وأخبرت النبى ﷺ مقالتك ، فقال : « اللَّهم اغفر للأحنف » . قال : فما أنا لشىء أرْجَى منى لها . قال الهيثمى (١٠ / ٢) : رجال أحمد رجال الصحيح غير على بن زيد وهو حسن الحديث .

بعثه عليه الصلاة والسلام رجلاً إلى رجل من عظماء الجاهلية

وأخرج أبو يَعْلَى عن أنس رضى الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى ، فقال : إيش [٣] ربُّك الذى تدعونى ؟ من حديد هو ؟ من نحاس هو ؟ من فضّة هو ؟ من ذهب هو ؟

---

(١) سراة : أشراف .

(٢) فلم تقدموا إليه تحفة يعنى هدية من طعام ونحوه تكرمونه بها .

(٣) ايش : أى أى شىء ربك هذا .

فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأعاده النبي ﷺ الثانية ، فقال مثل ذلك ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأرسله إليه الثالثة ، فقال مثل ذلك ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى قد أنزل على صاحبك صاعقة فأحرقته » فنزلت هذه الآية : ﴿ **وَيُرسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِى اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ** ﴾ [١] ، قال الهيثمى (٧ / ٤٢) : رواه أبو يعلى والبزَّار بنحوه إلاَّ أنه قال : إلى رجل من فراعنة العرب ، وقال الصحابى فيه : يا رسول الله ، إنَّه أعتى من ذلك ، وقال : فرجع إليه الثالثة ، قال : فأعاد عليه ذلك الكلام ، فبينا هو يكلمه إذ بعث الله سحابةً حيَالَ رأسه ، فرعدت ، فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، وبنحو هذا رواه الطبرانى فى الأوسط ، وقال : فرعدت وأبرقت ، ورجال البزَّار رجال الصحيح ، غير ديلم بن غزوان وهو ثقة ، وفى رجال أبى يَعْلَى والطبرانى : على بن أبى شارة ، وهو ضعيف - انتهى ، وقد تقدّم حديث خالد بن سعيد رضى الله عنه قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقال : من لقيت من العرب فسمعت فيهم الأذان فلا تعرض لهم ، ومن لم تسمع فيهم الأذان فادعهُم إلى الإسلام - فى الدعوة إلى الله تعالى فى القتال ، وسيأتى بَعْثُه ﷺ عمرو بن مرّة الجُهَنى إلى قومه .

إرساله ﷺ السرايا للدعوة إلى الله تعالى

بعثه عليه السلام عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل للدعوة

أخرج الدارقطنى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : دعا النبى ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، فقال : « تجهَّز فإنّى باعثك فى سرّية » - فذكر الحديث ، وفيه : فخرج عبد الرحمن حتى لحق بأصحابه فسار حتى قدم دومة الجندل[٢] فلما دخلها دعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيامٍ ، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصْبَغ بن عمرو الكلبى رضى الله عنه وكان نصرانيا وكان رأسَهم ، فكتب عبد الرحمن - مع رجل من جهينة ، يقال له : رافع بن مَكيث - إلى النبى ﷺ يخبره ، فكتب إليه النبى ﷺ أن تزوَّج ابنة الأصبغ ، فتزوَّجها ؛ وهى تُماضر التى ولدت له بعد ذلك أبا سَلَمة بن عبد الرحمن ، كذا فى الإصابة (١ / ١٠٨) .

بعثه عليه الصلاة والسلام عمرو بن العاص إلى بَلِىّ يستنفرهم إلى الإسلام

وأخرج ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن التميمى رضى الله عنه قال :

---

(١) سورة الرعد الآية : ١٣ .

(٢) دومة الجندل : هو حصن قوى قرب جبل طىء بين الشام والمدينة .

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام ، وذلك أن أم العاص ابن وائل كانت من بنى بَلِىّ ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يتألّفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام يقال له السلاسل - وبه سُمِّيت تلك الغزوة ذات السلاسل قال : فلّما كان عليه وخاف ؛ بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما - فذكر الحديث كما سيأتى فى باب الإمارة ، كذا فى البداية (٤ / ٢٧٣) .

بعثه عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد إلى اليمن

وأخرج البيهقى عن البَرَاء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، قال البراء : فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد ، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ، ثم إن رسول الله ﷺ بعث على بن أبى طالب وأمره أن يقفل خالداً إلاّ رجلاً كان مِمَّن مع خالد فأحب أن يعقب مع على فليَعقبْ معه ، قال البراء : فكنت فيمن عَقَب مع علي ، فلما دَنوْنا من القوم خرجوا إلينا ، ثم تقدَّم فصلّى بنا على ، ثم صفَّنا صفًا واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، فأسلمت هَمْدَان جميعًا ، فكتب على إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم ، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال : « السلام على هَمْدان ، السلام على هَمْدان » ، ورواه البخارى مختصراً ، كذا فى البداية (٥ / ١٠٥) .

بعثه عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد إلى نجران

وذكر ابن إسحاق : أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى بنى الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوَهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا ، فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالدٌ حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون : « أيها الناس ، أسلموا تسلموا » فأسلم الناس؛ ودخلوا فيما دُعُوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتابَ الله وسنة نبيه ﷺ كما أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا ، ثم كتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ .

كتاب خالد إلى رسول الله ﷺ

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد النبى رسول الله من خالد بن الوليد : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : يا رسول الله - صلى الله عليك - فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن

كعب وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا قبلتُ منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإني قدمتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ ، وبعثت فيهم ركباناً : يا بني الحارث ، أسلموا تسلموا. فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به ، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إلى رسول الله ﷺ . والسلام عليك - يا رسول الله - ورحمة الله وبركاته » .

كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى خالد

فكتب إليه رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد :سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أنَّ بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه . فبشِّرهم وأنذرهم وأقْبِلْ ، وليُقْبِلْ معك وفدهم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

رجوع خالد إلى النبي عليه الصلاة والسلام مع وفد بني الحارث

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ورآهم قال: « من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ » قيل : يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث بن كعب . فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلَّموا عليه . وقالوا : نشهد أنَّك رسول الله وأنه لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ : « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله » . ثم قال : « أنتم الذين إذا زُجروا استقدَموا » . فسكتوا فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ثم الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة . قال يزيد بن عبد المَدَان : نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زُجروا استَقْدَموا - قالها أربع مرات - فقال رسول الله ﷺ : « لو أنَّ خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم » . فقال يزيد بن عبد المَدَان : أما - والله - ما حمدناك ولا حمدنا خالداً ، قال : « فمن حمدتم ؟ » قالوا : حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « صدقتم » . ثم قال : « بِمَ كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ » قالوا لم نك نغلب أحداً . قال : « بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم » . قالوا : كنا نغلب من

قاتلنا – يا رسـول الله – أنَّا كنَّا نجتمع ولا نتفرَّق ، ولا نبـدأ أحداً بظلم ، قال : « صدقتم » . ثم أمَّر عليهم قيس بن الحصين . كذا فى البداية (٥ / ٩٨) . وقد أسندها الواقدى من طريق عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث كما فى الإصابة (٣ / ٦٦٠) .

الدعوة إلى الفرائض

دعوته عليه الصلاة والسلام جريراً إلى فرائض الإسلام

أخرج البيهقى عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : بعث إلىّ رسول الله ﷺ فقال : « يا جرير ، لأىّ شىء جئت ؟ » قلت : أسلم على يديك يا رسول الله . قال فألقى علىَّ كساءَ ثم أقبل على أصحابه فقال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » . ثم قال : « يا جرير ، أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنِّى رسول الله ، وأن تؤمن بالله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وتصلِّى الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة » ، ففعلت ذلك . فكان بعد ذلك لا يرانى إلا تبسَّم فى وجهي . كذا فى البداية (٥ / ٧٨) . وأخرجه أيضاً الطبرانى وأبو نُعيم عن جرير بنحوه كما فى كنز العمال (٧ / ١٩) .

تعليمه عليه الصلاة والسلام معاذاً كيف يدعو إلى فرائض الإسلام

وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ ابن جبل رضى الله عنه – حين بعثه إلى اليمن – « إنَّك ستأتى قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتَّق دعوة المظلموم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » وقد أخرجه بقية الجماعة . كذا فى البداية (٥ / ١٠٠) .

دعوته عليه الصلاة والسلام حَوْشَب ذى ظُلَيم إلى فرائض الإسلام

وأخرج أبو نُعيم عن حَوْشَب ذى ظُلَيْم قال : لما أن أظهر الله محمداً ﷺ انتدَبتُ إليه من الناس فى أربعين فارساً مع عبد شر . فقدموا عليه المدينة بكتابى فقال (عبد شر) : أيُّكم محمد ؟ قالوا : هذا . قال : ما الذى جئتنا به ؟ فإن يك حقاً اتَّبعناك . قال : « تقيموا الصلاة ، وتعطوا الزكاة ، وتحقنوا الدماء ،.، وتأمروا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر » . فقال عبد شر : إنَّ هذا لحسن ؛ مدّ يدك أبايعك .

فقال النبى ﷺ : « ما اسمك ؟ » قال : عبد شر ، قال : « لا ، بل أنت عبد خير » . (فبايعه على الإسلام) وكتب معه الجواب (إلى) حَوْشَب ذى ظُلَيم فآمن . كذا فى كنز العمال (٥ / ٣٢٥) وأخرجه أيضاً ابن منده وابن عساكر كما فى الكنز أيضاً (١ / ٨٤) . وأخرجه أيضاً ابن السَّكَن بنحوه كما فى الإصابة (١ / ٣٨٢) .

دعوته عليه الصلاة والسلام وفد عبد القيس إلى فرائض الإسلام

وأخرج البخارى عن ابنِ عباس رضى الله عنهما قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ ، فقال : مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى . فقالوا : يا رسول الله ، إنّ بيننا وبينك المشركين من مضَر ، وإنَّا لا نصل إليك إلاَّ فى الشهر الحرام ، فحدِّثنا بجميل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة وندعو (إليه) مَنْ وراءنا . قال : آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من الغنائم الخُمس . وأنهاكم عن أربع : ما يُنتبذ فى الدُّبَّاء ، والنَّقير ، والحنتَم ، والمزَّفت (١) . وعند الطيالسى بنحوه بزيادات منها فى آخره : فاحفظوهنَّ وادعوا إليهنَّ مَنْ وراكم . كذا فى البداية (٥ / ٤٦) .

حديث علقمة وإعجاب النبى بفصاحته فى بيان حقيقة الإيمان وخصال الخير

وأخرج الحاكم عن علقمة بن الحارث رضى الله عنه بقوله : قدمت على رسول الله ﷺ – وأنا سابع سبعه من قومى – فسلَّمنا على رسول الله ﷺ ، فردَّ علينا ؛ فكلَّمناه فأعجبه كلامنا . وقال : « ما أنتم ؟ » قلنا : مؤمنون . قال : « لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانكم ؟ » قلنا : خمس عشرة خصلة : خمس أمرتَّنا بها ، وخمس أمَرتْنا بها رسلك ، وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية ونحن عليها إلى الآن إلا أن تنهانا يا رسول الله . قال : « وما الخمس التى أمرتكم بها ؟ » قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والقدر خيره وشره . قال : « وما الخمس التى أمرتكم بها رسلى؟ » قلنا : أمرتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له ، وأنك عبده ورسوله ، ونقيم الصلاة المكتوبة، ونؤدى الزكاة المفروضة، ونصوم شهر رمضان ، ونحجّ البيت إن استطعنا إليه السبيل. قال: « وما الخصال التى تخلَّقتم بها فى الجاهلية؟ » قلنا : الشكر عند الرَّخاء ، والصبر عند البلاء، والصدق فى

---

(١) المزفت والحنتم والنقير والدباء أسماء أوان كان العرب يصنعون النبيذ بها .

مواطن اللقاء ، والرضا بمرّ القضاء ، وترك الشماتة [1] بالمصيبة إذا حلّت بالأعداء . فقال رسول الله ﷺ : « فقهاء أدباء ، كادوا أن يكونوا أنبياء من خصال ما أشرفها ! » وتبسَّم إلينا . ثم قال : « أنا أوصيكم بخمس خصال ليكمل الله لكم خصال الخير : لا تجمعوا مالا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافَسُوا فيما غدا عنه تزولون واتقوا الله الذى إليه تحشرون وعليه تقدَمون ، وارغبوا فيما إليه تصيرون وفيه تخلدون » كذا فى الكنز (١ / ٦٩) . وأخرجه أيضاً أبو سعيد النَّيسابورى فى شرف المصطفى عن علقمة بن الحارث رضى الله عنه . وأخرجه العسكرى والرشاطى وابن عساكر عن سويد بن الحارث – فذكر الحديث بطوله ؛ وهذا أشهر كما فى الإصابة (٢ / ٩٨) . وأخرجه أبو نعيم فى الحلية(٩ / ٢٧٩) عن سويد بن الحارث رضى الله عنه قال : وفدتُ على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومى، فلما دخلنا عليه وكلمناه فأعجبه ما رأى من سمْتنا ورأينا. فقال: « ما أنتم ؟ » قلنا : مؤمنين . فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « إنَّ لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ » قال سويد : فقلنا خمس عشرة خصلة : خمس منها أمَرتنا رسلك أن نؤمن بها ، وخمس منها أمَرَتْنا رسلك أن نعمل بها ، وخمس منها تخلَّقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها إلاَّ أن تكره منها شيئاً – فذكره بمعناه إلاَّ أنه ذكر : والبعث بعد الموت - بدل : القدر خيره وشره . وذكر : الصبر عند شماتة الأعداء – بدل : وترك الشماتة .

وقد تقدم حديث رجل من بَلْعَدَوِيَّة عن جده – فذكر الحديث ، وفيه : قال : ما تدعو إليه ؟ قال : « أدعو عباد الله إلى الله » . قال : قلت : ما تقول ؟ قال : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنّى محمد رسول الله ، وتؤمن بما أنزله علىّ ، وتكفر باللاَّت والعزَّى ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة » – فى دعوته ﷺ لرجل لم يسمَّ (ص٨١ – ٨٢).

إرساله ﷺ الكتب مع أصحابه
إلى ملوك الآفاق وغيرهم
يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى الدخول فى الإسلام

أخرج الطبرانى عن المِسْوَر بن مَخْرَمة رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقال : « إنَّ الله بعثنى رحمة للناس كافة ، فأدُّوا عنى – رحمكم الله –

(١) الشماتة فرح العدو ببلية تنزل بمن يعاديه .

ولا تختلفوا كما اختلف الحواريّون على عيسى عليه السلام ، فإنه دعاهم إلى مثل ما أدعوكم إليه . فأما من بَعُدَ مكانه فكرهه ، فشكا عيسى بن مريم ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ ، فأصبحوا وكلُّ رجل منهم يتكلم بكلام القوم الذى وُجِّه إليهم . فقال لهم عيسى : هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فافعلوا » فقال أصحاب رسول الله ﷺ : نحن– يا رسول الله – نؤدى إليك فابعثنا حيث شئت . فبعث رسول الله ﷺ عبد الله ابن حُذَافة رضى الله عنه إلى كسرى ، وبعث سَليط بن عمرو رضى الله عنه إلى هَوْذَة ابن على صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه إلى المنذر بن ساوَى صاحب هَجَر ، وبعث عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى جَيْفَر وعبَّاد ابنى الجُلَنْدى مَلكَى عُمَان ، وبعث دحْيَة الكلبى رضى الله عنه إلى قيصر ، وبعث شُجاع ابن وَهْب الأسدىّ رضى الله عنه إلى المُنذر بن الحارث بن أبى شِمْر الغسَّانى ، وبعث عمرو بن أمية الضَّمْرى رضى الله عنه إلى النجاشى . فرجعوا جميعاً قبل وفاة رسول الله ﷺ غير العلاء بن الحضرمى ، فإنّ رسول الله ﷺ توفى وهو بالبحرين . قال الهيثمى وفيه : محمد بن إسماعيل بن عيّاش وهو ضعيف . كذا فى المجمع (٥ / ٣٠٦) .

قال الحافظ فى الفتح (٨ / ٨٩) -- وزاد أصحاب السِّيَر : أنه بعث المهاجر بن أبى أمية إلى الحارث بن عبد كُلال ، وجريراً رضى الله عنه إلى المُقوقس أ . هـ .

وأخرج مسلم عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كتب قبل موته إلى كسرى ، وقيصر ، وإلى النَّجاشى ، وإلى كلِّ جبَّار عنيد يدعوهم إلى الله عز وجل ، وليس بالنجاشى الذى صلىَّ عليه . كذا فى البداية (٤ / ٢٦٢) .

وأخرجه أحمد والطبرانى عن جابر رضى الله عنه قال : كتب رسول الله ﷺ قبل أن يموت إلى كسرى وقيصر وإلى كلِّ جبار . قال الهيثمى (٥ / ٣٠٥) وفيه : ابن لهيعة وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

كتابه ﷺ إلى النجاشى ملك الحبشة

أخرج البيهقى عن ابن إسحاق قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضَّمْرى رضى الله عنه إلى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه رضى الله عنهم وكتب معه كتاباً :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة : سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الملك القدّوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيِّبة الحصينة ، فحملت

بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى فتؤمن بى وبالذى جاءنى . فإنّى رسول الله . وقد بعثت إليك ابن عمى جعفراً ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاؤوك فأقرَّهم ودَعِ التجبُّر ، فإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ؛ وقد بلَّغتُ ونَصحتُ فاقبلوا نصيحتي . والسلام على من اتبع الهدى » .

كتاب النجاشى إلى النبى ﷺ

فكتب النجاشى إلى رسول الله ﷺ :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشى الأصحَم بن أبجر : سلام عليك يا نبى الله من الله ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا الله هو الذى هدانى إلى الإسلام ، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فوربِّ السماء والأرض إنَّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت . وقد عرفنا ما بَعثت به إلينا ، وقَرَبنا ابن عمك وأصحابك ، فأشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدَّقاً ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين . وقد بعثت إليه – يا نبى الله – بأريحاً بن الأصحم بن أبجر ، فإنى لا أملك إلا نفسى ، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ، فإنى أشهد أن ما تقول حق » كذا فى البداية (٣ / ٨٣) .

كتابه ﷺ إلى قيصر ملك الروم

أخرج البزّار عن دِحْيَة الكلبى (١) رضى الله عنه أنه قال : بعثنى رسول الله ﷺ بكتاب إلى قيصر ، فقدمت عليه فأعطيته الكتاب وعنده ابن أخ له أحمر أزرق سبط الرأس (٢) فلما قرأ الكتاب كان فيه :

« من محمد رسول الله إلى هرقل صاحب الروم »

قال : فنخر ابن أخيه نخرة وقال : لا يُقرأ هذا اليوم . فقال له قيصر : لمَ ؟ قال : إنَّه بدأ بنفسه وكتب « صاحب الروم » ولم يكتب « ملك الروم » فقال قيصر : لتقرأنَّه . فلما قرأ الكتاب وخرجوا من عنده أدخلنى عليه وأرسل إلى الأسقُف – وهو صاحب أمرهم – فأخبروه وأخبره وأقرأه الكتاب . فقال له الأسقف : هذا الذى كنا ننتظر وبشَّرنا به عيسى عليه السلام . قال له قيصر : كيف تأمرنى ؟ قال له

---

(١) دحية الكلبى هو ابن خليفة بن فروة بن فضالة كان يضرب به المثل فى حسن الصورة وكان جبريل – عليه السلام – ينزل على صورته وقد عاش إلى خلافة معاوية ، انظر الاصابة جـ ٢ ص ١٦١ .

(٢) سبط الرأس : أى المسترسل المنبسط كما فى لسان العرب .

الأسـقف : أمّا أنا فمصدّقه ومتبعه ، فقال له قيصر : أمّا أنا إن فعلت ذلك ذهب ملكي ، ثم خرجنا من عنده ، فأرسل قيصر إلى أبى سفيان وهو يومئذ عنده قال : حدثنى عن هذا الذى خرج بأرضكم ما هو ؟ قال : شاب ، قال : فكيف حَسَبُه فيكم ؟ قال : هو فى حسب منا لا يفضل عليه أحد ، قال : هذه آية النبوة ، قال : كيف صدقه ؟ قال : ما كذب قط ، قال : هذه آية النبوة ، قال : أرأيت من خرج من أصحابكم إليه هل يرجع إليكم ؟ قال : لا ، قال : هذه آية النبوة ، قال : هل ينكُث أحياناً إذا قاتل هو فى أصحابه ؟ قال : قد قاتله قوم فهزمهم وهزموه ، قال : هذه آية النبوة ، قال : ثم دعانى فقال : أبلغ صاحبك أنى أعلم أنه نبى ولكـن لا أترك ملـكى .

وقال : وأما الأسقُف فإنَّه كانوا يجتمعون إليه فى كل أحد ، فيخرج إليهم ويحدِّثهم ويذكّرهم ، فلما كان يوم الأحد لم يخرج إليهم وقعد إلى يوم الأحد الآخر ، فكنت أدخل إليه فيكلمني ويسألنى ، فلما جاء الأحد الآخر انتظروه ليخرج إليهم ، فلم يخرج إليهم واعتلَّ عليهم بالمرض وفعل ذلك مراراً ، وبعثوا إليه لتخرجنَّ إلينا أو لندخلَن عليك فنقتلك ، فإنا قد أنكرناك منذ قدم هذا العربى ، فقال الأسقف : خذ هذا الكتاب واذهب إلى صاحبك فاقرأ عليه السلام ، وأخبره أنّى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنى قد آمنت به ، وصدّقته ، واتبعته ، وأنهم قد أنكروا عليَّ ذلك ، فبلغه ما ترى ، ثم خرج إليهم فقتلوه . فذكـر الحديث ، قال الهيثمى (٨ / ٢٣٦ - ٢٣٧) وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى وهو ضعيف ، انتهى .

وأخرجه أيضاً الطبرانى من حديث دحْية رضى الله عنه مختصراً ، وفيه : يحيى ابن عبد الحميد الحِمَّانى وهو ضعيف كما قال الهيثمى (٥ / ٣٠٦) : وهكذا أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (ص ١٢١) بمعناه مختصراً ، وأخرجه أيضاً عبدان بن محمد المرْوَزى عن عبد الله بن شدّاد نحوه وأتم منه ، وأخرج عبدان عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن هرقل قال لدحية رضى الله عنه : ويحك ! إنّى - والله - لأعلم أن صاحبك نبِّى مرسل وأنه للذى كنا ننتظر ونجده فى كتابنا ، ولكنى أخاف الروم على نفسى ، ولولا ذلك لاتّبعته ؛ فاذهب إلى ضغاطر الأسقُف فاذكر له أمر صاحبكم فهو أعظم فى الروم منى وأجوز قولاً ، فجاءه دحْية فأخبره ، فقال له : صاحبك - والله - نبى مرسل ، نعرفه بصفته واسمه ، ثم دخل فالقى ثيابه ولبس ثياباً بيضاء ، وخرج على الروم فشهد شـهادة الحق فوثبوا عليه فقتلوه ، وهكـذا ذكره يحيى بن سعيد الأموى فى المغازى والطبرى عن ابن إسحاق؛ كذا فى الإصابة (٢ / ٢١٦) .

وأخرج عبد الله بن أحمد وأبو يَعْلَى عن سعيد بن أبى راشد قال : رأيت التنوخى – رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ – بحمص وكان جاراً لى شيخاً كبيراً قد بلغ الفناء – أو قَرُب – فقلت : ألا تخبرنى عن رسالة هرقل إلى رسول الله ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل ؟ قال : بلى ، وقدم رسول الله ﷺ تبوك وبعث دحْية الكلبى إلى هرقل ، فلّما أن جاء كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسى الروم وبطارقتها ثم غلّق عليه وعليهم الدار ، قال : نزل هذا الرجل حيث رأيتهم وقد أرسل إلىّ يدعونى إلى ثلاث خصال : يدعونى أن أتبعه على دينه ، أو أن نعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقى إليه الحرب ، والله لقد عرفتهم فيما تقرؤون من الكتب لتؤخذنَّ ما تحت قدمّى ؛ فهلمَّ نتبعه على دينه أو نعطيه مالنا على أرضنا ، فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم [1] وقالوا : تدعونا إلى أن نذر النصرانية ، أو نكون عبيداً لأعرابى جاء من الحجاز ؟! فلمَّا ظنهَ أنَّهم إن خرجوا أفسدوا عليه رفاقهم وملكه ، قال : إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم .

ثم دعا رجلاً من عرب « تُجيب » كان على نصارى العرب قال : ادْعُ لى رجلاً حافظاً للحديث عربى اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه ، فجاءنى فدفع إلى هرقل كتاباً بانى [2] فقال : اذهب بكتابى إلى هذا الرجل ، فما صَغيتَ من حديثه فاحفظ منه ثلاث خصال : انظر هل يذكر صحيفته التى كتب إلىّ بشىء ؟ وأنظر إذا قرأ كتابى هل يذكر الليل ؟ وانظر فى ظهره هل به من شىء يريبك ؟ فانطلقتُ بكتابه حتى جئت تبوك فإذا هو جالس بين أصحابه على الماء ، فقلت : أين صاحبكم ؟ قيل : هاهو ذا ، فأقبلت أمشى حتى جلست بين يديه ، فناولته كتابى فوضعه فى حجْره ثم قال : « ممَّن أنت » قلت : أنا أحد تنوخ ، فقال : « هل لك فى الحنيفية ملّة أبيكم إبراهيم ؟ » قلت : إنى رسول قوم وعلى دين قوم ، لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم ، قال : « إنَّك لا تهدى من أحببت ولكنَّ الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ، يا أخا تنوخ إنى كتبت بكتابى إلى النجاشى فخرقها والله مُخرِّقُه ومُخرِّقٌ ملكه ، وكتبت إلى صاحبكم بصحيفة فامسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام فى العيش خير » ، قلت : هذه إحدى الثلاث التى أوصانى بها ، وأخذت سهماً من جعبتى فكتبتها فى جلد سيفى ، ثم إنَّه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره فقلت :

---

(١) البرنس كل ثوب رأسه منه ملتزق به .

(٢) بانى : تذكير بانية ، وجمعها : البوانى وهى أضلاع الصدر ، انظر أقرب الموارد .

من صاحب كتابكم الذى يقرأ لكم ؟ قالوا : معاوية . فإذا فى كتاب صاحبى : يدعونى إلى جنة عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمتقين ، فأين النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله !! فأين الليل إذا جاء النهار ؟ » فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته فى جلد سيفى . فلما فرغ من قراءة كتابى قال : « إنَّ لك حقــاً وإنك لرســول ، فلو وجــدت عنــدنا جائزة جوَّزناك بها ، إنا سَفْر مُرْملون »(١)، قال : فناداه رجل من طائفة الناس أنا أجوزه ، ففتح رَحْله ، فإذا هو يأتى بحلَّة صَفورية فوضعها فى حِجْرى ، فقلت : من صاحب الحلّة ؟ قيل : عثمان . ثم قال رسول الله ﷺ : « من ينزل هذا الرجل ؟ » فقال فتى من الأنصار : أنا . فقام الأنصارى وقمت معه . فلما خرجت من طائفة المجلس نادانى رسـول الله ﷺ فقال : « يا أخا تنوخ »، فأقبلت أهوى حتى كنت قائماً فى مجلسى الذى كنت فيه بين يديه ، فحلَّ حبوته عن ظهره فقال : « ها هنا امضٍ لما أمرت به » فجُلْتُ فى ظهره ، فإذا أنا بخاتم فى موضع غضروف الكتف مثل الحجمة ، قال الهيثمى (٨ / ٢٣٥ — ٢٣٦) رجال أبى يعلى ثقات ، ورجال عبد الله بن أحمد كذلك ، انتهى . وأخرجه أيضاً الإمام أحمد كما فى البداية (٥ / ١٥) ، وقال : هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به ، تفرّد به الإمام أحمد . انتهى . وأخرجه أيضاً يعقوب بن سفيان ، كما فى البداية أيضاً (٦ / ٢٧) .

خبر أبى سفيان مع هرقل ملك الروم

وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أبا سفيان أخبره : أنَّ هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش — وكانوا تجّاراً بالشام — فى المدة التى كان رسول الله ﷺ مادَّ (٢) فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتَوه وهم بإيلياء . فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال : أيُّكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً ، قال : أدنُوه منى وقرِّبوا أصحابه فاجعلوهم عن ظهره . ثم قال لترجمانه قل لهم : إنى سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبنى فكذّبوه ، فوالله لولا أن يؤثروا عنى كذباً لكذبتُ عنه .

ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من مَلك ؟ قلت : لا . قال : فأشراف الناس اتّبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد

---

(١) المعنى مسافرون نفد زادهم . (٢) ماد : أى ضرب له فيها مدة .

منهم سَخْطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا ، قال : فهل كنتم تُتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها – قال : ولم يُمكنِّى كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة – قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت الحرب بيننا وبينه سجَال ، ينال منا وننال منه ، قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولَا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصِّلَة .

فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبة فزعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول قبله ، فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلتُ رجل يتأسَى بقول قيل قبله ، وسألتك : هل كان من آبائه من مَلك ، فذكرت أن لا ، فلو كان من آبائه من مَلك قلت : رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك : هل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذَر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك : أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أنَّ ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ، فذكرت أنَّهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتمّ ، وسألتك : أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشتُه القلوب ، وسألتك : هل يغدر ، فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك : بم يأمركم ، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقّاً فسيملك موضع قدمَّى هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أنى أخلص إليه لتجشَّمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذى بعث به مع دِحْية رضى الله عنه إلى عظيم بصرى [1] فدفعه إلى هرقل فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمــد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتْبع الهدى .

---

(١) بصرى : بكسر الباء قرية من قرى الشام وهى غير البصرة بفتح الباء فإنها مدينه بالعراق .

أما بعد :

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين ، فإن تولّيت فإنَّ عليك إثم الأريسيّين (١) ، ﴿ **يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ : أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ، فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ (٢) .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصَّخَب ، وارتفعت الأصوات وأُخرجنا ، فقلت لأصحابى — حين خرجنا — : لقد أَمِرَ (٣) أمر ابن أبى كبشة (٥) ، إن يخافه مَلِكُ بنى الأصفر (٤) !! فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علىَّ الإسلام .

قال : وكان ابن الناطور صاحبَ إيلياء وهرقل أُسْقُفَ على نصارى الشام يحدّث أنّ هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك ، قال ابن الناطور : وكان هرقل حزّاء ينظر فى النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إنى رأيت حين نظرت فى النجوم مَلِكَ الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمم ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود ولا يهمنَّك شانهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم أُتِىَ هرقل برجل أرسل به ملك غسّان فخبَّرهم عن خبر رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدَّثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب فقال هم يختتنون ، فقال هرقل : هذا مَلِك هذه الأمة قد ظهر ، ثم كتب إلى صاحب له برومية — وكان نظيره فى العلم — وسار هرقل إلى حمص فلم يَرِم (٦) بحمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبى ﷺ وهو نبى ، فاذن هرقل لعظماء الروم فى دَسْكرة (٧) له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلّقت ، ثم اطّلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبّت لكم ملككم ، فتتابعوا لهذا النبى ؟ فحاصوا (٨) حَيْصة حُمُرِ الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلّقت ، فلما

---

(١) الاريسيون : الخدم والخول وقيل فرقة تعرف بالأريسة اتباع عبد الله بن أريس قتلوا نبياً جارهم .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٦٤ .

(٣) أمر الأمر : اى عظم واشتد .

(٤) أبو كبشة : هو زوج حليمة السعدية مرضعة رسول الله ﷺ .

(٥) بنو الأصفر : هم الروم كما سماهم العرب .

(٦) لم يرم : لم يبرح .

(٧) دسكرة : بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم .

(٨) حاصوا : جالوا جولة يطلبون الفرار .

رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردُّوهم عليَّ ، وقال : إنِّي إنَّما قلت مقالتي آنفاً أختبر بهاشدَّتكم على دينكم ؛ فقد رأيت ، فسجدوا له ورَضُوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل ، وقد رواه البخاري في مواضع كثيرة في صحيحه بألفاظ يطول استقصاؤها ؛ وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كذا في البداية (٤ / ٢٦٦) .

وأخرجه أيضاً ابن إسحاق عن الزُّهري بطوله كما ذكر في البداية (٤ / ٢٦٢) ، وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١١٩) من طريق الزُّهْري بنحوه مطولاً ، والبيهقي (٩ / ١٧٨) بهذا الرسناد بنحوه مطوّلاً .

كتابه ﷺ إلى كسرى ملك فارس

أخرج البخاري من حديث اللَّيث عن يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى مزّقه ، قال : فحسبت أنَّ ابن المسيِّب قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزقوا كلَّ مُمزَّق .

وقال عبد الله بن وَهْب عن يونس عن الزُّهْري : حدثني عبد الرحمن بن عبد القارىء رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وتشهَّد ، ثم قال :

أما بعد :

فإنِّي أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا عليَّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم ، فقال المهاجرون : يا رسول الله ، إنّا لا نختلف عليك في شيء أبداً ، فمُرنا وابعثنا ، فبعث شجاع بن وَهْب إلى كسرى ، فأمر كسرى بإيوانه (١) أن يُزيَّن ، ثم أذن لعظماء فارس ، ثم أذن لشجاع بن وَهْب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله ﷺ ، أن يُقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا ، حتى أدفعه أنا إليك كما أمر رسول الله ﷺ ، فقال كسرى : ادْنه ، فدنا فناوله الكتاب ، ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه :

« من محمد بن عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس »

قال : فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح وغضب ومزّق الكتاب قبل

(١) الإيوان : مكان متسع في البيت مخصص لجلوس الملك .

أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع بن وَهْب فأخرج . فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ثم قال : والله ، ما أبالى على أى الطريقين أكون إذْ أدّيت كتاب رسول الله ﷺ . قال : ولما ذهب عن كسرى سَوْرَة غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه ، فالتُمس فلم يوجد ، فطُلب إلى الحيرة فَسَبَق . فلما قدم شجاع على النبى ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « مزّق كسرى ملكه » . كذا فى البداية (٤ / ٢٦٩) .

وأخرج أبو سعيد النَّيْسابورى فى كتاب شرف المصطفى من طريق ابن إسحاق عن الزهرى عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن رضى الله عنه قال : لَما قُدِّم كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقرأه ومزَّقه كتب إلى باذان -- وهو عامله باليمن -- أن ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلَين جَلْدين من عندك فلْيأتيانى به .

فبعث باذان قهرمانه(١) -- وهو أبانوه وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس -- وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له : « جد جميرة » وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن يتوجَّه معهما إلى كسرى ، وقال لقهرمانه : أنظر إلى الرجل وما هو وكلِّمه وائتنى بخبره . فخرجا حتى قدما الطائف ، فوجدا رجالاً من قريش تجّاراً فسألاهم عنه .

فقالوا : هو بيثرب واستبشروا . فقالوا : قد نَصب له كسرى. كُفيتم الرجل !! فخرجا حتى قدما المدينة ، فكلّمه أبانوه ، فقال : إنَّ كسرى كتب إلى باذان أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثنى لتنطلق معى . فقال : « ارجعا حتي تأتيانى غداً » فلما غدَوا عليه أخبرهما رسول الله ﷺ بأن الله قتل كسرى وسلّط عليه ابنه « شيرَوَيْه » فى ليلة كذا من شهر كذا . فقالا : أتدرى ما تقول ؟ أنكتب بهذا إلى باذان ؟ قال : « نعم » . وقولا له : « إن أسلمتَ أعطيتُك ما تحت يديك » ثم أعطى « جد جميرة » منْطقة كانت أهديت له فيها ذهب وفضة. فقدما على باذان فأخبراه . فقال : ما هذا بكلام ملك ولننظرن ما قال . فلم يلْبث أن قدم عليه كتاب (شيرَوَيْه) :

أما بعد :

فإنِّى قتلت كسرى غضباً لفارس لما كان يستحلُّ من قتل أشرافها ؛ فخُذْ لى الطاعة ممن قِبَلك ولا تُهَجِّن (٢) الرجل الذى كتب لك كسرى بسببه بشىء ، فلما قرأه قال : إنَ هذا الرجل لنبى مرسل ، فأسلم وأسلمت الأبناء من آل فارس من كان

---

(١) القهرمان : القائم بأمر الرجل بلغة الفرس .

(٢) تهجن : تقبح وتعيب .

منهم باليمن جميعاً ، وهكذا حكاه أبو نعيم الأصبهانى فى الدلائل عن ابن إسحاق بلا إسناد ، لكن سماه خرخسرة ووافق على تسمية رفيقه أبانوه ، كذا فى الإصابة (١ / ٢٥٩) .

وأخرجه أيضاً ابن أبى الدنيا فى دلائل النبوة عن ابن إسحاق قال : بعث النبي ﷺ عبد الله بن حُذافة رضى الله عنه إلى كسرى بكتابه يدعوه إلى الإسلام .

فلما قرأه شقّق كتابه ثم كتب إلى عامله على اليمن باذان – فذكر بمعناه – وفيه : ثم قدما المدينة فكلّمه بابويه : إن شاهنشاه كسرى كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليه من يأتيه بك ، فإن أجبتَ كتبتُ معك ما ينفعك عنده ، وإن أبيتَ فإنه مهلكك ومهلك قومك ومخرِّب بلادك ، فقال لهما : ارجعا حتى تأتيانى غداً – فذكر نحوه ، وأخرجه ابن أبى الدنيا عن سعيد المقبرى مختصراً جداً ، كذا فى الإصابة (١ / ١٦٩) .

وأخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن زيد بن أبى حبيب قال : وبعث عبد الله بن حذَافة رضى الله عنه إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاء الله ، فإنّى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فإن تُسْلِم تَسلَم ، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك » .

قال : فلما قرأه شقَّه وقال : يكتب إلىّ بهذا وهو عبدى ، قال : ثم كتب كسرى إلى باذام – فذكر ما تقدَّم عن ابن إسحاق ، ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما ، فكره النظر إليهما وقال : « ويلكما من أمركما بهذا ؟ » قالا : أمرنا ربنا – يعنيان كسرى – فقال رسول الله ﷺ : ولكنَّ ربى أمرنى بإعفاء لحيتى وقص شاربى » كذا فى البداية (٤ / ٢٦٩) .

وأخرج الطبرانى عن أبى بَكْرة رضى الله عنه قال : لما بُعث رسول الله ﷺ بعث كسرى إلى عامله على أرض اليمن ومن يليه من العرب – وكان يقال له بادام – إنه بلغنى أنه خرج رجل قِبلك يزعم أنه نبى فقل له : فلْيكفَّ عن ذلك أو لأبعثنَّ إليه من يقتله أو يقتل قومه ، قال : فجاء رسول بادام إلى النبى ﷺ فقال له هذا ، فقال رسول الله ﷺ : « لو كان شيء فعلته من قبلى كففت ولكن الله عز وجل بعثنى » .

فأقام الرسول عنده ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن ربى قتل كسرى ولا كسرى بعد اليوم ؛ وقتل قيصر ولا قيصر بعد اليوم .

قال فكتب قوله فى الساعة التى حدَّثه واليوم الذى حدَّثه والشهر الذى حدَّثه فيه .

ثم رجع إلى بادام فإذا كسرى قد مات ، وإذا قيصر قد قتل . وقا الهيثمى (٨ / ٢٨٧) : ورجاله رجال الصحيح غير كثير بن زياد وهو ثقة ؛ وعند أحمد طرَفٌ منه ، وكذلك البزار . انتهى .

وأخرج البزّار عن دحْية الكلبى رضى الله عنه قال : بعثنى رسول الله ﷺ بكتاب إلى قيصر – فذكر الحديث كما تقدّم فى كتابه ﷺ إلى قيصر (ص ١٢٨) ، وفى آخره : ثم خرج دِحْية إلى النبى ﷺ وعنده رُسُلُ عمال كسرى على صنعاء ، بعثهم إليه وكتب إلى صاحب صنعاء يتوعّده يقول : لتكفينِّى رجلاً خرج من أرضك يدعونى إلى دينه ، أو أودى الجزية ، أو لأقتلنَّك ، أو لأفعلنَّ بك . فبعث صاحب صنعاء إلى رسول الله ﷺ خمسة وعشرين رجلاً فوجدهم دحية عند رسول الله ﷺ فلما قرأ صاحبهم تركهم خمس عشرة ليلة ، فلما مضت خمس عشرة ليلة تعرَّضوا له . فلما رآهم دعاهم فقال : « اذهبوا إلى صاحبكم فقولوا له : إنَّ ربِّى قتل ربه [1] الليلة » . فانطلقوا فأخبروه بالذى صنع . فقال : احصُوا هذه الليلة . قال : أخبرونى كيف رأيتموه ؟ قالوا : ما رأينا ملكاً أهنأ منه يمشى فيهم لا يخاف شيئاً ، مبتذلاً لا يُحرس ، ولا يرفعون أصواتهم عنده . قال دحية : ثم جاء الخبر أن كسرى قُتل تلك الليلة . قال الهيثمى (٥ / ٣٠٩) وفيه : إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه وكلاهما ضعيف . انتهى .

كتابه ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية

أخرج البيهقى عن عبد الله بن عبد القارىء رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبى بَلْتَعة رضى الله عنه إلى المُقَوْقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إليه ، فقبَّل الكتاب ، وأكرم حاطباً وأحسن نُزُله [2] ، وسرَّحه إلى النبى ﷺ ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة يسَرْجها وجاريتين : إحداهما أُمّ إبراهيم ، وأما الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمد بن قيس العبدى .

وأخرج البيهقى أيضاً عن حاطب بن أبى بلتعة [3] رضى الله عنه قال : بعثنى

---

(١) اى سيده كسرى . (٢) النزل : ما يعد ويهيأ للضيف .

(٣) هو حاطب بن أبى بلتعة صحابى شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان ذا تجارة واسعة كان مبعوث رسول الله ﷺ إلى المقوقس صاحب الاسـكندرية وكان شاعراً فى الجاهلية .

رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، قال : فجئته بكتاب رسول الله ﷺ ، فأنزلنى فى منزله ، وأقمت عنده ، ثم بعث إلىّ وقد جمع بطارقته وقال : إنّى سائلك عن كلام فأحبُّ أن تفهم عنى ، قال : قلت : هَلُمَّ ؛ قال : أخبرنى عن صاحبك أليس هو نبى ؟ قلت : بل هو رسول الله ، قال : فما له حيث كان هكذا لم يدعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال : قلت : عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال : بلى ، قلت : فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألاّ يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟! فقال لى : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ، وأرسل معك ببَذْرقة (١) يبذرقونك إلى مأمنك ، قال : فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوارٍ منهن أُم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وواحدةً وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت الأنصارى ، وأرسل إليه بطُرَف من طُرَفهم (٢) ، كذا فى البداية (٤ / ٢٧٢) . وأخرج حديث حاطب أيضاً بن شاهين كما فى الإصابة (١ / ٣٠٠) .

كتابه ﷺ إلى أهل نجران

أخرج البيهقى عن يونس بن بُكَير عن سَلَمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده — قال يونس — وكان نصرانياً فأسلم : إنَّ رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه : طس سليمان (٣) .

« باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد النبى رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران : سَلْم أنتم ، فإنّى أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

أما بعد :

فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ؛ فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب ، والسلام » .

فلما أتى الأسقُفَ الكتابُ وقرأه فَظِعَ به وذعر به ذعراً شديداً ، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شُرحَبيل بن وَدَاعة — وكان من هَمْدان ولم يكن أحد يُدعى إذا نزلت مُعْضلة (٤) قبله ، لا الأيهم ولا السيد ، ولا العاقب — فدفع الأسقفُ كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه ، فقال الأسقف : يا أبا مريم ، ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمتَ ما وعد الله إبراهيم فى ذرية إسماعيل من النّبوة ، فما يُومن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ، ليس لى فى أمر النبوة رأى ، ولو كان فى أمر من أمور

---

(١) البذرقة : الحرس .
(٢) الطرف : هى التحف من الهدايا .
(٣) أى : سورة النمل .
(٤) المعضلة : هى النازلة الخطيرة والمسألة الصعبة .

الدنيا لأشرتُ عليك فيه برأى واجتهدت لك ، فقال له الأسقف : تنحَّ فاجلس ، فتنَّحى شرحبيل فجلس ناحية ، فبعث الأسقفُ إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذى أصبح من حمْير ، فاقرأه الكتاب وساله عن الرأى فيه ، فقال مثل قول شرحبيل ، فقال الأسقفُ : تنحَّ فاجلس ، فتنحَّى عبد الله فجلس » ناحية ، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبَّار بن فيض من بنى الحارث ابن كعب أحد بن الحماس ، فاقرأه الكتاب وساله عن الرأى فيه ، فقال له ، مثل قول شرحبيل وعبد الله ، فأمره الأسقفُ فتنحَّى فجلس ناحية .

فلما اجتمع الرأى منهم على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس فضُرب له ورُفعت النيران والمسوح (١) فى الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلوا إذا فزعوا بالنهار ، وأذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ، ورفعت النيران فى الصوامع ، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورُفعت المسوح أهل الوادى أعلاه وأسفله ، وطول الوادى مسيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ وسالهم عن الرأى فيه ، فاجتمع رأى أهل الرأى منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمدانى وعبد الله بن شرحبيل الأصبحى وجبّار بن فيض الحارثى فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ ، فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حُللاً لهم يجرونها من حبَرة (٢) وخواتيم الذهب ، ثم انطلقوا حتى أتَوا رسول الله ﷺ فسلَّموا عليه فلم يردَّ عليهم ، وتصدّوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب ، فانطلقوا يتبعون عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم — فوجدوهما فى ناس من المهاجرين والأنصار فى مجلس فقالوا : يا عثمان ، ويا عبد الرحمن ، إن نبيكم كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيبين له ، فاتيناه فسلَّمنا عليه فلم يردَّ سلامنا ، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا ؟ فما الرأى منكما ؟ أفترون أن نرجع ؟ فقالا لعلى بن أبى طالب — وهو فى القوم — ما ترى يا أبا الحسن فى هؤلاء القوم ؟ فقال على لعثمان وعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم هذه ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودوا إليه ، ففعلوا فسلَّموا عليه فردَّ سلامهم ، ثم قال : « والذى بعثنى بالحق لقد أتونى المرة الأولى وإنَّ إبليس لمعهم » ، ثم سالهم وسالوه ، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول فى عيسى ؟ فإنَّا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرُنا

---

(١) المسوح : جمع مسح وهو البساط من شعر .

(٢) الحبرة : نوع من برود اليمن .

– إن كنت نبياً – أن نسمع ما تقول فيه . فقال رسول الله ﷺ : « ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى » . فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ – إلى قوله – ﴿ الْكَاذِبِينَ ﴾(١) . فأبَوا أن يقرُّوا بذلك .

فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خَميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة ، وله يومئذ عدة نسوة . فقال شرحبيل لصاحبيه : لقد علمتما أنَّ الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يَردوا ولم يصدُروا إلاّ عن رأي ، وإنِّي – والله – أرى أمراً ثقيلاً ، والله لئن كان هذا الرجل مبعوثاً فكنَّا أول العرب طعناً في عينيه وردّاً عليه أمره لا يذهب لنا من صدوره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة (٢) ، وإنا لأدنى العرب منه جواراً . ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعنّاه لا يبقى منا على وجه الأرض شعر ولا ظفْر إلاّ هلك . فقال صاحباه : فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقال : أرى أن أكلّمه ، فإنِّي أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً . فقال له : أنت وذاك . قال : فتلَّقى شرحبيلُ رسولَ الله ﷺ . فقال له : إنِّي قد رأيت خيراً من ملاعنتك . فقال : وما هو ؟ فقال : حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فمهما حكمتَ فينا فهو جائز . فقال رسول الله ﷺ : « لعل وراءك أحداً يُثرِّبُ عليك » . فقال شرحبيل : سل صاحبيَّ ، فسألهما فقالا : ما يَردُ الوادي ولا يصدُر إلاّ عن رأي شرحبيل . فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم ، حتى إذا كان من الغد أتوه : فكتب لهم هذا الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران : – إن كان عليهم حكمه – في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم ، وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة : في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة » .

وذكر تمام الشروط . كذا في التفسير لابن كثير (١ / ٣٦٩) . وزاد في البداية (٥ / ٥٥) بعد قوله – وذكر تمام الشروط : إلى أن شهد أبو سفيان بن حرب ، وغيلان بن عمرو ، ومالك بن عوف من بني نصر ، والأقرع بن حابس الحنظلي ، والمغيرة ، وكتب ، حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران ومع الأسقُفِّ أخ له من أمّه وهو ابن عمّه من النسب يقال له بِشْر بن معاوية وكنيته أبو علقمة ، فدفع الوفدُ

(١) سورة آل عمران الآيات : ٥٩ – ٦١ .

(٢) الجائحة : هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها ، والجمع جوائح .

كتابَ رسول الله ﷺ إلى الأسقُفّ ، فبينما هو يقرأه وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كَبَت (١) ببشر ناقتُه ، فَتَعَّسَ (٢) بشر غير أنه لا يكنى (٣) عن رسول الله ﷺ ، فقال له الأسقُف عند ذلك : قد — والله — تعَّسْتَ نبياً مرسلاً ، فقال له بِشْر : لا جَرَم — والله — لا أحلُّ عنها عقداً حتى آتى رسول الله ﷺ ، فصرف وجه ناقته نحو المدينة وثَنى الأسقف ناقته عليه فقال له : افهم عنى إنَّما قلت هذا ليبلغ عنى العرب مخافة أن يروا أنَّا أخذنا حقه أو رضينا بصوته أو بخعنا (٤) لهذا الرجل بما لم تبخع به العرب ، ونحن أعزهم وأجمعهم داراً ، فقال له بشر : لا والله لا أقبل ما خرج من رأسك أبداً ، فضرب بشر ناقته — وهو مولّى الأسقف ظهره — وارتجز يقول :

إليكَ تغدو قَلِقاً وضينها (٥) — معترضاً فى بطنها جنينُها

مخالفاً دين النصارى دينُها

حتى أتى رسول الله ﷺ فاسلم ، ولم يزل معه حتى قتل بعد ذلك ، قال : ودخل الوفد نجران ، فأتى الراهبَ ابن أبى شمر الزبيدى وهو فى رأس صومعته ، فقال له : إنَّ نبياً بُعث بتهامة ، فذكر ما كان من وفد نجران إلى رسول الله ﷺ وأنه عرض عليهم الملاعنة فأبَوا ، وأنَّ بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم — فقال الراهب : انزلونى ، وإلاَّ ألقيت نفسى من هذه الصومعة ، قال : فانزلوه ، فاخذ معه هدية وذهب إلى رسول الله ﷺ ، منها هذا البُرْد الذى يلبسه الخلفاء ، وقَعْبُ (٦) ، وعصا ، فأقام مدّة عند رسول الله ﷺ يسمع الوحى ، ثم رجع إلى قومه ولم يُقدّر له الإسلام ، ووعد أنه سيعود فلم يُقدَّر له حتى توفى رسول الله ﷺ ، وأن الأسقُف أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه ، فأقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله عليه ، وكتب للأسقفّ هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبى للأسقف أبى الحارث ، وأساقفة نجران ، وكهنتهم ، ورهبانهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير : جوار الله ورسوله ، لا يُغَيّر أسقفٌ من أسقفته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ، ولا

---

(١) كبت : انكبت على وجهها ، (٢) تعس : دعا عليه بالهلاك ،

(٣) دعا بالهلاك على الرسول ﷺ باسمه الصريح ،

(٤) بخعنا : خضعنا وأقررنا مرغمين ،

(٥) الوضين : بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرجل على البعير كالحزام للسرج ،

(٦) القعب : القدح الضخم الغليظ ،

يغّير حق من حقوقهم ، ولا سلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك ، جوار الله ورسوله أبداً ما أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا ظالمين » .

وكتب المغيرة بن شعبة . انتهى ما فى البداية (٥ / ٥٥) .

كتابه ﷺ إلى بكر بن وائل

أخرج أحمد عن مَرْثَد بن ظبيان رضى الله عنه قال : جاءنا كتاب من رسول الله ﷺ ، فما وجدنا له قارئاً يقرأ علينا حتى قرأه رجل من ضُبَيعة : « من رسول الله ﷺ إلى بكر بن وائل : أسلموا تسلموا » قال الهيثمى (٥ / ٣٠٥) : رجاله رجال الصحيح — انتهى . وأخرجه أيضاً البزّار وأبو يَعْلَى والطبرانى فى الصغير عن أنس رضى الله عنه بمعناه ، قال الهيثمى (٥ / ٣٠٥) : رجال الأوَّلين رجال الصحيح .

كتابه ﷺ إلى بنى جذامة

أخرج الطبرانى عن عُمير بن مقبل الجُذامى عن أبيه قال : وفد رفاعة بن زيد الجُذامى على رسول الله ﷺ ، فكتب له كتاباً ، وفيه :

« من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد : إنى بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ؛ فمن آمن ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين » .

فلما قدم على قومه أجابوه — فذكر الحديث . قال الهيثمى (٥ / ٣١٠) : رواه الطبرانى متصلاً هكذا ، ومنقطعاً مختصراً عن ابن إسحاق ، وفى المتصل جماعة لم أعرفهم ، وإسنادهما إلى ابن إسحاق جيد . انتهى .

وأخرجه الأمويُّ فى المغازى من طريق ابن إسحاق من رواية عُمير بن معبد بن فلان الجذامى عن أبيه نحوه كما فى الإصابة (٣ / ٤٤١) .

قصصه ﷺ فى الأخلاق والأعمال المفضية إلى هداية الناس

إسلام زيد بن سُعْنة الحبر الإسرائيلى رضى الله عنه

أخرج الطبرانى عن عبد الله بن سَلاَم رضى الله عنه قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَمَّا أراد هُدَى زيد بن سُعْنَة قال : ما من علامات النبوة شىء إلاَّ وقد عرفتها فى وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلاَّ اثنتين لم أخبُرهما منه : يسبق حلمُه جهلَه ، ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً ، قال زيد بن سُعْنة : فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحُجْرات — ومعه على بن أبى طالب — فأتاه رجل على راحلته كالبدوى ، فقال : يا رسول الله ، لى نفر فى قرية بنى فلان قد أسلموا ودخلوا فى الإسلام ، وكنت حدَّثتهم إن أسلموا

أتاهم الرزق رَغَداً . وقد أصابتهم سَنَة (١) وشدّة وقحط من الغيث ، فأنا أخشى – يا رسول الله – أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً ؛ فإن رأيتَ أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلتَ . فنظر إلى رجل إلى جانبه – أراه علياً – فقال : يا رسول الله ، ما بقي منه شيء . قال زيد بن سُعنة : فدنوت إليه فقلت : يا محمد ، هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً في حائط بني فلان إلى أجل معلوم ، إلى أجل كذا وكذا . قال : « لا تُسمِّ حائط (٢) بني فلان » قلت : نعم ، فبايَعَني ، فأطلقت همْياني (٣) فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا ، فأعطاه الرجل وقال : « أعدل عليهم وأغثهم » .

قال زيد بن سُعْنة : فلما كان قبل مَحِلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في نفر من أصحابه ، فلما صلّى على الجنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته فأخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ، وقلت له : يا محمد ، ألا تقضيني حقّي ؟ فوالله ، ما عُلمتُم بني عبد المطلب إلاّ مُطْلاً ، ولقد كان لي بمخالطتكم علم . ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ، ثم رماني ببصره فقال : يا عدو الله ، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع ؟ وتصنع به ما أرى ؟ فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر فَوْته لضربت بسيفي رأسك ، ورسول الله ﷺ ينظر إليَّ في سكون وتُؤدة . فقال : « يا عمر ، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا ؛ أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن اتباعه . اذهب به يا عمر ، فأعطه حَقَّه وزدْه عشرين صاعاً من تمر مكان ما رُعْته » .

قال زيد : فذهب بي عمر فأعطاني حقّي وزادني عشرين صاعاً من تمر . فقلت : ما هذه الزيادة يا عمر ؟! قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رُعتك . قال : قلت : وتعرفني يا عمر ؟! قال : لا . قلت : أنا زيد بن سُعْنة . قال : الحَبْرُ ؟ قلت : الحَبْرُ . قال : فما دعاك إلى أن فعلتَ برسول الله ما فعلت ، وقلت له ما قلت ؟ قلت : يا عمر ، لم يكن من علامات النبوّة شيء إلاّ وقد عرْفت في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين ، لم أخبُرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً . وقد اختبرتهما ، فأشهدك – يا عمر – أنّي قد رضيتُ بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وأشهدك أنَّ شطر مالي (٤) فإني

---

(١) سنة : جدب . (٢) الحائط : البستان .

(٣) الهميان : كيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط .

(٤) شطر مالي : نصفه .

أكثرها مالاً – صدقةٌ على أمة محمد ﷺ . قال عمر : أو على بعضهم فإنَّك لا تسعهم ، قلت : أو على بعضهم . فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ ، فقال زيد : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وآمن به وصدَّقه وبايعه ، وشهد مه مشاهد كثيرة ؛ ثم توفى فى غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر . رحم الله زيداً . قال الهيثمى (٨ / ٢٤٠) : رواه الطبرانى ورجاله ثقات ؛ وروى ابن ماجه منه طرفاً : انتهى .

وأخرجه أيضاً ابن حبَّان والحاكم وأبو الشيخ فى كتاب أخلاق النبى ﷺ وغيرهم كما فى الإصابة (١ / ٥٦٦) وقال : ورجال الإسناد مُوَثّقون ، وقد صرّح الوليد فيه بالتحديث ، ومداره على محمد بن أبى السّرِى الراوى له عن الوليد . وثَّقه ابن مَعين ، وليَّنه أبو حاتم . وقال ابن عدى : محمد كثير الغلط . والله أعلم . ووجدت لقصَّته شاهداً من وجه آخر ولكن لم يُسمَّ فيه ، قال ابن سعد : حدثنا يزيد ، حدثنا جرير بن حازم ، حدثنى من سمع الزهرى يحدث أن يهودياً قال : ما كان بقى شيئ من نَعْت محمد ﷺ فى التوراة إلاّ رأيته ؛ إلا الحلم ... فذكر القصة . انتهى . وأخرجه أبو نُعَيم فى الدلائل (ص ٢٣) .

قصة صلح الحديبية [١]

ذكر ما كان من قريش وصدهم رسول الله ﷺ عن زيارة البيت

أخرج البخارى عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحُدَيْبية ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبى ﷺ : « إنَّ خالد بن الوليد بالغَميم[٢] فى خيل لقريش طَليعة [٣] ، فخذوا ذات اليمين » . فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش [٤] ، فانطلق يركض نذيراً لقريش . وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بالثَنِيَّة التى هبط عليهم منها بركت به راحلته . فقال الناس : حَلٍّ ، حَلّ[٥] ، فألَحت . فقالوا : خلأت القَصْواء [٦] !! خلأت القَصْواء ، فقال رسول الله ﷺ : « ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخُلُق ، ولكن حبسها حابس الفيل » .

---

(١) الحديبية بضم الحاء وفتح الدال وبتخفيف الياء قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع النبى ﷺ تحتها ، قال ياقوت فى معجم البلدان إنها على تسعة أميال من مكة .

(٢) الغميم : موضع بين رابغ والجحفة . (٣) طليعة الجيش : مقدمته .

(٤) فترة الجيش : غباره . (٥) حل حل : أى سيرى سيرى .

(٦) خلأت : حرنت وامتنعت عن السير .

ثم قال : « والذى نفسى بيده ، لا يسألونى (١) خُطَّة (٢) يعظِّمون فيها حُرُمات الله إلا أعطيتهم إياها » ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَد قليل الماء ... يتبرضه تبرضاً (٣) ؛ فلم يُلْبثه الناس حتى نزحوه .. وشُكِى إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سَهْماً من كنَانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش (٤) لهم بالرىّ حتى صَدَروا عنه (٥) .

خبر بُدَيْل معه عليه الصلاة والسلام

فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيل بن ورْقاء الخُزاعى فى نفر من قومه من خُزاعة — وكانوا عَيْبة (٦) نُصْح رسول الله ﷺ من أهل تهامة — فقال : إنى تركت كعب بن لؤى ، وعامر بن لؤى نزلوا أعداد (٧) مياه الحديبية ، معهم العوذ المطافيل (٨) ، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت . فقال النبى ﷺ : « إنا لم نَجىء لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ؛ وإنَّ قريشاً قد نَهَكتهم (٩) الحرب وأضرَّت بهم ، فإن شاؤوا مادَدتهم (١٠) مدة ويخلُّوا بينى وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جَمُّوا (١١) ، وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى (١٢) ولينفذنَّ أمر الله » قال بُدَيل : سأبلغهم ما تقول : فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : إنَّا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشىء . وقال ذوو الرأى منهم : هات ما سمعته يقول ، قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدَّثهم بما قال رسول الله ﷺ .

---

(١) هناك لغه بحذف النون فى الأفعال الخمسة بلا ناصب ولا جازم .

(٢) خطة : خصلة .

(٣) الثَّمْدُ والثَّمَد : الماء القليل الذى لا مادة له ومعنى يتبرضه يأخذه قليلاً قليلاً .

(٤) يجيش : يفور . (٥) صدروا عنه : أى تركوه .

(٦) عيبة نصح الرسول : أى موضع ثقته وحامل سره .

(٧) الاعداد جمع عد وهو عين ماء تنبع فى الصحراء .

(٨) يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه . أو كنى بذلك عن النساء ومعهن الأطفال والمراد أنهم خرجوا معهم نساؤهم وأولادهم لإرادة طول المقام وليكون أدعى إلى عدم الفرار .

(٩) نهكتهم : أضعفتهم وأتعبتهم . (١٠) ماددتهم : جعلت بينى وبينهم مدة .

(١١) جموا : استراحوا . (١٢) السالفة : صفحة العنق .

خبر عروة بن مسعود معه عليه الصلاة والسلام

فقام عُروة بن مسعود فقال : أىْ قوم ، ألست بالوالد ؟ قالوا : بلى ، قال : ألستم بالولّد ؟؟ قالوا : بلى ، قال : فهل تتهموننى ؟ قالوا : لا ، قال : ألستم تعلمون أنى استنفرت (١) أهل عُكَاظ ، فلما بلّحوا (٢) علىَّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ، قالوا : بلى ، قال : فإنَّ هذا عرض لكم خُطّة رشد (٣) اقبلوها ودعونى آتيه (٤) ، فقالوا ائته ، فأتاه ، فجعل يكلّم النبى ﷺ ، فقال النبى ﷺ نحواً من قوله لبُدَيل ، فقال عُروة عند ذلك : أىْ محمد ، أرأيت إن استأصلتَ أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فإنى - والله - لا أرى وجوهاً وإنى لأرى أشواباً (٥) من الناس خليقاً أن يفرُّوا وَيَدعُوك ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه : امصُصْ بَظْر (٦) اللاَّت ، أنحنُ نفرُّ عنه وندعه ؟! قال: من ذا ؟ قال : أبو بكر ، قال : أما والذى نفسى بيده ، لولا يَدٌ كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك ، قال وجعل يكلّم النبى ﷺ فكلّما تكلم أخذ بلحيته - والمغيرة ابن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر (٧) ، فكلّما أهوى عُروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنصل السيف وقال له : أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ ، فرفع عُروة رأسه فقال : من هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة !! فقال : أىْ غُدَر (٨) !! ألست أسعى فى غَدْرَتك ؟ - كان المغيرة بن شعبة صحب قوماً فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم ، فقال النبى ﷺ : « أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه فى شىء » - ثم إنَّ عروة جعل يَرْمُق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه ، قالَ - فوالله - ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلاَّ وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدُّون إليه النظر

---

(١) استنفرت : أى دعوتهم إلى نصركم ، (٢) بلحوا : اى أبوا ،

(٣) خطة رشد : خصلة خير وصلاح وإنصاف ،

(٤) الأفصح ان يقول آته بحذف الياء على أنه جواب للأمر ويصح عدم الجزم أيضاً على تأويل مذكور فى كتب النحاة ، (٥) أشواباً : اخلاطاً ،

(٦) البظر موضع ختان المراة واللات اسم صنم وهى كلمة تقال لمن يتطاول فى الحديث إهانة له وسخرية منه واستهزاء به ،

(٧) المغفر : زرد من حديد يوضع على الرأس ولا تظهر منه إلا العيون ،

(٨) أى غدر : أى يا غادر ،

تعظيماً له . فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أىْ قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشى ، والله إنْ رأيت [١] مَلكاً قط يعظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحاب محمد محمداً ، والله إنْ تنخم نخامة إلاَّ وقَعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدُّون النظر إليه تعظيماً له ؛ وإنه قد عرض عليكم خُطة رشد فاقبلوها .

خبر رجل من بنى كنانة معه عليه الصلاة والسلام

فقال رجل من بنى كنانة دعونى آتيه . فقالوا : ائته . فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : « هذا فلان وهو من قوم يعظِّمون البُدْن [٢] فابعثوها له » فبُعثت له واستقبله الناس يُلَبُّون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ، ما ينبغى لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت !! فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البُدْن قد قُلِّدَت [٣] وأشْعِرَت ، فما أرى أن يُصدُّوا عن البيت . فقام رجل منهم - يقال له مكْرَز بن حفص - فقال : دعونى آتيه . قالوا : ائته ، فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ : « هذا مكْرَز وهو رجل فاجر » ، فجعل يكلم النبى ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

خبر سهيل بن عمرو معه عليه الصلاة والسلام وشروط صلح الحديبية

قال مَعْمر : فأخبرنى أيوب عن عِكرمة : أنه لما جاء سُهَيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ : « لقد سُهِّل لكم من أمركم » . قال معمر : قال الزُّهْرى فى حديثه : فجاء سهيل فقال : هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبى ﷺ الكاتب ، فقال النبى ﷺ : اكتب : « بِسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلاَّ باسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبى ﷺ : اكتب ؛ « باسمك اللَّهم » ، ثم قال : « هذا ما قاضَى عليه محمد رسول الله » . فقال سهيل : والله لو كنَّا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله . فقال رسول الله ﷺ : « والله إنِّى لرسول الله وإن كذبتمونى ، اكتب : محمد بن

---

(١) إن رأيت : بمعنى ما رأيت .

(٢) البدن : جمع بدنة وهى ناقة أو جمل ينحرها الحاج فى مكة المكرمة .

(٣) قلدت : علق فى عنقها علامة تدل على أنها هدى .

عبد الله » – قال الزُهرى : وذلك لقوله لا يسألونى خطَّة يعظِّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها – فقال له النبى ﷺ : « على أن تُخلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به » . قال سهيل : والله لا تتحدَّث العرب أنا أخذنا ضُغطة (١) ، ولكنَّ ذلك من العام المقبل، فكتب . فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منَّا رجل وإن كان على دينك إلاَّ رددته إلينا . قال المسلمون : سبحان الله ، كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً ؟! .

قصة أبى جَنْدل رضى الله عنه

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو رضى الله عنه يرسُف فى قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين . فقال سهيل : هذا يا محمد – أول من أُقاضيك عليه أن ترده إلىّ ، فقال النبى ﷺ : إنَّا لم نَقْضِ الكتاب بَعْدُ » . قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شىء أبداً . قال النبى ﷺ : « فأجزه لى . قال : ما أنا بمجيزه لك . قال : بلى فافعل . قال : ما أنا بفاعل . قال مِكْرَز : بلى قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أى معشر المسلمين ، أردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ؟! ألا تَروْن ما قد لقيت – وكان قد عُذِّب عذاباً شديداً فى الله – فقال عمر : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ألستَ نبى الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلِم نُعطى الدَّنيّة فى ديننا إذن ؟ قال : « إنّى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى » . قلت : أولَستَ كنت تحدِّثنا أنَّا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : « بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ » قال : قلت : لا . قال : « فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به » . قال فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبى الله حقّاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل قال: بلى . قال : قلت : فلِمَ نعطى الدنية فى ديننا إذن ؟ قال : أيُّها الرجل ، إنَّه لرسول الله ، وليس يعصى ربه ، وهو ناصره فاستمسك بغَرْزه (٢) ، فوالله إنَّه على الحق. قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى . أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ فقلت : لا . قال : فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به . قال عمر : فعملتُ لذلك أعمالاً . قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث

---

(١) أى أخذنا عنوة وقهراً .

(٢) غَرْزه : بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المراد به التمسك بأمره وترك المخالفة له كالذى يمسك بركب الفارس فلا يفارقه .

مرات . فلّما لم يقم منهم أحد دخل على أمّ سَلَمة رضى الله عنها ، فذكر لها ما لقى من الناس . فقالت أمّ سلمة : يا نبى الله ، أتحبّ ذلك ؟ اخرج ، ثم لا تكلّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلّم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بُدْنه ، ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً . ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ المؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ - حتى بلغ - ﴿ بِعِصَمِ الكَوَافِرِ ﴾ (١) . فطلّق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك ، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية .

خبر أبى بصير مع الرجلين اللذين أرسلا فى طلبه

ثم رجع النبى ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رضى الله عنه - رجل من قريش وهو مسلم - فأرسلوا فى طلبه رجلَين ، فقالوا : العَهْدَ الذى جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحُليفة (٢) فنزلوا يأكلون من تمر لهم . فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إنّى لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً !! فاستلّه الآخر فقال : أجل - والله - إنه لجيدٌ ، لقد جرّبت به ثم جرّبت . فقال أبو بصير : أرنى أنظرْ إليه . فأمكنه منه ، فضربه حتى بَرَد (٣) وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه : « لقد رأى هذا ذُعْراً » . فلما انتهى إلى النبى ﷺ قال : « قُتل - والله - صاحبى وإنى لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال : يا نبى الله قد والله - أوفى الله ذمتك ، قد رددتنى إليهم ثم أنجانى الله منهم . فقال النبى ﷺ : « ويْلُ أُمِّه مِسْعَر حرب ؟ لو كان له أحد » . فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر .

لحوق أبى جندل بأبى بصير واعتراضهما لعير قريش

قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضى الله عنه فلحق بأبى بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلاّ لحق بأبى بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعِير خرجت ؛ لقريش إلى الشام إلاّ اعترضوا لها

---

(١) سورة الممتحنة الآية : ١٠ .

(٢) ذو الحليفة : قرية على بعد ستة أميال من المدينة يقال لها أبيار على ومنها ميقات أهل المدينة .

(٣) البرد : الموت .

فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبى ﷺ تناشده بالله والرَّحِم لمَّا أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبى ﷺ إليهم فأنزل الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ - حتى بلغ - ﴿ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [1] ، وكانت حميّتهم أنّهم لم يقروا أنّه نبى الله ، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت ، قال ابن كثير فى البداية (٤ / ١٧٧) : هذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست فى رواية ابن إسحاق عن الزهرى ، انتهى ، وأخرجه البيهقى (٩ / ٢١٨) أيضاً بطوله ،

إرساله ﷺ عثمان إلى مكة بعد النزول بالحديبية

وأخرج ابن عساكر وابن أبى شَيْبة عن عُروة رضى الله عنه فى نزول النبى ﷺ بالحديبية قال : وفزعت قريش لنزوله عليهم ، وأحب رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه ، فدعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه إليهم ، فقال : يا رسول الله ، إنّى لألعنهم وليس أحد بمكة من بنى كعب يغضب لى إن أوذيت ، فأرسلْ عثمان فإنَّ عشيرته بها وإنهُ يُبَلّغ لك ما أردت ، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفاف فأرسله إلى قريش ، وقال : « أخبرهم أنَّا لم نأت لقتال وإنما جئنا عُمَّاراً وادعهم إلى الإسلام » ، وأمره أن يأتى رجالاً بمكة من المؤمنين ونساءً مؤمنات ، فيدخل عليهم ويبشّرهم بالفتح ، ويخبرهم أنَّ الله جلَّ ثناؤه يوشك أنْ يُظْهر دينه بمكة حتى لا يُستخفى فيها بالإيمان تثبيتاً يُثَبِّتهم ، قال : فانطلق عثمان فمرّ على قريش ببلدح[2] فقالت قريش : أين ؟ قال : بعثنى رسول الله ﷺ إليكم لأدعوكم إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ، ونخبركم أنَّا لم نأت لقتال أحد وإنما جئنا عُمَّاراً ، فدعاهم عثمان كما أمره ﷺ ، فقالوا : قد سمعنا ما تقول فانفُذْ لحاجتك ، وقام إليه أبَانُ بن سعيد بن العاص فرحب به وأسْرَج فرسه ، فحمل عثمانَ على الفرس فأجاره ، وردفه أبَانُ حتى جاء مكة ، ثم إنَّ قريشاً بعثوا بُدَيل بن ورقاء الخزاعى وأخا بنى كنانة ثم جاء عروة بن مسعود الثقفى - فذكر الحديث ؛ كما فى كنز العمال (٥ / ٢٨٨) ، وأخرجه أيضاً ابن أبى شيبة من وجه آخر بطوله - عن عروة ، كما فى كنز العمال أيضاً (٥ / ٢٩٠) ، وأخرجه البيهقى (٩ / ٢٢١) عن موسى بن عقبة بنحوه ،

---

(١) سورة الفتح الآيات : ٢٤ - ٢٦ ،

(٢) بلدح : اسم موضع بالحجاز قرب مكة المكرمة ،

قول عمر فى صلح الحديبية

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لقد صالح رسول الله ﷺ أهل مكة على صلح وأعطاهم شيئاً ، لو أنَّ نبى الله ﷺ أمَّر علىَّ أميراً فصنع الذى صنع نبىُّ الله ما سمعت ولا أطعت ، وكان الذى جعل لهم أنَّ من لحق من الكفَّار بالمسلمين ردُّوه ، ومن لحق بالكفَّار لم يردُّوه !! كذا فى كنز العمال (٥ / ٢٨٦) وقال : سنده صحيح .

قول أبى بكر فى صلح الحديبية

وأخرج ابن عساكر عن الواقدى قال : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : ما كان فَتْح أعظم فى الإسلام من فتح الحديبية ، ولكن الناس يومئذ قصُر رأيهم عمَّا كان بين محمد وربه ، والعباد يَعْجَلون والله لا يعجل كعجلة العباد حتى يُبلغ الأمور ما أراد . لقد نظرتُ إلى سُهيل بن عمرو فى حجّة الوداع قائماً عند المنحر يقرِّب إلى رسول الله ﷺ بُدْنه ورسوله الله ﷺ نحرها بيده، ودعا الحلاَّق فحلق رأسه ؛ وأنظر إلى سهيل يلتقط من شَعَره وأراه يضعه على عينيه ، وأذكر إباءه أن يُقرَّ يوم الحديبية بأن يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ويأبى أن يكتب : محمد رسول الله ﷺ ، فحمدت الله الذى هداه للإسلام . كذا فى كنز العمال (٥ / ٢٨٦) .

قصة إسلام عمرو بن العاص رضى الله عنه

أخرج ابن إسحاق عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى ، فقلت لهم : تعلمون – والله – إنِّي أرى أمر محمد يعلو الأمور علوّاً منكراً ، وإنِّى لقد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنَّا عند النجاشى ، فإنا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ؛ وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلاَّ خير . قالوا : إنَّ هذا لرأى . قلت : فاجمعوا لنا ما نهدى له ، فكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدَمُ (١) ، فجمعنا له أدَماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه . فوالله إنَّا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمْرى وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابى : هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشى فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلتُ رأت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلتُ رسول

---

(١) الأدم : الجلد .

محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحباً بصديقي هل أهديت لى من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت لك أدَماً كثيراً . قال : ثم قرّبته إليه فأعجبه واشتهاه . ثم قلت له : أيها الملك ، إنّي قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدوٌ لنا ؛ فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ؛ فلو انشقّت الأرض لدخلت فيها فَرَقاً (١) . ثم قلت : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتُكَه . قال : أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر (٢) الذى كان يأتى موسى فتقتله ؟! قال قلت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟! قال : ويحك يا عمرو ، أطعنى واتّبعه فإنه - والله - لَعَلى الحقّ ، وليظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده . قال : قلت : افتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعته على الإسلام . ثم خرجت على أصحابى وقد حال (٣) رأيى عما كان عليه وكتمت أصحابى إسلامى . ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة . فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ فقال : والله ، لقد استقام الميسم (٤) ، وإنّ الرجل لنبى ، اذهب - والله - أسلم فحتى متى ؟ قال : قلت : والله ما جئت إلاّ لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على النبى ﷺ فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إنّى أبايعك على أن تغفر لى ما تقدّم من ذنبى ولا أذكر ما تأخّر . قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا عمرو ، بايع فإنّ الإسلام يجبٌ ما كان قبله ، وإن الهجرة تجبٌ ما كان قبلها » . قال : فبايعته ثم انصرفت . كذا في البداية (٤ / ١٤٢) . وأخرجه أيضاً أحمد والطبرانى عن عمرو نحوه . مطوّلاً . قال الهيثمى (٩ / ٣٥١) : ورجالهما ثقات . انتهى .

وأخرج البيهقى من طريق الواقدى بأبسط منه وأحسن ، وفى حديثه : ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة (٥) ، فإذا رجلان قد سبقانى بغير كثير يريدان منزلاً وأحدهما داخل فى الخيمة والآخر يمسك الراحلتين . قال : فنظرت فإذا خالد بن الوليد . قال : قلت : أين تريد ؟ قال : محمداً ، دخل الناس فى الإسلام فلم يبقَ أحد به طعم (٦) ، والله ، لو أقمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضُّبُع فى مغارتها .

(١) فرقا : خوفاً وفزعاً .

(٢) الناموس الأكبر : هو جبريل عليه السلام .

(٣) حال : تحول وتغير .

(٤) يعنى وضح الحق وأصل الميسم الآلة التى يكون بها البعير .

(٥) اسم موضع بالحجاز بين مكة والطائف .

(٦) اى لم يبق أحدٌ عاقل فيه خير إلا دخل فى الإسلام .

قلت : وأنا – والله – قد أردت محمداً وأردت الإسلام . فخرج عثمان بن طلحة فرحّب بي ، فنزلنا جميعاً فى المنزل . ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة ، فما أنسى قول رجل لقيناه ببئر أبى عتبة يصيح : يا رباح ، يا رباح ، يا رباح !! فتفاءلنا بقوله وسرّنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكة المقادة بعد هذين (١) ، وظننت أنه يعنيني ويعنى خالد بن الوليد ، وولّى مدبراً إلى المسجد سريعاً . فظننت أنه بشّر رسول الله ﷺ بقدومنا ، فكان كما ظننت ، وأنخنا بالحرّة فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نُودىَ بالعصر فانطلقنا حتى اطّلعنا عليه وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سُرُّوا بإسلامنا ، فتقدّم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدّم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدّمت ، فوالله ، ما هو إلاّ أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرْفى حياء منه . قال : فبايعته على أن يغفر لى ما تقدّم من ذنبى ولم يحضرنى ما تأخر . فقال : « إن الإسلام يجبّ ما كان قبله ، والهجرة تجبّ ما كان قبلها » . قال : فوالله ، ما عَدَلَ بى رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه فى أمر حَزَبه منذ أسلمنا . كذا فى البداية (٤ / ٢٣٧) .

قصة إسلام خالد بن الوليد رضى الله عنه

أخرج الواقدى عن خالد رضى الله عنه قال : لّما أراد الله بى ما أراد من الخير قذف فى قلبى الإسلام وحضرنى رُشدى ، فقلت : قد شهدت هذه المواطن كلّها على محمد ﷺ ، فليس فى موطن أشهده إلاّ أنصرفُ وأنا أرى فى نفسى أنى مُوضعٌ فى غير شىء وأنّ محمداً سيظهر .

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت فى خيل من المشركين فلقيت رسول الله ﷺ فى أصحابه بعُسْفان ، فقمت ، بإزائه وتعرّضت له . فصلّى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نُغير عليهم ثم لم يُعزم لنا . وكانت فيه خيرة ، فاطلّع على ما فى أنفسنا من الهمّ به . فصلّى بأصحابه صلاة العصر : صلاة الخوف فوقع ذلك منا موقعاً ، وقلت : الرجل ممنوع ، فاعتزلنا وعدَل عن سير خيلنا وأخذت ذات اليمين . فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريشٌ بالرواح قلت فى نفسى : أىُّ شىء بقى ؟ أين أذهب ؟ إلى النجاشى ؛ فقد اتبع محمداً وأصحابه عنده آمنون !! فأخرج إلى هرقل ، فأخرج من دينى إلى نصرانية أو يهودية ، فأقيمُ فى عجم ، أفاقيم فى دارى بمن بقى ؟ فأنا فى ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكّة فى عمرة القضيّة ، فغيّبت ولم

---

(١) أى أعطت القيادة للمسلمين واستسلمت بعد إسلام هذين .

أشهد دخوله ، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي ﷺ في عمرة القضيّة ، فطلبني فلم يجدني ، فكتب إليَّ كتاباً فإذا فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أما بعد :

فإني لم أرَ أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وعقلك عقلك [1] ومثل الإسلام جهله أحد ؟! وقد سألني رسول الله ﷺ عنك ، وقال : أين خالد ؟ فقلت : يأبى الله به . فقال : « مثله جهل الإسلام ؟! ولو كان جعل نكايته وجِدّه مع المسلمين كان خيراً له ، ولقدّمناه على غيره » فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة) .

قال : فلما جاءني كتابه نشطت للخروج ، وزادني رغبة في الإسلام ، وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني ، وأرى في النوم كأنّي في بلاد ضيّقة مجدبة ، فخرجت في بلاد خضراء واسعة ، فقلت : إنَّ هذه لرؤيا . فلما أن قدمت المدينة قلت : لأذكرنّها لأبي بكر [2] فقال : مَخْرَجُكَ الذي هداك الله للإسلام ، والضيق الذي كنت فيه من الشرك .

قال : فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلت : من أصاحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فلقيت صفوان بن أمية ، فقلت : يا أبا وَهْب ، أما ترى ما نحن فيه ؟ إنما نحن كأضراس [3] ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم . فلو قدمنا على محمد واتبعناه فإنَّ شرف محمد لنا شرف . فأبى أشدَّ الإباء ، فقال : لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً ، فافترقنا . وقلت : هذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببدر . فلقيت عِكْرِمة بن أبي جهل ، فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية ، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية . قلت : فاكتم عليَّ . قال : لا أذكره ، فخرجت إلى منزلي فأمرت براحلتين فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان بن طلحة . فقلت : إنَّ هذا لي صديق فلو ذكرت له ما أرجو . ثم ذكرت من قُتل من آبائه فكرهت أن أذكِّره . ثم قلت : وما عليَّ ؟ وأنا راحل من ساعتي . فذكرت له ما صار الأمْر إليه ، فقلت : إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لوصُبَّ فيه ذَنُوبٌ [4] من ماء لخرج ، وقلت له نحواً مّما قلت لصاحبَيّ ، فأسرع

---

(١) اى عقلك هو عقلك الراجح المستقيم الذى يزن الأمور بميزان صحيح وهو مدح له وتعجب من تأخره عن الإسلام وعقله من الرشد بمكان .

(٢) قد عرض رؤياه على أبى بكر لأنه كان مشهوراً بين قومه بتعبير الرؤى .

(٣) مثل يضرب للقلة والضعف .

(٤) الذنوب الممتلىء ماء .

الإجابة ، وقلت له : إني غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو وهذه راحلتي بفجٍّ مَنَاخة ، قال : فاتعدت [1] أنا وهو يأجُجَ إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه ، قال : فأدلجنا سَحَراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدّة ، فنجد عمرو بن العاص بها ، قال : مرحباً بالقوم ، فقلنا : وبك [2] فقال إلى أين مسيركم ؟ فقلنا : وما أخرجك ؟ فقال : وما أخرجكم ؟ قلنا : الدخول في الإسلام واتباع محمد ﷺ ، قال : وذاك الذى أقدمنى ، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنخنا بظهر الحرَّة ركابنا ، فأخبر بنا رسول الله ﷺ فسُرَّ بنا ، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ ، فلقيني أخي فقال : أسرع فإنَّ رسول الله ﷺ قد أخبر بك فسُرَّ بقدومك وهو ينتظركم ، فاسرعنا المشي فاطلّعت عليه فما زال يتبسَّم إليّ حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد عليّ السلام بوجه طَلْق ، فقلت : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال : « تعال » ثم قال ﷺ : « الحمد لله الذى هداك ، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يُسلمك إلاّ إلى خير » ، قلت : يا رسول الله ، إنّي قد رأيتُ ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق ، فادعُ الله أن يغفرها لي ، فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام يجبّ ما كان قبله » ، قلت : يا رسول الله على ذلك [3] قال : « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع [4] فيه من صدٍّ عن سبيل الله » ، قال خالد : وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ ، قال : وكان قدومنا في صفر سنة ثمان ؛ قال : والله ما كان رسول الله ﷺ يَعْدل [5] بي أحداً من أصحابه فيما حَزبه ، كذا في البداية (٤ / ٢٣٨) ، وأخرجه أيضاً ابن عساكر نحوه ـ مطولاً ، كما في كنز العمال (٧ / ٣٠) .

قصة فتح مكة زادها الله تشريفاً

خروجه عليه الصلاة والسلام لفتح مكة ونزوله بمرّ الظهران

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ثم مضى رسول الله ﷺ واستعمل على المدينة أبا رُهْم كلثوم بنَ الحُصين الغفاري ، وخرج لعشر مَضَيْن من رمضان ، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكُدَيْد ـ ماء بين

---

(١) فاتعدت : وعد بعضنا بعضاً بمكان يقال له ياجج وهو على ثلاثة أميال من مكة المكرمة . (٢) اى ومرحباً بك . (٣) اى زدنى على ذلك دعاءً منك .

(٤) أوضع : اعان من صد عن سبيل الله وأسرع في نصرته .

(٥) يسوى بى احداً من أصحابه فيما أهمه من أمر، لقبه بسيف الله المسلول.

عُسْفان وأمج – أفطر ، ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، وألف من مُزينة وسُلَيم ، وفى كل القبائل عدد وسلاح ، وأوعبَ مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار لم يتخلف منهم أحد .

تجسس رؤساء قريش الأخبار

فلّما نزل رسول الله ﷺ مرِّ الظهران – وقد عُمِّيت الأخبار على قريش ، فلم يأتهم عن رسول الله ﷺ خبر ولم يدروا ما هو فاعل – خرج فى تلك الليلة : أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حِزام وبُدَيل بن وَرْقاء يتجسَّسُون ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ؟ وقد كان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه تَلقَّى رسول الله ﷺ فى بعض الطريق ، وقد كان أبو سفيان بنُ الحارث بن عبد المطَّلب وعبد الله بنُ أبى أُمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ فيما بين المدينة ومكة والتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سَلَمة فيهما فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك ، وابن عمتك وصِهرك [١] قال : « لا حاجة لى بهما . أما ابن عمى فهتك عرضى بمكة ، وأما ابن عمتى وصِهْرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال » فلما خرج إليهما بذلك – ومع أبى سفيان بُنَيٌّ له – فقال : والله لتأذننَّ لى أو لآخذنَّ بيدى بُنَيِّ هذا ثم لنذهبنَّ بالأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ لهما ثم أذن لهما فدخلا فأسلما .

ترغيب العباس قريشاً أن يستأمنوه ﷺ

فلما نزل رسول الله ﷺ بمَرِّ الظهران قال العباس : واصباح قريش !! والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكَّة عنوة قبل أن يستأمنوه إنَّه لهلاك قريش آخر الدهر . قال فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأرَاك ، فقلت لعلِّى ألقَى بعض الحطَّابة أو صاحب لبَن أو ذا حاجة يأتى مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ، فيستأمنوه قبل أن يدخلها عَنْوَة .

خبر أبى سفيان مع العباس وعمر رضى الله عنهم

قال : فوالله إنى لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان [٢] ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كاليوم قط نيراناً ولا عسكر !! قال يقول بديل : هذه – والله – نيران خُزاعة حَمَشَتها [٣] الحرب . قال :

---

(١) ابن عمه هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابن عمته وصهره هو عبد الله ابن أبى أمية بن عاتكة بنت عبد المطلب وهو أخو أم سلمة زوجة الرسول ﷺ .

(٢) يراجع كل منهما الآخر فى القول . (٣) حمشتها : أحرقها .

يقول أبو سفيان : خزاعة - والله - أذلّ وألأم من أن تكون هذه نيرانها وعسكَرها ، قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتى فقال : أبو الفضل ؟ فقلت : نعم ، فقال : مالك - فداك أبى وأمي - فقلت : ويحكم يا أبا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ في الناس ، واصباح قريش والله ! قال : فما الحيلة - فداك أبى وأمى - قال : قلت : لئن ظفر بك ليضربَن عنقك ، فاركب معى هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله ﷺ فأستأمنَه لك ، قال : فركب خلفى ورجع صاحباه وحَرَّكْتُ به ، فكلّما مررتُ بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ قالوا : عمٌّ رسول الله ﷺ على بغلته ، حتى مررت بنار عمرَ بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إلىّ ، فلما رأى أبا سفيان على عَجُز البغلة قال : أبو سفيان ، عدو الله !! الحمد لله الذى أمكن الله منك بغير عَقْد ولا عَهْد (١) ،

ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ ، وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة الرجل البطىء ، فاقتحمتُ (٢) عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، ودخل عمر فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدَعْنى فلأضربْ عنقه ، فقلت : يا رسول الله ، إنى أجرته ، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فقلت : لا والله ، لا يناجيه الليلة رجل دونى ، قال : فلّما أكثر عمر فى شأنه قلت : مهلاً يا عمر ، أمَا - والله - إن لو كان من رجال بنى عدىٍّ بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك عرفت أنّه من رجال بنى عبد مناف ، فقال : مهلاً يا عباس !! والله ، لإسلامك يوم أسلمتَ أحبُّ إلىَّ من إسلام أبى لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفت أنَّ إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطّاب ، فقال رسول الله ﷺ : « اذهب به إلى رَحْلك يا عبّاس ، فإذا أصبحت فائتنى به » ، فذهبت به إلى رَحْلى فبات عندى ، فلما أصبح غدوت به على رسول الله ﷺ ،

شهادة أبى سفيان
بكمال خلقه عليه الصلاة والسلام ودخوله فى الإسلام

فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله ؟ » قال : بأبى أنت وأمى ، ما أكرمك وأحلمك وأوصلك !! لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئاً ، قال : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنّى رسول الله ؟ » قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك

---

(١) أى بغير آمان من النبى ﷺ ، (٢) اقتحمت : أى اندفعت ونزلت ،

وأوصلك !! هذه - والله - كان فى النفس منها شىء حتى الآن ، قال العباس : ويحك يا أبا سفيان ، أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يُضرب عُنُقك ، قال : فشهد شهادة الحق وأسلم .

الذين جعلهم رسول الله ﷺ آمنين يوم الفتح

قلت : يا رسول الله ، إنَّ أبا سفيان يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً ، قال : « نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » . فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : « يا عبَّاس ، احبسه بالوادى عند خَطْم الجبل (١) حتى تمر به جنود الله فيراها » ، قال فخرجت به حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله ﷺ أن أحبسه ، قال : ومرَّت به القبائل على راياتها فكلَّما مَّرت قبيلة قال : من هؤلاء يا عباس ؟ فأقول بنو سُلَيم ، فيقول : ما لى ولسُلَيم ؟ قال ثم تمر القبيلة فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : مُزَيْنة ، فيقول : ما لى ولمزينة ؟ حتى نفدت القبائل - يعنى جاوزت - لا تمر قبيلة إلاَّ قال : من هؤلاء ؟ فأقول : بنو فلان ، فيقول : ما لى ولبنى فلان ؟ حتى مرَّ رسول الله ﷺ فى الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يُرى منهم سَوى الحَدَق (٢) قال : سبحان الله !! من هؤلاء يا عباس ؟ قلت : هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقةٌ ، - والله - يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابنِ أخيك الغداة عظيماً !! قلت : يا أبا سفيان ، إنّها النبوّة ، قال : فنعم إذاً ، قلت : التجىء إلى قومك ، قال فخرج حتى جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه امرأته هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الدِّسِم الأحمش (٣) فبئس طليعة قوم ، قال : ويحكم ، لا تغرنَّكُم هذه من أنفسكم فإنه قد جاء بما لا قِبَل لكم به ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا : ويحك ، وما تغنى عنا دارك ؟! قال : ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد ، قال الهيثمى (٦ / ١٦٧) : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ، انتهى .

صفة دخوله عليه الصلاة والسلام مكة

وأخرجه أيضاً البيهقى بطوله كما فى البداية (٤ / ٢٩١) ، وأخرجه ابن

---

(١) أى مقدمة الجبل وخطم الشىء أنفه ومقدمته .   (٢) الحدق : الأعين .

(٣) الدسم الأسود ، والأحمش الدقيق النحيف وفى رواية اقتلوا الحميث الأسود والحميث هو الزق ووعاء السمن .

عساكر فلّما حبست أبا سفيان قال : غَدْراً يا بنى هاشم ؟! فقال العباس : إنَّ أهل النبوّة لا يغدرون ، ولكن لى إليك حاجة ، فقال أبو سفيان : فهلاّ بدأت بها أولاً ؟ فقلت : إنَّ لى إليك حاجة فكان أفرغ لروعى ، قال العباس : لم أكن أراك تذهب هذا المذهب ، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه ، ومرَّت القبائل على قادتها والكتائب على راياتها ، فكان أول من قدَّم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فى بنى سليم وهم ألف فيهم لواء يحمله عباس بن مرداس ولواء يحمله خفاف بن نُدبة ورايه يحملها الحجاج بن علاط قال أبو سفيان من هؤلاء قال العباس : خالد بن الواليد ، قال : الغلام ، قال : نعم ، فلما حاذى خالد بالعباس وإلى جنبه أبو سفيان كبَّروا ثلاثاً ثم مضَوا ، ثم مرَّ على إثره الزبير بن العوّام فى خمس مائة منهم مهاجرون وأفناء (١) الناس ومعه راية سوداء ، فلما حاذى أبا سفيان كبَّر ثلاثاً وكبَّر أصحابه ، فقال : من هذا ؟ قال : الزبير بن العوام ، قال : ابن اختك ، قال : نعم ، ومرَّت نفر من غفار في ثلاث مائة يحمل رايتهم أبو ذر الغفارى ويقال إيماء بن رخصة فلما حاذوه كبروا ثلاثاً ، قال : يا أبا الفضل ، من هؤلاء ؟ قال : بنو غفار ، قال : وما لى ولبنى غفار ، ثم مضت أسْلَم فى أربع مائة فيها لواءان : يحمل أحدهما بُرَيدة بن الحُصَيب ، والآخر ناجية بن الأعجم : فلما حاذَوْه كبَّروا ثلاثاً ، فقال : من هـؤلاء ؟ قال : أسـلم ، قال : يا أبا الفضل : مالى ولأسْلَم ، ما كان بيننا وبينها تِرة (٢) قط ،

قال العباس : هم قوم مسلمون دخلوا فى الإسلام ، ثم مرَّت بنو كعب بن عمرو فى خمس مائة يحمل رايتهم بِشر بن شيبان ، قال : من هؤلاء ؟ قال : هم كعب بن عمرو ، قال : نعم ، هؤلاء حلفاء محمد ؛ فلما حاذَوْه كبَّروا ثلاثاً ، ثم مرّت مُزَينة فى ألف فيها ثلاثة ألوية وفيه مائة فرس ، يحمل ألويتها : النعمان بن مقرِّن ، وبلال بن الحارث وعبد الله بن عمرو ؛ فلما حاذَوه كبَّروا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : مُزَينة ، قال : يا أبا الفضل ، مالى ولُمزينة قد جاءتنى تقعقع (٣) من شواهقها ، ثم مرت جُهَينة فى ثمان مائة مع قادتها فيها أربعة ألوية : لواء مع أبى زُرعة معْبد بن خالد، ولواء مع سُويد بن صخر، ولواء مع رافع بن مكيث، ولواء مع عبد الله بن بدر ؛ فلما حاذَوْه كبَّروا ثلاثا ، ثم مرَّت كنَّانة : بنو ليث ، وضمرة ، وسعد بن بكر ، فى مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثى ؛ فلما حاذَوْه كبّروا ثلاثاً ، فقال : من هؤلاء ؟

---

(١) أفناء الناس : من اجتمع منهم من بطون وقبائل شتى متفرقة ،

(٢) ترةً : ثاراً وعداوة ، (٣) تقعقع : تقرع باسلحتها مندرجة من أعاليها ،

قال : بنو بكر (١) ، قال : نعم ،أهل شؤم والله ، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ، أما - والله - ما شُوورتُ فيه ولا علمتـه ، ولقد كنت له كارهاً حيث بلغنى ، ولكنه أمر حُمَّ (٢) ، قال العباس : قد خارَ الله لك فى غزوة محمد ﷺ لكم ودخلتم فى الإسلام كافة ،

قال الواقدى : حدثنى عبد الله بن عامر عن أبى عمرو بن حماس قال : مرت بنو ليث وحدها وهم مائتان وخمسون يحمل لواءها الصَّعْب بن جُثامة ؛ فلما مرَّ كبَّروا ثلاثاً ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : بنو ليث ، ثم مرت أشجَع وهم آخر من مرَّ وهم فى ثلاث مائة معهم لواء يحمله مَعْقِل بن سنان ، ولواء مغ نُعَيم بن مسعود ، فقال أبو سفيان : هؤلاء كانوا أشد العربَ على محمد ﷺ ، فقال العباس : أدخل الله الإسلامَ قلوبَهم ، فهذا من فضل الله ، فسكت ؛ ثم قال : ما مضى بعد محمد ؟ قال العباس : لم يمضِ بعد ،

لو رأيت الكتيبة التى فيها محمد ﷺ رأيت الحديد والخيل والرجال وما ليس لأحد به طاقة !! قال : أظن - والله - يا أبا الفضل !! ومن له بهؤلاء طاقة ؟! فلما طلعت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء طلع سواد وغبرة من سنابك الخيل وجعل الناس يمرُّون كل ذلك يقول : ما مرَّ محمد ؟ فيقول العباس : لا ، حتى مرَّ يسير على ناقته القصواء بين أبى بكر وأُسَيد بن حُضَير وهو يحدّثهما ، فقال العباس : هذا رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار ، فيها الرايات والألوية ، مع كل بطل من الأنصار راية ولواء فى الحديد لا يُرى فيه إلا الحَدَق (٣) ، ولعمر بن الخطاب فيها زَجَل (٤) ، وعليه الحديد بصوت عال وهو يزَعها (٥) ، فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، من هذا المتكلم ؟ قال : عمر بن الخطاب ، قال : لقد أمرَ أمْرُ (٦) بنى عدىٌ بعد - والله - قلّة وذلّة ، فقال العباس يا أبا سفيان ، إن الله يرفعَ ما يشاء بما يشاء ، وإن عمر ممن رفعه الإسلام ، وقال : فى الكتيبة ألفا درع ، وأعطى رسول الله ﷺ رايته سعد بن عبادة فهو أمام الكتيبة ، فلّما مرَّ سعد براية النبى ﷺ نادى أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحلُّ الحرمة ، اليوم أذلّ الله قريشاً ، فأقبل رسول الله ﷺ حتى إذا حاذى بأبى سفيان ناداه : يا رسول الله ، أمرتَ بقتل قومك ؟ زعم سعد ومن

---

(١) بنو بكر : هم الذين نقضوا العهد وأغاروا على خزاعة حلفاء النبى ﷺ ،

(٢) حمّ : قدر ونزل ، (٣) الحدق : الأعين (٤) الزجل : الصوت الرفيع العالى ،

(٥) يزعها : يرتبها ويسويها ويصفها للحرب ،

(٦) أمر أمر : أى عظم أمر بنى عدى بعد أن كانوا قلة ضعفاء ،

معه حين مرَّ بنا ، فقال : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحلُّ الحرمة ، اليوم أذلّ الله قريشاً ، وإني أُنشدُكَ الله في قومك ، فأنت أبرُّ الناس . قال عبد الرحمن ابن عوف وعثمان بن عفان : يا رسول الله ، ما نأمن سعداً أن يكون منه في قريش صَوْلة ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا سفيان ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعزَّ الله فيه قريشاً » . قال : وأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فعزله وجعل اللواء إلى قيس . ورأى رسول الله ﷺ أنّ اللواء لم يخرج من سعد حين صار لابنه ، فأبى سعد أن سلّم اللواء إلاّ بالأمارة من النبي ﷺ . فأرسل رسول الله ﷺ إليه بعمامته فعرفها سعد ، فدفع اللواء إلى ابنه قيس .

وأخرج الطبراني عن أبي ليلى رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ فقال : إن أبا سفيان في الأرَاك فدخلنا فأخذناه ، فجعل المسلمون يَحْوُونه [1] بجفون سيوفهم حتى جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : « ويحك يا أبا سفيان ! قد جئتكم بالدنيا والآخرة ، فأسلموا تسلموا » ، وكان العباس له صديقاً . فقال له العباس رضي الله عنه : يا رسول الله ، إن أبا سفيان يحب الصوت [2] . فبعث رسول الله ﷺ منادياً ينادي بمكة « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » . ثم بعث معه العباس حتى جلسا على عقبة الثنيّة . فأقبلت بنو سليم فقال : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : هذه بنو سُلَيم . فقال : وما أنا وسُلَيم . ثم أقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المهاجرين . ثم أقبل رسول الله ﷺ في الأنصار فقال : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الموت الأحمر ! هذا رسول الله ﷺ في الأنصار . فقال أبو سفيان : لقد رأيت ملك كسرى وقيصر فما رأيت مثل ملك ابن أخيك !! فقال العباس : إنما هي النبوة . قال الهيثمي (٦ / ١٧٠) : رواه الطبراني ، وفيه : حرب بن الحسن الطّحان وهو ضعيف وقد وُثِّق . انتهى .

وأخرج الطبراني عن عروة رضي الله عنه مرسلاً قال : ثم خرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً : من المهاجرين ، والأنصار ، وأسْلَم ، وغفار ، وجُهينة ، وبني سُلَيم ، وقادوا الخيول حتى نزلوا بمرِّ الظهران ولم تعلم بهم قريش ، وبعثوا بحكيم بن حزام وأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ وقالوا : خذ لنا منه جواراً أو آذنوه [3] بالحرب . فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام فلقيا بُدَيل بن ورقاء فاسْتَصْحَبَاه ، حتى إذا كانا بالأراك من مكة - وذلك عشاء - رأوا الفساطيط [4] والعسكر ، وسمعوا

---

(١) يحصرونه ويحيطون به .

(٢) الصوت : أي الصيت والذكر والفخر .

(٣) آذنوه : أعلموه وأخبروه .

(٤) الفساطيط مفردها فسطاط وهي نوع من الخيام التي تضرب في السفر .

صهيل الخيل ، فراعهم وفزعوا منه وقالوا : هؤلاء بنو كعب حاشتها الحرب . فقال بُديل : هؤلاء أكبر من بنى كعب !! ما بلغ تأليبها (١) هذا أفتنتجع (٢) هوازن أرضنا ؟ والله ما نعرف هذا أيضاً ، إنَّ هذا لمثل حاج الناس . وكان رسول الله ﷺ قد بعث بين يديه خيلاً تقبض العيون (٣) ، وخزاعة على الطريق لا يتركون أحداً يمضى . فلما دخل أبو سفيان وأصحابه عسكر المسلمين أخذتهم الخيل تحت الليل وأتَّوا بهم خائفين القتل . فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى سفيان فوجأ (٤) فى عنقه ، والتزمه القوم (٥) وخرجوا به ليدخلوه على رسول الله ﷺ فخاف القتل - وكان العباس بن عبد المطَّلب رضى الله عنه خالصة له فى الجاهلية - فصاح بأعلى صوته : ألا تأمروا لى إلى عباس ؟ فأتاه عباس فدفع عنه ، وسأل رسول الله ﷺ أن يقبضه إليه ومشى فى القوم مكانه . فركب به عباس تحت الليل فسار به فى عسكر القوم حتى أبصروه أجمع ، وقد كان عمر قد قال لأبى سفيان حين وجأ عنقه : والله لا تدنو من رسول الله ﷺ حتى تموت .

فاستغاث بعباس فقال : إنى مقتول ، فمنعه من الناس أن ينتهبوه (٦) . فلما رأى كثرة الناس وطاعتهم قال : لم أرَ كالليلة جمعاً لقوم . فخلَّصه العباس من أيديهم وقال : إنك مقتول إن لم تسلم وتشهد أن محمدا رسول الله . فجعل يريد يقول الذى يأمره العباس فلا ينطلق لسانه فبات مع عباس . وأما حَكيم بن حزَام وبدَيل ابن ورقاء فدخلا على رسول الله ﷺ فاسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة . فلما نُودى بالصلاة صلاة الصبح تحينَّ القوم (٧) ، ففزع أبو سفيان فقال : يا عباس ، ماذا تريدون ؟ قال : هم المسلمون يتيسرون (٨) بحضور رسول الله ﷺ ،فخرج به عباس . فلما أبصرهم أبو سفيان قال : يا عباس ، أما يأمرهم بشىء إلا فعلوه ؟ فقال عباس : لو نهاهم عن الطعام والشراب لأطاعوه . قال عباس : فكلِّمه فى قومك هل عنده من عفو عنهم . فأتى العباس بأبى سفيان حتى أدخله على النبى ﷺ ، فقال عباس : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان ، فقال أبو سفيان : يا محمد ، إنى قد استنصرت إلهى

---

(١) أى جمعها . (٢) أى أتغصبها ؟

(٣) تأسر الجواسيس وتأتى بهم إليه . (٤) وجأ : طعن .

(٥) التزمه القوم : أى أحاطوا به .

(٦) ينتهبوه : أى يتطاولون عليه بالذم والشتم .

(٧) أى يتهيأوا للصلاة وخرجوا لها فى حينها .

(٨) أى يتهيأون لحضوره ﷺ .

واستنصرت إلهك ، فوالله ما رأيتك إلا قد ظهرت عليّ !! فلو كان إلهى محقاً وإلهك مبطلا لظهرتُ عليك !! فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقال عباس : يا رسول الله ، إنى أحب أن تأذن لى آتى قومك فأنذرهم ما نزل وأدعوهم إلى الله ورسوله ، فنأذن له ، فقال عباس : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ بيِّن لى من ذلك أمراً يطمئنون إليه ، قال رسول الله ﷺ : « تقول لهم : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله فهو آمن ، ومن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن : فقال عباس : يا رسول الله ، أبو سفيان ابن عمنا وأحبُّ أن يرجع معى ، فلو اختصصته بمعروف ، فقال النبى ﷺ : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » ، فجعل أبو سفيان يستفقهه ودار أبى سفيان بأعلى مكة ، ومن دخل دار حكيم بن حزام وكف يده فهو آمن ، ودار حكيم بأسفل مكة ، وحمل النبى ﷺ عباساً على بغلته البيضاء التى كان أهداها إليه دِحْية الكلبى رضى الله عنه ، فانطلق عباس بأبى سفيان قد أردفه ، فلما سار عباس بعث النبى ﷺ فى إثره فقال : أدركوا عباساً فردوه عليّ ، وحدَّثهم بالذى خاف عليه ، فأدركه الرسول ، فكره عباس الرجوع وقال : أيرهب رسول الله ﷺ أن يرجع أبو سفيان راغباً فى قلّة الناس فيكفر بعد إسلامه ؟ فقال : احبسه ، فحبسه ، فقال أبو سفيان : أغدراً يا بنى هاشم ؟! فقال عباس : إنا لسنا نغدر ، ولكن لى إليك بعض الحاجة ، قال : وما هى ؟ أقضيها لك ، قال : تُفادها حين يقدم عليك خالد بن الوليد والزبير بن العوام ، فوقف عباس بالمضيق دون الأراك من مرّ(١)، وقد وعى أبو سفيان منه حديثه – ثم بعث رسول الله ﷺ الخيل بعضها على إثر بعض ، وقسم رسول الله ﷺ الخيل شطرين : فبعث الزبير ، وردفه خيل بالجيش من أسْلَم وغفار وقضاعة ،

فقال أبو سفيان : رسول الله ﷺ هذا يا عباس ؟ قال : لا ولكن خالد بن الوليد ، وبعث رسول الله ﷺ سعد بن عبادة رضى الله عنه بين يديه فى كتيبة الأنصار ، فقال اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحلُّ الحرمة ، ثم دخل رسول الله ﷺ فى كتيبة الإيمان : المهاجرين والأنصار ، فلما رأى أبو سفيان وجوهاً كثيرة لا يعرفها فقال : يا رسول الله ، أكثرت أو اخترت هذه الوجوه على قومك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أنت فعلتَ ذلك وقومُك ، إنَّ هؤلاء صدّقونى إذ كذبتمونى ، ونصرونى إذ

(١) يعنى مر الظهران ،

أخرجتمونى » – ومع النبى ﷺ يومئذ الأقرع بن حابس ، وعباس بن مرداس ، وعُيينة ابن حصن بن الفَزارى – فلما أبصرهم حول النبى ﷺ قال : من هؤلاء يا عباس؟ قال : هذه كتيبة النبى ﷺ ومع هذه الموت الأحمر !! هؤلاء المهاجرون والأنصار ، قال : امض يا عباس، فلم أرَ كاليوم جنوداً قطُّ ولا جماعة ، فسار الزبير فى الناس حتى وقف بالحَجُون ، واندفع خالد حتى دخل من أسفل مكة فلقيه أوباش بنى بكر فقاتلوهم ، فهزمهم الله عزّ وجلّ ، وقُتلوا بالحَزْوَرة حتى دخلوا الدور ، وارتفع طائفة منهم على الخيل على الخَنْدَمَة واتبعه المسلمون ، فدخل النبى ﷺ فى أخريات الناس ، ونادى مناد : من أغلق عليه داره وكف يده فإنه آمن ، ونادى أبو سفيان بمكة : أسلموا تسلّموا ، وكفَّهم الله عز وجل عن عباس : وأقبلت هند بنت عتيبة فأخذت بلحية أبى سفيان ثم نادت : يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق ، قال : فأرسلى لحيتى ، فأقسم بالله إن أنت لم تسلمى لتضربنَّ عنقك ، ويلكِ جاء بالحق فادخلى أريكتك ، – أحسَبُهُ قال – : واسكتى ، قال الهيثمى (٦ / ١٧٣) : رواه الطبرانى مرسلاً وفيه : ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف ، انتهى ، وأخرجه أيضاً ابن عائذ فى مغازّى عروة بطوله كما فى الفتح (٨ / ٤) ، وأخرجه البخارى عن عروة مختصراً ، والبيهقى (٩ / ١١٩) كذلك .

إسلام سهيل بن عمرو وشهادته بدماثة أخلاقه ﷺ

وأخرج الواقدى وابن عساكر وابن سعد عن سهيل بن عمرو رضى الله عنه قال : لمّا دخل رسول الله ﷺ مكة وظهر اقتحمت بيتى ، وأغلقت علىَّ بابى ، وأرسلت ابنى عبد الله بن سهيل أن اطلبْ لى جواراً من محمد ﷺ ، فإنى لا آمن أن أُقتل ، فذهب عبد الله بن سهيل فقال : يا رسول الله ، أبى تُؤمنه ؟ قال : نعم ، هو آمن بأمان الله فليظهْر ، ثم قال رسول الله ﷺ لمن حوله : « من لقى منكم سهيلاً فلا يشدّ إليه النظر ، فليخرج ، فلعمرى إنَّ سهيلاً له عقل ، وشرف وما مثل سهيل جهل الإسلام ، والقدر أىّ ما كان يوضع فيه إنه لم يكن له بنافع » فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله ﷺ ، فقال سهيل : كان – والله – براً صغيراً وكبيراً ، فكان سهيل يقبل ويدبر ، وخرج إلى حُنَين مع رسول الله ﷺ وهو على شركه حتى أسـلم بالجِعْرانة ، فأعطاه رسـول الله ﷺ يومئذ من غنائم حُنَين مائة من الإبل ، كذا فى كَنز العمّال (٥ / ٢٩٤) ؛ وأخرجه أيضاً الحاكم فى المستدرك (٣ / ٢٨١) مثله .

قوله عليه الصلاة والسلام لأهل مكة يوم الفتح

وأخرج ابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : لمَّا كان يوم الفتح ورسول الله ﷺ بمكة أرسل إلى صفوان بن أمية وإلى أبى سفيان بن حرب وإلى الحارث بن هشام – قال عمر : فقلت : قد أمكن الله منهم لأعرفنَّهم بما صنعوا – حتى قال رسول الله ﷺ : « مَثَلى ومثلكم كما قال يوسف لإخوته : لا تَثْريبَ (١) عليكم اليومَ ، يغفرُ الله لكم ، وهو أرحمُ الراحمين » . قال عمر : فافتضحت حياء من رسول الله ﷺ كراهية أن يكون بدر منى ، وقد قال لهم رسول الله ﷺ ما قال : كذا فى الكنز (٥ / ٢٩٢) .

وعند ابن زنجويه فى كتاب الأموال من طريق ابن أبى حسين : قال : لمَّا فتح رسول الله ﷺ مكة دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتى الباب فقال « ماذا تقولون ؟ » فقال سهيل بن عمرو : نقول ونظنّ خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، وقد قَدَرْتَ . فقال : « أقول كما قال أخى يوسف : لا تَثْريبَ عليكم اليومَ » . كذا فى الإصابة (٢ / ٩٣) .

وأخرجه البيهقى (٩ / ١١٨) من طريق القاسم بن سلام بن مسكين عن أبيه ، عن ثابت البُنَاتى عن عبد الله بن رَبَاح عن أبى هريرة رضى الله عنه – فذكر الحديث ، وفيه : قال : ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتى الباب فقال : « ما تقولون ؟ وما تظنون ؟ » قالوا نقول : ابن أخ ، وابن عم حليم رحيم . قال : وقالوا ذلك ثلاثاً . فقال رسول الله ﷺ : « أقول كما قال يوسف : لا تَثْريبَ عليكم اليومَ ، يغفرُ الله لكم ، وهو أرحمُ الراحمينَ » قال : فخرجوا كأنما نُشروا من القبور ، فدخلوا فى الإسلام . قال البيهقى : وفيما حكى الشافعى عن أبى يوسف فى هذه القصَّة : أنه قال لهم حين اجتمعوا فى المسجد : « ما ترون أنى صانع بكم ؟ » قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم !! قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » . انتهى .

قصة إسلام عكْرمة بن أبى جهل رضى الله عنه

أخرج الواقدى وابن عساكر عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : لمَّا كان يوم الفتح أسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكْرمة بن أبى جهل ، ثم قالت أمُّ حكيم : يا رسول الله ، قد هرب عكْرمة منك إلى اليمن وخاف أن تقتله فآمنه ، فقال رسول الله ﷺ : « هو آمن » . فخرجَتْ فى طلبه ومعها غلام لها

---

(١) لا تثريب : أى لا توبيخ ولا تقريع .

رومى ، فراودها عن نفسها ، فجعلت تمنّيه حتى قدمت على حىّ من عكّ ، فاستعانتهم عليه فأوثقوه رباطاً ، وءدركت عكرمة وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة ، فركب البحر ، فجعل نوتىّ السفينة يقول له : أخلص ، قال : أى شىء أقول ؟ قال : قل لا إله إلا الله ، قال عكرمة : ما هربت إلاّ من هذا ، فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر فجعلت تليح إليه وتقول : يا ابن عم ، جئتك من عند أوصل الناس ، وأبرّ الناس ، وخير الناس ؛ لا تُهلك نفسك ، فوقف لها حتى أدركته ، فقالت : إنى قد استأمنت لك رسول الله ﷺ ، قال : أنت فعلت ؟ قالت : نعم ، أنا كلمته فآمنك ، فرجع معها ، وقالت ما لقيتُ من غلامك الرومى ؟ وخبّرته خبره ، فقتله عكرمة وهو يومئذ لم يسلم .

فلما دنا من مكة قال رسول الله لأصحابه : « ياتيكم عكْرمة بن أبى جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبُّوا أباه ، فإنَّ سبَّ الميت يؤذى الحى ولا يبلغ الميت » . قال : وجعل عكرمة يطلب امرأته يجامعها فتأبى عليه وتقول : إنك كافر وأنا مسلمة . فيقول إنَّ أمراً منعك منى لأمرٌ كبير. فلما رأى النبى ﷺ عكرمة وثب إليه وما على النبى ﷺ رداء فرحاً بعكْرمة ، ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ومعه زوجته متَنَقّبَة فقال : يا محمد ، إنَّ هذه أخبرتنى أنك آمنتنى ، فقال رسول الله ﷺ : « صدَقتْ ، فأنت آمن » ، قال عكرمة : فإلام تدعو يا محمد ؟ قال : « أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتفعل وتفعل » حتى عدَّ خصال الإسلام ، فقال عكرمة : والله ، ما دعوت إلاَّ إلى الحق وأمر حسن جميل ، قد كنت – والله – فينا قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثاً ، وأبرّنا براً ، ثم قال عكرمة : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ ، ثم قال : يا رسول الله ، علّمنى خير شىء أقوله ، فقال : تقول : « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد ورسوله » ، فقال عكرمة : ثم ماذا ؟ قال رسول الله ﷺ : تقول « أشهد الله ، وأشهد من حضر أنى مسلم مجاهد مهاجر » ، فقال عكرمة ذلك .

دعاؤه ﷺ لعكرمة

فقال رسول الله ﷺ : « لا تسألنى اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلاّ أعطيتُكه » قال عكرمة : فإنى أسألك أن تستغفر لى كل عداوة عاديتُكها ، أو مسير أوْضعْتُ فيه ، أو مقام لقيتك فيه ، أو كلام قلته فى وجهك ، أو أنت غائب عنه ، فقال رسول

الله ﷺ : « اللَّهمَّ اغفر له كل عداوة عادانيها ، وكل مسير سار فيه إلى موضع يريد بذلك المسير إطفاء نورك ، واغفر له ما نال منى من عرض فى وجهى أو أنا غائب عنه » . فقال عكرمة : رضيتُ يا رسول الله . ثم قال عكرمة : أما - والله - يا رسول الله لا أدَع نفقة كنت أنفقتها فى صدٍّ عن سبيل الله إلاَّ أنفقت ضعفها فى سبيل الله ، ولا قتالاً كنت أقاتل فى صدٍّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه فى سبيل الله . ثم اجتهد فى القتال حتى قُتل شهيداً . فردّ رسول الله ﷺ امرأته بذلك النكاح الأول . قال الواقدى عن رجاله : وقال سهيل بن عمرو يوم حُنين : لا يختبرهما محمد وأصحابه . قال : يقول له عكرمة : إن هذا ليس يقول إنما الأمر بيد الله وليس إلى محمد من الأمر شىء ، إنْ أُديل عليه اليوم فإنّ له العاقبة غداً . قال : يقول سهيل : والله إنَّ عهدك بخلافه لحديث ، قال : يا أبا يزيد ،إنَّا كنَّا - والله - نوضع فى غير شىء وعقولنا عقولنا ، نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع . كذا فى كنز العمال (٧ / ٧٥) .

وأخرج أيضاً الحاكم (٣ / ٢٤١) من حديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، ولكنه اقتصر فيه إلى قوله : فلّما بلغ باب رسول الله ﷺ استبشر ، ووثب له رسول الله ﷺ قائماًعلى رجليه فرحاً بقومه . ثم أخرج عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال : قال عكرمة بن أبى جهل : لّما انتهيت إلى رسول الله ﷺ قلت : يا محمد ، إنَّ هذه أخبرتنى أنَّك آمنْتنى . فقال رسول الله ﷺ : « أنت آمن » . فقلت : أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبد الله ورسوله ، وأنت أبَرُّ الناس ، وأصدق الناس ، وأوفى الناس . قال عكرمة : أقول ذلك وإنى لمطأطىء رأُسى استحياء منه ، ثم قلت : يا رسول الله ، استغفر لى كل عداوة عاديتكَها ، أو مَرْكب أوضعت فيه أُريد فيه إظهار الشرك . فقال رسول الله ﷺ : « اللَّهمَّ اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها ، أو مَرْكب أوضع فيه (١) يريد أن يصدَّ عن سبيلك » . قلت : يا رسول الله ، مُرنى بخير ما تعلم فأعلمهُ . قال : « قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وتجاهد فى سبيله » ثم قال عكرمة : أما - والله - يا رسول الله ، لا أدع نفقة كنت أنفقتها فى الصدِّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها فى سبيل الله، ولا قاتلت قتالاً فى الصدِّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه فى سبيل الله .

---

(١) أوضع فيه : أسرع فيه .

اجتهاد عكرمة فى القتال واستشهاده رضى الله عنه

ثم اجتهد فى القتال حتى قتل يوم أجْنَادين شهيداً فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه . وقد كان رسول الله ﷺ استعمله عام حجته على هوازن يُصدِّقها [1] ؛ فتوفى رسول الله ﷺ وعكرمة يومئذ بتَبالة [2] . وقد أخرج الطبرانى أيضاً عن عروة رضى الله عنه قصّة إسلامه مختصراً كما فى المجمع [3] . (٦ / ١٧٤) .

قصة إسلام صفوان ابن أمية رضى الله عنه

أمان صفوان حين استأمن له عمير بن وهْب

أخرج الواقدى وابن عساكر عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : لما كان يوم الفتح أسلمت امرأة صفوان بن آمية – البَغوم بنت المعدَّل من كِنَانة – وأما صفوان ابن أمية فهرب حتى أتى الشِّعْب وجعل يقول لغلامه يَسار – وليس معه غيره – : ويحك، أنظر من ترى ؟ قال :هذا عمير بن وَهْب . قال صفوان : ما أصنع بعمير ؟! والله ما جاء إلاّ يريد قتلى ، قد ظاهر [4] محمداً علىّ ، فلحقه فقال : يا عمير ، ما كفاك ما صنعت بى ؟! حمَّلْتنى دَيْنك ، وعيالك ، ثم جئت تريد قتلى !! قال : أبا وَهْب ، جُعلتُ فداك ، جئتك من عند أبّر الناس وأوصل الناس ، وقد كان عُمَير قال : لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، سيد قومى خرج هارباً ليقذف نفسه فى البحر وخاف أن لا تؤمِّنه ، فآمنْه فداك أبى وأمّى . فقال رسول الله ﷺ : قد آمنته » فخرج فى أثره فقال : إن رسول الله ﷺ قد آمنك .

إرساله ﷺ عمامته إلي صفوان علامة أمنه

فقال صفوان : لا والله لا أرجع معك حتى تأتينى بعلامة أعرفها . فقال رسول الله ﷺ : « خُذ عمامتى » ، فرجع عمير إليه بها وهو البُرد الذى دخل فيه رسول الله ﷺ يومئذ معتجراً به بُرْدِ حِبَرة . فخرج عمير فى طلبه الثانية حتى جاء بالبُرْد فقال : أبا وَهْب ، جئتك من عند خير الناس ، وأوصل الناس ، وأبّر الناس ، وأحلم الناس ، مجده مجدك وعزّه عزك ، وملكه ملكك ، ابن أمك وأبيك !وأُذكّرُكَ الله فى نفسك . قال له : أخاف أنْ أُقتل . قال : قد دعاك إلى أن تدخل فى الإسلام ، فإن يَسرُّكَ ، وإلا سيِّرك [5] شهرين ، فهو أوفى الناس وأبرهم وقد بعث إليك ببُرْده الذى دخل به مُعتَجراً ، فعرفه . قال : نعم . فأخرجه فقال : نعم ، هو ، هو . فرجع صفوان حتى

---

(١) اى يجمع صدقاتها .　　(٢) بلدة باليمن .

(٣) اى مجمع الزوائد للهيثمى .　　(٤) ظاهر : ناصر .

(٥) سيرك : أمهلك شهرين تفكر فى أمرك .

انتهى إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يصلّي بالناس العصر فى المسجد فوقفا ، فقال صفوان : كم يصلُّون فى اليوم والليلة ؟ قال : خمس صلوات ، قال : يصلّي بهم محمد ؟ قال : نعم ، فلما سلّم صاح صفوان : يا محمد ، إنّ عُمَير بن وَهْب جاءنى ببُرْدك وزعم أنك دعوتنى إلى القدوم عليك ، فإن رضيتُ أمراً وإلاّ سيَّرتنى شهرين ؟ قال : « انزل أبا وَهْب » ، قال : لا والله حتى تُبيِّن لى ، قال : « بل لك تسيّر أربعة أشهر » ، فنزل صفوانْ .

خروج صفوان معه عليه الصلاة والسلام إلى هوازن وإسلامه

وخرج رسول الله ﷺ قِبَل هوازن وخرج معه صفوان وهو كافر ، وأرسل إليه يستعيره سلاحَه فأعاره سلاحه مائة درع بأداتها ، فقال صفوان طَوْعاً أو كَرْهاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « عارية رادةً » فأعاره ، فأمره رسول الله ﷺ فحملها إلى حنين فشهد حنيناً والطائف ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانَّة ، فبينا رسول الله ﷺ يسير فى الغنائم ينظر إليها -- ومعه صفوان بن أميـــة -- فجعل صفوان بن أمية ينظر إلى شعْب (١) ملاء نَعَماً وشاءً ورِعاء ، فأدام النظر إليه ورسول الله ﷺ يرمقه فقال : « أبا وَهْب ، يعجبك هذه الشّعْب ؟ » قال : نعم ، قال : « هُو لك وما فيه » فقال صفوان عن ذلك : ما طابت نفسُ أحد بمثل هذا إلا نفس نبى ؛ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأسلم مكانه ، كذا فى الكنز (٥ / ٢٩٤) ، وأخرجه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة رضى الله عنها مختصراً ؛ كما فى البداية (٤ / ٣٠٨) .

وأخرج الإمام أحمد (٦ / ٤٦٥) عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه : أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حنين أدراعاً ، فقال : أغَصْبا يا محمد ؟ قال : « بل عارية مضمونة » قال : فضاع بعضها ، فعرض عليه رسول الله ﷺ أنْ يضمنها له ، قال أنا اليوم -- يا رسول الله -- فِي الإسلام أرْغَبُ ، انتهى .

قصة إسلام حُويطب بن عبد العزى رضى الله عنه

دعوة أبى ذر لحويطب ودخوله فى الإسلام

أخرج الحاكم (٣ / ٤٩٣) عن المنذر بن جَهْم قال : قال حويْطب بن عبد العُزّى : لَما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح خفت خوفاً شديداً ، فخرجت من بيتى وفرَّقت عيالى فى مواضع يامنون فيها ، فانتهيت إلى حائط عوف فكنت فيه ، فإذا أنا بأبى ذرَّ الغفارى وكانت بينى وبينه خُلَّة -- والخُلة أبداً مانعة -- فلما رأيته

---

(١) الطريق بين جبلين .

هربت منه . فقال : أبا محمد ، فقلت : لبيك ، قال : ما لك ؟ قلت : الخوف ، قال : لا خوف عليك ، أنت آمن بأمان الله عز وجل . فرجعت إليه فسلّمت عليه ، فقال : اذهب إلى منزلك ، قلت : هل لى سبل إلى منزلى ؟ والله ما أرانى أصل إلى بيتى حيّاً حتى ألفى فأقتلَ أو يُدخل علىَّ منزلى فأقتل ، وإنَّ عيالى لفى مواضع شتى . علىّ : إنَّ حويطباً آمن فلا يُهج . ثم انصرف أبو ذرّ رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال : أوليس قد أمن الناسُ كلهم إلاَّ من أمرت بقتلهم ؟ قال : فاطمأنتُ ورددتُ عيالى إلى منازلهم وعاد إلىَّ أبو ذرّ ، فقال لى : يا أبا محمد حتى متى ؟! وإلى متى؟! قد سُبقت فى المواطن كلّها ، وفاتك خير كثير وبقى خير كثير ، فأت رسول الله ﷺ فأسلم تسلم ، ورسول الله ﷺ أبّر الناس ، وأوصل الناس ، وأحلم الناس ، شرفه شرفك ، وعزُّه عزك . قال قلت : فأنا أخرج معك فآتيه ، فخرجت معه حتى أتيت رسول الله ﷺ بالبطحاء وعنده أبو بكر وعمر ، فوقفت على رأسه وسألت أبا ذر : كيف يقال إذا سُلّم عليه ؟ قال : قل : السلام عليك أيُّها النبىُ ورحمة الله وبركاته ، فقلتها ، فقال : « وعليك السلام حُوَيطب » . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « الحمد لله الذى هداك » . قال : وسُرّ رسول الله ﷺ بإسلامى ، واستقرضنى مالاً فأقرضته أربعين ألف درهم ، وشهدت معه حُنَيناً والطائف وأعطانى من غنائم حُنَين مائة بعير .

وأخرجه أيضاً ابن سعد فى الطبقات من طريق المنذر بن جَهْم وغيره عن حويطب نحوه ؛ كما فى الإصابة (١ / ٣٦٤) . وأخرج الحاكم أيضاً (٣ / ٤٩٢) عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن سلمة الأشهلى عن أبيه — فذكر الحديث ، وفيه : ثم قال حويطب : ما كان فى قريش أحد من كبرائها الذين بَقُوا على دين قومهم إلى أن فُتحت مكة أكرهَ لما فتحت عليه منى ، ولكنَّ المقادير !! ولقد شهدت بدراً مع المشركين فرأيت عِبَراً ، فرأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض ، فقلت : هذا رجل ممنوع ، ولم أذكر ما رأيت لأحد ، فانهزمنا راجعين إلى مكة ، فأقمنا بمكّة وقريش تُسلم رجلاً رجلاً . فلّما كان يوم الحديبية حضرت وشهدت الصلح ومشيت فيه حتى تمَّ ، وكل ذلك يزيد الإسلامَ ويأبى الله عز وجل إلا ما يريد . فلما كتبنا صلح الحديبية كنت آخر شهوده ، وقلت : لا ترى قريش من محمد إلا ما يسؤوها ، قد رضيت إن دافعته بالرماح . ولّما قدم رسول الله ﷺ لعمرة القضاء وخرجت قريش من مكة ، كنت فيمن تخلّف بمكة أنا وسهيل بن عمرو لأن نُخرج رسول الله ﷺ إذا مضى الوقت ، فلما انقضت الثلاث أقبلتُ أنا وسُهيل بن

عمرو فقلنا : قد مضى شرطُك فاخرج من بلدنا ، فصاح « يا بلال لا تَغَبِ الشمس وواحدٌ من المسلمين بمكة ممَّن قدم معنا » .

قصة إسلام الحارث بن هشام رضى الله عنه

أخرج الحاكم (٣ / ٢٧٧) عن عبد الله بن عكرمة قال : لما كان يوم الفتح دخل الحارث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة على أمِّ هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها فاستجارا بها ، فقالا : نحن فى جّوارك ، فأجارتهما ، فدخل عليهما على بن أبى طالب فنظر إليهما ، فشهر عليهما السيف فتفلّت عليهما ، واعتنقْته وقالت : تصنع بى هذا من بين الناس ؟! لَتَبدأنَّ بى قبلهما ، فقال : تُجيرين المشركين ، فخرج ، قالت أمُّ هانىء : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، ما لقيت من ابن أمى علىٌّ ؟ ما كدت أفلت منه !! أجرت حَمَوَين (١) لى من المشركين فانفلت عليهما ليقتلهما ، فقال رسول الله ﷺ : « ما كان ذلك له ، قد أجرنا من أجرت ، وآمنَّا من آمنت » فرجعت إليهما فأخبرتهما فانصرفا إلى منازلهما ، فقيل لرسول الله ﷺ : الحارَث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة جالسان فى ناديهما متنضّلين فى الملاء المزعفرة (٢) ، فقال رسول الله ﷺ : « لا سبيل إليهما قد أمنّاهما » قال الحارث ابَن هشام : وجعلت أستحيى أن يرانى رسول الله ﷺ ، وأذكر رؤيته إياى فى كل موطن من المشركين ، ثم أذكر برَّه ورحمته فألقاه وهو داخل المسجد فتلقّانى بالبشر ، ووقف حتى جئته فسلَّمت عليه وشهدت شهادة الحق ، فقال : « الحمد لله الذى هداك ، ما كان مثلك يجهل الإسلام » ، قال الحارث : فوالله ما رأيت مثل الإسلام جُهِلَ .

قصة إسلام النضير بن الحارث العبدرى رضى الله عنه

أخرج الواقدى عن إبراهيم بن محمد بن شرُحبيل العبدرى عن أبيه قال : كان النُضير بن الحارث من أعلم الناس ، وكان يقول : الحمد لله الذى أكرمنا بالإسلام ، ومنَّ علينا بمحمد ﷺ ، ولم نَمُتْ على ما مات عليه الآباء ، لقد كنت أوضعُ مع قريش فى كل وجهة ، حتى كان عام الفتح وخرج إلى حنين ، فخرجنا معه ونحن نريد

---

(١) الحمو : أبو زوج المرأة ، وأخو زوجها ، وكل من ولى الزوج من ذى قرابته فهم أحماء المرأة ، وحمو الرجل : أبو امرأته أو أخوها أو عمها وقيل الأحماء من قبل المرأة خاصة والأختان من قبل الرجل والصهر يجمع ذلك كله ا . هـ من لسان العرب .

(٢) أى متسجيان فى كساء مصبوغ بالزعفران .

إن كانت دَبْرة (١) على محمد أن نُعين عليه فلم يمكنّا ذلك ، فلما صار بالجعرَّانة فوالله إنى لعلى ما أنا عليه إنْ شعرتُ إلاَّ برسول الله ﷺ تلقَّانى بفرحة ، فقال : « النَضير ؟ » قلت : لبيك ، قال : « هذا خيرٌ ممَّا أردت يوم حنين !! » قال : فأقبلت إليه سريعاً فقال : « قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه » فقلت : قد أرى فقال : « اللهم زده ثباتاً » قال : فوالذى بعثه بالحق لكان قلبى حجراً ثباتاً فى الدين ونصرة فى الحق ، ثم رجعت إلى منزلى فلم أشعر إلا برجل من بنى الدُّؤل يقول : يا أبا الحارث قد أمر لك رسول الله ﷺ بمائة بعير ، فأحزْ لى منها فإنَّ علىَّ ديناً قال : فأردت أن لا آخذها وقلت : ما هذا منه إلاَّ تألُف ، ما أُريد أن أرتشى على الإسلام ، ثم قلت : والله ما طلبتها ولا سألتها ، فقبضتها وأعطيت الدُّؤلى منها عشراً ، كذا فى الإصابة (٣ / ٥٥٨) .

قصة إسلام ثقيف أهل الطائف

انصرافه ﷺ عن ثقيف وإسلام عروة بن مسعود

ذكر ابن إسحاق أنَّ رسول الله ﷺ لما انصرف عن ثقيف اتَّبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصلى إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ : « إنَّهم قاتلوك » – وعرف رسول الله ﷺ أنَّ فيهم نخوة الامتناع للذى كان منهم – فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحب إليهم من أبكارهم ، وكان فيهم كذلك محبَّباً مطاعاً .

دعوة عروة لقومه إلى الإسلام واستشهاده فى الله

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه بمنزلته فيهم ، فلما أشرف على عُلِّيَّة (٢) – وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه – رمَوْه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله ، فقيل لعروة ما ترى فى دمك ؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىَّ ، فليس فىَّ إلاَّ ما فى الشهداء الذين قتلوا (٣) مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : « إن مَثَلَهُ فى قومه كمثل صاحب ياسين (٤) فى قومه » .

---

(١) اى هزيمة لأن المنهزم يولى دبره فراراً من عدوه طلباً للنجاة .

(٢) علية – بضم العين وكسرها وتشديد اللام والياء : مكان مرتفع .

(٣) هم أولئك الذين استشهدوا فى حصار الطائف وكانوا اثنى عشر رجلاً كما ذكر ابن هشام فى سيرته .

(٤) اى هو المذكور فى سورة يس من قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِن أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ إلى قوله : ﴿ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ .

إرسال ثقيف عبد ياليل بن عمرو وفداً إليه عليه الصلاة والسلام وخبرهم معه

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنَّهم ائتمروا بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا ، ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم ، فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك . فلما دنَوا من المدينة ونزلوا قناة ألفَوا المغيرة بن شعبة يرعى فى نَوْبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ . فلّما رآهم ذهب يشتدُّ ليبشّر رسول الله ﷺ بقدومهم ، فلقيه أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قدموا يريدون البَيْعة والإسلام إن شرط لهم رسول الله شروطاً ، ويكتبوا كتاباً إلى قومهم . فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمتُ عليك لا تسبقنى إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدّثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر فأخبر رسول الله ﷺ بقدومهم . ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروّح الظَّهر (١) معهم ، وعلمهم كيف يُحيُّون رسول الله ﷺ فلم يفعلوا إلاَّ بتحية الجاهلية . ولّما قدموا على رسول الله ﷺ ضربت عليه قُبة فى المسجد ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله ﷺ ، فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيد قبلهم ، وهو الذى كتب لهم كتابهم . قال : وكان ممّا اشترطوا على رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية(٢) ثلاث سنين . فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم ، حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ليتألّفوا سفهاءهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمّى ؛ إلاَّ أن يبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ليهدماها ، وسألوه مع ذلك أن لا يصلُّوا وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم . فقال : « أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنُعفيكم ، وأما الصلاة فلا خير فى دين لا صلاة فيه » . فقالوا : سنؤتيكها وإن كانت دناءة .

وقد أخرج أحمد عن عثمان بن أبى العاص أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فأنزلهم المسجد ليكون أرقَّ لقلوبهم ، فاشترطوا على رسول الله ﷺ أن لا يحشروا ولا يعشّروا ، ولا يُجَبّوا ، ولا يستعمل عليهم غيرهم. فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) الظهر : ما يركب من الدواب وأشهرها الأبل .

(٢) الطاغية : اسم صنم يقال له اللات وسميت بذلك لأن يهودياً كان يلّت عندها السويق وكانت صخرة مربعة بنو عليها بناءً ، وكان سدنتها من ثقيف وكانت قريش وجميع العرب يعظمونها ، انظر الأصنام للكلبى ص ١٦ .

« لكم أنْ لا تُحشروا ، ولا تجبوا ، ولا يستعمل عليكم غيركم ، ولا خير فى دين لا ركوع فيه » . وقال عثمان بن أبى العاص : يا رسول الله ، علّمنى القرآن واجعلنى إمام قومى . وقد رواه أبو داود أيضاً .

وأخرج أبو داود أيضا عن وَهْب سألت جابراً رضى الله عنه عن شأن ثقيف إذ بايعتْ ، قال : اشترطتْ على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك : « سيتصدّقون ويجاهدون إذا أسلموا » - انتهى من البداية (٥ / ٢٩) مختصراً .

وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أوس بن حذيفة رضى الله عنه قال : قدمنا على رسول الله ﷺ فى وفد ثقيف ، قال : فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، وأنزل رسول الله ﷺ بنى مالك فى قبة له ، كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدّثنا قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام . فأكثر ما يحدثنا ما لقى من قومه من قريش ، ثم قال : « لا آسى [١] ، وكنّا مستضعفين مستذلّين بمكة . فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم نُدال عليهم ويُدالون علينا » فلما كانت ليلة أبطأ عنا الوقت الذى كان يأتينا فيه فقلنا : لقد أبطأت علينا الليلة ؟ فقال : « إنه طرأ على جزئى من القرآن [٢] فكرهت أن أجىء حتى أتمّه » كذا فى البداية (٥ / ٣٢) ، وأخرجه ابن سعد (٥ / ١٥٠) عن أوس رضى الله عنه بنحوه .

دعوة الصحابة رضى الله عنهم للأفراد والأشخاص

دعوة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : فلّما أسلم أبو بكر رضى الله عنه وأظهر إسلامه دعا إلى الله عزّ وجل ، وكان أبو بكر رجلاً مألَفاً لقومه ومحبَّباً سَهْلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلاً تاجراً ذا خُلقٌ ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر : لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممّن يَغْشاه ويجلس إليه . فأسلم على يديه فيما بلغنى : الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، رضى الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم

---

(١) أى ولكن لا ينبغى لى أن أحزن أو أياس .

(٢) أى طرأ على ذاكرتى وردى من القرآن .

القرآن ، وأنبأهم بحقّ الإسلام فآمنوا ، وكان هؤلاء النفر الثمانية [١] الذى سبقوا في الإسلام صدّقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله ، كذا فى البداية (٣ / ٢٩) .

دعوة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

أخرج ابن سعد عن أستق قال : كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنا نصرانى ، فكان يعرض عليّ الإسلام ويقول : إنّك إن أسلمت استعنت بك على أمانتى ، فإنه لا يحلُّ لى أن أستعين بك على أمانة المسلمين ولست على دينهم فأبيت عليه ، فقال : لا إكراه فى الدين ، فلما حضرته الوفاة ،، أعتقنى وأنا نصرانى وقال : اذهب حيث شئت ، وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم بنحوه مختصراً ، كذا فى الكنز (٥ / ٥٠) وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (٩ / ٣٤) عن وسق الرومى مثله ، إلا أنّ فى روايته : على أمانة المسلمين فإنه لا ينبغى لى أن أستعين على أمانتهم بمن ليس منهم .

وأخرج الدارقطنى وابن عساكر عن أسلم قال : لمّا كنّا بالشام أتيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه بماء توضأ منه ، فقال : من أين جئت بهذا الماء ؟ فما رأيت ماء عذباً ولا ماء السماء أطيب منه ، قلت : جئت به من بيت هذه العجوز النصرانية ، فلما توضأ أتاها فقال : أيتها العجوز ، أسلمى ، بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالحق ، فكشفت عن رأسها فإذا مثل الثغامة [٢] ، فقالت : عجوز كبيرة وإنما أموت الآن ، فقال عمر : اللّهم أشهد ، كذا فى الكنز (٥ / ١٤٢) .

دعوة مصعب بن عمير رضى الله عنه

دعوة مصعب لأسيد بن حضير وإسلامه

أخرج ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره : أن أسعد بن زُرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل ودار بنى ظَفَر – وكان سعد بن معاذ ابنَ خالة أسعد بن زرارة – فدخل به حائطاً [٣] من حوائط بنى ظَفَر على بئر يقال له بئر مَرَق [٤] ، فجلسا فى الحائط واجتمع إليهما رجال ممّن أسلم – وسعد بن معاذ وأسَيد بن حُضَير يومئذٍ سيِّدا قومهما من بنى عبد الأشهل وكلاهما

---

(١) أى يقصد هؤلاء الخمسة المذكورين ومن اسلم قبلهم وهم على وزيد بن حارثة وابو بكر رضى الله عنهم أجمعين .

(٢) نبت أبيض الزهر والتمر .

(٣) حائطاً : اى بستاناً .

(٤) بئر مرق : بئر بالمدينة .

مشرك على دين قومه – فلّما سمعا به قال سعد لأُسيد : لا أبالك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللّذين قد أتيا دارَيْنا ليسفِّها ضعفاءنا فازجرهما وانهَهُما أن يأتيا دارَيْنا ، فإنّه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتُك ذلك ، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدّماً ، قال : فأخذ أسيد بن حُضَير حربته ثم أقبل إليهما ، فلّما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيِّد قومه وقد جاءك فأصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكلمه ، قال : فوقف عليهما مُتَشَتِّماً فقال : ما جاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة (١) ، فقال له مصعب : أوَتجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهتَه كُفَّ عنك ما تكره ، قال : أنصفتَ ، قال ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلّمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يُذكر عنهما : والله لَعَرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم فى إشراقه وتسهُّله ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطّهر وتُطهِّر ثوبَيْك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلّى ، فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه وتشهّد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما : إنَّ ورائى رجلاً إن اتَّبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن : سعدَ بن معاذ ،

دعوة مصعب لسعد بن معاذ وإسلامه

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسَيْد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد :ما فعلت ؟ قال : كلّمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا،وقد نهيتهما فقالا :نفعل ما أحببت،وقد حُدِّثت أنَّ بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه،وذلك أنهم عرفوا أنّه ابن خالتك ليَحْقروك ، قال : فقام سعد بن معاذُ مُغْضَباً مبادراً تخوُّفاً للذى ذُكر له من بنى حارثة، وأخذ الحربة فى يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً ، ثم خرج إليهما سعد فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسَيْداً إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف مُتَشَتِّماً ، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة أمّا والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منّى ، أتَغْشَانا فى دارنا بما نكره ؟! قال : وقد قال أسعد لمصعب : أىْ مصعب جاءك – والله – سيِّدُ مَنْ وراءَه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان قال فقال له مصعب : أوَتقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قَبلْتَه ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟؟ قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن –

---

(١) أى : إن كنتما حريصين على حياتكما ،

وذكر موسى بن عقبة أنَّه قرأ عليه أول الزخرف – قالا : فعرفنا – والله – في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم في إشراقه وتسهُّله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتَّطهر ، وتُطَهِّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلِّي ركعتين . قال : فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادى قومه ومعهم أُسَيْد بن حضير .

دعوة سعد بن معاذ لبنى عبد الأشهل وخبر إسلامهم

فلَّما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم . فلَّما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل : كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة [1] . قال : فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قال : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ؛ إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخَطْمة ؛ ووائل ، وواقف ، وتلك أوس . كذا في البداية (٣ / ١٥٢) .

وأخرجه الطبرانى أيضاً وأبو نُعَيم فى دلائل النبوة عن عروة مطوَّلاً – فذكر عرضه ﷺ الدعوة على الأنصار وإيمانهم بذلك ما سيأتى فى ابتداء أمر الأنصار ؛ ثم ذكر دعوتهم قومهم سراً وطلبهم من رسول الله ﷺ بعث مَن يدعو الناس ؛ فبعث إليهم مُصعَباً كما تقدم فى : إرساله ﷺ الأفراد للدعوة إلى الله وإلى رسوله – ثم قال : إنَّ أسعد بن زُرارة أقبل هو ومصعب بن عمير حتى أتيا بئر مَرَق أو قريباً منها ، فجلسوا هنالك وبعثوا إلى رَهْط من أهل الأرض فأتَوهم مستخفين ، فبينما مصعب ابن عمير يحدَّثهم ويقصُّ عليهم القرآن أُخبر بهم سعدُ بن معاذ ، فأتاهم فى لأمته [2] ومعه الرمح حتى وقف عليه ، فقال : علامَ يأتينا فى دورنا بهذا الوحيد الفريد الطريح الغريب ، يسفِّه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم ، لا أراكما بعد هذا بشيء من جوارنا ، فرجعوا ، ثم إنهم عادوا الثانية ببئر مَرَق أو قريباً منها ، فأخبر بهم سعدُ بن معاذ الثانية ؛ فواعدهم بوعيد دون الوعيد الأول . فلما رأى أسعد منه ليناً قال : يا ابنِ خالة اسمع من قوله ، فإن سمعت منه منكراً فاردده يا هذا منه ، وإن سمعت خيراً فأجب الله . فقال : ماذا يقول ؟ فقرأ عليهم مصعب بن عمير : ﴿ **حم ۝ وَالكِتَابِ المُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِياً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [3] . فقال سعد : وما أسمع إلاَّ

---

(١) أى أقوانا نفساً وخلقاً . (٢) أى فى سلاحه . (٣) الزخرف الآيات : ١ – ٣ .

ما أعرف . فرجع وقد هداه الله تعالى ولم يُظهر أمر الإســلام حتى رجع . فرجع إلى قومه ، فدعا بنى عبد الأشهل إلى الإسلام وأظهر إسلامه . وقال فيه : من شَكَّ من صغير أو كبير أو ذكر أو أنثى فليأتنا بأهدى منه نأخذ به . فوالله لقد جاء أمر لتُحزَّنَّ فيه الرقاب . فأسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلام سعد ودعائه إلا من لا يُذكر . فكانت أول دور من دور الأنصار أسلمت بأسْرها - فذكر الحديث كما تقدم فى إرساله ﷺ الأفراد للدعوة إلى الله وإلى رسوله (ص ١١٦) - وفى آخره : ورجع مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ - أى إلى مكة .

دعوة طليب بن عمير رضى الله عنه

دعوة طليب لأمه أروى بنت عبد المطلب

أخرج الواقدى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى قال : لَّما أسلم طُليب ابن عمير رضى الله عنه ودخل على أمّه أَرْوى بنت عبد المطلب قال لها : قد أسلمت وتبعث محمداً ﷺ - وذكر الخبر وفيه أنَّه قال لها : ما يمنعك أن تُسلمى وتَّتبعيه ؟ فقد أسلم أخوك حمزة ، فقالت أنتظرُ ما تصنع أخواتى ؟ ثم أكون إحداهنَّ . قال فقلت : فإنى أسألك بالله إلاَّ أتيته وسلَّمت عليه ، وصدَّقته ، وشهدت أن لا إله إلا الله قالت : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله . ثم كانت بعد تعضد النبى ﷺ بلسانها وتحضّ ابنها على نصرته القيام بأمره . كذا فى الاستيعاب (٤ / ٢٢٥) . وأخرجه العُقَيلى من طريق الواقدى بمثله كما فى الأصابة (٤ / ٢٧٧) . وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٣ / ٢٣٩) من طريق إسحاق بن محمد الفروى عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى عن أبيه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : أسلم طُليب بن عمير رضى الله عنه فى دار الأرقم ، ثم خرج فدخل على أمه وهى أرْورى بنت عبد المطلب . فقال : تبعتُ محمداً وأسلمت لله ربِّ العالمين جلَّ ذكره . فقالت أمه : إنَّ أحقَّ من وازرت ومن عاضدت ابنُ خالك . والله لو كنَّا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه ولذَبَبْنا عنه . قال فقلت : يا أُماه وما يمنعك ؟ فذكر مثل ما تقدَّم .

وأخرج ابن سعد فى الطبقات (٣ / ١٢٣) عن محمد بن إبراهيم التَّيْمى عن أبيه بمثله . قال الحاكم (٣ / ٢٣٩) : صحيح غريب على شرط البخارى ولم يخرِّجاه وتعقبه الحافظ فى الإصابة (٢ / ٢٣٤) فقال : وليس كما قال ، فإن موسى ضعيف ، ورواية أبى سَلَمة عنه مرسلة وهى قوله : قال : فقلت يا أماه - إلى آخره . انتهى .

دعوة عُمَير بن وهب الجمحي وقصة إسلامه

خبر عمير بن وهب مع صفوان بن أمية

أخرج ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال : جلس عُمير بن وَهْب الجُمْحي مع صَفوان بن أمية في الحِجْر بعد مصاب أهل بدر بيَسير – وكان عمير بن وَهْب شيطاناً من شياطين قريش ، وممّن كان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقّون منه عناءً وهو بمكة وكان ابنه وهْب بن عُمير في أسارى بدر – فذكر أصحاب القَليب (١) ومصابهم ، فقال صَفوان : والله ما إنْ في العيش بعدهم خير ، قال له عمير : صدقت ، أما . . والله . . لولا دَيْنٌ عليّ ليس عندى قضاؤه وعيالٌ أخشَى عليهم الضَّيْعة بعدى لركبتُ إلى محمد حتى أقتله ، فإنّ لى فيهم علّة ابنى أسيرٌ في أيديهم ، قال : فاغتنمها صفوان بن أمية : فقال : عليّ دَيْنك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقُوا لا يَسَعنى شيء ويعجز عنهم ، فقال له عمير : فاكتم عليّ شأنى وشأنك ، قال : سأفعل ، قال : ثم أمر عمير بسيفه فشُحذ له وسُمَّ (٢) ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أرادهم في عدوّهم ؛ إذ نظر عمر إلى عمير بن وَهْب وقد أناخ على باب المسجد متوشّحاً السيف ، فقال : هذا الكلب عدوٌّ الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر،وهو الذى حرّش بيننا ، وحزرنا (٣) للقوم يوم بدر ،

خبر عمير مع النبى ﷺ

ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال : يا نبى الله ، هذا عدوُّ الله عُمير بن وَهْب قد جاء متوشّحاً سيفه ، قال : « فأدْخله عليَّ » قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلبَّبه (٤) بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلّما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، قال: « أرسله يا عمر ، ادنُ يا عمير » فدنا ثم قال : أنْعِم صباحاً - وكانت تحيّة أهل الجاهلية بينهم – فقال رسول الله ﷺ : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيّتك يا

---

(١) أى القليب الذى القى فيه المشركون من قتلى بدر ،

(٢) أى حد له ووضع فيه سمّ ، (٣) قدرّ عددنا وأخبرهم به على سبيل التخمين ،

(٤) لببه : جرّه ،

عمير، بالسلام تحيَّةُ أهل الجنة » » قال : أما – والله – يا محمد إنْ كنتُ بها لحديث عهد ، قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه ، قال : « فما بال السيف فى عُنقك ؟ » قال : قَبَّحها الله من سيوف ! وهل أغنت عنَّا شيئاً ؟! قال : « اصدقنى ما الذى جئت له ؟ » قال : ما جئت إلاَّ لذلك ، قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أُمية فى الحِجْر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دَيْن علىّ وعيالٌ عندى لخرجتُ حتى أقتل محمداً ؛ فتحمَّل لك صفــوان بن أُمية بدَيْنك وعيالك على أن تقتلنــى له ، والله حائل بينــك وبين ذلك » .

إسلام عمير ودعوته لأهل مكة

فقال عمير : أشهد أنَّك رسول الله ، قد كنَّا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إنِّى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحقَ ، فقال رسول الله ﷺ : « فقِّهوا أخاكم فى دينه ، وعلِّموه القرآن ، وأطلقوا أسيره » ففعلوا ، ثم قال : يا رسول الله ، إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لى فأقدَمَ مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ، لعلَّ الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أُوذى أصحابك فى دينهم ، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حــين خرج عمير بن وَهْب يقــول : أبشروا بوَقْعة تأتيكم الآن فى أيام تُنسيكم وقعـــة بدر ، وكان صفوان يســأل عنه الرُّكبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف أنْ لا يكلِّمه أبداً ولا ينفعه بنفــع أبداً ، كذا فى البداية (٣ / ٣١٣) .

إسلام أناس كثير على يد عمير

هكذا أخرجه ابن جرير عن عُروة رضى الله عنه بطوله ، كمــا فى كنز العمال (٧ / ٨١) ، وزاد : فلما قدم عمير رضى الله عنه مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويُؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير ، وهكذا أخرجه الطبرانى عن محمد بن جعفر بن الزبير رضى الله عنهم – نحوه ، قال الهيثمى (٨ / ٢٨٦) : وإسناده جيِّد .

قول عمر في عمير بن وَهْب بعد أن أسلم

وروى عن عروة بن الزبير نحوه مرسلاً ، وقال فيه : ففرح المسلمون حين هداه الله ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لخنزير كان أحبّ إلىّ منه حين اطّلع وهو اليوم أحبُّ إلىّ من بعض بنىّ ؛ وإسناده حسن ، انتهى ، وأخرجه الطبراني أيضاً عن أنس رضى الله عنه موصولاً بمعناه - مختصراً ، قال الهيثمي (٨ / ٢٨٧) : ورجاله رجال الصحيح أ ، هـ ؛ وأخرجه ابن مَنْدَر أيضاً موصولاً عن أنس رضى الله عنه وقال : غريب ، لا نعرفه عن أبى عمران إلا من هذا الوجه ، كما فى الإصابة (٣ / ٣٦) .

وأخرج الواقدى عن عبد الله بن عمرو بن أمية عن أبيه قال : لما قدم عمير بن وَهْب رضى الله عنه مكة بعد أن أسلم نزل بأهله ولم يتفق بصفوان بن أميَّة ، فأظهر الإسلام ودعا إليه ، فبلغ ذلك صفوان فقال : قد عرفت حين لم يبدأ بى قبل منزله أنَّه قد ارتكس (١) وصبا ، فلا أكلِّمه أبداً ولا أنفعه ولا عياله بنافعة ، فوقف عليه عمير وهو فى الحِجْر وناداه ، فأعرض عنه ، فقال له عمير : أنت سيد من ساداتنا ، أرأيتَ الذى كنا عليه من عبادة حجر وذبح له ، أهذا دين ؟! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فلم يجبه صفوان بكلمة ، كذا فى الاستيعاب (٢ / ٤٨٦) ، وقد تقدَّم سَعْىُ عمير فى إسلام صفوان بن أُمية .

دعوة أبى هريرة رضى الله عنه لأمه وإسلامها

أخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أدعو أُمى إلى الإسلام وهى مشركة ، فدعوتها يوماً فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره ، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى فقلت : يا رسول الله ، إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام فتأبى علىَّ ، وإنى دعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره ، فادعُ الله أن يهدىَ أُمَّ أبى هريرة : فقال : « اللّهم اهدِ أُمَّ أبى هريرة » .

فخرجت مستبشرا بدعوة رسول الله ﷺ ، فلما جئت قصدت إلى الباب فإذا هو مُجاف (٢) ، فسمعت أُمِّى حسّ قدمى ، فقالت : مكانك يا أبا هريرة ، سمعتُ خَضْخَضَةَ الماء ، قال : ولبست درْعها وأعجلَت عن خمارها ، ففتحتْ الباب وقالت : يا أبا هريرة ، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فحمد الله وقال : خيراً ، وأخرجه أحمد أيضاً بنحوه ، كذا فى الإصابة (٤ / ٢٤١) .

---

(١) وقع فى الشر وارتد عن دينه .

(٢) مجاف : مردود .

وأخرجه ابن سعد (٤ / ٣٢٨) عن أبى هريرة رضى الله عنه أنّه قال : والله لا يسمع بى مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبّنى ، قال قلت : وما يُعلمك ذاك ؟ قال : فقال : إنى كنت أدعو أمى ، فذكر نحوه وزاد فى آخره : فجئت أسعى إلى رسول الله ﷺ أبكى من الفرح كما بكيت من الحزن ، فقلت : أبشر يا رسول الله فقد أجاب الله دعوتك ، قد هدى الله أمَّ أبى هريرة إلى الإسلام ، ثم قال : يا رسول الله ، ادعُ الله أن يحببنى وأُمى إلى المؤمنين والمؤمنات وإلى كل مؤمن ومؤمنة ، فقال : « اللهمَّ حبب عُبَيْدك هذا وأُمَّه إلى كل مؤمن ومؤمنة » فليس يسمع بى مؤمن ولا مؤمنة إلاّ أحبّنى .

دعوة أم سليم رضى الله عنها

دعوة أم سليم لأبى طلحة إلى الإسلام حين خطبها ودخوله فى الإسلام

أخرج أحمد عن أنس رضى الله عنه أنَ أبا طلحة خطب أمَّ سُلَيم - يعنى قبل أن يُسلم - فقالت : يا أبا طلحة ، ألستَ تعلم أنَّ إلهك الذى تعبد نبَت من الأرض؟ قال : بلى قالت : أفلا تستحى تعبد شجرة ؟! إن أسلمتَ فإنّى لا أريد منك صَداقاً غيره ، قال : حتى أنظر فى أمرى ، فذهب ثم جاء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، فقالت : يا أنس ! زوّجْ أبا طلحة ، فزوَّجها ، وأخرجه أيضاً ابن سعد بمعناه ، كذا فى الإصابة (٤ / ٤٦١) .

دعوة الصحابة فى القبائل وأقوام العرب

دعوة ضمام بن ثعلبة فى بنى سعد بن بكر

وفود ضمام علىَ النبى ﷺ وخبره معه ودخوله فى الإسلام

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بعث بنو سعد بن بكر ضمامَ بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ ، فقدم إليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه ؛ وكان ضمام رجلا جلْداً(١) أشعر (٢) ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فى أصحابه فقال : أيُّكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أنا ابن عبد المطلب » ، فقال : أمحمد ؟ قال : « نعم » ، قال : يا ابن عبد المطلب ، إنّى سائلك ومُغَلِّظ عليك فى المسألة فلا تَجدنَّ (٣) فى نفسك ، قال : « لا أجد فى نفسى فسَلْ عمَّا بدالك » فقال : أنشدك الله إلهَك وإله من كان قبلك وإلهَ من هو كائن بعدك : الله بعثك إلينا

---

(١) قوياً . (٢) كثير الشعر .

(٣) تجدن : من الوجد وهو الحزن والغضب .

رسولاً ؟ قال : « اللّهمّ نعم » قال : فأنشدك الله إلهَك وإلهَ من كان قبلك وإلهَ من هو كائن بعدك : الله آمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون ؟ قال : « اللّهمّ نعم » . قال : فأنشدك الله إلهَكَ وإلهَ من كان قبلك وإلهَ من هو كائن بعدك : الله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : « اللهم نعم » قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الإسلام كلّها ، ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنّى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله ، وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص ؛ ثم انصرف إلى بعيره راجعاً . قال : فقال رسول الله ﷺ : « إنْ صدق ذو العقيصتين دخل الجنة » .

إسلام بنى سعد وقول ابن عباس فى ضمام

قال : فأتى بعيره فاطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أوَّل ما تكلم أنْ قال : بئست اللاَّت والعزَّى . فقالوا : مَهْ يا ضمام ، اتَّقِ البرص اتَّقِ الجُذام ، اتَّقِ الجنون !! فقال : ويلكم إنّهما . والله . لا يضران ولا ينفعان . إنّ الله قد بعث رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه . قال : فوالله ، ما أمسى من ذلك اليوم وفى حاضره رجل ولا امرأة إلاّ مسلماً . قال يقول ابن عباس رضى الله عنهما : فما سمعنا بوافد قومٍ كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة ، وهكذا رواه الإمام أحمد من طريق ابن إسحاق وأبو داود نحوه من طرِيقه ؛ وعند الواقدى : فما أمسى فى ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً ، وبَنوا المساجد ، وأذّنوا بالصلاة . كذا فى البداية (٥ / ٦٠) .

وأخرجه الحاكم أيضاً فى المستدرك (٣ / ٥٤) من طريق ابن إسحاق بنحوه ثم قال : قد اتفق الشيخان على إخراج ورود ضمام المدينة ولم يسق واحد منهما الحديث بطوله ، وهذا صحيح . انتهى ؛ ووافقه الذهبى فقال : صحيح .

دعوة عمرو بن مرة الجهنى رضى الله عنه فى قومه

أخرج الرُّويانى وابن عساكر عن عمرو بن مُرَّة الجُهنى رضى الله عنه قال : خرجنا حجّاجاً فى الجاهلية فى جماعة من قومى ، فرأيت فى المنام وأنا بمكّة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء لى جبل يثرب وأشعر جهينة (١) ، وسمعت صوتاً فى

---

(١) أشعر جهينة : اسم جبل لقبيلة جهينة قريب من البحر .

النور وهو يقول : انقشعت الظلماء ، وسطع الضيّاء ، وبُعث خاتم الأنبياء . ثم أضاء لى إضاءة أُخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة ، وأبيض المدائن [١] ، وسمعت صوتاً فى النُّور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرْت الأصنام ، ووُصلت الأرحام . فانتبهت فزعاً فقلت لقومى : والله ليحدُثّن فى هذا الحىّ من قريش حَدَث ، فأخبرتهم بما رأيت .

فلما انتهيت إلى بلادنا جاء الخبر أنّ رجلاً يقال له أحمد قد بُعث ، فخرجت حتى أتيته وأخبرته بما رأيت ، فقال : « يا عمرو بن مرَّة ، أنا النبىّ المرسل إلى العباد كافّة ، أدعوهم إلى الإسلام ، وآمرهم بحقن الدماء ، وصِلَة الأرحام ، وعبادة الله وحده ، ورفض الأصنام ، وبحجِّ البيت ، وصيام شهر رمضان – شهر من اثني عشر شهراً – فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النَّار ، فآمن يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم » فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله ، آمنت بكلِ ما جئتَ به من حلال وحرام ، وإنْ رَغِم ذلك كثير من الأقوام . ثم أنشدته أبياتاً قلتها حين سمعت به ... وكان لنا صنم وكان أبى سادنَه ، فقمت إليه فكسرته ثم لحقت بالنبى ﷺ وأنا زقول :

شهدتُ بأن الله حـــــق وإننى ... لآلهة الأحجـــــار أول تارك
وشمَّرت عن ســــاقى الإزار مهاجراً ... أجوب إليك الوَعْث[٢] بعد الدَّكادك[٣]
لأصحبَ خير النَّاس نفـــساً ووالداً ... رسولَ مليك النَّاس فوق الحبـــائك [٤]

فقال النبى ﷺ : « مرحباً بك يا عمرو » .

فقلت : بأبى أنت وأمى ابعث بى إلى قومى لعلَّ الله أن يمنَّ بى عليهم كما منَّ بك علىّ ، فبعثنى فقال : « عليك بالرِّفق والقول السديد ، ولا تكنْ فظّاً ، ولا متكبِّراً ، ولا حســوداً » فاتيت قومى فقلت : يا بنى رفاعة ، بل يا معشر جُهينة ، إنِّى رسولُ رسول الله إليكم ، أدعوكم إلى الإسلام ، وآمركم بحقن الدماء ، وصِلَة الأرحام ، وعبادة الله وحده ، ورفض الأصنام ، وبحجِّ اليت ، وصيام شهر رمضان –

---

(١) المدائن : عاصمة الفرس ، والأبيض قصر الأكاسرة بها وهو من عجائب الدنيا لم يزل قائماً إلى أيام المكتفى سنة ٢٩٠ هـ انظر مراصد الاصلاع حـ١ ص ٢٢ .

(٢) أى اقطع إليك الطريق العسر .

(٣) الدكادك : جمع دكدك وهى الأرض الغليظة .

(٤) الحبائك : جمع حبيكة وهى الطرف فى السماء قال تعالى : ﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ .

شهر من اثني عشر شهراً – فمن أجاب فله الجنَّة ، ومن عصى فله لنَّار ، يا معشر جُهينة ، إنَّ الله جعلكم خيار من أنتم منه (١) ، وبغَّض إليكم في جاهليكم ما حبِّب إلى غيركم من العرب ، فإنهم كانوا يجمعون بين الأختين والغزاة في الشهر الحرام ، ويخلُف الرجل على امرأة أبيه (٢) ، فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي بن غالب تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، فما جاءني إلاَّ رجل منهم فقال : يا عمرو بن مرَّة ، أمرَّ الله عيشَك ، أتأمرنا برفض آلهتنا ، وأن نفرق جمعنا ، وأن نخالف دين آبائنا الشيم العلى إلى ما يدعونا إليه هذا القرشي من أهل تهامة ؟! لا حبّاً ولا كرامة ، ثم أنشأ الخبيث يقول :

إنَّ ابن مرَّة قد أتى بمقالة ... ليست مقالة من يريد صلاحاً
إنِّي لأحسب قولَه وفعالَه ... يوماً وإن طال الزمان ذُباحا (٣)
ليسفِّه الأشياخ ممن قد مضى ... مَنْ رامَ ذلك لا أصاب فلاحا

فقال عمرو : الكاذب مني ومنك أمرَّ الله عيشه ، وأبكم لسانه (٤) ، وأكمه إنسانه (٥) قال فوالله ما مات حتى سقط فوه ، وعمي ، وخرف (٦) ، وكان لا يجد طعم الطَّعام .

فخرج عمرو بمن أسلم من قومه حتى أتو النبي ﷺ فحيَّاهم ورحبه بهم ، وكتب لهم كتاباً هذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيز ، على لسان رسوله ، بحقٍّ صادق وكتاب ناطق مع عمرو بن مرة لجهينة بن زيد : إن لكم بطون الأرض وسهولها ، وتلاع (٧) الأودية وظهورها ، على أن ترعوا نباتها وتشربوا ماءها ، على أن تؤدوا الخُمس (٨) ، وتصلوا الخمس ، وفي الغنيمة (٩) والصريمة (١٠) شاتان إذا اجتمعتا فإن فرقتا فشاة شاة ، ليس على أهل المثيرة (١١) صدقة ، ولا على

(١) وهو أبو العرب .
(٢) يعني يملكها كما يملك ما له فإن شاء امسكها وإن شاء تزوجها .
(٣) الذباح : وجع في الحلق . (٤) أبكم لسانه : جعله فاقد النطق .
(٥) أكمه إنسانه : المراد بالإنسان هنا إنسان العين والمعنى جعله أعمى البصر .
(٦) خرف : فسد عقله من الكبر .
(٧) التلاع : مسايل الماء . (٨) الخمس : بضم الخاء خمس الغنيمة .
(٩) في البداية لابن كثير ج ٢ ص ٣٢٠ قال : « وفي التبيعة والصريمة والتبيعة الأنثى من البقر قد أوفت سنة » . (١٠) الصريمة : القطعة من الإبل .
(١١) في البداية « ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة اللبقة » وأهل الميرة هم أهل الطعام ، ومعنى ليس الوردة اللبقة أنه لا يؤخذ في الصدقة كرائم الأموال ولكن يؤخذ الوسط منها ، وتفصيل هذه الأحكام يطلب من كتب الفقه .

الواردة لبقة ، والله شهيد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين ، كتاب قيس بن شمّاس » .

كذا فى كنز العمال (٧ / ٦٤) : وأخرجه أيضاً أبو نُعيم بطوله ؛ كما فى البداية (٢ / ٣٥١) والطبرانى بطوله كما فى المجمع (٨ / ٢٤٤) .

دعوة عروة بن مسعود رضى الله عنه فى ثقيف

إسلام عروة ودعوته لقومه إلى الإسلام وقتلهم إياه شهيداً

أخرج الطبرانى عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال : لما أنشأ النّاس الحج سنة تسع قدم عروة بن مسعود رضى الله عنه على رسول الله ﷺ مسلماً ، فاستأذن رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه ، فقال رسول الله ﷺ : « إنى أخاف أن يقتلوك » ، قال : لو وجدونى نائماً ما أيقظونى . فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلى قومه مسلماً ، فرجع عشاء فجاء ثقيف يحيُّونه ، فدعاهم إلى الإسلام ، فاتّهموه وأغضبوه وأسمعوه فقتلوه. فقال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ عروة مثل صاحب ياسين [1] دعا قومه إلى الله فقتلوه » قال الهيثمى (٩ / ٣٨٦) : رواه الطبرانى ، وروى عن الزهرى نحوه وكلاهما مرسل وإسنادهما حسن وأخرجه الحاكم (٣ / ٦١٦) بمعناه .

فرح عروة بقتله فى سبيل الله ووصيته لقومه

وأخرجه ابن سعد (٥ / ٣٦٩) عن الواقدى عن عبد الله بن يحيى عن غير واحد من أهل العلم ، فذكره مطوَّلاً وفيه : فقدم الطائف عشاء ، فدخل منزله ، فأتته ثقيف تسلِّم عليه بتحية الجاهلية فأنكرها عليهم وقال : عليكم بتحية أهل الجنَّة : السلام ، فآذَوه ، ونالوا منه ، فحلم عنهم وخرجوا من عنده ، فجعلوا يأتمرون به ، وطلع الفجر فأوفى على غرفة له ، فأذَّن بالصلاة . فخرجت إليه ثقيف من كل ناحية ، فرماه رجل من بنى مالك يقال له : أوس بن عوف فأصاب أكحَلَه ولم يَرْقَ دمه . فقام غَيْلاَن بن سلمة ، ،وكنانة بن عبد ياليل ، والحكم بن عمرو ووجوه الأحلاف فلبسوا السلاح وحشدوا ، وقالوا : نموت عن آخرنا أو نثأر به عشرة من رؤساء بنى مالك . فلما رأى عروة بن مسعود ما يصنعون قال : لا تقتتلوا فىَّ قد تصدَّقت بدمى على صاحبه لأصلح بذلك بينكم ، فهى كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىَّ ، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله ﷺ لقد أخبرنى بهذا أنَّكم تقتلونى ثم دعا رهطه [2]

---

(١) أى المذكور فى سورة يس من قوله تعالى :﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ﴾ إلى قوله : ﴿ وجعلنى من المكرمين ﴾ وهو كما قيل حبيب النجار وقومه هم أهل انطاكية .

(٢) رهطه : عشيرته الأقربون .

فقال : إذا متُّ فادفنونى مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فمات فدفنوه معهم . وبلغ النبى ﷺ مقتله فقال : مثل عروة..... فذكره ؛ وقد تقدَّمت قصة إسلام ثقيف فى — قصصه ﷺ فى الأخلاق والأعمال المفضية إلى هداية الناس (ص ١٨٣) .

دعوة الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه فى قومه

قدوم طفيل بن عمرو مكة وخبره مع قريش

أخرج أبو نُعيم فى الدلائل (ص ٧٨) عن محمد بن إسحاق قال : كان رسول الله ﷺ على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه ، وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذِّرونه النَّاس ومن قدم عليهم من العرب ، وكان طُفيل بن عمرو الدَّوْسى يحدِّث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها ، فمشى إليه رجال من قريش — وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً — فقالوا له : يا طُفيل ، إنَّك قدمتَ بلادنا،وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا، فرّق جماعتنا وإنّما قوله كالسحر ، يفرِّق بين المرء وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلِّمْه ولا تسمع منه .

قال : فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت علي أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلِّمه حتى حشوت أذنّى حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً (١) فرقا (٢) من أن يبلغنى من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه .

إسلام طفيل بن عمرو

قال : فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة ، قال فقمت قريباً منه ، فأبى الله إلاَّ أن يسمعنى بعض قوله . قال : فسمعت كلاماً حسناً، قال فقلت فى نفسى : واثُكلَ أمِّى ، إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟! فإن كان الذى يأتى به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته ،فمكث حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته ، فاتَّبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ، إنَّ قومك قالوا لى كذا وكذا — للذى قالوا لى — فوالله ما بَرحوا يخوِّفوننى أمرك حتى سددتُ أذنّى بكُرسُف لئلا أسمعَ قولك ، ثم أبى الله إلاَّ أن يسمعنيه ، فسمعت قولاً حسناً ، فاعرضْ عليَّ أمرك . فعرض عليَّ الإسلام ، وتلا على القرآن . قال : فوالله ما سمعت قولاً قط

---

(١) كرسفاً : قطناً . (٢) فرقاً : خوفاً .

أحسن ، ولا أمرأ أعدل منه . قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يا نبي الله ، إنّي امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله لي أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه . قال فقال : « اللّهمَّ اجعل له آية » .

رجوع طفيل إلى قومه داعياً لهم إلى الإسلام وتأييد الله له بآية

قال : فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثَنِيَّة [1] تُطلعني على الحاضر وقع نور بين عينّي مثل المصباح ، قال : فقلت : اللّهمَّ في غير وجهي ، فإني أخشى أن يظنُوا أنَّها مُثْلة [2] وقعت في وجهي لفراق دينهم . قال: فتحوَّل فوقع في رأس سَوْطي ، فجعل الحاضر يتراؤون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلَّق وأنا هابط إليهم من الثَّنيَة ، حتى جئتهم فأصبحت فيهم .

دعوة طفيل لأبيه وصاحبته وإسلامهما

فلما نزلت أتاني أبي – وكان شيخاً كبيراً – قال : فقلت : إليكَ عنّي يا أبت فلستَ منّي ولستُ منك ، قال : ولمَ أيْ[3] بُنَي ؟ قال قلت : أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ ، قال أبي : ديني دينك ، فاغتسل وطهَّر ثيابه ، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم . قال ثم أتتني صاحبتي فقلت لها : إليك عني فلستُ منك ولست منّي ، قالت : لمَ بأبي أنت وأُمي ؟ قال قلت : فرَّق بيني وبينك الإسلام ، فأسلمتْ ودعوت دَوْساً إلى الإسلام فأبطأوا عليَّ .

دعاؤه عليه الصلاة والسلام لدَوْس وإسلامهم وقدومهم مع طفيل إلى النبي ﷺ

ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة ، فقلت : يا نبي الله ، إنَّه قد غلبني دَوْسٌ فادع الله عليهم فقال : « اللّهم اهد دَوْساً ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » . قال : فرجعت فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وقضى بدراً وأُحداً والخندق . ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر ، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس. وذكره في البداية (٣ / ١٠٠) عن ابن إسحاق مع زيادة يسيرة .

قال في الإصابة (٢ / ٢٢٥) : ذكرها ابن إسحاق في سائر النسخ بلا إسناد وروى في نسخة من المغازي من طريق صالح بن كَيْسان عن الطفيل بن عمرو في قصة

---

(١) الثنية : هي الفرجة بين جبلين . (٢) مُثله : عقوبة وتنكيل .

(٣) اى حرف نداء للقريب قرب مكان أو قرب مكانه .

إسلامه خبراً طويلاً . وأخرجه ابن سعد (٤ / ٢٣٧) أيضاً مطوَّلاً من وجه آخر ، وكذلك الأموى عن ابن الكلبى بإسناد آخر ، انتهى مختصراً . وقد ساق ابن عبد البرِّ فى الاستيعاب (٢ / ٢٣٢) طريق الأموى عن ابن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن الطُفيل بن عمرو ، فذكر قصّة إسلامه ودعوته لأبيه وزوجته وقومه وقدومه مكة بمعنى ما تقدّم ، وزاد بعده :بعثه لتحريق صنم « ذى الكفَّين » ثم خروجه إلى اليمامة وما وقع له من الرؤيا فى ذلك وقتله يوم اليمامة شهيداً . قال فى الإصابة وذكر أبو الفرج الأصبهانى من طريق ابن الكلبى أيضاً أنَّ الطفيل لما قدم مكة ذكر له ناس من قريش أمر النبى ﷺ وسألوه أن يختبر حاله ، فأتاه فأنشده من شعره ، فتلا النبى ﷺ الإخلاص والمعوّذتين ، فاسلم فى الحال ، وعاد إلى قومه ، وذكر قصة سَوْطه ونُورِه . قال : فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه ، ولم تسلم أمه ، ودعا قومه فأجابه أبو هريرة رضى الله عنه وحده . ثم أتى النبى ﷺ فقال : هل لك فى حِصْن حصين ومَنَعة ؟ يعنى أرض دَوْس . قال : ولما دعا النبى ﷺ لهم قال له الطفيل : ما كنت أحبُّ هذا، فقال : « إنَّ فيهم مثلك كثيراً » . قال وكان جندب بن عمرو بن حممة بن عوف الدَّوْسى يقول فى الجاهلية : إنَّ للخلق خالقاً لكنى لا أدرى من هو ؟ فلما سمع بخبر النبى ﷺ خرج ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه فأسلم وأسلموا .

قال أبو هريرة : فكان جندب يقدّمهم رجلاً رجلاً . انتهى . وقد تقدَّمت دعوة على رضى الله عنه فى قبيلة هَمْدان (ص ١٢١) ، ودعوة خالد بن الوليد رضى الله عنه فى بنى الحارث بن كعب (ص ١٢١) ، ودعوة أبى أُمامة رضى الله عنه فى قومه (ص ١١٧) .

إرسال الصحابة الأفراد والجماعة للدعوة

بعث هشام بن العاص وغيره إلى هرقل

أخرج البيهقى في الدلائل عن أبى أُمامة الباهلى عن هشام بن العاص الأموى رضى الله عنهما قال : بُعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل – صاحب الروم – بدعوة إلى الإسلام ، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة – يعنى : دمشق – فنزلنا على جَبَلَة بن الأيهم الغسانى ، فدخلنا عليه ، فإذا هو على سرير له . فأرسل إلينا برسول نكلِّمه ، فقلنا : والله لا نكلِّم رسولاً ، وإنما بُعثنا إلى الملك ، فإن أذن لنا كلَّمناه ، وإلا لم نكلِّم الرسول ، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك .

قال : فأذن لنا فقال : تكلَّموا ، فكلمه هشام بن العاص ودعاه إلى الإسلام ،

فإذا عليه ثياب سود ، فقال له هشام : وما هذه التى عليك ؟ فقال : لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام ، قلنا :ومجلسك هذا فوالله لنأخذنَّه منك ولنأخذنَّ ملك الملك الأعظم إن شاء الله أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ قال : لستم بهم ، بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل – فذكر الحديث بطوله كما سيأتى فى باب التأييدات الغيبية ، وأخرجه الحاكم أيضاً بطوله كما فى التفسير لابن كثير (٢ / ٢٥١) بنحوه ،

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل (ص ٩) عن موسى بن عُقبة القرشى : أن هشام ابن العاص ، ونُعيم بن عبد الله ، ورجلاً آخر قد سماه ، بُعثوا إلى ملك الروم زمن أبى بكر رضى الله عنه ، قال : فدخلنا على جَبَلَة بن الأيهم وهو بالغوطة ، فإذا عليه ثياب سود ، وإذا كل شىء حوله أسود ، فقال : يا هشام كلِّمْه ، فكلَّمه ودعاه إلى الله تعالى – فذكر الحديث بطوله كما سيأتى ،

إرسال الصحابة الكتب للدعوة إلى الله والدخول فى الإسلام

كتاب زياد بن الحارث الصُّدائى إلى قومه

أخرج البيهقى عن زياد بن الحارث الصدُّائى رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام ، فأُخبرت أنَّه قدْ بعث جيشاً إلى قومى ، فقلت : يا رسول الله ، اردُد الجيش وأنا لك بإسلام قومى وطاعتهم ، فقال لى : « اذهب فردَّهم » فقلت : يا رسول الله ، إنَّ راحلتي قد كلَّت ، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً فردَّهم ، قال الصُّدائى : وكتبت إليهم كتاباً فقدم وفدهم بإسلامهم ، فقال لى رسول الله ﷺ : « يا أخا صُداء ، إنَّك لُمطاع فى قومك » فقلت : بل الله هداهم للإسلام ، فقال : « أفَلاَ أُؤمرك عليهم ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فكتب لى كتاباً أمَّرنى فقلت : يا رسول الله ، مُرْ لى بشىء من صدقاتهم ، قال : « نعم » فكتب لى كتاب آخر ،

قال الصُّدائى – وكان ذلك فى بعض أسفاره – فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فأتاه أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم ويقولون : أخَذَنَا بشىء كان بيننا وبين قومه فى الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : « أوَفعل ذلك ؟ » قالوا : نعم ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأنا فيهم فقال : « لا خير فى الإمارة لرجل مؤمن » قال الصُّدائى: فدخل قوله فى نفسى ، ثم أتاه آخر فقال يا رسول الله ، أعطنى ، فقال رسول الله ﷺ : « من سأل الناس عن ظهر غِنًى فصُداعٌ فى الرأس وداء فى البطن » ، فقال السائل : أعطنى من الصدقه ، فقالَ رسول الله ﷺ : « إنَّ الله لم يرضَ فى الصدقات

بحكم نبى ولا غيره حتى حكم هو فيها ، فجزّأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك » قال الصّدائى فدخل ذلك فى نفسى أنّى غنى وأنى سألته من الصدقة ـ فذكر الحديث ، وفيه : فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة أتيته بالكتابين فقلت : يا رسول الله ، أعفنى من هذين ، فقال : « ما بدا لك » ، فقلت سمعتك يا رسول الله تقول : « لا خير فى الإمارة لرجل مؤمن » وأنا أؤمن بالله وبرسوله : وسمعتك تقول للسائل : « من سأل الناس عن ظهر غنىً فهو صُداع فى الرأس وداء فى البطن » ؛ وسألتك وأنا غنى فقال : « هو ذاك ، فإن شئت فاقبل وإن شئت فدَعْ » ، قلت : أدَعُ ، فقال لى رسول الله ﷺ : « فدُلّنى على رجل أؤمره عليكم » ، فدللته على رجل من الوفد الذين قدموا عليه فأمّره عليهم ، كذا فى البداية (٥ / ٨٣) ، وأخرجه أيضاً بطوله البغوى وابن عساكر ؛ وقال : هذا حديث حسن ؛ كما فى الكنز (٧ / ٣٨) .

وأخرجه أحمد أيضاً بطوله ، كما فى الإصابة (١ / ٥٥٧) ، وأخرجه الطبرانى أيضاً بطوله ، قال الهيثمى (٥ / ٢٠٤) : وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنْعم وهو ضعيف ، وقد وثّقه أحمد بن صالح ورد على من تكلّم فيه وبقية رجاله ثقات .

كتاب بُجَير بن زهير بن أبى سُلمى رضى الله عنه إلى أخيه كعب

أخرج الحاكم (٣ / ٥٧٩) عن إبراهيم بن المنذر الحزامى ، عن الحجّاج بن ذى الرُّقَيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبى سُلمى المُزَنى ، عن أبيه عن جدّه قال : خرج كعب وبُجَير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزّاف [١] .

فقال بجَير لكعب : اثبت فى عجل هذا المكان [٢] حتى آتى هذا الرجل ـ يعنى رسول الله ﷺ ـ فاسمع ما يقول ، فثبت كعب وخرج بُجَير فجاء رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم ، فبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغا عنى بُجيراً رسالةً ... على أىّ شىء وَيْب [٣] غيرك دلّكا
على خُلُقٍ لم تُلفِ [٤] أماً ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا

---

(١) أبرق العزاف : ماء بنى أسد كما فى القاموس .

(٢) أى مختصره الذى يمكنه الانطلاق منه بسهوله ويسر . قال صاحب لسان العرب : « المعاجيل مختصرات الطرق » . وفى الإصابه قال : « اثبت فى غنمنا هنا » جـ ٥ ص ٣٠٢ .

(٣) ويب بمعنى ويل يقال ويبه وويله .

(٤) لم تلف : لم تجد .

سقاك أبو بكر بكأس روية وأنهلك (١) المأمون منها وعلّكا (٢)

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه فقال: «من لقى كعباً فليقتلْه». فكتب بذلك بُجَير إلى أخيه يذكر له أنْ رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ويقول له: النجاءَ وما أراك تُفلت.

ثم كتب إليه بعد ذلك: اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك. فإذا جاءك كتابى هذا فأسلم وأقْبل. فاسلم كعب وقال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله ﷺ. ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ مع أصحابه مكان المائدة من القوم متحلِّقون معه حلقة دون حلقة، يلتفت إلى هؤلاء مرَّة فيحدثهم، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم. قال كعب: فأنخت راحلتى بباب المسجد فعرفت رسول الله ﷺ بصفة (٣)، فتخطَّيت حتى جلست إليه فأسلمت فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله، الأمانَ يا رسول الله. قال: «ومن أنت» قلت: أنا كعب بن زهير قال: «أنت الذى تقول» ثم التفت إلى أبى بكر، فقال: «كيف قال يا أبا بكر؟» فأنشده أبو بكر رضى الله عنه:

سقاك أبو بكر بكأس روّية وأنهلك المأمور منها وعلّكا

قال: يا رسول الله، ما قلت هكذا. قال: «وكيف قلت؟» قال: إنما قلت:

سقاك أبو بكر بكأس روية وأنهلك المأمون منها وعلّكا

فقال رسول الله ﷺ: «مأمون والله» ثم أنشده القصيدة كلَّها حتى أتى على آخرها - فذكر القصيدة.

وأخرج الحاكم أيضاً (٣ / ٥٨٢) عن إبراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح عن موسى بن عقبة قال: أنشد النبى ﷺ كعبُ بن زهير «بانت سعاد» فى مسجده بالمدينة. فلما بلغ قوله:

إنَّ الرسول لَسَيْفٌ (٤) يُستضاء به وصارم (٥) من سيوف الله مسلول

---

(١) انهلك: سقاك الشربة الأولى.

(٢) علكا: سقاك الشربة الثانية والمعنى أنه أسكرك حتى أفقدك عقلك ووعيك فاتبعت ديناً غيردين قومك.

(٣) الصواب: «بالصفة» كما فى الإصابة.

(٤) الصواب «لنور» وهو أنسب للمقام.

(٥) الصارم: السيف القاطع.

في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زُولوا

أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخلق ليسمعوا منه (١) . قال وقد كان بُجَير بن زهير كتب إلى أخيه كعب بن زهير بن أبى سلمى يخوِّفه ويدعوه إلى الإسلام وقال فيها أبياتاً :

من مبلغٌ كعبا ؟ فهل لك فى التى تلوم عليها باطلاً ؟ وهى أحزم
إلى الله لا العزّى ولا اللاَّت وحدَه فتنجو إذا كان النَّجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت من النار إلاَّ طاهرُ القلب مسلم
فدين زهيرٍ وهو لا شىء باطلٌ ودين أبى سُلمى علىَّ محرّم

قال الحاكم (٣ / ٥٨٣) هذا حديث له أسانيد قد جمعها إبراهيم بن المنذر الحزامى . فأما حديث محمد بن فليح عن موسى بن عقبة ، وحديث الحجاج بن ذى الرقيبة فإنهما صحيحان ، وقد ذكرهما محمد بن إسحاق القرشى فى المغازى مختصراً – فذكره بإسناده إلى ابن إسحاق .

وأخرجه الطبرانى أيضاً عن ابن إسحاق ، قال الهيثمى (٩ / ٣٩٤) : ورجاله إلى ابن إسحاق ثقات . انتهى . وأخرجه أيضاً ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى عن يحيى بن عمرو بن جريج عن إبراهيم بن المنذر عن الحجّاج – فذكره بمعنى ما تقدم – كما فى الإصابة (٣ / ٣٩٥) . وأخرجه أيضاً البيهقى عن ابن المنذر بإسناده مثله ؛ كما فى البداية (٤ / ٣٧٢) .

كتاب خالد بن الوليد إلى أهل فارس

أخرج الطبرانى عن أبى وائل رضى الله عنه قال : كتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى رستم ومهران وملأ فارس ، سلام على من اتَّبع الهدى .

أما بعد : فإنَّا ندعوكم إلى الإسلام ، فإن أبيتم فاعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، فإن أبيتم فإن معى قوماً يحبُّون القتل فى سبيل الله كما تحب فارس الخمر . والسلام على من اتبع الهدى » .

قال الهيثمى (٥ / ٣١٠) : رواه الطبرانى وإسناده حسن أو صحيح . انتهى .

---

(١) لما انتهى كعب من قصيدته هذه كساه النبى ﷺ بردة فاشتراها معاوية من ولده فهى التى كان يلبسها الخلفاء فى الأعياد كما قال ابن حجر فى الإصابة .

كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المدائن

وأخرجه الحاكم أيضاً فى المستدرك (٣ / ٢٩٩) عن أبى وائل بنحوه ؛ وأخرج ابن جرير (٢ / ٥٥٣) عن مجالد عن الشعبى قال : أقرأنى بنو بُقَيلة كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المدائن :

« من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس : سلام على من اتَّبع الهدى .

أما بعد :

فالحمد لله الذى فَضَّ خَدَمَتكم (١) ، وسلب ملككبم ، ووهّن كيدكم ، وإنه من صلّى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذى له ما لنا وعليه ما علينا .

أما بعد :

فإذا جاءكم كتابى فابعثوا إلى بالرُّهُن (٢) ، واعتقدوا منى الذمَّة (٣) ، وإلا فوالذى لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

فلما قرأوا الكتاب أخذوا يتعجبون وذلك سنة اثنتى عشرة .

كتاب خالد بن الوليد إلى هرمز

وأخرج ابن جرير فى تاريخه أيضاً (٢ / ٥٥٤) عن المجالد عن الشعْبى قال : كتب خالد رضى الله عنه إلى هُرْمز قبل خروجه مع أزاذِبَة أبى الزياذبة الذين باليمامة، وهرمز صاحب الثغر يومئذ :

« أما بعد :

فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة ، وأقرر بالجزية ، وإلاَّ فلا تلومنَّ إلا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

وذكر ابن جرير أيضاً (٢ / ٥٧١) بإسناده أنَّ خالداً لما غلب على أحد جانبى السَّواد (٤) دعا من أهل الحيرة برجل ، وكتب معه إلى أهل فارس وهم بالمدائن مختلفون متساندون (٥) لموت أردشير ؛ إلا أنَّهم قد أنزلوا بَهْمَن جاذَوَيه بِبَهُرسِير

---

(١) فض خدمتكم : شتت شملكم وفرق جمعكم .

(٢) الرهن : جمع رهينة .

(٣) اعتقدوا منى الذمه : اى ثقوا بعهدى .

(٤) كل العراق ما عدا القسم الجبلى وسمى بذلك لأنه يرى من بعيد أسود لخضرته .

(٥) أى خرجوا على رايات شتى كما فى اللسان .

وكانه على المقدمة ، ومع بَهْمن جاذويه الأزاذبة فى أشباه له ، ودعا صلوباً برجل وكتب معهما بكتابين : فأما أحدهما فإلى الخاصة ، وأما الآخر فإلى العامة ، أحدهما حيرى والآخر نَبَطى .

ولما قال خالد لرسول أهل الحيرة : ما اسمك ؟ قال مُرَّة . قال خذ الكتاب فأت به أهل فارس لعل الله أن يُمرَّ عليهم عيشهم أو يسلموا أو يُنيبوا . وقال لرسول صلوباً : ما اسمك ؟ قال : هِزْقيل . قال : فخذ الكتاب ، وقال : اللَّهمَّ أزهق نفوسهم . قال ابن جرير : والكتابان :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس .

أما بعد : فالحمد لله الذى حلَّ نظامكم ، ووهَّن كيدكم ، وفرَّق كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرّاً لكم ، فادخلوا فى أمرنا نَدَعْكم وأرضكم ونجووزكم إلى غيركم ، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غَلَب،على أيدى قوم يحبّون الموت كما تحبون الحياة » .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى مرازبة [١] فارس .

أما بعد : فأسلموا تسلموا ، وإلا فاعتقدوا منى الذمّة ، وأدُّوا الجزية ، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبُّون شرب الخمر . انتهى » .

دعوة الصحابة رضى الله عنهم فى القتال فى عهد النبى ﷺ

دعوة الحارث بن مسلم التميمى

أخرج الحسن بن سفيان وأبو نُعَيم عن عبد الرحمن بن حسان الكتَانى : حدثنى مسلم بن الحارث بن مسلم التميمى أنْ أباه حدَّثه : أنَّ رسول الله ﷺ أرسلهم فى سرِيَّة . قال : فلما بلغنا الْمُغار [٢] استحثثتُ [٣] فرسى وتبعت أصحابى، واستقبلنا الحيَّ بالرنين [٤] . فقلت لهم : قولوا : لا إله إلا الله تُحرِزُوا [٥]، فقالوها : وجاء أصحابى فلامونى وقالوا : حرمتنا الغنيمة بعد أن بردت فى أيدينا !! فلما قفلنا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعانى فحسَّن ما صنعت ، وقال : « أما إنَّ الله قد كتب لك من كل إنسان منهم كذا وكذا » .

---

(١) مرازبه : جمع مرزبان وهو الرئيس عند الفرس . (٢) المغار بالضم موضع الغارة .

(٣) استحثثت فرسى : حملته على الأسراع فى السير .(٤) أى بالصراخ .

(٥) تحرزوا : أى تصونوا دماءكم .

قال عبد الرحمن : فأنا سبب ذلك ، قال : ثم قال رسول الله ﷺ : « أما إنّى سأكتب لك كتاباً وأوصى بك من يكون بعدى من أئمة المسلمين » ففعل وختم عليه ودفعه إلىَّ وقال لى : « إذا صلَّيت الغَداة فقل قبل أن تكلّم أحداً : اللّهمَّ أجرنى من النار سبع مرات ، فإنك إن متَّ من يومك ذلك كتب الله لك جواراً من النار ، وإذا صلَّيت المغرب فقل قبل أن تكلّم أحداً : اللّهمَّ أجرنى من النار سبع مرات ، فإنك إن مت من ليلتك كتب الله لك جواراً من النَّار » .

فلما قبض الله رسوله ﷺ أتيت أبا بكر رضى الله عنه ففضَّه فقرأه وأمر لى وختم عليه ، ثم أتيت به عمر رضى الله عنه ففعل مثل ذلك ، ثم أتيت عثمان رضى الله عنه ففعل مثل ذلك ، قال مسلم بن الحارث فتوفى الحارث فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، فكان الكتاب عندنا حتى ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فكتب إلى عامل قِبلنا أنْ أشْخِصِ لى مسلم بن الحارث بن مسلم التميمى بكتاب رسول الله ﷺ الذى كتبه لأبيه ، فشخصت به إليه فقرأه وأمر لى وختم عليه ؛ كذا فى كنز العمال (٧ / ٢٨) ؛ والمنتخب (٤ / ١٦٢) .

دعوة كعب بن عمير الغفارى

وأخرج الواقدى عن محمد بن عبد الله الزُّهْرى قال : بعث رسول الله ﷺ كعب بن عُمير الغفارى رضى الله عنه فى خمسةَ عشرَ رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطْلاح من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً ، فدَعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشدَّ القتال حتى قُتلوا ، فأرْتُثَّ (١) منهم رجل جريح فى القتلى ، فلما أن بَرَدَ عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فهمَّ بالبَعْثة إليهم ، فبلغة أنَّهم ساروا إلى موضع آخر ، كذا فى البداية (٤ / ٢٤١) .

وأخرجه ابن سعد فى الطبقات (٢ / ١٢٧) عن الواقدى عن محمد بن عبد الله عن الزهرى بمثله ، وهكذا ذكره ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر وأن كعب بن عمير قتل يومئذ ، وذكره أيضاً موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، وأبو الأسود عن عروة ؛ كما فى الإصابة (٣ / ٣٠١) وقال ذكره ابن سعد فى الطبعة الثالثة أنَّ قصته كانت فى ربيع الأول سنة ثمان .

دعوة ابن أبى العوجاء

وأخرج البيهقى من طريق الواقدى عن محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزُّهرى

---

(١) الرثيث : الجريح فيه رمق وبقية .

قال : لما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضيَّة (١) رجع في ذى الحجَّة من سنة سبع، فبعث ابن أبى العَوْجاء السُّلَمى رضى الله عنه في خمسين فارساً ، فخرج العين (٢) إلى قومه (٣) فحذَّرهم وأخبرهم ، فجمعوا جمعاً كثيراً ، وجاءهم ابن أبى العَوْجاء والقوم مُعِدُّون . فلما أن رأوهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم دعَوْهم إلى الإسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم ، وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه فرمَوهم ساعة ، وجعلت الأمداد تأتى حتى أحدقوا بهم من كل جانب ؛ فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قُتل عامتهم ، وأصيب ابن أبى العَوْجاء بجراحات كثيرة ، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقى معه من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان . كذا فى البداية (٤ / ٢٣٥) ؛ وذكره ابن سعدَ فى الطبقات (٢ / ١٢٣) بمثله بلا إسناد .

دعوة الصحابة إلى الله ورسوله في القتال في عهد أبى بكر ، ووصية أبى بكر الأمراء بذلك

أمر أبى بكر أمراءه بالدعوة حين بعث الجنود نحو الشام

أخرج البيهقى (٩ / ٨٥) وابن عساكر عن سعيد بن المسيب : أنّ أبا بكر رضى الله عنه لما بعث الجنود نحو الشام أمَّر يزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ، ولما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودِّعهم حتى بلغ ثَنِيَّة الوداع ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ، تمشى ونحن ركبان ؟! فقال : إنى أحتسب خطاى هذه فى سبيل الله . ثم جعل يوصيهم فقال :

« أوصيكم بتقوى الله ، اغزُوا فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، فإنَّ الله ناصرٌ دينَه ، ولا تَغُلُّوا (٤) ، ولا تغدروا ، ولا تجبنوا ، ولا تُفسدوا فى الأرض ، ولا تعصوا ما تؤمرون . فإذا لقيتم العدو من المشركين - إن شاء الله - فادعوهم إلى ثلاث؛ فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفُّوا عنهم : ادعوهم إلى الإسلام ، فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفُّوا عنهم . ثم ادعوهم إلى التحوُّل من دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن هم فعلوا فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، وإن هم دخلوا فى الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين ، فأخبروهم أنَّهم كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى فرض على المؤمنين ، وليس

---

(١) وتسمى أيضاً عمرة القضاء وكانت في السنة السابعة من الهجرة بعد صلح الحديبية بعام . (٢) العين : الجاسوس . (٣) إلى قومه يعنى بنى سليم .

(٤) الغلول : السرقة من الغنائم .

لهم فى الفيء ، والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين . فإن هم أبَوا أن يدخلوا فى الإسلام فادعوهم إلى الجزية ، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفُّوا عنهم ، وإن هم أبَوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم إن شاء الله ، ولا تُعرقُنَّ (١) نخلاً ، ولا تحرقُنَّها ، ولا تعقروا البهيمة ولا شجرة ثمر ، ولا تهدموا بيْعة (٢) ، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء . وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين اتخذوا للشيطان فى أوساط رؤوسهم أفحاصاً(٣) ، فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله » . كذا فى كنز العمال (٢ / ٢٩٥) .

وأخرجه مالك وعبد الرزاق والبيهقى وابن أبى شيبة عن يحيى بن سعيد ، والبيهقى عن صالح بن كيسان ، وابن زَنْجويه عن ابن عمر رضى الله عنهما مختصراً . كما فى الكنز (٢ ، ٢٩٥ و٢٩٦) .

أمر أبى بكر خالداً حين بعثه إلى المرتدين

وأخرج البيهقى (٨ / ٢٠١) عن عروة أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضى الله عنه أمر خالد بن الوليد رضى الله عنه حين بعثه إلى من ارتدَّ من العرب أن يدعوهم بدعاية الإسلام ، ويبينهم بالذى لهم فيه وعليهم ، ويحرص على هُداهم ، فمن أجابه من النَّاس كلِّهم احمرهم وأسودهم كان يقبل ذلك منه ، بانه إنما يقاتل من كفر الله على الإيمان بالله ، فإذا أجاب المدعو إلى الإسلام وصدق إيمانه لم يكن عليه سبيل وكان الله هو حسيبه ، ومن لم يجبه إلى ما دعاه إليه من الإسلام ممَّن يرجع عنه أن يقتله ، كذا فى الكنز (٣ / ١٤٣) .

دعوة خالد بن الوليد لأهل الحيرة

وأخرج ابن جرير الطبرى (٢ / ٥٥١) عن ابن حُمَيد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح بن كيسان : أنَّ خالداً نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع قبيصة بن إياس بن حيَّة الطائى – وكان أمَّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر – فقال له خالد

---

(١) وفى رواية ولا تعقرن نخلاً والعقر والعرق بمعنى القطع .

(٢) البيعة : معبد اليهود والنصارى وهى بكسر الباء وجمعها بيَع بفتح الياء كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلولا دفعُ اللهِ الناسَ بعْضهم ببعْض لهدمت صَوامعُ وَبيعٌ وَصلواتٌ ومسَاجدُ يُذكرُ فيها اسمُ الله كثيراً ﴾ .

(٣) الأفحاص جمع فحص وهو العش الذى يحفره الطائر لنفسه ليفرخ فيه ويقال له المفحص أيضاً والمعنى انهم حلقوا أوساط رؤوسهم واتخذوا ذلك شعاراً لهم يعرفون به وجعلوه نوعاً من أنواع العبادة .

ولأصحابه : أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة ؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فقال له قبيصة : ما لنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية . فصالحهم على تسعين ألف درهم .

وأخرجه البيهقى (٩ / ١٨٧) من طريق يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق وفيه : فقال خالد : أدعوكم إلى الإسلام ، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده وأن محمداً عبده ورسوله ، وتُقيموا الصلاة ، وتُؤتوا الزكاة ، وتقرُّوا بأحكام المسلمين ، على أنَّ لكم مثلَ ما لهم وعليكم مثل ما عليهم . فقال هانىء : وإن لم أشأ ذلك فَمَه [١] ؟ قال : فإن أبيتم ذلك أديتم الجزية عن يد . قال : فإن أبينا ذلك : قال : فإن أبيتم ذلك وطئتكم [٢] بقوم الموت أحب إليهم من الحياة إليكم . فقال هانىء : أجِّلنا ليلتنا هذه فننظر فى أمرنا ، قال : قد فعلت .

فلما أصبح القوم غدا هانىء فقال : إنه قد أجمع أمرنا على أن نؤدِّى الجزية ، فهلمَّ فلأصالحك – فذكر القصة . وقال فى البداية (٧ / ٩) أيضاً : لَما تقارب الناس يوم اليرموك تقدّم أبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان ومعهما ضرار بن الأزور ، والحارث بن هشام وأبو جندل بن سهيل ونادوا : إنَّما نريد أميركم لنجتمع به ، فأُذن لهم للدخول على تذارق [٣] ، وإذا هو جالس فى خيمة من حرير ، فقال الصحابة : لا نستحلُّ دخولها ، فأمر لهم بفرش بسط من حرير ، فقالوا : ولا نجلس على هذه ، فجلس معهم حيث أحبُّوا ، وتراضوا على الصلح ، ورجع عنهم الصحابة بعدما دعوهم إلى الله عزّ وجلّ فلم يتمَّ ذلك .

دعوة خالد للأمير الرومى جَرَجَة يوم اليرموك وقصة إسلامه

وذكر فى البداية (٧ / ١٢) عن الواقدى وغيره قالوا : خرج جَرَجَة [٤] – أحد الأمراء الكبار – من الصفّ – أى يوم اليرموك – واستدعَى خالد بن الوليد ، فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جَرَجَة : يا خالد ، أخبرنى فاصدقنى ولا تكذبنى ، فإن الحرّ لا يكذب ، ولا تخادعنى فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله : هل أنزل الله على نبيّكم سيفًا من السماء فأعطاكَه فلا تسلُّه على أحد إلا هزمتهم ؟ قال : لا ، قال : فبمَ سُمِّيت سيف الله ؟ قال : إنَّ الله بعث فينا نبيَّه فدعانا فنفرنا منه

---

(١) فمه : أى فأى شىء يكون . (٢) أى نزلت أرضكم وقاتلتكم .

(٣) هو أخو هرقل . (٤) جَرَجَه : اسم مقدم عسكر الروم يوم اليرموك .

ونأينا عنه جميعاً ، ثم إنَّ بعضنا صدَّقه وتابعه وبعضنا كذَّبه وباعده ، فكنت فيمن كذَّبه وباعده ٠ ثم إنَّ الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه ٠ فقال لي : « أنت سيف من سيوف الله سلَّه الله على المشركين » ودعا لي بالنَّصر ، فسُمِّيتُ سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين ٠

فقال جَرَجَة : يا خالد إلامَ تدعون ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله عزّ وجلّ ٠ قال : فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية ونمنعهم ٠ قال: فإن لم يعطها قال : نُؤذِنُه بالحرب ثم نقاتله ٠ قال : فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا !! قال جَرَجَة : فلِمَنْ دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذّخر ؟ قال : نعم وأفضل ٠ قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ فقال خالد : إنَّا قبلنا هذا الأمر عَنْوة [1] وبايعنا نبينا وهو حيٌّ بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء يخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات ؛ وحقٌّ لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ؛ وإنَّكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ؛ فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونيّة كان أفضل منّا ٠ فقال جَرَجَة : بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ؟ قال : تالله لقد صدقتك ، وإنَّ الله وليّ ما سألت عنه ٠

فعند ذلك قَلَبَ جَرَجَة الترس ومال مع خالد وقال : علّمني الإسلام ٠ فمال به خالد إلى فسطاطه فشنّ عليه قربةً من ماء ثم صلَّى به ركعتين ٠ وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يَرَون أنَّها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المُحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام ٠ فركب خالد وجَرَجَة معه والروم خلال المسلمين ، فتنادَى الناس وثابوا ، وتراجعت الروم إلى مواقفهم ، وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف ، فضرب فيهم خالد وجَرَجَة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، وصلَّى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماءً [2] ، وأصيب جَرَجَة ــ رحمه الله ــ ولم يصلِّ لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنهما ٠

وقال الحافظ في الإصابة (١ / ٢٦٠) : ذكره ابن يونس الأزدي في فتوح

---

(١) عنوة : أي قهراً بمعنى إننا قبلناه مقتنعين به والمراد بالأمر الإسلام فقد حملنا على اعتناقه بقوة حججه كما يتضح من النص ٠

(٢) إيماءً : أي برؤوسهم يرفعونها ويخفضونها ٠

الشام ، ومن طريق أبى نُعَيم فى الدلائل وقال : جرجير ، وقال سَيْف بن عمير فى الفتوح : جَرَجَة ، وذكر أنه أسلم على يدى خالد بن الوليد واستشهد باليرموك ؛ وذكر قصته أبو حذيفة إسحاق بن بشر فى الفتوح أيضاً لكن لم يسمِّه ، انتهى .

وذكر فى البداية (٦ / ٣٤٥) عن خالد رضى الله عنه أنَّه قام فى الناس خطيباً، فرغَّبهم فى بلاد الأعاجم ، وزهدهم فى بلاد العرب ، وقال : ألا تَرون ما ههنا من الأطعمات ، وبالله لو لم يلزمْنا الجهاد فى سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش – لكان رأىّ أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به ، ونُولى الجوع والإقلال من تولاَّه ممن أثَّاقل عما أنتم عليه – انتهى .

وأسنده ابن جرير فى تاريخه (٢ / ٥٥٩) من طريق سَيْف عن محمد بن أبى عثمان بنحوه .

دعوة الصحابة إلى الله ورسوله فى القتال فى عهد عمر رضى الله عنه ووصيته الأمراء بذلك

كتاب عمر إلى سعد لدعوة الناس إلى الإسلام ثلاثة أيام

أخرج أبو عُبَيْد عن يزيدَ بن أبى حبيب قال :كتب عمر بن الخطاب إلى سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنهما : أنى قد كنت كتبت إليك أن تدعو الناس إلى الإسلام ثلاثة أيام ، فمن استجاب لك قبل القتال فهو رجل من المسلمين ، له ما للمسلمين وله سهم فى الإسلام ، ومن استجاب لك بعد القتال أو بعد الهزيمة فما له فىء للمسلمين لأنَّهم كانوا قد أحرزوه قبل إسلامه ، فهذا أمرى وكتابى إليك ؛ كذا فى الكنز (٢ / ٢٩٧) .

دعوة سلمان الفارسى يوم القصر الأبيض ثلاثة أيام

وأخرج أبو نعيم فى الحلية (١ / ١٨٩) عن أبى البَخترى : أنَّ جيشاً من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسى رضى الله عنه ، فحاصروا قصراً من قصور فارس ، فقالوا : يا أبا عبد الله ، ألا نَنْهد إليهم (١) ؟ قال : دعونى أدعوهم كما سمعت رسول الله ﷺ يدعوهم ، فقال لهم : أنا رجل منكم فارسى أتَرون العرب تطيعنى ، فإن أسلمتم فلكم مثل الذى لنا وعليكم مثل الذى علينا ، وإن أبيتم إلا دينَكم تركناكم عليه وأعطيتمونا الجزية عن يَدٍ وأنتم صاغرون – قال ورطَنَ إليهم بالفارسية وأنتم غير محمودين – وإن أبيتم نابذناكم على سواء ، فقالوا : ما نحن بالذى نؤمن ، وما نحن بالذى نعطى الجزية ، ولكنا نقاتلكم ، قالوا : يا أبا عبد الله ،

---

(١) أى ألا ننهض لقتالهم .

ألا ننهد إليهم ؟ قال : لا ، فدعاهم ثلاثة أيام إلى مثل هذا ، ثم قال : انهدوا إليهم فنهدوا إليهم ، قال : ففتحوا ذلك الحصن ، وأخرجه أيضاً أحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك كما فى نَصْب الراية (٣ / ٣٧٨) بمعناه وفيه : فلما كان فى اليوم الرابع أمر الناس فغدَوا إليها ففتحوها ، وأخرجه ابن أبى شيبة كما فى الكنز (٢ / ٢٩٨) ، وأخرجه أيضاً ابن جرير (٤ / ١٧٣) عن أبى البَختري قال : كان رائدَ المسلمين سلمانُ الفارسي ، وكان المسلمون قد جعلوه داعيةَ فارس ، قال عطية : وقد كانوا أمروه بدعاء أهل بَهُرَسير [1] ، وأمَّروه يوم القصر الأبيض ، فدعاهم ثلاثاً — فذكر الحديث فى دعوة سلمان رضى الله عنه بمعناه ،

دعوة النعمان بن مقرن وأصحابه لرستم يوم القادسية

وذكر ابن كثير فى البداية (٧ / ٣٨) أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بعث جماعة من السادات منهم : النُّعمان بن مُقرِّن ، وفُرَات بن حيَّان ، وحنظلة بن الربيع التميمى ، وعُطارد بن حاجب ، والأشعث بن قيس ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معد يكَرِب ، رضى الله عنهم ، يدعون رُستم إلى الله عز وجل ، فقال لهم رُستم : ما أقدَمكم ؟ فقالوا : جئنا لموعود الله إيانا أخذ بلادكم ، وسبى نسائكم وأبنائكم ، وأخذ أموالكم ، فنحن على يقين من ذلك ، وقد رأى رُستم فى منامه كان مَلَكاً نزل من السماء فختم على سلاح الفرس كلّه ، ودفعه إلى رسول الله ﷺ فدفعه رسول الله ﷺ إلى عمر رضى الله عنه ،

دعوة المغيرة بن شعبة لرستم

وقال سيف [2] عن شيوخه : ولّما تواجه الجيشان بعث رُستم إلى سعد رضى الله عنه أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أساله عنه ، فبعث إليه المغيرةَ بن شعبة ، فلما قدم إليه جعل رُستم يقول له : إنكم جيرانُنا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا ، فقال له المغيرة إنا ليس طلبنا الدنيا وإنما همنا وطلبنا الآخرة ، وقد بعث الله إلينا رسولاً ، قال له : إنّى قد سلطت هذه الطائفة على من لم يَدن بدينى ، فأنا منتقم بهم منهم ، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به ، وهو دين الحقّ لا يرغب [3] عنه أحد إلا ذلّ ، ولا يعتصم

---

(١) بَهُرسير : موضع قرب المدائن عاصمة الفرس ،

(٢) هو سيف بن عمر التميمى من أصحاب السير كان كوفى الأصل اشتهر وتوفى ببغداد سنة ٢٠٠ هـ (تهذيب التهذيب ٤ / ٢٩٥) وهو حجة فى التاريخ وكان الطبرى ينقل عنه فى تاريخ المشهور ،

(٣) يقال رغب عنه أى زهد فيه ورغب فيه أى طلبه وتمناه ،

به إلا عزّ . فقال له رُستم : فما هو ؟ أما عموده الذى لا يصلح شىء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله . فقالب : ما أحسن هذا !! وأى شىء أيضاً ؟ قال : وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، قال : وحَسَنٌ أيضاً .وأى شىء أيضاً ؟ قال: والناس بنو آدم فهم أخوة لأب وأم . قال : وحسن أيضاً . قال : ولما خرج المغيرة من عنده ذاكرَ رستم رؤساء قومه فى الإسلام ، فانفوا ذلك وأبَوا أن يدخلوا فيه ، قبَّحهم الله وأخزاهم وقد فعل .

دعوة ربعى بن عامر لرستم

قالوا : ثم بعث إليه سعد رضى الله عنه رسولاً آخر بطلبه وهو ربعى بن عامر ، فدخل عليه وقد زيَّنوا مجلسه بالنَّمارق [١] المذهَّبة ، والزَّرابى [٢] الحرير ، وأظهر اليواقيت واللآلى الثمينة والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب . ودخل ربعى بثياب صفيقة [٣] وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبَها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحُه ودرعه وبيضتُه [٤] على رأسه . فقالوا له : ضع سلاحك فقال : إنى لم آتكم وإنّما جئتكم حين دعوتمونى ، فإن تركتمونى هكذا وإلاّ رجعت . فقال رستم : ائذنوا له ، فاقبل يتوكا على رمحه فوق النَّمارق فخرَّق عامتها . فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتها ، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ؛ فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى إلى موعود الله ، قالوا : وما موعودُ الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى . فقال رستم : لقد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ قال : نعم ، كم أحبُّ إليكم ؟ يوماً أو يومين ، قال : لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال : ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخِّر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانظر فى أمرك وأمرهم ،

---

(١) النمارق جمع نمرقة : وهى الوسادة .

(٢) قال فى القاموس « الزرابًى : النمارق والبسط أو كل ما بسط واتكىء عليه » ومفرده زربّى بكسر الزارى وضمها .

(٣) صفيقة : غليظة من جلد ونحوه .

(٤) البيضة : الخوذة من حديد توضع على الراس .

واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل . فقال : أسيِّدهم أنت ؟ قال : لا ، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يُجير أدناهم على أعلاهم . فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم قط أعزَّ وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا : معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب !! أما ترى إلى ثيابه ؟! فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأى والكلام والسيرة ، إن العرب يستخفُّون بالثياب والمآكل ويصونون الأحساب .

دعوة حذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة لرستم فى اليوم الثانى والثالث

ثم بعثوا فى اليوم الثانى رجلاً ، فبعث إليهم حذيفة بن محصَنٍ فتكلم نحو ما قال ربعى ، وفى اليوم الثالث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه فتكلم بكلام حسن طويل ، قال فيه رُستم للمغيرة : إنَّما مثلكم فى دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل ، فقال : من يوصلنى إليه وله درهمان ؟ فلما سقط عليه غرق فيه ، فجعل يطلب الخلاص فلا يجده ، وجعل يقول من يخلِّصنى وله أربعة دراهم ؟! ومثلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل جُحْراً فى كرم ، فلما رآه صاحب الكرم ضعيفاً رحمه فتركه ، فلما سمن افسد شيئاً كثيراً ، فجاء بخشبة واستعان عليه بغلمانه ، فذهب ليخرج فلم يستطع لِسَمْنه فضربه حتى قتله ، فهكذا تخرجون من بلادنا . ثم استشاط غضباً ، وأقسم بالشمس لأقتلَنكم غداً . فقال المغيرة : ستعلم . ثم قال رستم للمغيرة : قد أمرت لكم بكسوة ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا . فقال المغيرة : أبعدَ أن أوهنَّا مُلْككم وضعَّفنا عزَّكم ؟! ولنا مدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون وستصيرون لنا عبيداً على رَغْمكم !! فلما قال ذلك استشاط غضباً – انتهى فى البداية .

وأخرج الطبرى (٤ / ١٠٥) عن ابن الرُّفَيْل عن أبيه وعن أبى عثمان النَّهدى وغيرهما – فذكر دعوة زُهْرة والمغيرة وربْعى وحذيفة – رضى الله عنهم بطوله بمعنى ما تقدم .

بعث سعد طائفة من أصحابه إلى كسرى للدعوة قبل الوقعة

وأخرج ابن جرير عن حسين بن عبد الرحمن قال : قال أبو وائل : جاء سعد رضى الله عنه حتى نزل القادسية ومعه الناس قال : لا أدرى لعلَّنا لا نزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف والمشركون ثلاثون ألفاً – كذا فى هذه الرواية ؛ وذكر فى البداية (٧ / ٣٨) عن سَيْف وغيره أنهم كانوا ثمانين ألفاً . وفى رواية ؛ كان رُستم فى مائة ألف وعشرين ألف يتبعها ثمانون ألفاً ، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً منها فيل

أبيض كان لسابور [1] فهو أعظمها وأقدمها ، وكانت الفيلة تألفه ، انتهى ، ونحو ذلك ، فقالوا : لا يَدَ لكم ولا قوة ولا سلاح ما جاء بكم ؟! ارجعوا ، قال قلنا : ما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نبلنا ويقولون : « دُوك دُوك » ويشبهونها بالمغازل ، فلّما أبينا عليهم أن نرجع قالوا : ابعثوا إلينا رجلاً من عقلائكم يبين لنا ما جاء بكم ؟ فقال المغيرة بن شعبة : أنا ، فعبر إليهم فقعد مْع رُستم على السرير فنخروا وصاحوا ، فقال : إنّ هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم ، فقال رستم : صدقتَ ، ما جاء بكم ؟ فقال : إنا كنا قوماً في شر وضلالة فبعث الله إلينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه ، فكان فيما رزقنا حبّةٌ تنبت فى هذا البلد ، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبر لنا عنها ، وأنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبّة ، فقال رستم : إذاً نقتلكم ، قال : إن قتلتمونا دخلنا الجنة وإن قتلناكم دخلتم النار وأدّيتم الجزية ، قال : فلما قال وأدّيتم الجزية نخروا وصاحوا ، وقالوا : لا صلح بيننا وبينكم ، فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبر إليكم ؟ فقال رستم : نعبر إليكم ، فاستأخر المسلمون حتى عبروا فحملوا عليهم فهزموهم ؛ كذا فى البداية (٧ / ٤٠) ، وأخرجه الحاكم (٣ / ٤٥١) من طريق حصين بن عبد الرحمن عن أبى وائل قال : شهدت القادسية فانطلق المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ... فذكره مختصراً .

وأخرج الحاكم (٣ / ٤٥١) أيضاً عن معاوية بن قُرَّة رضى الله عنه قال : لما كان يوم القادسية بُعث بالمغيرة بن شعبة رضى الله عنه إلى صاحب فارس ، فقال : ابعثوا معى عشرة ، فبعثوا فشدَّ عليه ثيابه ثم أخذ حَجَفة [2] ثم انطلق حتى أتوه ، فقال : ألقوا لى ترساً فجلس عليه ، فقال العِلْج [3] : إنكم - معاشر العرب - قد عرفت الذى حملكم على المجىء إلينا ، أنتم قوم لا تجدون فى بلادكم من الطعام ما تشبعون منه ، فخذوا نعطيكم من الطعام حاجتكم ، فإنَّا قوم مجوس وإنَّا نكره قتلكم ، إنكم تنجسون علينا أرضنا ، فقال المغيرة : والله ما ذاك جاء بنا ، ولكنّا كنا قوماً نعبد الحجارة والأوثان ، فإذا رأينا حجراً أحسن من حجر ألقيناه وأخذنا غيره، ولا نعرف ربّاً حتى بعث الله إلينا رسولاً من أنفسنا فدعانا إلى الإسلام ، فاتّبعناه ، ولم نجىء للطعام ، إنَّا أُمرنا بقتال عدوّنا ممَّن ترك الإسلام ، ولم نجىء للطعام ولكنا جئنا

(١) سابور أحد الأكاسرة القدماء .

(٢) الحجفة : الترس من جلد بلاخشب .

(٣) العلج : الرجل القوى الضخم ويطلق على الرجل من كفار العجم .

لنقتل مقاتلتكم ونسبى ذراريكم ، وأما ما ذكرت من الطعام فإنا لعمرى ما نجد من الطعام ما نشبع منه ، وربما لم نجد رياً من الماء أحياناً ، فجئنا إلى أرضكم هذه فوجدنا فيها طعاماً كثيراً وماء كثيراً ، فوالله لا نبرحها حتى تكون لنا أو لكم ؛ فقال العلْج بالفارسية : صدق ، قال وأنت تُفقأ عينك ففقئت عينه من الغد ، أصابته نُشَّابه (١) ... غريب ، قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه ، وقال الذهبى : صحيح ، وأخرجه الطبرانى عن معاوية رضى الله عنه مثله ، قال الهيثمى (٦ / ٢١٥) : ورجاله رجال الصحيح ،

وذكر فى البداية (٧ / ٤١) عن سَيْف أنَّ سعداً رضى الله عنه كان قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة ، فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم ، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتُهم على عواتقهم ، وسياطهم بأيديهم ، والنِّعال فى أرجلهم ، وخيولهم الضعيفة ، وخبطها الأرض بأرجلها ؛ وجعلوا يتعجَّبون منها غاية العجب ؛ كيف مثل هؤلاء يقهَرون جيوشهم مع كثرة عَدَدها وعُدَدها ، ولما استأذنوا على الملك يَزْدَجرد أذن لهم وأجسلهم بين يديه ... وكان متكبِّراً قليل الأدب -- ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها ، عن الأردية والنِّعال والسيّاط ، ثم كلَّما قالوا له شيئاً من ذلك تفاءل ، فرد الله فأله على راسه ، ثم قال لهم : ما الذى أقدمكم هذه البلاد ؟! أظننتم أنّا لما تشاغلنا (٢) بأنفسنا اجترأتم علينا ؟ فقال له النعمان بن مقرن رضى الله عنه : إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرِّفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يَدْعُ إلى ذلك قبيلة إلاَّ وصاروا فرقتين : فرقة تقاربه ، وفرقة تباعده ؛ ولا يدخل معه فى دينه إلا الخواص ، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أُمر أن ينهد (٣) إلى من خالفه من العرب ويبدأ بهم ، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين : مكروه عليه فاغتبط (٤) ، وطائع إياه فازداد ؛ فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ، وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين الإسلام ، حسَّن الحَسَن وقبَّح القبيح كله ، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء (٥) ، فإن

---

(١) نشابة : سهم ، (٢) اى شغلتنا الحروب فيما بيننا عن تاديبكم ،

(٣) ينهد إلى من خالفه : ينهض لمقاتلته ، (٤) الاغتباط : الفرح والسرور ،

(٥) يعنى الجزية بدليل السياق ،

أبيتم فالمناجزة [١] . وإن أجبتم إلى ديننا ، خلّفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشانكم وبلادكم ، وإن أتيتمونا بالجزى[٢] قبلنا ومنعناكم ، وإلا قاتلناكم .

قال : فتكلم يزدجرد ، فقال : إنّى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بَيْن منكم ؛ وقد كنَّا نوكل بكم قرى الضواحى ليكفوناكم لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، فإن كان عددكم كثر فلا يغرَّنكم منا ، وإن كان الجهد [٣] دعاكم ؛ فرضنا لكم قوتاً إلى خِصبكم ، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم ، وملّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم .

فأسكت القوم ، فقام المغيرة بن شعبة رضى الله عنه فقال : أيها الملك ؛ إنّ هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم ، وهم أشرافٌ يستحيُون من الأشراف ، وإنما يكرم الأشرافَ ، ويعظِّم حقوق الأشراف الأشرافُ ، وليس كل ما أُرسلوا له جمعوه لك ، ولا كل ما تكلَّمت به أجابوك عَليه ، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلاَّ ذلك فجاوبنى ، فأكون أنا الذى أبلِّغك ويشهدون على ذلك . إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً . فأمَّا ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع . كنا نأكل الخنافس والجعلان [٤] ، والعقارب والحيات ، ونرى ذلك طعامنا . وأما المنازل فإنما هى ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ؛ ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، وأن يبغى بعضنا على بعض ، وإنْ كان أحدنا ليدفن ابنته وهى حيّة كراهية أن تأكل من طعامه . وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك . فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبه ، ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته خير بيوتنا ، وقبيلته خير قبائلنا ، وهو نفسه كان خيرَنا فى الحال التى كان فيها أصدقَنا وأحلَمنا . فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد أول تِرْب [٥] كان له والخليفة من بعده . فقال وقلنا ، وصدّق وكذَّبنا ، وزاد ونقصنا فلم يقل شيئاً إلا كان ، فقذف الله في قلوبنا التصديق له

---

(١) المناجزة : المقاتلة .
(٢) الجزِى بكسر الجيم جمع جزية .
(٣) الجهد : ضيق العيش وعسره .
(٤) الجعلان : جمع الجعل وهو ضرب من الخنافس .
(٥) يعنى أول مماثل له فى الدين هو الخليفه أبو بكر وأصل الترب فى اللغة المماثل والمساوى والمقارن فى السن .

واتباعه ؛ فصار فيما بيننا وبين رب العالمين . فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله . فقال لنا إنَّ ربَّكم يقول : أنا الله وحدى لا شريك لى، كنت إذ لم يكن شىء ، وكلٌ شىء هالك إلا وجهى ، وأنا خلقت كلَّ شىء ، وإلىَّ يصير كلُّ شىء ، وإنَّ رحمتى أدركتكم . فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلَّكم على السبيل التى أُنجيكم بها بعد الموت من عذابى ، ولأحلكم دارى دار السلام . فنشهد عليه أنَّه جاء بالحق من عند الحق . وقال : من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم ، ومن أبَى فاعرضوا عليه الجِزْية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبى فقاتلوه ؛ فأنا الحكم بينكم ، فمن قُتل منكم أدخلته جنتى ، ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه ؛ فاختر إن شئت الجِزْية وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجى نفسك .

فقال يزدجرد : أتستقبلنى بمثل هذا ؟! فقال : ما استقبلت إلاَّ من كلمنى ، ولو كلمنى غيرك لم أستقبلك به . فقال : لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم لا شىء لكم عندى ، وقال : ائتونى بوِقْر من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات المدائن . ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنِّى مرسل إليه رستم حتى يدفنه وجنده فى خندق القادسية وينكِّل به وبكم من بعد ، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم فى أنفسكم بأشدّ مما نالكم من سابور [1] .

ثم قال : من أشرفكم ؟ فسكت القوم ، فقال : عاصم بن عمرو رضى الله عنه وافتات [2] ليأخذ التراب ، أنا أشرفهم ، أنا سيد هؤلاء فحمِّلْنيه . فقال : أكذلك ؟ قالوا : نعم . فحمله على عنقه فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها ، ثم انجذب [3] فى السير ليأتوا به سعداً وسبقهم عاصم فمرَّ بباب قُدَيْس [4] فطواه ، وقال : بشِّروا الأمير بالظَّفَر ، ظفرنا إن شاء الله تعالى . ثم مضى حتى جعل التراب فى الحَجَر [5] ، ثم رجع فدخل على سعد رضى الله عنه فأخبره الخبر فقال : أبشروا فقد — والله — أعطانا الله أقاليد [6] مُلْكِهم ؛ وتفاءلوا بذلك أخذ بلادهم .

---

(١) سابور ذو الأكتاف العدو اللدود للعرب كان يعذبهم وينزع اكتفاهم ويحمل عليهم ظلماً وعدواناً .

(٢) افتات : تعدى على أصحابه وتطوع لحمل التراب دون أن يندبه لذلك أحد .

(٣) اسرع .

(٤) قديس : هو قصر فى القادسية .

(٥) الحجر : أرض العرب .

(٦) اقاليد : مفاتيح .

انتهى . وأخرج ابن جرير الطبرى (٤ / ٩٤) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشَّعْبى بمثله .

دعوة عبد الله بن المُعْتَم لبنى تغلب وغيرهم يوم تكريت

وأخرج ابن جرير أيضاً (٤ / ١٨٦) من طريق سَيْف عن محمد وطلحة وغيرهما قالوا : لَّما رأت الروم – أى يوم وقعة تكريت – أنهم لا يخرجون خرجة إلاَّ كانت عليهم ويُهزَمون فى كل ما زاحفوهم ؛ تركوا أمراءهم ، ونقلوا متاعهم إلى السفن ، وأقبلت العيون (١) من تغلب وإياد والنَّمر إلى عبد الله بن المُعْتَم بالخبر ، وسألوه للعرب السلم ، وأخبروه أنهم قد استجابوا له ، فأرسل إليهم إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أنَ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقروا بما جاء من عند الله ، ثم أعلمونا رأيكم ، فرجعوا إليهم بذلك ، فردوهم إليه بالإسلام . فذكر القصة .

دعوة عمرو بن العاص فى وقعة مصر

وأخرج ابن جرير (٤ / ٢٢٧) من طريق سيف عن أبى عثمان عن خالد وعبادة رضى الله عنهما ، قالا : خرج عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى مصر بعدما رجع عمر إلى المدينة ، حتى انتهى إلى باب الْيُون (٢) وأتبعه الزبير فاجتمعا رضى الله عنهما ، فلقيهم هنالك أبو مريم – جاثليق (٣) مصر – ومعه الأسقُف فى أهل النيّات(٤) ، بعثه المقوقس لمنع بلادهم . فلّما نزل بهم عمرو رضى الله عنه قاتلوه ، فأرسل إليهم : لا تعجلونا لنعذِر إليكم وتَروْن رأيكم بعد ؛ فكَفُّوا أصحابهم وأرسل إليهم عمرو : إنِّى بارز فيبرز إلىّ أبو مريم وأبو مريام ، فأجابوه إلى ذلك ، وامن بعضهم بعضا . فقال لهما عمرو : أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا : إنَّ الله عزّ وجلّ بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به ، وأمرنا به محمد ﷺ وأدّى إلينا كل الذى أُمر به . ثم مضى – صلوات الله عليه ورحمته – وقد قضى الذى عليه وتركنا على الواضحة (٥) .

وكان مما أمرنا به الإعذارُ إلى الناس (٦) ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن

---

(١) من يأتون بالخبر ويراقبون سير العدو . (٢) اليون : اسم مدينة فى مصر قديماً .

(٣) الجاثليق : رئيس النصارى فى بلاد الإسلام .

(٤) أهل النيات : الذين ينوون الحرب أو هم أهل الثبات فى الحرب .

(٥) أى الطريق السوى الواضح .

(٦) أى إنذارهم وقطع أعذارهم قبل البدء بقتالهم .

أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية ، وبذلنا له المَنعَة (١) ، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظاً لرَحِمنا فيكم (٢) ، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمةً إلى ذمة (٣) . ومما عهد إلينا أميرنا : استوصوا بالقبطيين (٤) خيراً ، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً ، لأن لهم رَحِماً وذمة . فقالوا : قرابة بعيدة لا يَصِلُ مثلَها إلا الأنبياء ، معروفة شريفة كانت ابنةَ ملَكنا وكانت من أهل مَنْف والملك فيهم ؛ فأُديل (٥) عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا ؛ فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام ، مرحباً به وأهــلاً ، آمنًا حتى نرجع إليك . فقال عمرو : إنَّ مثلى لا يُخدع ولكنى أؤجلكمــا ثلاثاً لتنظَــرا ولتُناظِرا قومكما ، وإلا ناجزتكم (٦) . قالا : زدْنا . فزادهم يوماً . فقالا : زدْنا فزادهم يوماً : فرجعا إلى المقوقِس فهمَّ ، فأبى أرطبون (٧) أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم ، فقالا لأهل مصر : أمَّا نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم ، وقد بقيت أربعة أيام فلا تصابون فيها بشىء إلاَّ رجَونا أن يكون له أمان . فلم يفجأ عَمْراً والزبير إلاَّ البياتُ (٨) من فَرقَبْ ، وعمرو على عُدَّة ، فلقوه فقتل ومن معه ثم ركبوا أكساءهم (٩) ، وقصد عمرو والزبير رضى الله عنهما لعين شمس .

وأخرج الطبرى أيضاً (٤ / ٢٢٨) عن أبى حارثة وأبى عثمان قالا : لمَّا نزل عمرو رضى الله عنه على القوم بعين شمس قال أهل مصر لملكهم : ما تريد إلى قوم فَلُّوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم ؟! صالِح القوم واعتقد منهم ، ولا تعرض لهم ولا تعرِّضنا لهم ، وذلك فى اليوم الرابع ، فأبى وناهدوهم ، فقاتلوهم وارتقى الزبير سورها ، فلما أحسُّوه فتحوا الباب لعمرو رضى الله عنه وخرجوا وهرجوا إليه مصالحين . فقبل منهم ونزل عليهم الزبير رضى الله عنه عَنْوة .

---

(١) أى أعطيناه الأمان ومنعناه من عدوه .

(٢) لأن هاجر أم إسماعيل عليه السلام كانت من مصر .

(٣) أى عهداً بعهد .

(٤) القبط هم أهل مصر جميعاً وليس هم النصارى فقط كما يفهم الكثير من الناس .

(٥) انتصر عليهم . (٦) ناجزتكم : قاتلتكم .

(٧) أرطبون قائد رومى كان فى فلسطين فهزمه عمرو فذهب إلى مصر .

(٨) البيات : الهجوم أثناء الليل .

(٩) أكساءهم : دوابهم .

دعوة الصحابة فى إمارة سَلَمة بن قيس الأشجعى فى القتال

وأخرج الطبرى (٥ / ٩) أيضاً عن سليمان بن بُرَيدة أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمَّر عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه ، فاجتمع إليه جيش ، فبعث عليهم سَلَمة بن قيس الأشجعى رضى الله عنه ، فقال : سِرْ باسم الله ، قاتل فى سبيل الله من كفر بالله ، فإذا لقيتم عدوَّكم ، من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال : ادعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم فى أموالهم الزكاة وليس لهم فى فيء المسلمين نصيب ، وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم ، فإن أبَوا فادعوهم إلى الخراج ، فإن أقّروا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم ، وفرِّغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم فوق طاقتهم ، فإن أبَوا فقاتلوهم فإنَّ الله ناصرُكم عليهم ، فإن تحصنَّوا منكم فى حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله فلا تنزلوهم على حكم الله ، فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم ، وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله (فلا تعطوهم ذمّة الله وذمة رسوله) وأعطوهم ذمم أنفسكم ، فإن قاتلوكم فلا تغُلُّوا [١] ، ولا تغدروا ، ولا تمثّلوا [٢] ، ولا تقتلوا وليداً . قال سلمة : فسرنا حتى لقينا عدوَّنا من المشركين ، فدعوناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين ، فأبَوا أن يسلموا ، فدعوناهم إلى الخراج فأبَوا أن يقرّوا ، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم ، فقتلنا المقاتلة ، وسبينا الذرية ، وجمعنا الرِّثَّة [٣] . فذكر الحديث بطوله جداً .

دعوة أبى موسى الأشعرى لأهل أصبهان قبل القتال

وأخرج ابن سعد (٤ / ١١٠) عن بشير بن أبى أمية عن أبيه أن الأشعرى نزل بأصبهان فعرض عليهم الإسلام فأبَوا ؛ فعرض عليهم الجزية ، فصالحوه على ذلك فباتوا على صلح ، حتى إذا أصبحوا أصبحوا على غدر ، فبادرهم القتال فلم يكن أسرع من أن أظهره الله عليهم .

قصص الصحابة فى الأعمال والأخلاق المفضية إلى هداية الناس

قصة إسلام عمرو بن الجموح وما فعل ابنه ومعاذ بن جبل لإسلامه

أخرج أبو نعيم فى الدلائل (ص ١٠٩) عن ابن إسحاق قال : لما قدم الأنصار المدينة بعدما بايعوا رسول الله ﷺ ظهر الإسلام بها ، وفى قومهم بقايا على دينهم من

---

(١) تغلوا : الهجوم أثناء الليل .

(٢) لا تمثلوا : اى لا تشوهوا جثث القتلى .   (٣) الرثة : سقط المتاع .

أهل الشرك منهم عمرو بن الجَموح ، وكان ابنه معاذ قد شهد العَقَبة وبايع رسول الله ﷺ بها . وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بنى سَلمة وشريفاً من أشرافهم ، وكان قد اتخذ فى داره صنماً من خشب يقال له « مَنَاة » كما كانت الأشراف يصنعون ، يتخذه إلهاً ويطهّره . فلما أسلم فتيان بنى سَلمة ؛ معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح ، فى فتيان منهم ممّن أسلم وشهد العقبة – كانوا يُدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه فى بعض حُفَر بنى سَلمة وفيها عِذَرُ (١) الناس منكَّساً على رأسه . فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عَدَا على إلهنا فى هذه الليلة ؟ قال : ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهَّره وطيَّبه ثم قال : وايْمُ الله ، لو أنى أعلم من صنع بك هذا لأخزينَّه . فإذا أمسى عمرو ونام عَدَوا عليه ففعلوا به مثل ذلك .

فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقَوه يوماً ، فغسله وطهَّره وطيَّبه ، ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه ثم قال : إنى والله ما أعلم من يفعل بك ما ترى فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام عدَوا عليه فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه معه بحبل ، ثم ألقَوه فى بئر من أبيار بنى سَلمة فيها عَذِرَة من عِذَر الناس . وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده مكانه الذى كان فيه ، فخرج فى طَلبه حتى وجده فى تلك البئر منكَّساً مقروناً بكلب ميت . فلما رآه وأبصر شأنه وكلَّمه مَنْ أسلم من قومه ، أسلم – يرحمه الله – وحسن إسلامه .

وزاد منجاب عن زياد فى حديثه عن ابن إسحاق قال : وحدثنى إسحاق بن يَسَار عن رجل من بنى سَلمة قال : لما أسلم فتيان بنى سَلمة أسلمت امرأة عمرو بن الجموح وولده ، قال لامرأته : لا تدَعى أحداً من عيالكِ فى أهلك حتى ننظر ما يصنع هؤلاء ، قالت : أفعل ، ولكن هل لك أن تسمع من ابنك فلان ما روى عنه قال : فلعله صبا (٢) ، قالت : لا ولكن كان مع القوم فأرسل إليه فقال : أخبرنى ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرأ عليه : « الحمد لله رب العالمين » إلى قوله تعالى : « الصراط المستقيم » . فقال : ما أحسن هذا وأجمله ، وكل كلامه مثل هذا ؟ فقال : يا أبتاه ، وأحسن من هذا . قال : فهل لك أن تبايعه ؟ قد صنع ذلك عامة قومك قال : لست فاعلاً حتى أوامر (٣) مَنَاة ، فأنظر ما يقول . قال : وكانوا إذا أرادوا كلام مَنَاة جاءت عجوز فقامت خلفه فأجابت عنه . قال : فأتاه وغيِّبت العجوز وأقام

---

(١) العذر : جمع عذرة وهى فضلات الناس . (٢) صبأ : خرج عن دينه .

(٣) أوامر : أشاور.

عنده فتشكَّر له ، وقال : يا مناة ، تشعر أنه قد سئل [١] بك وأنت غافل !! جاء رجل [٢] ينهانا عن عبادتك ويأمرنا بتعطيلك ، فكرهت أن أبايعه حتى أوامرك ، وخاطبه طويلاً فلم يردّ عليه ، فقال : أظنك قد غضبت ولم أصنع بعد شيئاً ، فقام إليه فكسره !! .

وزاد إبراهيم بن سلمة فى حديثه عن ابن إسحاق : قال عمرو بن الجموح حين أسلم وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه وما أبصر من أمره ، ويتشكَّر الله الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

أتوبُ إلى الله ممَّا مضى … وأستنقذ الله من ناره
وأُثنى عليه بنعمائه … إلهِ الحرام [٣] وأستاره
فسبحانه عدد الخاطئين … وقطر السماء ومدراره
هدانى وقد كنت فى ظلمة … حليفَ مَنَاة وأحجاره
وأنقذنى بعد شيب القَذَال [٤] … من شين ذاك ومن عاره
فقد كدت أهلك فى ظلمة … تدارك ذاك بمقداره
فحمداً وشكراً له ما بقيت … إله الأنام وجبّاره
أريد بذلك إذ قلته … مجاورة الله فى داره [٥]

وقال أيضاً يذم صنمه :

تالله لو كنت إلهاً لم تكن … أنت وكَلْبٌ وسطَ بئر فى قَرَن [٦]
أفٍّ لملقاك إلهاً مُستدن [٧] … الآن فتَّشناك عن سوء الغبن [٨]
الحمد لله العلىّ ذى المنن … الواهب الرزّاق ديّان الدِّيَن
هو الذى أنقذنى من قبل أن … أكون فى ظلمة قبر مرتهن

---

(١) الصواب (سيل بك) وفى المثل « سيل به وهو لا يدرى » .

(٢) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وكان أول رسول أرسله النبى ﷺ إلى المدينة واستشهد يوم أحد .

(٣) يعنى إله المسجد الحرام واستار الكعبة .

(٤) القذال : ما بين الأذنين من مؤخرة الرأس .

(٥) فى داره : اى فى الجنة .

(٦) قرن : حبل .

(٧) مستدن : اى مستعبد ذليل .

(٨) سوء الغبن : سوء الرأى .

قصة إسلام أبى الدرداء وما فعله ابن رواحة لإسلامه

وأخرج الحاكم فى المستدرك (٣ / ٣٣٦) عن الواقدى قال : كان أبو الدرداء رضى الله عنه فيما ذُكر - آخر داره إسلاماً ، لم يزل متعلّقاً بصنم له وقد وضع عليه منديلاً ، وكان عبد الله بن رواحة رضى الله عنه يدعوه إلى الإسلام فيأبى ؛ فيجيئه عبد الله بن رواحة وكان له أخاً فى الجاهلية قبل الإسلام ، فلما رآه قد خرج من بيته خالفه فدخل بيته ، وأعجل امرأته وإنها لتمشط رأسها ، فقال : أين أبو الدرداء ؟ فقالت : خرج أخوك آنفاً ، فدخل بيته الذى كان فيه الصنم ومعه القَدُوم فأنزله وجعل يقدده فِلْذاً فِلْذاً وهو يرتجز سرّاً من أسماء الشياطين كلها ، ألا كل ما يُدعى مع الله باطل ، ثم خرج وسمعت المرأة صوت القَدُوم وهو يضرب ذلك الصنم ، فقالت : أهلكتنى يا ابن رواحة !! فخرج على ذلك فلم يكن شيء حتى أقبل أبو الدرداء إلى منزله ، فدخل فوجد المرأة قاعدة تبكى شفقاً منه (١) ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخوك عبد الله بن رواحة دخل علىّ فصنع ما ترى ، فغضب غضباً شديداً ، ثم فكّر فى نفسه فقال : لو كان عند هذا خير لدفع عن نفسه ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ ومعه ابن رواحة فأسلم .

كتاب عمر إلى عمرو بن العاص فى أمر الجزية والسبايا

وأخرج ابن جرير الطبرى (٤ / ٢٢٧) عن زياد بن جَزْء الأُبيدى قال : افتتحنا الإسكندرية فى خلافة عمر رضى الله عنه - فذكر الحديث ، وفيه : ثم وقفنا ببلْهيب وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا ، فقرأه علينا عمرو رضى الله عنه وفيه :

أما بعد : فإنّه جاءنى كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أُصيب من سبايا أرضه ، ولعمرى ، لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحبُّ إلىَّ من فيء يُقسَم ثم كأنه لم يكن ، فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية ؛ على أن تخيّروا مَنْ فى أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومهم ؛ فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؛ ومن اختار دين قومه وُضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه ، فأمّا من تفرّق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة - والمدينة واليمن فإنا لا نقدر على ردّهم ، ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفى له به .

ذكر ما وقع للصحابة فى فتح الإسكندرية

قال : فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يُعلمه الذى كتب به أمير المؤمنين .

---

(١) شفقاً منه : خوفاً منه .

قال : فقال : قد فعلت . قال : فجمعنا ما فى أيدينا من السبايا ، واجتمعت النصارى ، فجعلنا نأتى بالرجل ممن فى أيدينا من السبايا ، واجتمعت النصارى ، فجعلنا نأتى بالرجل ممن فى أيدينا ثم نخيّره بين الإسلام وبين النصرانية ، فإذا اختار الإسلام كبّرنا تكبيرة هى أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية . قال : ثم نحوزه إلينا . وإذا اختار النصرانية نَخَرت النصارى ثم حازوه إليهم ، ووضعنا عليه الجزية ، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً حتى كأنه رجل خرج منا إليهم . قال : فكان ذلك الدأب (١) حتى فرغنا منهم . وقد أُتى فيمن أتينا به بأبى مريم عبد الله بن عبد الرحمن - قال القاسم : وقد أدركته وهو عريف بنى زُبيد . قال : فوقفناه فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية - وأبوه وأمه وإخوته فى النّصارى - فاختار الإسلام فحْزناه إلينا ، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا حتى شقّقوا عليه ثيابه ، ثم هو اليوم عريفنا كما ترى - فذكر الحديث .

قصة درع على وما وقع له مع نصرانى ودخوله فى الإسلام

وأخرج الترمذى والحاكم عن الشَّعْبى قال : خرج على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى السوق فإذا هو بنصرانى يبيع درعاً ، فعرف على رضى الله عنه الدرع ، فقال : هذه درعى ، بينى وبينك قاضى المسلمين ، وكان قاضى المسلمين شُرَيحاً (٢) ؛ وكان على استقضاه (٣) - فلما رأى شريح أمير المؤمنين قام من مجلس قضائه وأجلس علياً فى مجلسه وجلس شريح قدامه إلى جنب النصرانى . فقال على : أمَا يا شريح - لو كان خصمى مسلماً لقعدت معه ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تصافحوهم ، ولا تبدؤوهم بالسلام ، ولا تعودوا مرضاهم ، ولا تصلُّوا عليهم ، وألجئوهم إلى مضايق الطريق ، وصغِّروهم كما صغَّرهم الله » ؛ اقض بينى وبينه يا شُرَيح . فقال شُريح : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ فقال على : هذه درعى وقعت منى منذ زمان . فقال شريح : ما تقول يا نصرانى ؟ فقال النصرانى : ما أكذِّب أمير المؤمنين الدرع درعى . فقال شريح : ما أرى أن تخرج من يده فهل من بيِّنه ؟ فقال على : صدق شريح . فقال النصرانى : أما أنا فاشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، وأمير المؤمنين يجىء إلى قاضيه وقاضيه يقضى عليه ، هى - والله يا أمير المؤمنين ...

---

(١) الدأب : العادة والشأن .

(٢) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندى من أشهرهم واعدلهم ، عمّر طويلاً ومات بالكوفه سنة ٧٨ هـ .

(٣) استقضاه : ولاه قاضياً .

درعك ، اتَّبعتك وقد زالت عن جملك الأورق (١) ، فأخذتها ، فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رســول الله . فقال على : أمّا إذا أسـلمت فهى لك ، وحملـه على فرس (٢) .

وعند الحاكم على الشَّعْبى قال : ضاع درع لعلى رضى الله عنه يوم الجمل (٤) فأصابها رجل فباعها ، فعُرفت عند رجل من اليهود ، فخاصمه إلى شريح ، فشهد لعلى الحسن ومولاه قَنْبر . فقال شريح : زدنى شاهداً مكان الحسن ، فقال : أترد شهادة الحسن ؟ قال : لا ، ولكن حفظت عنك أنه لا تجوز شهادة الولد لوالده .

وأخرجه الحاكم فى الكُنى وأبو نُعيم فى الحلية (٤ / ١٣٩) من طريق إبراهيم ابن يزيد التيمى عن أبيه – مطّولاً ، وفى حديثه : فقال شريح : أمَّا شهادة مولاك فقد أجزناها وأمَّا شهادة ابنك فلا نجيزها . فقال على رضى الله عنه : ثكلتك أمك ! أما سمعت عمر يقول : قال رســول الله ﷺ : « الحسن ، والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . ثم قال لليهودى : خذ الدرع . فقال اليهودى : أمير المؤمنين جاء معى إلى قاضى المسلمين فقضى عليه ورضى ؛ صدقت – والله يا أمير المؤمنين – إنَّها لدرعك سقطت عن جمل لك التقطتها ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فوهبها له علىّ وأجازه بسبع مائة ، ولم يزل معه حتى قتل يوم صِفّين (٤) . كذا فى كنز العمال (٤ / ٦) .

* * *

(١) الجمل الأورق : هو ما فى لونه بياض إلى سواد .

(٢) حمله على فرس : أى أعطاه فرسا .

(٣) يوم الجمل يوم عسير قتل فيه عشرة الآف مسلم وسمى بيوم الجمل لأن عائشة رضى الله عنها كانت تركب جملاً تحرض فيه المسلمين على قتال قتلة عثمان ، انظر تفاصيل هذه المعركة فى البداية جـ٧ ص ٢٥٠ .

(٤) صفين : اسم موضع وقعت فيه معركة حاميه الوطيس بين جيش معاوية وجيش على ابن أبى طالب قتل فيهما خلق كثير ، راجع البداية جـ٧ ص ٢٧٦ .

الباب الثانى

باب البيعـــــة

كيف كانت الصحابة رضى الله عنهـــم يبايعـــون النبى ﷺ والخلفاءَ بعدَه ، وعلى أىِّ أمورٍ وقعت البَيْعةُ

البَيْعة على الإسلام

أخرج الطبرانى عن جرير رضى الله عنه قال : بايعنا النبى ﷺ على مثل ما بايع عليه النساء ، من مات منا ولم يأت شيئاً منهن ضمن له الجنَّة ، ومن مات وقد أتى شيئاً منهن وقد أُقيم عليه الحد فهو كفّارة ، ومن مات منا وقد أتى شيئاً منهنَّ فستر عليه فعلى الله حسابه ؛ قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦ / ٣٦) وفيه : سيف بن هارون وثّقه وأبو نُعيم وضعَّفه جماعة ؛ وبقية رجاله رجال الصحيح . انتهى . وأخرجه أيضاً ابن جرير كما فى الكنز (١ / ٨٢) ؛ وسيأتى الحديث فى بَيْعة النساء .

بيعة الكبار والصغار والرجال والنساء على الإسلام يوم الفتح

وأخرج أحمد عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم أنَّ محمد بن الأسود بن خلف أخبره : أنَّ أباه الأسود رضى الله عنه رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح . قال : جلس عند قَرْن (١) مستقبله ، فبايع الناس على الإسلام والشهادة . قلت : وما الشهادة ؟ قال : أخبرنى محمد بن الأسود بن خَلَف أنه بايعهم على الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . كذا فى البداية (٤ / ٣١٨) ؛ وقال تفرّد به أحمد . قال الهيثمى (٦ / ٣٧) : ورجاله ثقات ؛ وعند البيهقى : فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الإسلام والشهادة . كذا فى البداية (٤ / ٣١٨) . وبهذا السياق أخرجه الطبرانى فى الكبير والصغير كما فى مجمع الزوائد (٦ / ٣٧) ؛ وهكذا أخرجه البغوى وابن السَّكَن والحاكم وأبو نُعيم ، كما فى الكنز (١ / ٨٢) .

وأخرج الشيخان عن مجاشع بن مسعود رضى الله عنه قال : أتيت النبى ﷺ أنا وأخى ، فقلت : بايْعنا على الهجرة ، فقال : « مَضَت الهجرة لأهلها » ، فقلت : علامَ تبايعنا ؟ قال : « على الإسلام والجهاد » . كذا فى العينى (٧ / ١٦) . وأخرجه أيضاً ابن أبى شَيْبة وزاد : قال : فلقيت أخاه فسألته فقال : صدق مجاشع . كذا فى كنز العمال (١ / ٢٦ ، ٨٣) .

وأخرج أبو عَوَانة فى مسنده (١ / ٣٨) عن زياد بن عِلاقة قال : سمعت جرير بن عبد الله يحدِّث حين مات المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، خطب الناس فقال

---

(١) قرن : جبل صغير .

أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، والوقار والسكينة ، فإنى بايعت رسول الله ﷺ بيدى هذه على الإسلام واشترط علىَّ النُّصح لكل مسلم ، فورَبِّ الكعبة ، إنِّى لكم ناصح أجمعين ، واستغفر ؛ ونزل . وأخرج البخارى أتم منه (١ / ١٤) ؛ وأخرج البيهقى وغيره عن زياد بن الحارث الصُّدائى رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام - فذكر الحديث بطوله - كما تقدم فى باب الدعوة (ص ٢٠٥) .

البيعة على أعمال الإسلام

أخرج الحسن بن سفيان ، والطبرانى فى الأوسط ، وأبو نُعيم ، والحاكم ، والبيهقى ، وابن عساكر ، عن بشير بن الخصاصيَة رضى الله عنه ، قال : أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه ، فقلت : علامَ تبايعن يا رسولَ الله ؟ فمدَّ رسول الله ﷺ يده فقال : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وتصلى الصلوات الخمس لوقتها ، وتؤدِّى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، وتجاهد فى سبيل الله » . قلت : يا رسول الله ، كُلاًّ نطيق إلاَّ اثنتين فلا أطيقهما : الزكاة ، والله ما لى إلاَّ عشر ذَوْد (١) هُنَّ رِسْل (٢) أهلى وحَمولتهن . وأما الجهاد فإنى رجل جبان ، ويزعمون أنَّه من ولَّى فقد باء بغضب من الله ، وأخاف إن حضر القتال أن أخشع بنفسى فأفِّر فأبوء بغضب من الله . فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرَّكها ، ثم قال : « يا بشير ، لا صدقة ولا جهاد !! فَبِمَ إذن تدخل الجنة ؟! » قلت : يا رسول الله ، ابسط يدك أُبايعك ، فبسط يده فبايعته عليهن كلِّهن . كذا فى كنز العمال (٦ / ١٢) . وأخرجه أحمد ، ورجاله موثَّقون كما قال الهيثمى (١ / ٤٢) .

وأخرج أحمد عن جرير رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم . وأخرج أيضاً ابن جرير مثله كما فى كنز العمال (١ / ٨٢) ، والشيخان والترمذى كما فى الترغيب (٣ / ٢٣٦) ، وأخرج أحمد أيضاً من وجه آخر عنه : قال : قلت : يا رسول الله ، اشترط علىَّ فأنت أعلم بالشرط . قال : « أبايعك على أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتنصح لكل مسلم ، وتبرأ من الشرك » . ورواه النَّسائى كما فى البداية (٥ / ٧٨) ؛ وأخرجه ابن جرير مثله إلاَّ أنه قال : « وتنصح

(١) قال ابن منظور فى لسان العرب : الذود للقطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع وقيل ما بين الثلاث إلى العشر وقيل ما بين الثنتين والتسع ولا يكون إلا من الإناث دون الذكور .

(٢) أى سقاء أهلى .

المسلمين وتفارق الشرك » ، كما فى الكنز (١ / ٨٢) ، وأخرج الطبرانى عنه قال : أتى جرير رضى الله عنه النبى ﷺ فقال : « مدَّ يدك يا جرير » ، فقال : على مَهْ ؟ قال : « أن تسلم وجهك لله ، والنصيحة لكل مسلم » ؛ فأذن لها (١) – وكان رجلاً عاقلاً – فقال : يا رسول الله ، فيما استطعت ؟ فكانت رخصة للناس بعده ، كذا فى الكنز (١ / ٨٢) .

وأخرج الرُّيانى وابن جرير وابن عساكر عن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه قال : كنّا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال : « ألا تبايعون رسول الله ﷺ ؟ » فردَّدها ثلاث مرات ، فقدَّمنا أيدينا فبايعنا رسول الله ﷺ ، فقلنا : يا رسول الله قد بايعناك فعلى أى شىء نبايعك ؟ فقال : « على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات الخمس ، – وأسرَّ كلمة خفيْة – : أن لا تسألوا الناس شيئاً » ، قال : فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فما يقول لأحد يناوله إياه ، كذا فى الكنز (١ / ٨٣) ، وأخرجه أيضاً مسلم والترمذى والنِّسائى كما فى الترغيب (٢ / ٩٨) .

بيعة ثوبان على أن لا يسأل أحداً شيئاً

وأخرج الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ومن يبايع ؟ » فقال ثوبان رضى الله عنه مولى رسول الله ﷺ : بايعنا رسول الله قال : « على أن لا تسال أحداً شيئاً » ، فقال ثوبان : فما له يا رسول الله ؟ قال : « الجنة » ، فبايعه ثوبان ، قال أبو أمامة : فلقد رأيته بمكة فى أجمع ما يكون من الناس يسقط سوط وهو راكب ، فربما وقع على عاتق (٢) رجل ، فيأخذه الرجل فيناوله ، فما يأخذه حتى يكون هو ينزل فيأخذه ، كذا فى الترغيب (٢ / ١٠٠). وأخرجه أيضاً أحمد والنِّسائى وغيرهما عن ثوبان مختصراً ، وذكرا قصة السَّوْط لأبى بكر رضى الله عنه ، كما فى الترغيب (٢ / ٩٩ ، ١٠١) .

وأخرج أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه قال : بايعنى رسول الله خمساً ، وأوثقنى سبعاً ، وأشهد الله علىَّ سبعاً : أن لا أخاف فى الله لومة لائم ، قال أبو المُثَنى : قال أبو ذر : فدعانى رسول الله ﷺ فقال : « هل لك إلى البَيْعة ولك الجنة؟ » قلت : نعم ، وبسطت يدى ، فقال رسول الله ﷺ – وهو يشترط علىَّ – أن لا أسأل

---

(١) أى فاستمع لها باذنه ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ .

(٢) العاتق : ما بين المنكب والعنق .

الناس شيئاً قلت : نعم . قال : « ولا سوطك إن سقط منك حتى تنزل فتأخذه » . وفى رواية : أن النبى ﷺ قال : « ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذر ما يقال لك بعد » . فلما كان اليوم السابع قال : « أوصيك بتقوى الله فى سرِّ أمرك وعلانيته ، وإذا أسأت فأحسن ، ولا تسألنَّ أحداً شيئاً وإن سقط سوطك ، ولا تقبضنَّ أمانة » . كذا فى الترغيب (٢ / ٩٩) .

وأخرج الشاشى وابن عساكر عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : بايعت النبى ﷺ أنا وأبو ذر وعبادة بن الصامت وأبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة وسادس ، على أن لا تأخذنا فى الله لومة لائم : وأما السادس فاستقاله [١] فأقاله . كذا فى الكنز (١ / ٨٢) . وأخرجه أيضاً الطبرانى بنحوه . قال الهيثمى (٧ / ٢٦٤) وفيه : عبد المهيمن بن عيَّاش وهو ضعيف . وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه : أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ، وقال : بايَعنا على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل النفس التى حرَّم الله إلا بالحق ، ولا ننهب ، ولا نعصى ، بالجنة ؛ إن فعلنا ذلك ؛ فإن غشينا من ذلك شيئاً كان قضاؤه إلى الله . وعن ابن جرير عنه – رضى الله عنه – قال : كنا عند النبى ﷺ فقال : « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا . فمن وفَّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله كان إلى الله ، إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له » . كذا فى الكنز (١ / ٨٢) .

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن عساكر عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : كنا أحد عشر رجلاً فى العقبة الأولى ، فبايعنا رسول الله ﷺ بيعة النساء قبل أن يفرض علينا الحرب ، بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نعصيه فى معروف ؛ فمن وفَى فله الجنة ، ومن غَشَى شيئاً فأمره إلى الله ، إن شاء الله عذَّبه وإن شاء غفر له . ثم انصرفوا العام المقبل عن بيعتهم ، كذا فى الكنز (١ / ٨٢) ، وأخرجه الشيخان نحوه كما فى البداية (٣ / ١٥٠) .

البيعة على الهجرة

أخرج البيهقى (٩ / ١٦) عن يعلى بن مُنْيَة [٢] رضى الله عنه قال : جئت

---

(١) استقاله : أى طلب منه أن يقيله من البيعة بمعنى يعافيه منها فأعفاه .

(٢) هو يعلى بن مُنْيَة ويسمى يعلى بن أمية بن همام التميمى الحنظلى أول من أرخ الكتب كان صحابياً من الولاة الأثرياء الكرماء ، اسلم بعد الفتح وتوفى سنة ٣٧ هـ .

رسول الله ﷺ ثاني يوم الفتح فقلت : يا رسـول الله ، بايع أبي على الهجـرة ؛ قال : « بل أبايعه على الجهاد ، وقد انقطعت الهجرة يوم الفتح » . وقد تقدم حديث مجاشع رضي الله عنه (ص ٢٤٠) : فقلت : يا رسـول الله ، بايعنا على الهجـرة ؛ قال : « مضت الهـجرة لأهلهـا » . وحديث جرير (ص ٢٤١) : « وتفارق الشـرك » . وعند البيهقي (٩ / ١٣) في حديث جرير رضي الله عنه : « وتناصح المؤمن وتفارق المشرك » .

وأخرج أحمد ، والبخاري في التاريخ ، وابن أبي خَيْثَمة ، وأبو عَوانة ، والبَغَوي ، وأبو نُعيم ، والطبراني عن الحارث بن زياد الساعدي رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ يوم الخندق وهو يبايع الناس على الهجرة ، فظنَّنا أنهم يدعون إلى البيعة ، فقلت : يا رسول الله ، بايع هذا على الهجرة . فقال : « ومن هذا ؟ » فقلت : هذا ابن عمي حَوْط بن يزيد – أو يزيد بن حَوْط – فقال رسول الله ﷺ : « لا أبايعكم ، إنَّ الناس يهاجرون إليكم ولا تهاجرون إليهم . والذي نفسي بيده ، لا يحب الأنصارَ رجل حتى يلقى الله إلا لقي الله وهو يحبُّه ، ولا يُبغض الأنصار رجل حتى يلقى الله إلا لقي الله وهو يبغضه » كذا في الكنز (٧ / ١٣٤) . وأخرجه أيضاً أبو داود كما في الإصابة (١ / ٢٧٩) ؛ وقال الهيثمي (١٠ / ٣٨) : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح غير محمد بن عمرو ، وهو حسن الحديث انتهى .

وأخرج الطبراني عن أبي أُسيد الساعدي رضي الله عنه : أن الناس جاؤوا إلى النبي ﷺ لحفر الخندق يبايعونه على الهجرة . فلما فرغ قال : « يا معشر الأنصار لا تبايعوا على الهجرة إنما يهاجر الناس إليكم ، من لقي الله وهو يحبّ الأنصار لقي الله وهو يحبُّه ، ومن لقي الله وهو يُبغض الأنصار لقي الله وهو يُبغضه » . قال الهيثمـي (١٠ / ٣٨) وفيه : عبد الحميد بن سهيل ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

البيعة على النصرة

أخرج أحمد عن جابر رضي الله عنه قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة عشرسنين يتَّبع الناس في منازلهم : عكاظ (١) ومَجَنَّة (٢) ، وفي المواسـم يقول : « مَنْ يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلِّغ رسـالة ربي وله الجنة » ، فلا يجد أحداً يؤويه ولا

---

(١) عكاظ : سوق بين نخلة والطائف .

(٢) مجنة : موضع بأسفل مكة على أميال وكان يقام بها سوق .

ينصره ، حتى إنَّ الرجل ليخرج من اليمن أو من مُضَر فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون : احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمضي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله إليه من يَثْرب فآويناه وصدَّقناه ، فيخرج الرجل منّا فيؤمن به ويقرئه القرآن ، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيه رهط من المسلمين يظهرون الإسلام .

ثم ائتمروا جميعاً ، فقلنا : حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويُطَّرد فى جبال مكة ويخاف ؟! فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه فى الموسم ، فواعدناه شِعْب العَقَبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا ، فقلنا : يا رسول الله عَلام نبايعك ؟ قال : « تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العُسْر ، واليُسْر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله لا تخافوا فى الله لومة ، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة » .

فقمنا إليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم – وفى رواية البيهقى : وهو أصغر السبعين – إلاَّ أنا ، فقال : رويداً يا أهل يثرب ، فإنّا لم نضرب إليه أكباد الربل إلاَّ ونحن نعلم أنّه رسول الله ، وإن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافّة ، وقتلُ خياركم ، وتعضُّكم السيوف ، فإمّا أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه ، فبيّنوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله . قالوا : أبط (١) عنا يا أسعد فوالله لا ندعُ هـذه البَيْعة ولا نُسـلَبها أبداً !! قال : فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذ علينا وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنة . وقد رواه أحمد أيضاً والبيهقى من غير هذا الطريق أيضاً ، وهذا إسناد جيِّد على شرط مسلم ، ولم يخرِّجوه . كذا فى البداية (٣ / ١٥٩) . وقال الحافظ فى فتح البارى (٧ / ١٥٨) : إسناده حسن ، وصحَّحه الحاكم وابن حبان أ . هـ ، وقال الهيثمى (٦ / ٤٦) : ورجال أحمد رجال الصحيح ، وقال : رواه البزّار وقال فى حديثه : فوالله لا نذَرَ هذه البَيْعة ولا نستقيلها .

وأخرج ابن إسحاق عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : فلما اجتمعنا فى الشِّعْب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ، إلاَّ أنّه أحبّ أن يحضر أمد ابن أخيه ويتوثّق له . فلما جلس كان أولَ متكلم العباسُ بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج ، إنَّ محمداً منَّا حيث

---

(١) أبط عنا : ابتعد عنا .

قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عزّة من قومه ومَنَعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم تَرون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممَّن خالفه فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنَّه فى عزّة ومنعْة من قومه وبلده . قال فقلنا له : قد سمعنا ما قلتَ ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربِّك ما أحببت . قال : فتكلَّم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغَّب فى الإسلام . قال : « أُبايعكم على أن تمنعونى ممَّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » . قال : فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : نعم ، فوالذى بعثك بالحق لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزُرَنا (١) . فبايِعْنا يا رسول الله ، فنحن - والله أبناء الحروب ، ورثناها كابراً عن كابر !! قال : فاعترض القول - والبراء بكلِّم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، فقال : يا رسول الله ، إنَّ بيننا وبين الرجال حبالاً وإنَّا قاطعوها - يعنى - اليهود ؛ فهل عسيتَ إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال : فتبسَّم رسول الله ﷺ ثم قال : « بل الدمُ الدمُ ، والهَدْم الهَدْم (٢) ، أنا منكم وأنتم منى ؛ أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » .

قال كعب رضى الله عنه : وقد قال رسول الله ﷺ : « أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيباً يكونون على وقومهم بما فيهم » . فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً : تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس . كذا فى البداية (٣ / ١٦٠) . والحديث أخرجه أيضاً أحمد والطبرانى مطوّلاً كما فى مجمع الزوائد (٦ / ٤٢) ، وقد ساقه بطوله . قال الهيثمى (٦ /٤٥) : ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرَّح بالسماع . انتهى . وقال الحافظ (٧ / ١٥٧) : أخرجه ابن إسحاق ، وصحَّحه ابن حبّان من طريقه بطوله ا هـ .

وأخرج الطبرانى عن عروة رضى الله عنه مرسلاً قال : كان أول من بايع رسول الله ﷺ أبو الهيثم التَّيِّهان رضى الله عنه ، وقال : يا رسول الله وإنَّ بيننا وبين الناس حبالاً - والحبال الحلْف والمواثيق - فلعلنا نقطعها ثم ترجع إلى قومك وقد قطعنا الحبال وحاربنا الناسَ ؟ فضحك رسول الله ﷺ من قوله وقال : « الدمُ الدمُ ، الهدم الهدم » . فلما رضى أبو الهيثم بما رجعَ إليه رسول الله ﷺ من قوله أقبل على قومه فقال : يا قوم ، هذا رسول الله ﷺ ، أشهد إنّه لصادق ، وإنّه اليوم فى حرم الله وأمنه

---

(١) أزرنا : جمع إزار وهو كناية عن النساء والأبناء والأنفس .

(٢) الهدم الهدم : أى منزلى منزلكم وحياتى حياتكم .

وبين ظهرى قومه وعشيرته ، فاعلموا أنّه إن تخرجوه رمتكم العرب عن قَوْس واحدة ، فإن كانت طابت أنفسكم بالقتال فى سبيل الله وذهب الأموال والأولاد فادعوه إلى أرضكم ، فإنه رسول الله ﷺ حقاً ، وإن خفتم خذلاناً فمن الآن ، فقالوا عند ذلك : قبلنا عن الله وعن رسوله ما أعطيانا ، وقد أعطينا من أنفسنا الذى سألتنا يا رسول الله ؛ فخلِّ بيننا – يا أبا الهيثم – وبين رسول الله فلّنبايعه ، فقال أبو الهيثم : أنا أول من بايع ، ثم تتابعوا كلهم ، فذكر الحديث ، قال الهيثمي (٦ / ٤٧) وفيه : ابن لَهِيعة ، وحديثه حسن وفيه ضعف ، انتهى .

وعند ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة رضى الله عنه : أن القوم لما اجتمعوا لبَيْعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نَضْلة – أخو بنى سالم بن عوف – : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا أُنهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ؟ فهو – والله إنْ فعلتم – خزْىُ الدنيا والآخرة ، وإنِ كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه على نَهْكُة الأموال ، وقتْل الأشراف فخذوه ، فهو – والله – خير الدنيا والآخرة ؟ قالوا : فإنَّا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك – يا رسول الله – إن نحن وَفَينا ؟ قال : « الجنة » ، قالوا : ابسط يدك ؛ فبسط يده فبايعوه – كذا فى البداية (٣ / ١٦٢) .

وأخرج ابن إسحاق أيضاً عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله : ثم قال رسول الله ﷺ :« ارفَضُّوا (١) إلى رحالكم » ، قال :فقال العباس بن عبادة :يا رسول الله، والذى بعثك بالحق إن شئت لنميلّن على أهل مِنى غداً بأسيافنا !! قال : فقال رسول الله ﷺ :« لم نُؤْمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم » ، كذا فى البداية (٣ / ١٦٤) .

البيعة على الجهاد

أخرج البخارى (ص ٣٩٧) عن أنس رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غَداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون بذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع قال ﷺ :

اللّهم إنَّ العيش عيشُ الآخره   فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعـــوا محمداً   على الجهـاد ما بقينا أبداً

---

(١) ارفضوا : تفرقوا .

وأخرجه أيضاً مسلم والترمذى كما فى جمع الفوائد (٢ / ٥١) . - وقد تقدم حديث مجاشع رضى الله عنه : فقلت : علامَ تبايعنا ؟ قال : « على الإسلام والجهاد » . وحديث بشير بن الخصاصيَة رضى الله عنه : « يا بشير ، لا صدقة ولا جهاد ، فبمَ إذن تدخل الجنة ؟! » قلت : ابسط يدك أبايعك ، فبسط يده فبايعته ، وحديث يَعْلى بن مُنْية فقلت : يا رسول الله ، بايع أبى على الهجرة ؛ قال : « بل أبايعه على الجهاد » .

البَيْعة على الموت

أخرج البخارى (ص ٤١٥) عن سَلَمة رضى الله عنه قال : بايعت النبى ﷺ ثم عدلت إلى ظلِّ الشجرة ، فلَّما خفَّ الناس قال : « يا ابن الأكوع ألا تبايع ؟ » قال : قلت : قد بايعت يا رسول الله . قال : « أيضاً » فبايعته الثانية ، فقلت له : يا أبا مسلم على أى شيء كنتم تبايعون يومئذ ؟ قال : على الموت . وأخرجه أيضاً مسلم والترمذى والنسائى كما فى العينى (٨ / ١٦) ، والبيهقى (٨ / ١٤٦) ، وابن سعد (٤ / ٣٩) . وأخرج البخارى (ص ٤١٥) أيضاً عن عبد الله بن زيد رضى الله عنه قال : لما كان زمن الحرَّة [١] أتاه آت فقال له : إنَّ ابن حنظلة يبايع الناس على الموت . فقال : لا أبايع على هذا أحداً بعدَ رسول الله ﷺ . وأخرجه أيضاً مسلم كما فى العينى (٧ / ١٥) ، والبيهقى (٨ / ١٤٦) .

البَيْعة على السمع والطاعة

أخرج البيهقى عن عبيد بن رافع رضى الله عنه قال : قدمتْ روايا [٢] خمر ، فأتاها عبادة بن الصامت رضى الله عنه فخرَّقها وقال : إنا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن نقول فى الله ، لا تأخذنا فيه لومة لائم وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ، ولنا الجنة ، فهذه بيعة رسول الله ﷺ التى بايعناه عليها . وهذا إسناد جيِّد قوى ، ولم يخرِّجوه . وقد روى يونس عن ابن إسحاق : حدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن

---

(١) الحرة : أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة وزمن الحرة هو الوقت الذى غزا فيه مسلم بن عقبة المرى بجيشه من أهل الشام بأمر يزيد بن معاوية مدينه رسول الله ﷺ وكان ذلك من ذى الحجة سنة ثلاث وستين .

(٢) روايا : جمع راوية وهى المزادة فيها الماء .

الصامت عن أبيه عن جده عبادة رضى الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ بَيْعة الحرب على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا [1] ومكرهنا ، وأَثَرة [2] علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كُنَّا لا نخاف فى الله لومة لائم . كذا فى البداية (٣ / ١٦٣) . وأخرج الشيخان بمعناه كما فى الترغيب (٤ / ٣) .

وأخرج ابن جرير عن جرير رضى الله عنه قال : بايعت النبى ﷺ على السمع والطاعة ، والنصح للمسلمين . وأخرج أيضاً من حديثه قال : أتيت النبى ﷺ فقلت : أبايعك على السمع والطاعة فيما أحببت وفيما كرهت . فقال النبى ﷺ : « أتستطيع ذلك ، أو تطيق ذلك ؟ فاحترز ، قل فيما استطعت » ؛ فقلت : فيما استطعت ، فبايَعنى والنصح للمسلمين . كذا فى كنز العمال (١ / ٨٢) . وعند أبى داود والنِّسائى من حديثه : قال : فبايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، وأن أنصح لكل مسلم ، وكان إذا باع الشيء أو اشترى ، قال : أمَا إنَّ الذى أخذنا منك أحبُّ إلينا ممّا أعطيناك فاختر . كذا فى الترغيب (٣ / ٢٣٧) .

وأخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا : « فيما استطعت » ، وأخرجه النِّسائى ، وابن جرير بمعناه كما فى الكنز (١ / ٨٣) . وأخرج البغوى ، وأبو نُعَيم ، وابن عساكر عن عتبة بن عبد رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله ﷺ سبع بيعات : خمساً على الطاعة ، واثنتين على المحبة . كذا فى الكنز (١ / ٨٣) . وأخرج ابن جرير عن أنس رضى الله عنه قال : بايعت النبى ﷺ بيدى هذه على السمع والطاعة فيما استطعت - كذا فى الكنز (١ / ٨٢) .

بيعة النساء

أخرج أحمد وأبو يعلى والطبرانى - ورجاله ثقات - كما قال الهيثمى (٦ / ٣٨) : عن أم عطيّة رضى الله عنها قالت : لَّما قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار فى بيت ، ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقام على الباب فسلَّم عليهن فرددن السلام : فقال : أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكنّ . فقلنا : مرحباً برسولِ الله ﷺ ، وبرسولِ رسولِ الله ﷺ . فقال : تبايعنَ على أن لا تشركنَ بالله شيئاً ، ولا تسرقنَ ، ولا تزنينَ ، ولا تقتلن أولادكن ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين

(١) المنشط : هو الأمر المحبوب الذى ينشط إليه الناس ويريدون فعله وهو عكس المكره .

(٢) وعلينا أن نؤثره على انفسنا بما نحب لفضله العظيم عندنا ومكانته العليا عند رب العالمين .

أيديكنَّ وأرجلكنَّ ، ولا تعصينَ فى معروف ، قلن : نعم ؛ فمدّ عمر يده من خارج الباب ، ومددنَ أيديهن من داخل ، ثم قال : اللّهم اشهد ، وأمرنا أن نُخرج فى العيدين الحُيَّضَ والعُتَّق [١] ، ونُهينا على اتّباع الجنائز ، ولا جمعة علينا ، فسألته عن البهتان وعن قوله : ولا يعصينك فى معروف ؛ قال : هى النياحة ، ورواه أبو داود باختصار كثير ، كذا فى مجمع الزوائد (٦ / ٣٨) .

قلت : وأخرج البخارى أيضاً باختصار ، وقد أخرجه بطوله ابن سعد ، وعبد ابن حُمَيد كما فى الكنز (١ / ٨١) . وأخرج أحمد وأبو يَعْلى والطبرانى -- ورجاله ثقات -- كما قال الهيثمى (٦ / ٣٨) : عن سلمى بنت قيس رضى الله عنها -- وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ قد صلّت معه القبلتين ، وكانت إحدى نساء بنى عدىّ بن النجار -- قالت : جئت رسول الله ﷺ فبايعته فى نسْوة من الأنصار فلما شرط علينا أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ؛ قال : « ولا تغشَشْن أزواجكن » ، قالت : فبايعناه ، ثم انصرفنا ، فقلت لامرأة منهن : ارجعى فسَلى رسول الله ﷺ ما غِشُّ أزواجنا ؟ قالت : فسألته ، قال : « تأخذ ماله فتحابى به غيره » .

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة بنت قُدامة رضى الله عنها بمعناه فى البَيْعة على وَفْق الآية [٢] كما فى ابن كثير (٤ / ٣٥٣) . وأخرج الطبرانى فى الكبير والأوسط عن غفيلة بنت عبيد بن الحارث رضى الله عنهما قالت : جئت أنا وأمى قريرة بنت الحارث العنوارية فى نساء من المهاجرات ، فبايعنا رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة بالأبطَح ، فأخذ علينا أن لا نشرك بالله شيئاً -- الآية كلّها ، فلما أقررنا وبسطنا أيدينا لنبايعه قال : « إنّى لا أمسُّ أيدى النساء » فاستغفر لنا ، وكانت تلك بيعتَنا ، قال الهيثمى (٦ / ٣٩) : وفيه : موسى بن عبيدة وهو ضعيف ، انتهى .

وأخرج مالك وصحَّحه ابن حبَّان عن أُميمة بنت رُقَيقة قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى نِسوة يبايعنه فقلنا : نبايعكَ -- يا رسول الله -- على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرقَ ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك فى معروف ، فقال رسول الله ﷺ : « فيما استطعتُنَّ وأطقتنَّ » فقلنا : الله

---

(١) العتق جمع عاتق : وهى البنت إذا بلغت .

(٢) هى قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبىّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألاّ يُشركن بالله شيئا ... ﴾ سورة الممتحنة الآية : ١٢ .

ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، هلمَّ نبايعْك يا رسول الله ، قال : « إنى لا أصافح النساء ، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة » وأخرجه الترمذى وغيره مختصراً كما فى الإصابة (٤ / ٢٤٠) .

وأخرجه الطبرانى - ورجاله ثقات - عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : جاءت أميمة بنت رُقَيْقَة رضى الله عنها إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام ، فقال : « أبايعك على أن لا تشركى بالله شيئاً ، ولا تسرقى ، ولا تزنى ، ولا تقتلى ولدك ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ، ولا تنوحى ، ولا تبرَّجى تبرح الجاهلية الأولى » . كذا فى المجمع (٦ / ٣٧) . وأخرجه أيضاً النِّسائى وابن ماجه والإمام أحمد ، وصحَّحه الترمذى كما فى التفسير لابن كثير (٤ / ٣٥٢) .

واخرج أحمد والبزّار - ورجاله رجال الصحيح ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة رضى الله عنها تبايع رسول الله ﷺ ، فأخذ عليها : « أن لا يشركن ، ولا يزنين » - الآية ، قالت : فوضعت يدها على رأسها حياء ، فأعجبَ رسولَ الله ﷺ ما رأى منها ؛ فقالت عائشة رضى الله عنها : أقّرى أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلاَّ على هذا ، قالت : فنعم إذاً ، فبايعها بالآية ، كذا فى مجمع الزوائد (٦ / ٣٧) .

وأخرج الطبرانى عن عَزّة بنت خايل رضى الله عنها : أنها أتت النبى ﷺ فبايعها أن « لا تزنين ، ولا تسرقين ، ولا تئدين فتبدين أو تخفين » ، قلت : أما الوأد المبدى فقد عرفت ، وأما الوأد الخفى فلم أسأل رسول الله ﷺ ولم يخبرنى ، وقد وقع فى نفسى أنه إفساد الولد ، فوالله لا أفسد لى ولداً أبداً ، قال الهيثمى (٦ / ٣٩) : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بنحوه عن عطاء بن مسعود الكعبى عن أبيه عنها ، ولم أعرف مسعوداً ، وبقية رجاله ثقات ، انتهى .

وأخرج الحاكم (٢ / ٤٨٦) عن فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - رضى الله عنها - أنّ أبا حُذَيفة بن عتبة رضى الله عنه أتى بها وبهند ابنة عتبة رسول الله ﷺ تبايعه ، فقالت : أخذَ علينا فشرط علينا ، قلت له : يا ابن عم ، هل علمت فى قومك من هذه العاهات أو الهَنات شيئاً ؟ قال أبو حذيفة : إيهاً !! فبايعيه فإنَّ بهذا يُبايع وهكذا يشترط ، فقالت هند : لا أُبايعك على السرقة ، إنِّى أسرق من مال زوجى ، فكف النبى ﷺ يده وكفت يدها ، حتى أرسل إلى أبى سفيان فتحلَّل لها منه ، فقال أبو سفيان : أما الرُّطَب فنعم ، وأما اليابس فلا ، ولا نعمة ، قالت : فبايعناه ، ثم قالت فاطمة : ما كانت قبةٌ أبغضَ إلىَّ من قبتك ولا أحبَّ أن يبيحها الله

وما فيها ، ووالله ما من قبة أحبّ إليّ أن يعمرها الله ويبارك فيها من قبتك . فقال رسول الله ﷺ : « وأيضاً - والله - لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرّجاه ؛ ووافقه الذهبى فقال : صحيح .

وعند أبى يَعْلى عن عائشة رضى الله عنها قالت : جاءت هند بنت عتبة بن ربيعة - رضى الله عنها - إلى رسول الله ﷺ لتبايعه ، فنظر إلى يديها فقال : « اذهبى فغيِّرى يديك » . قال : فذهبت فغيَّرتهما بحنَّاء ، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ . فقال : « أبايعك على أن لا تشركى بالله شيئاً ، ولا تسرقى ، ولا تزنى » . قالت : أوتزنى الحرة ؟ قال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » (١) قالت : وهل تركت لنا أولاداً نقتلهم ؟ قال : فبايعته ، ثم قالت له - وعليها سواران من ذهب - : ما تقول فى هذين السوارين ؟ قال : « جمرتان من جمر جهنم » . قال الهيثمى (٦ / ٣٧) : وفيه : من لم أعرفهن . وأخرجه ابن أبى حاتم مختصراً كما فى ابن كثير (٤ / ٣٥٤) . وقال فى الإصابة (٤ / ٤٢٥) وقصَّتها - فى قولها عند بَيْعة النساء - : « وأن لا يسرقن ولا يزنين » . فقالت : وهل تزنى الحرة ؟ وعند قوله « ولا يقتلنَ أولادهنَّ » وقد ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً - مشهورةٌ . ومن طرقه ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح مرسلٌ عن الشَّعْبى وعن ميمون بن مِهْران ، ففى رواية الشَّعْبى :« ولا يزنين » فقالت هند : وهل تزنى الحرة ؟ « ولا تقتلن أولادكنَّ » ، قالت : أنت قتلتهم . وفى رواية نحوه ، لكن قالت :وهل تركت لنا ولداً يوم بدر ؟ .

وأخرج ابن مَنْده وفى أوله : إنى أريد أن أبايع محمداً . قال : قد رأيتك تكفرين . قالت : إى والله ، والله ما رأيت الله تعالى عُبِد حقَّ عبادته فى هذا المسجد قبل الليلة ، والله : إن باتوا إلاَّ مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً . قال : فإنك قد فعلت ما فعلت ، فاذهبى برجل من قومك معك . فذهبت إلى عمر رضى الله عنه ، فذهب معها فاستأذن لها ، فدخلت وهى مُتنقّبة . فذكر قصة البَيْعة . وفيه عن مرسل الشَّعبى المذكور : قالت هند : قد كنت أفنيت من مال أبى سفيان . فقال أبو سفيان: ما أخذت من مالى فهو حلال . انتهى مختصراً . وقد أخرجه ابن جرير من حديث ابن عباس رضى الله عنهما بطوله كما ذكر ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٣٥٣) ، وفيه ، قال أبو سفيان : ما أصبت من شىء مضى أو قد بقى فهو لك حلال . فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فدعاها ، فأخذت بيده وعاذرته ؛ فقال : « أنت هند »

---

(١) الإملاق : الفقر .

قالت : عفا الله عما سلف ، فصرف عنها رسول الله ﷺ ، فقال : « ولا يزنين » ، فقالت : يا رسول الله ، وهل تزنى امرأة حرة ؟! قال : « لا والله ما تزنى الحرة » ، قال : « ولا يقتلن أولادهن » ، قالت هند : أنت قتلتهم يوم بدر ؛ فأنت وهم أبصر ، قال : « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » ، قال : « ولا يعصينك فى معروف » ، قال : منعهن أن ينحنَ وكان أهل الجاهلية يمزقنَ الثياب ، ويخدشنَ الوجوه ، ويقطعنَ الشعور ، ويدعون بالويل والثبور ، قال ابن كثير : وهذا أثر غريب ، وأخرج ابن أبى حاتم عن أسيد بن أبى أسيد البزار عن امرأة من المبايعات قالت : كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نعصيه فى معروف ، وأن لا نخمش وجهاً ، ولا ننشر شَعَراً ولا نشقّ جَيْباً ، ولا ندعو وَيْلاً ، كذا فى التفسير لابن كثير (٤ / ٣٥٥) .

بَيْعة من لم يحتلم

أخرج الطبرانى عن محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم : أن النبى ﷺ بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار ، ولم يبقلوا[١] ، ولم يبلغوا ، ولم يبايع صغيراً إلا منّا ، قال الهيثمى (٦ / ٤٠) : وهو مرسل ، ورجاله ثقات .

وأخرج الطبرانى أيضاً عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم أنهما بايعا رسول الله ﷺ وهما ابنا سبع سنين ، فلما رآهما رسول الله ﷺ تبسّم وبسط يده ، فبايعهما ، قال الهيثمى (٩ / ٢٨٥) : وفيه إسماعيل بن عيَّاش وفيه خلاف ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه أيضاً أبو نعيم وابن عساكر عن عروة : أن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر - وفى لفظ : جعفر بن الزبير - بايعا النبى ﷺ وهما ابنا سبع سنين - فذكر نحوه كما فى المنتخب (٥ / ٢٢٧) .
وأخرج النسائى عن الهِرْماس بن زياد رضى الله عنه قال : مددت يدى إلى رسول الله وأنا غلاما ليبايعنى ، فلم يبايعنى ، كذا فى جمع الفوائد (١ / ١٤) .

بَيْعة الصحابة رضى الله عنهم على أيدى خلفائه ﷺ

أخرج ابن شاهين فى الصحابة عن إبراهيم بن المنتشر ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كانت بيعة النبى ﷺ حين أنزل الله عليه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** ﴾ [٢] ، التى بايع الناس عليها - البيعةَ لله والطاعة للحق ، وكانت بيعة أبى بكر

---

(١) يقال بقل وجهه إذا نبتت لحيته . (٢) سورة الفتح الآية : ١٠ .

رضى الله عنه : تبايعونى ما أطعتُ الله ، كانت بيعة عمر رضى الله عنه ، ومن بعده كبيعة النبى ﷺ ، كذا فى الإصابة (٣ / ٤٥٨) .

وأخرج البيهقى (٨ / ١٤٦) عن ابن العفيف رضى الله عنه قال : رأيت أبا بكر رضى الله عنه وهو يبايع الناس بعد رسول الله ﷺ ، فيجتمع إليه العصابة [١] فيقول : تبايعونى على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم الأمير ؟ فيقولون : نعم ، فيبايعهم . فقمت عنده ساعة - وأنا يومئذ المحتلم أو فوقه - فتعلمتُ شرطَه الذى شَرَط على الناس ، ثم أتيته فقلت وبدأته ، قلت : أنا أبايعك على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمير ، فصعَّد فِىَّ البصر ثم صوَّبه [٢] ، ورأيت أنى أعجبته - رحمه الله .

وأخرج مُسَدَّد عن أبى السَّفَر رضى الله عنه قال : كان أبو بكر رضى الله عنه إذا بعث إلى الشام بايعهم على الطَّعْن والطاعون [٣] كذا فى الكنز (٢ . / ٣٢٣) .

وأخرج ابن سعد وابن أبى شيبة والطيالسى عن أنس رضى الله عنه قال : قدمت المدينة وقد مات أبو بكر رضى الله عنه واستُخلف عمر رضى الله عنه ، فقلت لعمر : ارفع يدك أبايعْك على ما بايعت عليه صاحبك قبلك ، على السمع والطاعة فيما استطعت . كذا فى الكنز (١ / ٨١) .

وأخرج ابن سعد عن عُمَير بن عطية اللَّيثى رضى الله عنه : أتيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقلت : يا أمير المؤمنين ارفع يدك - رفعها الله - أبايعْك على سنة الله وسنة رسوله . فرفع يده وضحك : هى لنا عليكم ولكم علينا . وعن عبد الله بن حكيم رضى الله عنه قال : بايعت عمر رضى الله عنه بيدى هذه على السمع والطاعة كذا فى الكنز (١ / ٨١) .

وأخرج أحمد فى السُّنَّة عن سليم أبى عامر رضى الله عنه : أن وفد الحمراء [٤] أتَوا عثمان رضى الله عنه فبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً ، ويُقيموا الصلاة ، ويَؤتوا الزكاة ، ويصوموا رمضان ، ويَدَعوا عيد المجوس . فلما قالوا : نعم ، بايَعهم كذا فى كنز العمال (١ / ٨١) .

وأخرج البخارى عن المِسْوَر بن مَخْرمة رضى الله عنه أن الرَّهْط الذين ولاَّهم عمر رضى الله عنه اجتمعوا فتشاوروا ، فقال لهم عبد الرحمن رضى الله عنه : لست

---

(١) العصابة : من العشرة إلى الأربعين . (٢) صوبه : رفعه ثم خفضه .
(٣) أى على الصبر واحتمال الضر وهو من الكنايات .
(٤) وفد الحمراء : وفد الفرس الذين أعلنوا إسلامهم .

بالذى أنافسكم على هذا الأمر ، ولكنَّكم إن شئتم اخترت لكم منكم ، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن . فلّما ولّوا عبد الرحمن أمْرَهم ، فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه (١) ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالى ، حتى إذا كانت الليلة التى أصبحنا منها فبايعنا عثمان رضى الله عنه . قال المِسْوَر : طرقنى عبد الرحمن بعد هجْع (٢) من الليل ، فضرب الباب حتى استيقظت ، فقال : أراك نائماً - فوالله - ما اكتحلتُ هذه الليلة بكثير نوم ، انطلق فادعُ الزبير وسعداً ، فدعوتهما له فشاورهما ؛ ثم دعانى فقال : ادع لى علياً فدعوته ، فناجاه حتى ابهارَّ الليل (٣) .

ثم قام على من عنده وهو على طمع - وقد كان عبد الرحمن يخشى من على شيئاً - ثم قال لى : ادعُ لى عثمان فدعوته ، فناجاه حتى فَّرق بينهما المؤذن بالصبح . فلَّما صلَّى الناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر ، فأرسل عبد الرحمن إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار ، وأرسل إلى أمراء الأجناد - وكانوا قد وافَوا تلك الحجَّة مع عمر رضى الله عنه - فلما اجتمعوا تشهدَّ عبد الرحمن ثم قال :

أما بعد : يا على ، إنِّي قد نظرت فى أمر الناس ، فلم أرَهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعلنَّ على نفسك سبيلاً ، وأخذ بيد عثمان رضى الله عنه وقال : أبايعك على سنة الله وسنة رسوله والخليفتين من بعده . فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس : المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون ، وأخرجه البيهقى (٨ / ١٤٧) أيضاً بنحوه .

* * *

---

(١) يطأ عقبه : يمشى وراءه وخلفه .

(٢) المعنى : اى جاءنى بعد ان مضى وقت من الليل .

(٣) أوشك على الانتهاء .

الباب الثالث

باب تحمّل الشدائد فى الله

كيف كان النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم يتحمّلون الشدائد والأذى والجوع والعطش ، إظهاراً للدين المتين، وكيف هانت عليهم نفوسهم فى الله لإعلاء كلمته !!

قول المقداد فى الحال التى بعث عليها النبى عليه الصلاة والسلام

أخرج أبو نعيم فى الحلية (١ / ١٧٥) عن جبير بن نُفَير ، عن أبيه قال : جلسنا إلى المقداد بن الأسود رضى الله عنه يوماً ، فمرّ به رجل ، فقال : طُوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ ؛ والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت ، وشهدنا ما شهدت !! فاستمعت ، فجعلت أعجب ، ما قالَ إلا خيراً ، ثم أقبل عليه ، فقال : ما يحمل أحدَكم على أن يتمنى محضراً غيّبه الله عزّ وجلّ عنه ، لا يدرى لو شهده كيف كان يكون فيه ؟! والله ، لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام — كبَّهم الله عزّ وجلّ على مناخرهم فى جهنم — لم يجيبوه ولم يصدّقوه !! أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم الله عزّ وجلّ لا تعرفون إلا ربَّكم مصدِّقين بما جاء به نبيكم عليه السلام وقد كُفيتم البلاءَ بغيركم ؟! والله ، لقد بُعث النبى ﷺ على أشدّ حال بعث عليه نبى من الأنبياء ، فى فترة وجاهليّة ، ما يرون ديناً أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفُرقان فرَّق به بين الحق والباطل ، وفرّق بين الوالد وولده ، حتى إنّ الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافراً وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للإيمان ، ليعلم أنّه قد هلك من دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حميمه [١] فى النار ، وإنّها للتى قال الله عزّ وجلّ : ﴿ ربَّنا هَبْ لنا من أزواجنا وذرِّياتنا قُرةَ أعيُنٍ ﴾ [٢] ، وأخرج الطبرانى أيضاً بمعناه بأسانيد فى أحدهما يحيى بن صالح وثَّقه الذهبى ، وقد تكلّموا فيه ، وبقية رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى المجمع (٦ / ١٧) .

قول حذيفة فى هذا الباب

وأخرج ابن إسحاق عن محمد بن كعب القُرَظى قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضى الله عنه : يا أبا عبد الله ، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم يا ابن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعو ؟ قال : والله لقد كنا نجتهد ، قال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا ، قال : فقال حذيفة : يا ابن أخى — والله — لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندق — فذكر الحديث فى تحمُّلهم شدّة الخوف وشدة الجوع والبرد ، وعند مسلم : فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟! لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب فى ليلة ذات ريح شديدة وقُر [٣] — فذكره ، وعند الحاكم والبيهقى : فقال حذيفة : لا تمنّوا ذلك — فذكره كما سيأتى فى تحمُّل الخوف .

---

(١) حميم الإنسان : صاحبه وحبيبه . (٢) سورة الفرقان الآية : ٧٤ .

(٣) القُرّ : بالضم البرد عامة ، وقال بعض علماء اللغة القُرُّ فى الشتاء ، والبرد فى الشتاء والصيف ، والقَرُّ — بفتح القاف اليوم البارد (أفاده ابن منظور فى لسان العرب) .

تحمل النبى ﷺ الشدائد والأذى فى الدعوة إلى الله

أخرج أحمد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد أُوذيتُ فى الله وما يُؤذى أحد ، وأُخفتُ فى الله وما يُخاف أحد ، ولقد أتت علىّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لى ولبلال ما يأكله ذو كَبِد ؛ إلاّ ما يُوارى إبْط بلال » . كذا فى البداية (٣ / ٤٧) . وأخرجه أيضاً الترمذى وابن حِبّان فى صحيحه ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . كذا فى الترغيب (٥ / ١٥٩) . وأخرجه أيضاً ابن ماجَهْ وأبو نُعيم .

ما قاله ﷺ لعمِّه حين ظنَّ ضعفه عن نُصْرته

وأخرج الطبرانى فى الأوسط والكبير عن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه قال : جاءت قريش إلى أبى طالب فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ ابن أخيك يأتينا فى أفنيتنا وفى نادينا فيسمعنا ما يؤذينا بـه ، فإن رأيت أن تكفَّه عنا فافعل . فقال لى : يا عقيل، التمس لى ابن عمك . فأخرجته من كِبس (١) من أكباس أبى طالب ، فأقبل يمشى معى يطلب الفىء (٢) يمشى فيه فلا يقدر عليه حتى انتهى إلى أبى طالب . فقال له أبو طالب : يا ابن أخى ، والله ما علمت أن كنت لى لمطاعاً ، وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم فى كعبتهم وفى ناديهم تسمعهم ما يؤذيهم !! فإن رأيت أن تكفَّ عنهم ؟ فحلّق ببصره إلى السماءِ فقال : « والله ، ما أنا بأقدرَ أن أدعَ ما بُعثت به من أن يُشعِلَ أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار » . فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخى قط !! ارجعوا راشدين . قال الهيثمى (٦ / ١٤) : رواه الطبرانى وأبو يَعْلَى باختصار يسير من أوله ، ورجال أبى يَعْلَى رجال الصحيح . انتهى . وأخرجه البخارى فى التاريخ بنحوه كما فى البداية (٣ / ٤٢) .

وعند البيهقى أن أبا طالب قال له ﷺ : يا ابن أخى ، إنّ قومك قد جاؤونى وقالوا كذا وكذا ، فأبق علىَّ وعلى نفسك ، ولا تحمِّلنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت ، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك . فظن رسول الله ﷺ أن قد بَدَا لعمه فيه ، وأنه خاذله ومُسْلمه ، وضعف عن القيام معه . فقال رسول الله ﷺ : « يا عم ، لو وُضعت الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ؛ ما تركت هذا الأمر حتى يظهره

---

(١) كبس : بيت صغير .

(٢) الفىء هنا : الظل .

الله أو أهلك فى طلبه » ؛ ثم استعبر (١) رسول الله ﷺ فبكى . فلما ولّى قال له – حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ – : يا ابن أخى ، فأقبل عليه ، فقال : امضِ على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبداً . كذا فى البداية (٣ / ٤٢) .

ما تحمله عليه الصلاة والسلام من الأذى بعد موت عمه

وأخرج البيهقى عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فالقى عليه تراباً ، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكى ، فجعل يقول : « أى بنية ، لا تبكى ، فإن الله مانعٌ أباك » ويقول ما بين ذلك : « ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ، ثم شرعوا » . كذا فى البداية (٣ / ١٣٤) . وأخرجو أبو نعيم فى الحلية (٨ / ٣٠٨) : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما مات أبو طالب تجهّموا (٢) بالنبى ﷺ ، فقال : « يا عمّ ، ما أسرع ما وجدت فقدك !! » .

ما لقيه عليه الصلاة والسلام من الأذى من قريش وما أجابهم به

وأخرجوا الطبرانى عن الحارث بن الحارث قال : قلت لأبى : ما هذه الجماعة ؟ قال : هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابىء لهم . قال : فنزلنا فإذا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله عزّ وجلّ والإيمان ، وهم يردّون عليه ويؤذونه ، حتى انتصف النهار وانصدع الناس عنه ، أقبلت امرأة قد بدا نحرها (٣) تحمل قدحاً ومنديلاً ، فتناوله منها فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه فقال : « يا بنية ، خمّرى عليك نحرَك ، ولا تخافى على أبيك » . قلنا من هذه ؟ قالوا : هذه زينب ابنتُه . قال الهيثمى (٦ / ٢١) : رجاله ثقات . وعنده أيضاً عن مَنبت الأزدى قال : رأيت رسول الله ﷺ فى الجاهلية وهو يقول : « يا أيها الناس ، قولَوا لا إله إلاّ الله تفلحوا » فمنهم من تفل فى وجهه ، ومنهم من حثا عليه التراث ، ومنهم من سبّه ، حتى انتصف النهار ، فأقبلت جارية بعُسّ (٤) ،من ماء ، فغسل وجهه ويديه وقال : « يا بنية ، لا تخشى على أبيك غيلةَ (٥) ولا ذلّة » . فقلت : من هذه ؟ قالوا : زينب بنت رسول الله ﷺ وهى جارية وضيئة (٦) . قال الهيثمى (٦ / ٢١) : وفيه مَنِبت ابن مُدْرك ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

---

(١) استعبر : جرى دمعه . (٢) تجهموا : استخفوا به وأساءوا إليه .
(٣) نحرها : صدرها . (٤) بعس : قدح كبير .
(٥) اى لا تخافى على ابيك شراً ولا صغاراً ، والغيلة بالكسر : الخديعة والاغتيال وذكر ابن منظور فى لسان العرب بعد هذا المعنى ان الغيلة فى كلام العرب هى إيصال الشر والقتل إليه من حيث لا يعلم ولا يشعر . (٦) اى صغيرة حسناء الوجه .

وأخرج البخاری عن عروة رضی الله عنه قال : سألت ابن العاص رضی الله عنه فقلت : أخبرنی بأشدِّ شیء صنعه المشرکون برسول الله ﷺ ؟ قال : بینما النبی ﷺ یصلی فی حِجْر الکعبة ؛ إذ أقبل علیه عقبة بن أبی مُعَیط فوضع ثوبه علی عنقه خنقه خنقاً شـدیداً ، فأقبل أبو بکر رضی الله عنه حتی أخذ بمنکبه ودفعه عـن النبی ﷺ ، وقال : ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُـمْ** ﴾[١] ، كذا فی البدایة (٣ / ٤٦) .

وعند ابن أبی شَیْبة عن عمرو بن العاص رضی الله عنه قال : ما رأیت قریشاً أرادوا قتل النبی ﷺ إلاَّ یوماً ، ائتمروا به وهم جلوس فی ظل الکعبة ورسول الله ﷺ یصلّی عند المقام ، فقام إلیه عقبة بن أبی مُعَیط ، فجعل رداءه فی عنقه ثم جذبه حتی وجب [٢] لرکبتیه ساقطاً ، وتصایح الناس ، فظنوا أنه مقتول . فأقبل أبو بکر رضی الله عنه یشـتد حتی أخـذ بِضَبُعَی [٣] رسـول الله ﷺ من ورائه ویقـول : « أتقتلون رجلاً أن یقول ربی الله ؟! » ثم انصرفوا عن النبی ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ ، فصلّی فلما قضی صلاته مرَّ بهم — وهم جلوس فی ظلِّ الکعبة — فقال : « یا معشر قریش ، أما والذی نفس محمد بیده ، ما أرسلت إلیکم إلاَّ بالذبح » [٤] وأشار بیده إلی حَلْقه . فقال له أبو جهل : ماکنت جهولاً . فقال له رسول الله ﷺ : « أنت منهم » — کذا فی کنز العمال (٢ / ٣٢٧) . وأخرجه أیضاً أبو یَعْلی والطبرانی بنحوه ، قال الهیثمی (٦ / ١٦) : وفیه محمد بن عمرو بن علقمة ، وحدیثه حسن ، وبقیة رجال الطبرانی رجال الصحیح . انتهی . وأخرجه أیضاً أبو نُعیم فی دلائل النبوة (ص ٦٧) .

وأخرج أحمد عن عروة بن الزبیر عن عبد الله بن عمرو رضی الله عنهما قال : قلت له : ما أکثرَ ما رأیتَ قریشاً أصابت من رسول الله ﷺ فیما کانت تظهر من عداوته ؟ قال : حضرتهم — وقد اجتمع أشرافهم فی الحِجْر — فقالوا : ما رأینا مثل ما صبرنا علیه من هذا الرجل قط !! سفّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب دیننا ، وفرَّق

---

(١) سورة غافر الآیة : ٢٨ .
(٢) وجب : أی وقع .
(٣) أی بکتفیه .
(٤) قوله : « ما أرسلت إلیکم إلا بالذبح » لا یصح عنه بطریق یحتج به وهو یتنافی مع قوله تعالی : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ولا یلیق به ﷺ أن یقول لهم هذا القول وهو من قال الله فیه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وقال له : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم !! - أو كما قالوا : قال : فبينما هم فى ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشى حتى استقبل الركن ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما مرَّ بهم غمزوه (١) ببعض ما يقول ، قال : فعرفت ذلك فى وجهه ، ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجهه ، ثم مضى ، فلما مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فقال : « أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذى نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذَّبح » ، فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلاّ على رأسه طائر واقع ، حتى إنّ أشدهم فيه وضاءة قبل ذلك ليرفؤه (٢) بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنَّه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً ، فانصرف رسول الله ﷺ .

حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحِجْر - وأنا معهم - فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم منه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ؟! فبينما هم فى ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فأطافوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ؟! - لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم - قال : فيقول رسول الله ﷺ : « نعم ، أنا الذى أقول ذلك » قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه ، وقام أبو بكر عنه دونه يقول وهو يبكى : أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ؟! ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشدُّ ما رأيت قريشاً بلغت منه قط . قال الهيثمى (٦ / ١٦) : وقد صرَّح ابن إسحاق بالسَّماع ، وبقية رجاله رجال الصحيح . انتهى .

وأخرجه أيضاً البيهقى عن عروة رضى الله عنه قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : ما أكثر ما رأيتَ قريشاً - فذكر الحديث بطوله نحوه كما ذكر فى البداية (٣ / ٤٦) .

وأخرج أبو يَعْلى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنهم قالوا لها : ما أشد ما رأيت من المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ ؟ فقالت : كان المشركون قعدوا فى المسجد يتذاكرون رسول الله ﷺ وما يقول فى آلهتهم ، فبينما هم كذلك إذ أقبل رسول الله ﷺ ، فقاموا إليه بأجمعهم ، فأتى الصريخ (٣) إلى أبى بكر رضى الله عنه ، فقالوا : أدرك صاحبك ، فخرج من عندنا وإنَّ له لغدائر أربع ، وهو يقول : ويلكم « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟! » .

---

(١) غمزوه : أى استهزءوا به . (٢) يسكن غضبه ويرفق به .

(٣) المراد بالصريخ هنا المبلغ والمنذر الذى يصرخ بالقوم أن ادركوا صاحبكم .

فَلَهوا(١) عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبى بكر . قالت : فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمسّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه ، وهو يقول : تباركتَ ياذا الجلال والإكرام . قال الهيثمى (٦ / ١٧) وفيه : تَدْروس جدّ أبى الزبير ، ولم أعرفه ؛ وبقيـة رجاله ثقات . انتهى .

وذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب (٢ / ٢٤٧) عن ابن عيينة ، عن الوليد ابن كثير ، عن ابن عبدوس ، عن أسماء رضى الله عنها - فذكره بنحوه ، وبهذا الإسناد أخرجه أبو نعيم فى الحلْية (١ / ٣١) - مختصراً ، وفيه : ابن تدروس عن أسماء . وأخرج أبو يعلى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غُشى عليه ، فقام أبو بكر رضى الله عنه فجعل ينادى : ويلكم ، « أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ؟! » . فقالوا : من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر المجنون . وأخرجه أيضاً البّزار - وزاد : فتركوه وأقبلوا على أبى بكر ، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى (٦ / ١٧) . وأخرجه أيضاً الحاكم (٣ / ٦٧) . وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرّجاه .

قول على فى شجاعة أبى بكر رضى الله عنهما فى خطبة له

وأخرج البزّار فى مسنده عن محمد بن عقيل عن على رضى الله عنه أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس : من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين . فقال : أما إنّى ما بارزنى أحد إلا انتصفتُ منه ، ولكن هو أبو بكر !! ، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين ؟ فوالله ، ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ ، لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه ؛ فهذا أشجع الناس !!

قال : ولقد رأيتُ رسول الله ﷺ وأخذته قريش ، فهذا يحادُّه (٢) وهذا يُتَلتله(٣) ويقولون : أنتَ جعلت الآلهة إلهاً واحداً ؟! فوالله ، ما دنا منا أحد إلاّ أبو بكر ، يضرب هذا ، ويجاهد هذا ، ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ؟! ثم رفع على بُرْدة كانت عليه فبكى حتى اخضلّت (٤) لحيته ، ثم قال : أنشدكم الله ، أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم . فقال على رضى الله عنه : فوالله ، لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل

---

(١) أى غفلوا عنه وتركوه . (٢) يحاده : يخاصمه ويجادله ويغاضبه .

(٣) يتلتله : يحركه ويزلزله بشدة وعنف ويجره إليه تارة ويدفعه عنه أخرى .

(٤) اخضلت : ابتلت .

فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه !! ثم قال البزار : لا نعلمه يُروى إلا من هذا الوجه . كذا فى البداية (٣ / ٢٧١) . وقال الهيثمى (٩ / ٤٧) : وفيه من لم أعرفه .

طرح رؤساء قريش الفَرْث عليه ﷺ وانتصار أبى البخترى له

وأخرج البزّار والطبرانى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ فى المسجد ، وأبو جهل بن هشام ، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة ، وعُقبة بن أبى معيط وأميةّ بن خلف ، ورجلان آخران كانوا سبعة وهم فى الحجر ، ورسول الله ﷺ يصلى ، فلما سجد أطال السجود . فقال أبو جهل : أيُّكم يأتى جزور [١] بنى فلان فيأتينا بفَرْثها [٢] ، فنكفؤه على محمد ؟ فانطلق أشقاهم عقبة بن أبى معيط فأتى به فألقاه على كتفيه ورسول الله ﷺ ساجد . قال ابن مسعود : وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ليس عندى مَنَعة تمنعنى ، فأنا أذهب إذ سمعتْ فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأقبلت حتى ألقت ذلك عن عاتقه [٣] ، ثم استقبلت قريشا تسبُّهم ، فلم يرجعوا إليها شيئاً [٤] . ورفع رسول الله ﷺ رأسه كما كان يرفع عند تمام السجود . فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : « اللّهمَّ عليك بقريش — ثلاثاً عليك بعتبة ، وعقبة ، وأبى جهل ، وشيبة » . ثم خرج من المسجد فلقيه أبو البخترى بسوط يتخصّر [٥] به ، فلما رأى النبى ﷺ أنكر وجهه ، فقال : ما لك ؟ فقال النبى ﷺ : « خلّ عنى » قال : علم الله لا أخلّى عنك أو تخبرنى ما شأنك ، فلقد أصابك شيء ؟ . فلما علم النبى ﷺ أنه غير مخلٍّ عنه أخبره ، فقال : « إنَّ أبا جهل أمر [٦] فطُرح عليَّ فرثٌ » فقال أبو البَخترى : هلمَّ إلى المسجد ، فأتى النبى ﷺ وأبو البخترى فدخلا المسجد ؛ ثم أقبل أبو البخترى إلى أبى جهل فقال : يا أبا الحكم ، أنت الذى أمرتَ بمحمد فطُرح عليه الفرث ؟ قال : نعم . فقال : فرفع السوط فضرب به رأسه . فقال : فثار الرجال بعضها إلى بعض ، قال : وصاح أبو جهل : ويحكم ، هى له [٧] ، إنما أراد محمد أن يُلقى بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه . قال الهيثمى

---

(١) الجزور : الناقة . (٢) الفرث : ما يخرج من بطن الدابة .

(٣) العاتق : ما بين المنكب والعنق . (٤) أى لم يقولوا لها بمثل ما قالت .

(٥) السوط بالسين : آلة مستطيلة تُضرب بها الدابة ومعنى يتخصر به يشده على خاصرته كالحزام . (٦) أى أمر من معه بان يطرحوا على رأسى فرثاً ففعلوا ذلك .

(٧) أى قد عفوت عنه وتركتها له فلا تاخذوه بها ولا تفعلوا به مثل ما فعل به فتكون فتنة .

(٦ / ١٨) : وفيه : الأجلح بن عبد الله الكندى وهو ثقة عند ابن معين وغيره ، وضعَّفه النسائى وغيره . انتهى . وأخرجه أيضاً أبو نُعيم فى دلائل النبوة (ص ٩٠) نحو رواية البزار والطبرانى . وأخرجه أيضاً الشيخان والترمذى وغيرهم باختصار قصة أبى البخترى . وفى ألفاظ الصحيح : أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل يميل بعضهم إلى بعض أى من شدة الضحك . وعند أحمد : وقال عبد الله : فلقد رأيتهم قُتلوا يوم بدر جميعاً . كذا فى البداية (٣ / ٤٤) .

إيذاء أبى جهل رسول الله ﷺ

وأخرج الطبرانى عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق حليف بنى زُهرة مرسلاً : أن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ بالصَّفا ، فآذاه . وكان حمزة رضى الله عنه صاحب قَنْص وصيد ، وكان يومئذ فى قَنْصه . فلما رجع قالت له امرأته — وكانت قد رأت ما صنع أبو جهل برسول الله ﷺ — : يا أبا عُمارة ، لو رأيت ما صنع — تعنى أبا جهل — بابن أخيك ؟! فغضب حمزة رضى الله عنه ، ومضى كما هو قبل أن يدخل بيته وهو معلّق قوسه فى عنقه حتى دخل المسجد ، فوجد أبا جهل فى مجلس من مجالس قريش ، فلم يكلّمه حتى علا رأسه بقوسه فشجّه . فقام رجال من قريش إلى حمزة يمسكونه عنه ، فقال حمزة : دينى دين محمد — أشهد أنه رسول الله ، فوالله ، لا أنثنى عن ذلك فامنعونى من ذلك إن كنتم صادقين !! فلما أسلم حمزة رضى الله عنه عزّ به رسول الله ﷺ والمسلمون ، وثبت لهم بعض أمرهم ، وهابت قريش ، وعلموا أن حمزة رضى الله عنه سيمنعه . قال الهيثمى (٩ / ٢٦٧) : ورجاله ثقات .

وأخرجه الطبرانى أيضاً عن محمد بن كعب القرظى مرسلاً ، وفى حديثه : فأقبل من رَمْيه ذات يوم فلقيته امرأة ، فقالت : يا أبا عمارة ، ماذا لقى ابن أخيك من أبى جهل بن هشام !! شتمه ، وتناوله ، وفعل وفعل !! فقال : هل رآه أحد ؟ قالت : إى والله ، لقد رآه ناس . فأقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصَّفا والمروة ، فإذا هم جلوس وأبو جهل فيهم ، فاتكأ على قوسه وقال : رميتُ كذا وكذا وفعلت كذا وكذا ؟ ثم جمع يديه بالقوس فضرب بها بين أذنى أبى جهل ، فدقّ سِيَتَهَا (١) ، ثم قال : خُذْها بالقوس وأخرى بالسيف ، أشهد أنه رسول الله ﷺ ، وأنه جاء بالحق من عند الله . قالوا : يا أبا عمارة ، إنه سبّ آلهتنا ، وإن كنت أنت — وأنت أفضل منه — ما أقررناك . وذاك وما كنت يا أبا عمارة فاحشاً . قال الهيثمى (٩ / ٢٦٧) :

---

(١) سية القوس : ما عطف من طرفيها .

ورجاله رجال الصحيح ، انتهى وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٣ / ١٩٢) : عن ابن إسحاق عن رجل عن أسلم - فذكره مطولاً ،

عزم أبى جهل على إيذائه ﷺ وكيف أخزاه الله

وأخرج البيهقي عن العباس رضى الله عنه قال : كنت يوماً فى المسجد فاقبل أبو جهل . فقال : إنَّ لله عليَّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبى جهل ، فخرج غضبانَ حتى جاء المسجد فعجَّل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط ، فقلت : هذا يوم شر ، فاتَّزرت ثم اتَّبعته ، فدخل رسول الله ﷺ فقرأ : ﴿ **اقْرأْ باسْمِ ربِّكَ الَّذى خَلَقَ * خَلَقَ الإنْسَانَ منْ عَلَقٍ** ﴾ (١) ، فلما بلغ شان أبى جهل : ﴿ **كَلاَّ ، إنَّ الإنسانَ لَيَطْغَى * أن رَآهُ اسْتغْنىَ** ﴾ (٢) ، فقال إنسان لأبى جهل : يا أبا الحكم ، هذا محمد ، فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى ؟ والله ، لقد سُدَّ أفقُ السماء عليّ ، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سجد ، كذا فى البداية (٣ / ٤٣) وأخرجه أيضاً الطبرانى فى الكبير والأوسط ، قال الهيثمى (٨ / ٢٢٧) وفيه : إسحاق بن أبى فَرْوة وهو متروك ، انتهى ؛ وأخرجه الحاكم (٣ / ٣٢٥) بمثله ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرِّجاه ، وتعقَّبه الذهبى ، فقال : فيه عبد الله بن صالح وليس بعُمْدة ، وإسحاق بن عبد الله بن أبى فروة وهو متروك ،

وأخرج ابن سعد عن الواقدى بسند له أن بَرَّة بنت أبى تَجْراة قالت : عرض أبو جهل وعدّةٌ معه للنبى ﷺ فآذوه ، فعمد طُليب بن عمير إلى أبى جهل فضربه فشجَّه ، فاخذه ، فقام أبو لهب فى نصرته ، وبلغ أرْوَى فقالت : إنَّ خيرَ أيامه يوم نصر ابن خاله ، فقيل لأبى لهب : إن أرْوَى صَبَتْ ، فدخل عليها يعاتبها ، فقالت : قم دوم ابن أخيك ، فإنه إن يظهر كنتَ بالخيار ، وإلاَّ كنتَ قد أعذرتَ فى ابن أخيك ، فقال أبو لهب : ولنا طاقة بالعرب قاطبة ؟! إنه جاء بدين مُحَدث !! كذا فى الإصابة (٤ / ٢٢٧) .

دعاء النبى ﷺ على عُتيبة بنِ أبى لهب حين آذاه وخبر هلاكه

وأخرج الطبرانى عن قتادة مرسلاً قال : تزوج أمَّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ عتيبةُ بن أبى لهب ، وكانت رقية عند أخيه عتبة بنِ أبى لهب ، فلم يبن بها حتى بُعث النبى ﷺ ، فلما نزل قوله تعالى : ﴿ **تبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ** ﴾ قال أبو لهب

---

(١) سورة العلق الآيتان : ١ ، ٢ .   (٢) سورة العلق الآيتان : ٦ ، ٧ .

لابنيه عتبة وعتيبة : رأسي في رؤوسكما حرام إن لم تطلّقا ابنتي محمد ، وقالت أمهما بنت حرب بن أمية - وهي حمّالة الحطب - : طلّقاهما يا بَني ، فإنهما صبَأتا ، فطلّقاهما ، ولما طلّق عتيبة أم كلثوم جاء إلى النبي ﷺ حين فارقها ، فقال : كفرت بدينك وفارقت ابنتك ، لا تجيئني ولا أجيئك ، ثم سطا عليه ، فشقّ قميص النبي ﷺ وهو خارج نحو الشام تاجراً ، فقال النبي ﷺ : « أما إنّي أسأل الله أن يُسلّط عليك كلبه » ، فخرج في تَجْر [١] من قريش حتى نزلوا بمكان يقال له « الزرقاء » ليلاً ، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة ، فجعل عتيبة يقول : وَيْلُ أمي ، هذا - والله - آكلي كما قال محمد ، قاتلي ابن أبي كبشة [٢] ، وهو بمكة وأنا بالشام ، فلقد غدا عليه الأسد من بين القوم ، فضغمه [٣] ضغمة فقتله ، قال زهير بن العلاء : فحدّثنا هشام بن عروة عن أبيه : أن الأسد لّما أطاف بهم تلك الليلة انصرف ، فناموا، وجُعل عتيبة وسطهم ، فأقبل السبع يتخطّاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه، وخَلَف عثمانُ بن عفان بعد رقية على أم كلثوم - رضي الله عنهما ؛ قال الهيثمي (٦ / ١٨) : وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف .

إيذاء النبي ﷺ من جاريه أبي لهب ، وعقبة بن أبي معيط

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ربيعة بن عُبيد الديلي قال : ما أسمعكم تقولون إن قريشاً كانت تنال من رسول الله ﷺ !! فإنّي أكثر ما رأيت أنّ منزله كان بين منزل أبي لهب وعُقبة بن أبي مُعَيط ؛ وكان ينقلب إلى بيته فيجد الأرحام والدّماء والأنحات [٤] قد نصبت على بابه ، فيُنحّي ذلك بسِيَة [٥] قوسه ، ويقول : « بئس الجوار هذا يا معشر قريش !! » قال الهيثمي (٦ / ٢١) : وفيه إبراهيم بن علي بن الحسين الرافقي ، وهو ضعيف ، انتهى .

ما تحمله عليه الصلاة والسلام من الأذى في الطائف

وأخرج البخاري (١ / ٤٥٨) : عن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوجَ النبي ﷺ حدّثته أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليكَ يوم كان أشدّ عليك من يوم

---

(١) جمع تاجر .
(٢) ابو كبشة هو زوج حليمة السعدية مرضعة النبي ﷺ فكانوا إذا أرادوا احتقاره - لعنهم الله - نسبوه إليه .
(٣) فضغمه : عضه عضةً شديدة .
(٤) الانحات : الرديء من كل شيء .
(٥) سية القوس : ما عطف من طرفيها .

أحد ؟ قال : « لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العَقَبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق إلاّ وأنا بقَرْن الثعالب (١) ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فإذا فيها جبرائيل عليه السلام فنادانى فقال : إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد ، فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (٢) ؟ قال النبى ﷺ : بل أرجو أن يُخرج الله عزّ وجلّ من أصلابهم من يعبد الله عزّ وجلّ وحده لا يشرك به شيئاً » وأخرجه أيضاً مسلم والنسائى .

وذكر موسى بن عقبة فى المغازى عن ابن شهاب : أنّه ﷺ لّما مات أبو طالب توجه إلى الطائف رجاء أن يؤووه . فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم سادتهم وهم إخوة : عبد ياليل ، وحبيب ، ومسعود بنو عمرو ؛ فعرض عليهم نفسه ، وشكا إليهم ما انتهَكَ منه قومه ، فردُّوا عليه أقبح ردّ . وكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد مطوّلاً . كذا فى فتح البارى (٦ / ١٩٨) .

وأخرج أبو نُعَيم فى دلائل النبوة (ص ١٠٣) : عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال : ومات أبو طالب ، وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدة ، فعمد إلى ثقيف يرجو أن يؤووه وينصروه ، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم إخوة : عبد ياليل بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو . فعرض عليهم نفسه ، وشكا إليهم البلاء وما انتهك قومه منه .

فقال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشىء قط .

وقال الآخر : والله ، لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبداً ، لئن كنت رسولاً لأنت أعظم شرفاً وحقاً من أن أكلمك .

وقال الآخر : أعَجَزَ الله أن يرسل غيرك ؟! وأفشَوا ذلك فى ثقيف – الذى قال لهم – واجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ ، وقعدوا له صفَين على طريقه ، فأخذوا بأيديهم الحجارة ، فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلاّ رضخوها بالحجارة ، وهم فى ذلك يستهزئون ويسخرون . فلما خلص من صفَّيْهم وقدماه تسيلان الدماء عمد إلى حائط من كرومهم ، فأتى ظلَّ حُبْلة (٣) من الكرم فجلس فى أصلها مكروباً موجعاً

---

(١) قرن الثعالب : موضع بقرب مكة .

(٢) الأخشبان : الجبلان اللذان يحيطان مكة وهما أبو قبيس والأحمر .

(٣) الحبلة بالضم نوع من الشجر .

تسيل قدماه الدماء ، فإذا فى الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله وبه الذى به ، فأرسلا إليه غلامهما عدَّاسا بعنب - وهو نصراني من أهل نِينَوى - فلّما أتاه وضع العنب بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ : « بسم الله » ، فعجب عدّاس ، فقال له رسول الله ﷺ : « من أى أرض أنت يا عدّاس ؟ » قال : أنا من أهل نِينَوى .

فقال النبى ﷺ : « من أهل مدينة الرجل الصالح يونس بن متَّى ؟ » فقال له عدّاس : وما يدريك مَنْ يونس بن متّى ؟! فأخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس ما عرف ، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً ، يبلّغه رسالات الله تعالى . قال : يا رسول الله ، أخبرنى خبر يونس بن متّى . فلّما أخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس ابن متى ما أُوحى إليه من شأنه خرّ ساجداً للرسول ﷺ ، ثم جعل يقبّل قدميه وهما تسيلان الدماء . فلما أبصر عتبة وأخوه شيبة ما فعل غلامهما سكتا . فلما أتاهما قالا له : ما شأنك سجدت لمحمد وقبّلت قدميه ولم نرك فعلت هذا بأحد منها ؟ قال : هذا رجل صالح ، حدثنى عن أشياء عرفتها من شأن رسول بعثه الله تعالى إلينا يُدعى يونس بن متى ، فأخبرنى أنّه رسول الله ، فضحكا وقالا : لا يفتنْك عن نصرانيتك ، إنه رجل يَخدع ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة . انتهى .

وذكر فى البداية (٣ / ١٣٦) عن موسى بن عقبة : وقعد له أهل الطائف صفَّيْن على طريقه ، فلّما مرّ جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلاّ رضخوهما بالحجارة حتى أدمَوه ، فخلَص منهم وهما يسيلان الدماء . وفيما ذكر ابن إسحاق : فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم - فيما ذُكر لى : « إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا علىَّ » ، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فُيذْئِرهم (١) ذلك عليه . فلم يفعلوا ، وأغرَوا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفاء ثقيف من كان يتبعه . فَعمد إلى ظل حُبْلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقى رسول الله ﷺ - فيما ذُكر لى - المرأة التى من بنى جمح ، فقال لها : « ماذا لقينا من أحمائك ! » (٢) .

---

(١) فيذئرهم : فيجرئهم ويشجعهم .
(٢) الأحماء : أقارب الزوج وأقارب الزوجة أيضاً .

دعاؤه ﷺ عند الرجوع من الطائف

فلما أطمأن ، قال – فيما ذُكر لى – : « اللَّهمَّ إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس . يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى [1] ، أم إلى عدو ملكتَه أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى ، ولكنَّ عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقتْ له الظلماتُ ، وصلح عليه أمـــر الدنيا والآخـرة ، مـنْ أن ينزل بى غضبـك ، أو يَحلَّ علىَّ سَخطُك . لك العُتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

إسلام عدَّاس – وكان نصرانياً – وشهادته بأنه عليه الصلاة والسـلام نبى حق

قال : فلما رآه ابنا ربيعة : عتبة وشيبة وما لقى تحركت له رحِمهُما ، فدَعَوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدَّاس ، وقالا له : خذ قِطْفاً من هذا العنبَ فضعه فى هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكلَ منه . ففعل عداس ، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدى رسول الله ﷺ ، ثم قال له : كل ، فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال : « بسم الله » ثم أكل ، ثم نظر عدَّاس فى وجهه ثم قال : والله ، إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد !! فقال له رسولا الله ﷺ : « ومن أهل أىّ بلاد أنت يا عدَّاس ؟ وما دينك ؟ » قال : نصرانى ، وأنا رجل من أهل نِينَوى . فقال رسول الله ﷺ : « من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى ؟ » فقال له عدَّاس : وما يدرك ما يونس بن متّى ؟! فقال رسول الله ﷺ : « ذلك أخى ، كان نبياً وأنا نبى » فأكبَّ عدَّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه . قال : فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك !! فلما جاء عدَّاس قالا له : ويلك يا عداس ، مالك تقبِّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟! قال : يا سيدى ، ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلاَّ نبى . قالا له : ويحك يا عدَّاس !! لا يصرفنَّك عن دينك ، فإنَّ دينك خير من دينه . كذا فى البداية (٣ / ١٣٥) وذكر سليمان التَيْمى فى السيرة له : أنه قال للنبى ﷺ : أشهد أنك عبد الله ورسوله . كذا فى الإصابة (٢ / ٤٦٦) . وقد ذكره فى الصحابة .

وأخرج ابن مَردويه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال أبو بكر : لو رأيتنى

---

(١) يتجهمنى : يستقبلنى بوجه عبوس .

ورسول الله ﷺ إذ صعدنا الغار ، فأمّا قدما رسول الله ﷺ فتقطّرتا دماً ، وأما قدماى فعادت كأنهما صَفْوان (١) . قالت عائشة رضى الله عنها : إن رسول الله ﷺ لم يتعوّد الحِفْية (٢) . كذا فى كنز العمال (٨ / ٣٢٩) .

ما لقيه عليه الصلاة والسلام من الأذى يوم أحد

وأخرج الشيخان والترمذى عن أنس رضى الله عنه : أن النبى ﷺ كُسرت رَباعيته يوم أُحد وشُجَّ فى رأسه ، فجعل يَسلتُ الدمَ عن وجهه ويقول : « كيف يُفلِح قوم شَجُّوا نبيهم ، وكسروا رباعيته ، وهو يدعوهم إلى الله ؟! » فنزل : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ (٣) . وعند الطبرانى فى الكبير عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : أصيب وجه النبى ﷺ يوم أحد ، فاستقبله مالك بن سنان فمصَّ جرحه ، ثم ازدرده فقال ﷺ : « من أحب أن ينظر إلى من خالط دمى دمه ؛ فلينظر إلى مالك بن سنان » . كذا فى جمع الفوائد (٢ / ٤٧) .

وأخرج الطيالسى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان أبو بكر رضى الله عنه إذا ذكر يوم أُحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدِّث قال : كنت أول من فاء(٤) يوم أحد ، فرأيت رجلاً يقاتل فى سبيل الله دونه (٥) ، وأُراه قال : حميَّة ، قال فقلت : كُنْ طلحة ، حيث فاتنى ما فاتنى ، فقلت : يكون رجلاً من قومى أحب إلىَّ . وبينى وبين المشركين رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه وهو يخطَف المشى خطفاً لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كُسرت رَباعيتَه ، وشُجَ فى وجهه ، وقد دخل فى وجنته حلقتان من حَلَق المِغْفَر (٦) ، قال رسولَ الله ﷺ : « عليكما صاحبكما » يريد طلحة وقد نَزَف — فلم نلتفت إلى قوله : قال : وذهبت لأنزع ذلك من وجهه ، فقال : أقسم عليك بحقِّى لَما تركتنى ، فتركته ، فكره تناولها بيده فيؤذى رسول الله ﷺ فأزَم (٧) عليها بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ، ووقعت ثَنّيته مع الحَلْقة . وذهبت لأصنع ما صنع فقال : أقسمت عليك بحقِّى لَما تركتنى . قال : ففعل مثل ما فعل فى المرة الأولى ، فوقعت

---

(١) الحجر الصلب الأملس . (٢) الحفية : المشى حافى القدمين .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٢٨ .

(٤) فاء : رجع .

(٥) أى دفاعاً عنه ﷺ .

(٦) المغفر : حلق من حديد يتقنع بها المقاتل لتحميه من ضربات السيوف .

(٧) أزم : عضّ .

ثنيته الأخرى مع الحلقة ؛ فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هَتَماً . فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ، ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الجفار (١) ، فإذا به بضع وسبعون طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت إصبعه ، فأصلحنا من شأنه . كـــذا فى البداية (٤ / ٢٩) . وأخرجه أيضاً ابن سعد (٣ / ٢٩٨) ، وابن السُّنِّى ، والشاشى ، والبزار ، والطبرانى فى الأوسط ، وابن حِبَّان ، والدارقطنى فى الآفراد ، وأبو نُعيم فى المعرفة ، وابن عساكر كما فى الكنز (٥ / ٢٧٤) .

تحمل الصحابة رضى الله عنهم الشدائد والأذى فى الدعوة إلى الله

تحمل أبى بكر الصديق رضى الله عنه الشدائد

إلحاح أبى بكر عليه ﷺ بالظهور وخطبته حينئذ وما لقى من الأذى

أخرج الحافظ أبو الحسن الأطرابلسى عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما اجتمع أصحاب النبى ﷺ - وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً - ألحّ أبو بكر على رسول الله ﷺ فى الظهور فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ ، وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته . وقام أبو بكر فى الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ . وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين ، فضُربوا في نواحى المسجد ضرباً شديداً ، ووطىء أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبة ابن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرِّفهما لوجهه ، ونزا (٢) على بطن أبى بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه . وجاء بنو تَيْم يتعادَوْن فأجلَت المشركين عن أبى بكر ، وحملت بنو تَيْم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكُّون فى موته . ثم رجعت بنو تَيْم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبى بكر فجعل أبو قحافة (٣) وبنو تَيْم يكلِّمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلَّم آخر النهار فقال : ما فعـــل رسول الله ؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعَذَلوه (٤) ، ثم قاموا لأمه أم الخير : انظرى أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما خلت به ألَحت عليه ، وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله مالى علم بصاحبك . فقال : اذهبى إلى أمّ جميل بنت الخطّاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله فقالت : ما

---

(١) الجفار : جمع جفرة وهي حفرة فى الأرض . (٢) نزا : وثب .

(٣) هو والد أبى بكر رضى الله عنهما واسمه عثمان بن عمرو .

(٤) وعذلوه : أى لاموه .

أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك . قالت : نعم ؛ فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنِفاً (١) ؛ فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إنّ قوماً نالوا هذا منك لأهلُ فسق وكفر ، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أمك تسمع . قال : فلا شيء عليك منها . قالت : سالم صالح . قال : أين هو ؟ قالت : فى دار ابن الأرقم(٢) . قال : فإن لله علىَّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتى رسول الله ﷺ . فامهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس ، خرجنا به يتكىء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ . قال : فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبله ، وأكب عليه المسلمون ، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقَّة شديدة . فقال أبو بكر : بأبى وأمى يا رسول الله ، ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى ، وهذه أمى بَرَّة بولدها ، وأنت مبارك فادعُها إلى الله وادعُ لها عسى أن يستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت . وأقاموا مع رسول الله ﷺ فى الدار شهراً ، وهم تسعة وثلاثون رجلاً ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أسلم يوم ضرب أبو بكر رضى الله عنه .

دعاؤه عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب وإسلامه

ودعا رسول الله لعمر بن الخطاب رضى الله عنه – أو لأبى جهل بن هشام – فاصبح عمر ، وكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس ، فكبَّر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة ؛ وخرج أبو الأرقم – وهو أعمى كافر– وهو يقول : اللَّهمَّ : اغفر لبنى عبيد الأرقم فإنه كفر ، فقام عمر فقال : يا رسول الله ، علام نخفى ديننا ونحن على الحق ؟ ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ قال : « يا عمر ، إنّا قليل قد رأيت ما لقينا !! » فقال عمر : فوالذى بعثك بالحق ، لا يبقى مجلس جلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان ، ثم خرج فطاف بالبيت ، مرّ بقريش وهى تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صبوت؟ فقال عكر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمداً عبده ورسوله . فوثب المشركون إليه ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه وأدخل أصبعه فى عينيه ، فجعل عتبة يصيح ، فتنحَّى الناس فقام عمر ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التى كان يجالس فيها فيظهر الإيمان ، ثم انصرف

---

(١) دنفا : مريضا .
(٢) الصواب : الأرقم بن أبى الأرقم .

إلى النبى ﷺ وهو ظاهر عليهم . قال : ما عليك بأبى وأمى ، والله ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلاّ أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف ؛ فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلّى الظهر مؤمناً ، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده ثم انصرف النبى ﷺ .

والصحيح : أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة ، وذلك فى السنة السادسة من البعثة . كذا فى البداية (٣ / ٣٠) . وذكره الحافظ فى الإصابة (٤ / ٤٤٧) عن ابن أبى عاصم .

ابتلاء المسلمين وخروج أبى بكر إلى الحبشة مهاجراً وقصته مع ابن الدغنة

وأخرج البخارى (ص ٥٥٢) عن عائشة رضى الله عنها قالت : لم أعقل أبوىّ قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمرّ علينا يوم إلاّ يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرَفى النهار: بُكرة ، وعَشيَّة . فلما ابتُلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغماد (١) لقيه ابن الدُّغُنَّة (٢) وهو سيد القارة (٣) . قال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرَجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى . قال ابن الدُّغُنَّة : فإنَّ مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج !! إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرَّحِم ، وتحمل الكَلَّ (٤) ، وتَقرى الضيف (٥) ، وتعين على نوائب (٦) الحق ؛ فأنا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك .

فرجع وارتحل معه ابن الدُّغُنَّة ، فطاف ابن الدُّغُنَّة عشية فى أشراف قريش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخرج مثله ، ولا يُخرج ، أتُخرجون رجلاً يكسب المعدوم ، ويصل الرَّحِم ، ويحمل الكلَّ ، ويقرى الضَّيف ويعين على نوائب الحق . فلم تكذِّب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدُّغُنَّة : مُرْ أبا بكر فليعبدْ ربّه فى داره ، فليصلِّ فيها وليقرأ ما شاء . ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فإنَّا نخشى أن يفتن نساءنا

---

(١) برك الغماد : هو اسم موضع باليمن ، وقيل هو موضع وراء مكة بخمس ليال .

(٢) الدُّغُنَّة : بضم الدال والغين وتشديد النون هكذا يرويه علماء اللغة ، ويرويه علماء الحديث بفتح الدال وكسر الغين وفتح النون من غير تشديد وهو اسم لأمه عرف بها .

(٣) القارة : ـ بفتح الراء ـ قبيلة مشهورة .

(٤) الكل : الضعيف العاجز عن الكسب مع شدة الحاجة وكثرة العيال .

(٥) تقرى الضيف : تهيىء له طعامه .

(٦) أى تعين الناس على ما ينزل بهم من حوادث الدهر التى جرى بها الحق أى القدر .

وأبناءنا ؛ فقال ذلك ابن الدُّغُنَّة لأبى بكر . فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن [1] بصلاته ،ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، وكان يصلّى فيه ويقرأ القرآن ، فيتقذّف [2] عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن . وأفزع ذلك أشرافَ قريش من المشركين . فأرسلوا إلى ابن الدُّغُنَّة فقدم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفُناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وإنا قد خشينا أن يَفتن نساءنا وأبناءنا فانْهه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربَّه فى داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسَلْه أن يردَّ إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفِرَك [3] ، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان .

قالت عائشة رضى الله عنها : فأتى ابن الدُّغُنَّة إلى أبى بكر فقال : قد علمتَ الذى عاقدتُ لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن تُرجع إلىَّ ذمتى فإنى لا أُحب أن تسمع العرب أنى أُخفرتُ فى رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فإنى أردُّ إليك جوارَك وأرضى بجوار الله عزَّ وجلَّ - فذكر الحديث بطوله فى الهجرة .

وأخرج أيضاً ابن إسحاق بنحوه ، وفى سياقه : فخرج أبو بكر مهاجراً ، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدُّغُنَّة - وهو يومئذ سيد الأحابيش [4] ، فقال : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجنى قومى وآذَوْنى وضيّقوا علىَّ . قال : ولم ؟ فوالله إنك لتزيِّن العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدوم ؛ ارجع فإنَّك فى جوارى . فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدُّغُنَّة فقال : يا معشر قريش ، إنِّى قد أجرت ابن أبى قحافة فلا يُعرض له أحد إلا بخير . قال : فكفُّوا عنه ، وفى آخره فقال : يا أبا بكر ، إنى لم أُجرك لتؤذىَ قومك ، وقد كرهوا مكانك الذى أنت به وتأذَّوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت . قال : أو أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟! قال : فارددْ على جوارى . قال ، قد رددته عليك . قال : فقام ابن الدُّغُنَّة فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أبى قحافة قد ردّ علىَّ جوارى ، فشأنكم بصاحبكم . كذا فى البداية (٣ / ٩٤) .

---

(١) أي لا يجهر بها .
(٢) يتقذف : بمعنى أنهم يأتون إليه مسرعين ويجتمعون قريباً منه .
(٣) ننقض عهدك .
(٤) الأحابيش : هم أحياء من قبيلة ابن الدغنة التى تسمى بالقارة - بفتح الراء - انضموا إلى بنى ليث فى محاربتهم قريشاً ، والتحبش معناه التجمع ، وقيل سموا أحابيش نسبة إلى جبل يسمى حبشاً لأنهم قد حالفوا قريشاً عنده .

وأخرج ابن إسحاق أيضاً عن القاسم قال : لقيه – يعنى أبا بكر الصديق رضى الله عنه حين خرج من جوار ابن الدُّغُنَّة – سيفهٌ من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة ، فحثا على رأسه تراباً ، فمر بأبى بكر الوليد بن المغيرة – أو العاص بن وائل – فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك . وهو يقول : أى رب ما أحلمك ؟ أى رب ما أحلمك ؟ أى رب ما أحلمك ! كذا فى البداية (٣ / ٩٥) .

وقد تقدم فى حديث أسماء رضى الله عنها (ص ٢٦٨) عند أبى يَعْلى وغيره قالت : فأتى الصريخ إلى أبى بكر ، فقالوا : أدرك صاحبك . فخرج من عندنا وإن له لغدائر أربع ؛ وهو يقول : ويلكم « أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ » فَلَهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبى بكر . قالت : فرجع إلينا أبو بكر لا يمسُّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول : تباركت ياذا الجلال والإكرام .

تحمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشدائد

أخرج ابن إسحاق عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لّما أسلم عمر رضى الله عنه قال : أىُّ قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحى ، فغدا عليه – قال عبد الله : وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كلَّ ما رأيت – حتى جاءه ، فقال له : أعلمت يا جميل أنى أسلمت ودخلت فى دين محمد ﷺ ؟ قال : فوالله ، ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتَّبعه عمر واتبعته أنا ، حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، – وهم فى أنديتهم حول الكعبة – ألا إنَّ ابن الخطاب قد صبأ . قال يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكننى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطَلح [١] فقعد ، وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله ، أن لو قد كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال : فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حِبَرة [٢] وقميص مُوَشَّى [٣] حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ، فقالوا صبأ عمر . قال : فمَهْ ! ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ، أترون بنى عدىّ يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلُّوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشط عنه . قال فقلت لأبى – بعد أن هاجر إلى المدينة – يا أبت ، من الرجل الذى

---

(١) أى : تعب . (٢) الحبرة : نوع من برود اليمن . (٣) أى مخطط .

زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك - أىْ بنىَّ - العاص بن وائل السهمى . وهذا إسناد جيد قوى . كذا فى البداية (٣ / ٨٢) . وعند البخارى (١ / ٥٤٥) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : بينما هو فى الدار خائفاً إذ جاءه العاص بن وائل السهمى أبو عمرو - وعليه حُلة حِبَرة وقميص مكفوف بحرير - وهو من بنى سَهْم وهم حلفاؤنا فى الجاهلية . فقال له : ما بالك ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلوننى أنْ أسلمتُ . قال لا سبيل إليك . بعد أن قالها أمنتُ . فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادى ؛ فقال : أين تريدون ، فقالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذى صبأ . قال : لا سبيل إليه . فكرّ الناس .

تحمل عثمان بن عفان رضى الله عنه الشدائد

أخرج ابن سعد (٣ / ٣٧) عن محمد بن إبراهيم التَّيْمى قال : لما أسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية فأوثقه رباطاً ، وقال : أترغب عن ملّة آبائك إلى دين مُحْدَث ؟! والله لا أحلّك أبواً حتى تدعَ ما أنت عليه من هذا الدين . فقال عثمان : والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه . فلما رأى الحَكَم صلابته فى دينه تركه .

تحمل طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه الشدائد

أخرج البخارى فى التاريخ عن مسعود بن خِراش رضى الله عنه قال : بينا نحن نطوف بين الصَّفا والمروة إذا أُناس كثير يتبعون فتى شاباً مُوثقاً بيده فى عنقه . قلت : ما شأنه ؟ قالوا : هذا طلحة بن عبيد الله صبأ ؛ وامرأةٌ وراءه تدمدم وتسبّه . قلت من هذه ، قالوا : الصعبة بنت الحضرمى أمه . كذا فى الإصابة (٣ / ٤١٠) .

وأخرج الحاكم فى المستدرك (٣ / ٣٦٩) عن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : قال لى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه : حضرت سوق بصرى [١] ، فإذا راهب فى صومعته يقول : سَلُوا أهل هذا الموسم ، أفيهم أحد من أهل الحرم ؟ قال طلحة رضى الله عنه : قلت : نعم ؛ أنا . فقال : هل ظهر أحمد بعد ، قال : قلت : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الأنبياء ، مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحَرَّة [٢] وسِباخ ، فإياك أن تُسبق إليه .

---

(١) بصرى بالضم والقصر موضع بالشام من أعمال دمشق ، بخلاف البصرة فإنها مدينة بالعراق .

(٢) أرض ذات حجارة سود .

قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال ، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت : هل كان من حَدَث ؟ قالوا : نعم ، محمد بن عبد الله الأمين تنّبأ ، وقد تبعه ابن أبى قحافة . قال : فخرجت حتى دخلت على أبى بكر رضى الله عنه فقلت ، أتبعث هذا الرجل ؟ قال : نعم ، فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق ؛ فأخبره طلحة بما قال الراهب . فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة ، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب . فسرّ رسول الله ﷺ ، فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدويَّة فشدهما فى حبل واحد ولم يمنعهما بنو تَيْم ، وكان نوفل بن خويلد يدعى « أسد قريش » فلذلك سُمى أبو بكر وطلحة القرينين . فذكر الحديث . وأخرجه البيهقى أيضاً ، وفى حديثه : وقال النبى ﷺ : « اللّهمَّ أكفنا شرَّ ابن العدويّة » كذا فى البداية (٣ / ٢٩) .

تحمل الزبير بن العوام رضى الله عنه الشدائد

أخرج أبو نُعيم فى الحلية (١ / ٨٩) عن أبى الأسود قال : أسلم الزبير بن العوام رضى الله عنه وهو ابن ثمان سنين وهاجر وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وكان عم الزبير يعلّق الزبير فى حصير ويدخّن عليه بالنار وهو يقول : ارجع إلى الكفر . فيقول الزبير : لا أكفر أبداً . وأخرجه الطبرانى أيضاً ورجاله ثقات إلا أنه مرسل . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩ / ١٥١) . وأخرجه الحاكم (٣ / ٣٦٠) عن أبى الأسود عن عروة رضى الله عنه .

وأخرج أبو نُعيم عن حفص بن خالد قال : حدثنى شيخ قدم علينا من المَوْصل قال : صحبت الزبير بن العوام رضى الله عنه فى بعض أسفاره ، فأصابته جنابة بأرض قفر ، فقال : استرنى فسترته ، فحانت منى إليه التفاتة فرأيته مجدَّعاً [1] بالسيوف . قلت : والله لقد رأيت بك آثاراً ما رأيتها بأحد قط . قال : وقد رأيت ذلك ؟ قلت نعم . قال : أما والله ، ما منها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ وفى سبيل الله . وأخرجه الطبرانى ، والحاكم (٣ / ٣٦٠) نحوه ؛ وابن عساكر كما فى المنتخب (٥ / ٧٠) أيضاً . قال الهيثمي (٩ / ١٥٠) والشيخ المَوْصلى لم أعرفه ؛ وبقية رجاله ثقات . انتهى ، وعند أبى نُعيم أيضا عن على بن زيد قال : أخبرني من رأى الزبير : وإن فى صدره لأمثال العيون من الطّعن والرمى . كذا فى الحلية (١ / ٩٠) .

تحمل بلال بن رباح المؤذن رضى الله عنه الشدائد
من أظهر إسلامه أولاً معه عليه السلام

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أول من أظهر

---

(١) مقطع الأعضاء .

الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمّار وأمه سُميَّة ، وصهيب ، وبلال ؛ والمقداد ، رضى الله عنهم . فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمِّه . وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه . وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدْرُع الحديد وصهروهم فى الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد آتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً ، فإنه هانت عليه نفسه فى الله . وهان على قومه ، فأخذوه فأعطَوه الولدان ، فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة ، وهو يقول : أحد ، أحد - كذا فى البداية (٣ / ٢٨) . وأخرجه أيضاً الحاكم (٣ / ٢٨٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه . وقال الذهبى صحيح ، وأخرجه أبو نُعيم فى الحلية (١ / ١٤٩) ، وابن أبى شيبة كما فى الكنز (٧ / ١٤) ، وابن عبد البرّ فى الاستيعاب (١ / ١٤١) من حديث ابن مسعود بمثله .

ما لقى بلال من الأذى فى الله

وأخرجه أبو نُعيم أيضاً فى الحلية (١ / ١٤٠) من حديث مجاهد ، وفى حديثه : وأما الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم فى الشمس ، فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس . فلما كان من العشى أتاهم أبو جهل . ومعه حربته ، فجعل يشتمهم ويوبخهم . وقال ابن عبد البر فى حديث مجاهد . وزاد فى خبر بلال .. : أنهم كانوا يطوفون به والحبل فى عنقه بين أخشبى[1] مكة . وأخرجه ابن سعد (٢ / ١٦٦) عن مجاهد بنحوه .

وأخرج الزبير بن بكار عن عُروة بن الزبير رضى الله عنهما قال : كان بلال لجارية من بنى جُمَح ، وكانوا يعذبونه برَمْضاء[2] مكة ، يلصقون ظهره بالرمضاء لكى يشرك ، فيقول : أحد أحد ، فيمر به ورَقة - وهو على تلك الحال - فيقول : أحد ، أحد ، يا بلال . والله ، لئن قتلتموه لأتخذنَّه حناناً ، وهذا مرسل جيد . كذا فى الإصابة (٣ / ٦٣٤) .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية (١ / ١٤٨) عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمرُّ ببلال وهو يعذَّب ، وهو يقول أحد ، فيقول : أحد ، أحد الله يا بلال ، ثم يقبل ورقة بن نوفل على أمية بن خَلَف وهو يصنع ذلك ببلال ، فيقول : أحلف بالله عزّ وجلّ لئن قتلتموه على هذا لأتخذنَّه حناناً ، حتى مرَّ به أبو بكر الصدّيق يوماً وهم يصنعون ذلك ، فقال لأمية : ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ حتى

---

(١) جبلان بمكة يحيطان بها هما أبو قبيس والأحمر .

(٢) الأرض الشديدة الحرارة .

متى ؟ قال : أنت أفسدته فانقذه مِمّا ترى . فقال أبو بكر : أفعل ، عندى غلام أسود أجلَدُ منه وأقوى على دينك ، أعطيكه به . قال : قد قبلت ، قال : هو لك . فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك ، وأخذ بلالاً فأعتقه ، ثم أعتق معه على الإسلام – قبل أن يهاجر من مكة – ست رقاب بلال سابعهم .

وذكر أبو نُعيم فى الحِلْية (١ / ١٤٨) عن ابن إسحاق : كان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ؛ ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللاَّت والعزّى . فيقول : – وهو فى ذلك البلاء – أحد ، أحد ، قال عمار بن ياسر – وهو يذكر بلالاً وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء ، وإعتاق أبى بكر إياه ، وكان اسم أبى بكر عتيقاً رضى الله عنه – :

جزى الله خيراً عن بلالٍ وصَحْبه ... عتيقاً وأخزى فاكهاً [١] وأبا جهلِ
عشية همَّا فى بلالٍ بِسَوْأةٍ ... ولم يحذرا ما يحذر المرء العقلِ
بتوحيده ربَّ الأنامِ وقولِه ... شهدتُ بأنَّ الله ربى على مَهْلِ
فإن يقتلونى يقتلونى فلم أكن ... لأشركَ بالرحمنِ من خيفة القتلِ
فيا ربَّ إبراهيم والعبدَ يونُسٍ ... وموسى وعيسى نجنى ثم لا تُبْلِ
لمن ظلَّ يهوى الغىَّ من آل غالبٍ ... على غير برٍّ كان منه ولا عدلِ

تحمل عمّار بن ياسر وأهل بيته رضى الله عنهم الشدائد

أخرج الطبرانى والحاكم والبيهقى وابن عساكر عن جابر رضى الله عنه أنّ رسول الله ﷺ مرَّ بعمَّار وأهله وهم يعذَّبون ، فقال : « أبشروا آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة » قال الهيثمى (٩ / ٢٩٣) : رجال الطبرانى رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقومّ وهو ثقة أ . هـ .

وعند الحاكم فى الكُنَى وابن عساكر عن عثمان رضى الله عنه قال : بينما أنا أمشى مع رسول الله ﷺ بالبطحاء إذ بعمّار وأبيه وأمه يعذبون فى الشمس ليرتدّوا عن الإسلام . فقال أبو عمّار . يا رسول الله ، الدهَر هكذا ؟! فقال : « صبراً يا آل ياسر . اللّهمَّ اغفر لآل ياسر ، وقد فعلت » . وأخرجه أيضاً أحمد والبيهقى ، والبغوى ، والعُقيلى ، وابن مَنْده ، وأبو نُعَيم ، وغيرهم بمعناه عن عثمان رضى الله

---

(١) يعنى الفاكه بن المغيرة عم أبى جهل قبحه الله وأخزاه .

عنه كما في الكنز (٧ / ٧٢) . وأخرجه ابن سعد (٣ / ١٧٧) عن عثمان رضى الله عنه بنحوه .

سمية أم عمّار أول شهيد فى الإسلام

وأخرج أبو أحمد الحاكم عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال : مرّ رسول الله ﷺ بياسر وعمّار وأم عمّار وهم يؤذَون فى الله تعالى ، فقال لهم : « صبراً يا آل ياسر ، صبراً يا آل ياسر ؛ فإنَّ موعدكم الجنة » ورواه ابن الكبى عن ابن عباس رضى الله عنهما نحوه – وزاد : وعبد الله بن ياسر ؛ وزاد : وطعن أبو جهل سميَّة في قُبُلها فماتت ، ومات ياسر فى العذاب ، ورمى عبد الله فسقط – كذا فى الإصابة (٣ / ٦٤٧) . وعند أحمد عن مجاهد قال : أول شهيد كان فى أول الإسلام استشهد أم عمار سميَّة ، طعنها أبو جهل بحربة في قبلها . كذا في البداية (٣ / ٥٩) .

اشتداد الأذى على عمَّار حتى أكره على قول الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان

وأخرج أبو نُعَيم في الحلية (١ / ١٤٠) عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار قال : أخذ المشركين عمّاراً رضى الله عنه فلم يتركوه حتى سبَّ رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير . فلما أتى رسول الله ﷺ قال : « ما وراءك ؟ » قال : شرّ يا رسول الله ، ما تركت حتى نلتُ منك وذكرت آلهتهم بخير . فقال رسول الله ﷺ : « فكيف تجد قلبك ؟ » قال : أجد قلبى مطمئناً بالإيمان . قال : « فإن عادوا فَعُد » وأخرجه ابن سعد (٣ / ١٧٨) عن أبى عبيدة نحوه . وأخرج أيضاً عن محمد : أن النبى ﷺ لقى عماراً وهو يبكى ، فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول : « أخذك الكفار فغطُّوك فى الماء ؛ فقلت كذا وكذا ، فإن عادوا فقل ذاك لهم » وأخرج أيضاً (٣ / ١٧٧) عن عمرو بن ميمون قال : أحرق المشركون عماز بن ياسر بالنار .

قال : فكان رسول الله ﷺ يمرّ به ويمر يده على رأسه فيقول : « يا نارُ كونى برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم عليه السلام ، تقتلك الفئة الباغية » .

تحمل خبّاب بن الأرتّ رضى الله عنه الشدائد

أخرج ابن سعد (٣ / ١١٧) عن الشَّعْبى قال : دخل خبَّاب بن الأرتّ رضى الله عنه على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأجلسه على متكئه وقال : ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلاَّ رجل واحد . قال له خباب : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلال . فقال خباب : ما هو بأحق منى ، إنَّ بلالاً كان له فى المشركين من يمنعه الله به ، ولم يكن لى أحد يمنعنى ، فلقد رأيتنى يوماً أخذونى فأوقدوا لى

ناراً ثم سلقونى فيها ، ثم وضع رجلٌ رجله على صدرى فما اتقيت الأرض - أو قال : برد الأرض - إلاَّ بظهرى ؛ قال : ثم كشف عن ظهره فإذا هو فقد برص . كذا فى كنز العمال (٧ / ٣١) .

وعند أبى نُعيم فى الحلية (١ / ١٤٤) عن الشَّعْبى قال : سأل عمر رضى الله عنه بلالاً عما لقى من المشركين ؟ فقال خباب : يا أمير المؤمنين ، انظر إلى ظهرى ، فقال عمر : ما رأيت كاليوم . قال : أوقدوا لى ناراً فما أطفأها إلا وَدَكُ [١] ظهرى !! وعنده أيضاً ، وابن سعد ، وابن أبى شَيْبة كما فى كنز العمال (٧ / ٧١) عن أبى ليلى الكندى قال : جاء خباب بن الأرت إلى عمر - رضى الله عنهما - فقال : ادنُه ، فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار بن ياسر ؛ فجعل خباب يريه آثاراً فى ظهره ممَّا عذّبه المشركون .

وأخرج أحمد عن خبَّاب رضى الله عنه قال : كنت رجلاً قَيْناً [٢] وكان لى على العاص بن وائل دَيْن ، فأتيته أتقاضاه . فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفُر بمحمد . فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموتَ ثم تُبعث . قال : فإني إذا مت ثم بُعثت جئتني ولي ثَمَّ مال وولد فأعطيك . فأنزل الله تعالى : ﴿ أفرأيْتَ الَّذى كَفَرَ بآيَاتنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ﴾ إلى قوله : ﴿ ويأتِينا فرْداً ﴾ [٣] . كذا فى البداية (٤ / ٥٩) وأخرجه ابن سعد (٣ / ١١٦) عن خباب بنحوه .

وأخرج البخارى عن خبّاب رضى الله عنه يقول : أتيت النبى ﷺ وهو متوسِّد ببردةٍ وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : ألا تدعو الله ؟ فقعد - وهو محمرٌ وجهه - فقال : « لقد كان مَنْ قبلكم ليُمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه !! وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلاَّ الله عزّ وجلّ » . زاد بيان : والذئب على غنمه - ، ولكنكم تستعجلون » . وأخرجه أيضاً أبو داود والنِّسائى كما فى العينى (٧ / ٥٥٨) ، والحاكم (٣ / ٣٨٣) بمعناه .

تحمل أبى ذر الغفارى رضى الله عنه الشدائد

أخرج البخارى (١ / ٥٥٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لَّما بلغ أبا ذرٍّ مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادى ، فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ثم ائتنى . فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله ، ثم رجع إلى أبى ذرٍّ فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر . فقال : ما شفيتنى ممَّا أردت .

---

(١) شحمه . (٢) حداداً يصنع السيوف ونحوها .

(٣) سورة مريم الآيات : ٧٧ - ٨٠ .

فتزود وحمل شَنَّة (١) فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد فالتمس النبى ﷺ ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع ، فرآه على رضى الله عنه فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبى ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمر به على فقال : أما آن للرجل أن يعلم منزله ، فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، حتى إذا كان يوم الثالث ، فعاد علي مثل ذلك فأقام معه ، ثم قال ألا تحدثنى ما الذى أقدمك ؟ قال : إن أعطيتنى عهداً وميثاقاً لترشدنّنى فعلت ، ففعل ، فأخبره ، قال : فإنَّه حقٌ وهو رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحت فاتَّبعنى فإنى إن رأيت شيئاً أخاف عليك ، قمت كأنى أريق الماء ، فإن مضيتُ فاتَّبعنى حتى تدخل مدخلى ، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى ﷺ ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه ، فقال له النبى ﷺ : « ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » قال : والذى نفسى بيده لأصرخنَّ بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه ، وأتى العباس فأكبَّ عليه ، فقال : ويلكم ، ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تُجَّاركم إلى الشام ؟! فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه .

وعند البخارى (١ / ٥٠٠) أيضاً من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فقال يا معشر قريش ، إنِّى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فقالوا قوموا إلى هذا الصابىء فقاموا فضربت لأموت ، فأدركنى العباس فأكب عليَّ ثم أقبل عليهم فقال : ويلكم ، تقتلون رجلاً من غفار ومتجركم وممرّكم على غفار ؟! فأقلعوا عنى ، فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابىء فصُنع بى مثل ما صُنع بالأمس ، فأدركنى العباس فأكبَّ عليَّ وقال مثل مقالته بالأمس .

أبو ذر أول من حيّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام

وأخرجه مسلم من طريق عبد الله بن الصامت عن أبى ذر - رضى الله عنهما فذكر قصة إسلامه بصفة أخرى ، وفى حديثه : فانطلق أخى فأتى مكة ثم قال لى أتيت مكة فرأيت رجلاً يسمِّيه الناس الصابىء هو أشبه الناس بك . قال : فأتيت

---

(١) قربة .

مكة ، فقلت ؛ أين الصابىء ؟ فرفع صوته عليَّ فقال : صابىء ، صابىء !! فرمانى الناس حتى كأنى نُصُبٌ أحمر (١) ، فاختبأت بين الكعبة وأستارها ، ولبثت فيها بين خمس عشرة من يوم وليلة ، وما لى طعام ولا شراب إلا ماء زمزم ، قال : ولقينا رسول الله ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه وقد دخلا المسجد ، فوالله إنِّى لأول الناس حيَّاه بتحية الإسلام ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : « وعليك السلام ورحمة الله ، ومن أنت ؟ » فقلت : رجل من بنى غفار ، فقال صاحبه : ائذن لى يا رسول الله فى ضيافته الليلة ، فانطلق بى إلى دار فى أسفل مكة فقبض لى قَبَضات من زبيب ، قال : فقدمت على أخى فأخبرته أنى أسلمت ، قال : فإنى على دينك ، فانطلقنا إلى أمِّنا ؛ فقالت : إنى على دينكما ، قال : وأتيت قومى فدعوتهم فتبعنى بعضهم .

شجاعة أبى ذر فى قصة إعلان إسلامه وما لقيه من الأذى فى ذلك

وأخرجه الطبرانى نحو هذا مطوَّلاً ، وأبو نعيم فى الحلية (١ / ١٥٨) من طريق ابن عباس رضى الله عنهما عن أبى ذر رضى الله عنه قال : أقمت مع رسول الله ﷺ بمكة فعلمنى الإسلام ، وقرأت من القرآن شيئاً ، فقلت : يا رسول الله ، إنى أريد أن أظهر دينى ، فقال رسول الله ﷺ : « إنى أخاف عليك أن تُقتل » قلت : لابد منه وإن قتلت ، قال : فسكت عنى ، فجئت - وقريش حِلَقاً يتحدّثون فى المسجد - فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فانتقضت الحلَق ، فقاموا فضربونى حتى تركونى كأنى نُصُب أحمر ، وكانوا يرون أنهم قد قتلونى ؛ فأفقت فجئت إلى رسول الله ﷺ فرأى ما بى من الحال ، فقال لى : « ألم أنهك ؟ » فقلت : يا رسول الله ، كانت حاجة فى نفسى فقضيتها ، فأقمت مع رسول الله ﷺ ، فقال : « الحق بقومك ، فإذا بلغك ظهورى فأتنى » ، وأخرج أبو نعيم أيضاً عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر - رضى الله عنهما - قال : أتيت مكة فمال عليَّ أهل الوادى بكل مَدَرة وعَظْم ، فخررت مغشياً عليَّ ، فارتفعت حين ارتفعت كأنى نُصُب أحمر ، كذا فى الحلية (١ / ١٥٩) ، وأخرجه الحاكم أيضاً (٣ / ٣٣٨) بطرق مختلفة .

تحمل سعيد بن زيد وزوجته فاطمة أخت عمر رضى الله عنهما الشدائد

أخرج البخارى (١ / ٥٤٥) عن قيس قال : سمعت سعيد بن زيد بن عمرو

---

(١) النصب : حجر كان المشركون يذبحون عليه ذبائحهم ويهدونها للأصنام وجمعه أنصاب ... والمراد هنا أنهم ضربوه حتى أدموه فصار كالنصب المحمر بدم الذبائح .

ابن نفيل رضى الله عنه فى مسجد الكوفة يقول : والله ، لقد رأيتنى وإن عمر لَمُوثقى على الإسلام ، فذكر الحديث . وفى رواية أخرى عنه عنده (١ / ٥٤٦) : لو رأيتنى موثقى عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم .

وأخرج ابن سعد (٣ / ١٩١) عن أنس رضى الله عنه قال : خرج عمر رضى الله عنه متقلداً السيف فلقيه رجل من بنى زُهْرة قال : أين تعمد يا عمر ؟ فقال : أريد أن أقتل محمداً ، فقال : وكيف تأمن من بنى هاشم وبنى زُهْرة إذا قتلت محمداً ؟ قال : فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبأت وتركت دينك الذى كنت عليه !! فقال أفلا أدلك على ما هو أعجب من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أختك وخَتَنُك [١] قد صَبَوا وتركا دينك الذى أنت عليه . قال : فمشى عمر ذامراً [٢] حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خبَّاب قال : فلما سمع خباب حِسَّ عمر توارى فى البيت ، فدخل عليهما فقال : ما هذه الهَيْنَمة [٣] التى سمعتها عندكم ؟ قال : وكانوا يقرؤون : « طه » ، فقالا : ما عدا حديثاً تحدَّثناه بيننا ، قال : فلعلكما قد صبوتما قال : فقال له خَتَنه : أرأيت يا عمر إن كان الحق فى غير دينك ؟ فوثب عمر على خَتَنه فوطأه وطأً شديداً ، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمَّى وجهها ، فقالت - وهى غضبَى - : يا عمر ، إن كان الحق فى غير دينك !! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فلما يئس عمر قال : أعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فأقرأة ، قال : - وكان عمر يقرأ الكتب - فقالت أخته : إنك رِجْس ولا يمسه إلاَّ المطهَّرون ، فقم فاغتسل أو توضأ ، قال : قام عمر فتوضأ ، ثم أخذ الكتاب فقرأ « طه » حتى انتهى إلى قوله : ﴿ **إِنَّنِى أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِى** ﴾ [٤] . قال : فقال عمر : دلُّونى على محمد . فلما سمع خبّاب قول عمر خرج من البيت فقال : أبشر يا عمر ، فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس : « اللَّهمَّ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام » (٥) . قال : « ورسول الله ﷺ فى الدار التى فى أصل الصفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار ، قال : وعلى باب الدار حمزة وطلحة رضى الله عنهما وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ . فلما رأى حمزة وَجَلَ القوم من عمر ، قال حمزة : نعم ، فهذا عمر ، فإن يرد الله بعمر خيراً يسلم ويتبع النبى ﷺ ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيِّناً . قال : ورسول الله ﷺ داخلٌ يُوحَى إليه . قال فخرج

---

(١) زوج أختك . (٢) غاضبا . (٣) الكلام الخفى الذى لا يفهم
(٤) سورة طه الآية : ١٤ . (٥) هو أبو جهل .

رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال : « أما أنت بمنتهٍ يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ؟ اللّهمّ هذا عمر بن الخطاب ، اللّهمّ أعزّ الدين بعمر بن الخطاب » . قال : فقال عمر : أشهد أنك رسول الله ﷺ ، فأسلم وقال : أخرج يا رسول الله . كذا فى العينى (٨ / ٦٨) . وذكره ابن إسحاق بهذا السياق مطوّلاً كما فى البداية (٣ / ٨١) .

وعند الطبرانى عن ثَوْبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللّهمّ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب » ، وقد ضرب أخته أول الليل وهى تقرأ : ﴿ **إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ** ﴾ حتى ظنّ أنه قتلها ، ثم قام فى السَحَر [١] فسمع صوتها تقرأ ﴿ **إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ** ﴾ فقال : والله ما هذا بشعر ولا همهمته [٢] . فذهب حتى أتى رسول الله ﷺ فوجد بلالاً على الباب فدفع الباب ؛ فقال بلال : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب . فقال حتى أستأذن لك على رسول الله ﷺ . فقال : بلال يا رسول الله ، عمر بالباب . فقال رسول الله ﷺ : « إن يرد الله بعمر خيراً يدخله فى الدين » ، فقال لبلال : افتح ، وأخذ رسول الله ﷺ بضَبُعَيه وهزّه ، وقال : « ما الذى تريد ؟ وما الذى جئت ؟ » فقال له عمر : اعرض علىّ الذى تدعو إليه . فقال : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله » . فأسلم عمر مكانه ، وقال : اخرج . قال الهيثمى (٩ / ٦٢) وفيه : يزيد بن ربيعة وهو متروك؛ وقال ابن عدى : أرجو أنه لا بأس به ، وبقية رجاله ثقات . انتهى .

وأخرج البزار عن أسْلَم مولى عمر رضى الله عنهما قال : قال عمر بن الخطاب : أتحبون أن أعلمكم أول إسلامى ؟ قال قلنا : نعم . قال : كنت أشدّ الناس على رسول الله ﷺ . فبينا أنا فى يوم شديد الحر فى بعض طرق مكة إذ رآنى رجل من قريش فقال : أين تذهب يا ابن الخطاب ؟ قلت : أريد هذا الرجل . قال : يا ابن الخطاب قد دخل هذا الأمر فى منزلك وأنت تقول هذا ؟! قلت : وماذاك ! فقال : إن أختك قد ذهبت إليه . قال : فرجعت مُغْضباً حتى قرعت عليها الباب ؛ وكان رسول الله ﷺ إذا أسلم بعض من لا شيء له ضم الرجل والرجلين إلى الرجل ينفق عليه ... قال : وكان ضم رجلين من أصحابه إلى زوج أختى . قال : فقرعت الباب . فقيل

---

(١) السحر : السدس الأخير من الليل .
(٢) الهمهمة : الكلام الخفى الذى لا يفهم .

لي: من هذا !! قلت : عمر بن الخطاب – وقد كانوا يقرأون كتاباً في أيديهم – فلما سمعوا صوتي قاموا حتى اختبأوا في مكان وتركوا الكتاب ، فلّما فتحت لي أختي الباب قلت : أيا عدوة نفسها صَبَوتِ ؟! قال : وأرفع شيئاً فأضرب به على رأسها ، فبكت المرأة ، وقالت : يا ابن الخطاب ، اصنع ما كنت صانعاً فقد أسلمت ، فذهبتُ، وجلست على السرير فإذا بصحيفة وسط الباب ، فقلت : ما هذه الصحيفة ها هنا ؟ فقالت لي : دعنا عنك يا ابن الخطاب ، فإنك لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهَّر ، وهذا لا يمسه إلا المطهّرون ؛ فما زلت بها حتى أعطتنيها ، فذكر الحديث بطوله في إسلام عمر رضي الله عنه وما وقع له بعده ، قال الهيثمي (٩ / ٦٤) : وفيه أُسامة بن زيد ابن أسلم وهو ضعيف – انتهى .

تحمل عثمان بن مظعون رضي الله عنه الشدائد

أخرج أبو نُعيم في الحلية (١ / ١٠٣) عن عثمان قال : لما رأى عثمان بن مظعون رضي الله عنه ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء – وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة – قال : والله إن غُدوِّي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابي وأهل ديني يلقَون من الأذى والبلاء ما لا يصيبني لنقصٌ كبير في نفسي !! فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس ، وفَتْ ذمتك ، قد رددت إليك جوارك ، قال : لم يا ابن أخي ، لعله آذاك أحد من قومي ؟ قال : لا ، ولكني أرضى بجوار الله عزّ وجلّ ، ولا أُريد أن أستجير بغيره ، قال : فانطلق إلى المسجد فاردد عليَّ جواري علانية كما أجرتك علانية ، قال : فانطلقا ثم خرجا حتى أتيا المسجد ، فقال لهم الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد عليَّ جواري ، قال لهم : قد صدق قد وجدته وفيّاً كريم الجوار ، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره .

ثم انصرف عثمان ولبيدُ بن ربيعة بن مالك بن كلاب القيسي في المجلس من قريش ينشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد – وهو ينشدهم :

ألاَ كلُّ شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان : صدقت ، فقال : وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

فقال عثمان : كذبت ، نعيم أهل الجنة لا يزول ، قال لبيد بن ربيعة ، يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسُكم ، فمتى حدث فيكم هذا ؟! فقال رجل من

القوم: إنَّ هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا ، فلا تجِدنَّ (١) في نفسك من قوله، فردَّ عليه عثمان حتى سَرِى - أى عظم - أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضَّرها (٢) ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما - والله - يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لَغنيةٌ ، لقد كنت في ذمة منيعة ، فقال عثمان : بلى - والله - إنّ عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله ، وإني لفي جوار من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس !! فقال عثمان بن مظعون رضي الله عنه فيما أُصيب من عينه :

فإنْ تَكُ عينيْ في رضى الربِّ نالها ... يدا مُلْحدٍ في الدين بمهتدِ
فقد عوض الرحمن منها ثوابه ... ومن يُرضه الرحمن يا قوم يسعدِ
فإني - وإنْ قلتم غَوِيٌّ مُضلَّلٌ ... سفيهٌ - على دين الرسول محمدِ
أريد بذاك الله والحقّ ديننا ... على رغم من يبغي علينا ويعتدي

وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه فيما أصيب من عين عثمان بن مظعون :

أمِنْ تذكُّر دَهْر غيرَ مأمون ... أصيب مكتئباً تبكي كمحزونِ
أمِنْ تذكُّر أقوام ذَوى سَفَهٍ ... يغشون بالظلم مَنْ يدعو إلى الدينِ
لاَ ينتهون عن الفحشاء ما سلموا ... والغدرُ فيهم سبيل غير مأمون
ألا تَرُون - أقلَّ الله خيرهم - ... أنّا غضبنا لعثمانَ بن مظعون
إذ يلطِمون - ولا يخشَون مُقْلَتَه ... طَعْناً دراكًا (٣) وضرباً غيرَ مأفون (٤)
فسوفَ يجزيهم إن لم يمت عجلاً ... كيلاً بكيل جزاءً غير مغبونِ

وذكر في البداية (٣ / ٩٣) : قصة ابن مظعون عن ابن إسحاق بلا إسناد ، وزاد : فقال له الوليد : هَلُمَّ - يا ابن أخي - إلى جوارك فَعُدْ ، قال : لا ، وأخرجه الطبراني عن عروة مرسلاً ، قال الهيثمي : وفيه : ابن لهيعة (٦ / ٣٤) .

---

(١) الوجد: الحزن والغضب .

(٢) خضرها : أى صيّرها مسودة فقد كانت العرب أحياناً تطلق الخضرة على السواد .

(٣) دراكاً يعني يتبع بعضه بعضاً .

(٤) أى غير ناقص .

تحمل مصعب بن عمير رضى الله عنه الشدائد

أخرج ابن سعد (٣ / ٨٢) عن محمد العيدَرى عن أبيه قال : كان مصعب ابن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وسبيباً (١) ، وكان أبواه يحبّانه ، وكانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقّه ، وكان أعطر أهل مكة ، يلبس الحضرمى (٢) من النعال . فكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول : « ما رأيت بمكة أحداً أحسنَ لِمّة (٣) ولا أرقَّ حُلّة ، ولا أنعمَ نعمة من مصعب بن عمير » فبلغه أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام فى دار أرقم بن أبى الأرقم فدخل عليه فأسلم وصدّق به ، وخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه ، فكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سراً ، فبصُر به عثمان بن طلحة يصلّى فأخبر أمه وقومه ، فأخذوه فحبسوه فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة فى الهجرة الأولى ، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا ، فرجع متغيّر الحال قد حرج - يعنى غَلُظَ - فكفّت أمه عنه من العذل .

تحمل عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه الشدائد

أخرج البيهقى وابن عساكر عن أبى رافع قال : وجّه عمر بن الخطاب رضى الله عنه جيشاً إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب النبى ﷺ ، فأسره الروم ، فذهبوا به إلى ملكهم ، فقالوا له : إنَّ هذا من أصحاب محمد . فقال له الطاغية : هل لك أن تَنصَّر وأشرِكَك فى ملكى وسلطانى ؟ فقال له عبد الله : لو أعطيتنى ما تملك وجميع ما ملكته العرب ، على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طَرْفة عين ما فعلت . قال : إذاً أقتلك . قال : أنت وذاك . فأمر به فصُلب ، وقال للرماة : ارموه قريباً من يديه ، قريباً من رجليه ، وهو يعرض عليه وهو يأبى . ثم أمر به فانزل ، ثم دعا بقدر فصُبَّ فيها ماء حتى احترقت ، ثم دعا بأسيرين من المسْلمين فأمر بأحدهما فألقى فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى ، ثم أمر به أن يُلقى فيها فلما ذُهب به بكى ، فقيل له : إنه قد بكى ، فظنَّ أنه جزع فقال : ردّوه فعرض عليه النصرانية ؛ فأبى . فقال : ما أبكاك إذاً ؟ قال : أبكانى أنى قلت فى نفسى تُلقى الساعةَ فى هذه القدر فتذهب ، فكنت أشتهى أن يكون بعدد كل شعرة فى جسدى نَفْس تُلقى فى الله . قال له الطاغية : هل لك أن تقبّل رأسى وأخلّى عنك ؟ قال له عبد الله : وعن جميع أُسارى المسلمين ؟ قال : وعن جميع أسارى المسلمين .

---

(١) أى غزير الشعر مع طول ونعومة . (٢) المصنوع فى حضرموت باليمن .
(٣) اللمة : شعر الرأس المتدلى إلى المنكبين .

قال عبد الله : فقلت في نفسي : عدوٌ من أعداء الله ، أقبّل رأسه يخلّي عنى وعن أسارى المسلمين لا أُبالى ، فدنا منه فقبّل رأسه ، فدفع إليه الأسارى ، فقدم بهم على عمر رضى الله عنه ، فأخبر عمر بخبره ؛ فقال عمر : حقٌ على كل مسلم أن يقبّل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ ، فقام عمر فقبّل رأسه ، كذا في كنز العمال (٧ / ٦٢) ، قال في الإصابة (٢ / ٢٩٧) : وأخرج ابن عساكر لهذه القصة شاهداً من حديث ابن عباس رضى الله عنهما موصولاً ، وآخر من فوائد هشام بن عثمان من مرسل الزهرى ، انتهى .

تحمل عامة أصحاب النبى ﷺ الشدائد

ما لقى الصحابة من الأذى من المشركين

أخرج ابن إسحاق عن حكيم عن سعيد بن جبير قال : قلت لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذَرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله ، إنْ كانوا ليضربون أحدهم ، ويُجيعونه، ويُعطِّشونه ، حتى ما يقدر أن يستوىَ جالساً من شدة الضُّرّ الذى به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة !! حتى يقولوا له : اللاّت والعزّى إلهان من دون الله ؟ فيقولَ : نعم ، (حتى إنَّ الجُعَل ليمر بهم ، فيقولون له : أهذا الجُعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم) افتداءً منهم بما يبلغون من جَهده . كذا في البداية (٣ / ٥٩) .

خبره عليه الصلاة والسلام وأصحابه فى المدينة بعد الهجرة

وأخرج ابن المنذر ، والطبرانى ، والحاكم ، وابن مَرْدويه ، والبيهقى فى الدلائل وسعيد بن منصور عن أبىّ بن كعب رضى الله عنه قال : لما قدم النبى ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ، فكانوا لا يبيتون إلاّ فى السلاح ولا يصبحون إلاّ فيه . فقالوا : تَرْون أنّا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله ؛ فنزلت : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِى الأَرْضِ** ﴾ [1] . كذا فى الكنز (١ / ٢٥٩) . ولفظ الطبرانى : عن أبّى بن كعب قال : لّما قدم النبى ﷺ وأصحابه المدينة ، وآوتهم الأنصار ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ؛ فنزلت : ﴿ **لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِى الأَرْضِ** ﴾ قال الهيثمى (٧ / ٨٣) : ورجاله ثقات .

---

(١) سورة النور الآية : ٥٥ .

غزوة ذات الرِّقاع وما لقيه عليه الصلاة والسلام وأصحابه من الأذى

وأخرج ابن عساكر ، وأبو يَعْلى عن أبى موسى رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نَعْتَقِبُه فَنقِبَت [١] أقدامنا (ونقبت قدماى) وسقطت أظفارى ، فكنّا نلفُّ على أرجلنا الخِرَق ، فسميت الغزوة « ذاتَ الرقاع » لما كنّا نعصب على أرجلنا من الخِرَق . كذا فى الكنز (٥ / ٣١٠) . وأخرجه أيضاً أبو نُعيم فى الحلية (١ / ٢٦٠) بنحوه : وزاد : قال أبو بُرْدة : فحدَّث أبو موسى بهذا الحديث ثم ذكر ذلك فقال : ما كنت أصنع أن أذكر هذا الحديث !! كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه . وقال : الله يجزى به .

تحمل الجوع فى الدعوة إلى الله ورسوله

تحمل النبى ﷺ الجوع

أخرج مسلم والترمذى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : ألستم فى طعام وشراب ما شئتم ؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدَّقَل [٢] ما يملأ بطنه !! وفى رواية لمسلم عن النعمان رضى الله عنه قال : ذكر عمر رضى الله عنه ما أصاب الناسُ من الدنيا ، فقال : لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدَّقَل ما يملأ بطنه - كذا فى الترغيب (٥ / ١٥٤) . وأخرجه أيضاً الإمام أحمد ، والطيالسى ، وابن سعد ، وابن ماجه ، وأبو عَوانة وغيرُهم كما فى الكنز (٤ / ٤٠).

وأخرج أبو نُعيم فى الحلية ، والخطيب ، وابن عساكر ، وابن النجّار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : دخلت على النبى ﷺ وهو يصلّى جالساً . فقلت يا رسول الله ، أراك تصلّى جالساً فما أصابك ؟ قال : « الجوع ، يا أبا هريرة ! » فبكيت . فقال : « لا تبك يا أبا هريرة ، فإنَّ شدة الحساب يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب فى دار الدنيا » كذا فى الكنز (٤ / ٤١) .وأخرج أحمد - ورواته رواةُ الصحيح - عن عائشة رضى الله عنها قالت : أرسل إلينا آل أبى بكر بقائمة شاة ليلاً ، فأمسكتُ وقطع النبى ﷺ - أو قالت : فأمسك رسول الله ﷺ وقطعتُ - قال : فتقول للذى تحدثه : هذا على غير مصباح . وأخرجه الطبرانى أيضاً - وزاد : فقلت : يا أمَّ المؤمنين ، على مصباح ؟ قالت : لو كان عندنا دهن غير مصباح لأكلناه - كذا فى الترغيب (٥ / ١٥٥) . وأخرج أيضاً ابن جرير كما فى الكنز (٤ / ٣٨) . وعند أبى يَعْلى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن كان ليَمرّ بآل رسول الله ﷺ

---

(٢) نقبت : جرحت وتشققت .   (٣) الدقل : أردأ أنواع التمر .

الأهِلَّة ما يُسرج في بيت أحد منهم سراج ولا يوقد فيه نار، إن وجدوا زيتاً ادَّهنوا به ، وإنْ وجـدوا وَدَكا [1] أكلوه . كذا في الترغيب (٥ / ١٥٤) . قال الهيثمي (١٠ / ٣٢٥) : رواه أبو يَعْلى ، وفيه : عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف ، وقد وثَّقه دحيم ، وبقية رجاله ثقات .

وعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان يمر بآل رسول الله ﷺ هلال ثم هلال لا يوقد في بيوتهم شيء من النار ، لا لخبز ولا لطبيخ . قالوا : بأيِّ شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : الأسودان : التمر والماء . وكان لهم جيران من الأنصار – جزاهم الله خيراً – لهم منائح [2] ، ويرسلون إليهم شيئاً من لبن قال الهيثمي (١٠ / ٢١٥) : إسناده حسن . ورواه البزار كذلك . انتهى .

وأخرج الشيخان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول : والله يا ابن أختي ، إنْ كنَّا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلَّة في شهرين وما أُوقدَ في أبيات رسول الله ﷺ نار . قلت : يا خالة ، فما كان يُعيِّشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلاَّ أنّه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح ، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه . كذا في الترغيب (٥ / ١٥٥) . وأخرجه أيضاً ابن جرير نحوه ، وأخرجه أحمد بإسناد حسن ، والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه كما في المجمع (١٠ / ٣١٥) .

وأخرج ابن جرير أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : إنْ كنَّا لنمكث أربعين لا نوقد في بيت رسول الله ﷺ ناراً ولا غيره . قلت : بأي شيء كنتم تعيشون ؟ قالت : بالأسودين : بالتمر والماء إذا وجدنا . كذا في الكنز (٤ / ٣٨) . وأخرج الترمذي عن مسروق قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها ، فدعت لي بطعام فقالت : ما أشبع فأشاء أن أبكي إلا بكيت . قلت : لم ؟ قالت : أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله ﷺ الدنيا ، والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم !! كذا في الترغيب (٥ / ١٤٨) . وعند ابن جرير عنها قالت : ما شبع رسول الله ﷺ من خبز بُرٍّ ثلاثة أيام تباعاً منذ قدم المدينة حتى مضى لسبيله . وعنده أيضاً عنها قالت : ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ . وعنده أيضاً عنها قالت : قُبض رسول الله ﷺ وما شبع من الأسودين – التمر والماء – كما

---

(١) الودك : شحم اللحم ودهنه .

(٢) المنائح جمع منيحة وهي الشاة أو البقرة أو الناقة تبعث بها لمن يحب ليحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليك وقد تحلبها له فتبعث بلبنها إليه .

في الكنز (٤ / ٣٨) . وفي رواية للبيهقي قالت : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا شبعنا ، ولكنه كان يؤثر على نفسه . كذا في الترغيب (٥ / ١٤٩) .

ما أصابه عليه الصلاة والسلام من شدّة العيش

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن رضي الله عنه مرسلاً قال : كان رسول الله ﷺ يواسي الناس بنفسه حتى جعل يرقّع إزاره بالأَدَم وما جمع بين غداء وعشاء ثلاثة أيام ولاءً حتى لحق بالله عزّ وجلّ .

وعند البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : لم يأكل النبي ﷺ على خُوان[١] ولم يأكل خبزاً مرقّقاً حتى مات . وفي رواية : ولا رأى شاة سميطاً [٢] بعينه قط . كذا في الترغيب (٥ / ١٥٣) .

وأخرج الترمذي – وصحّحه – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاوِين [٣] لا يجدون عشاء ، وإنّما كان أكثر خبزهم الشعير . وعنده أيضاً والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه مرّ بقوم بين أيديهم شاة مصليّة [٤] ، فدعَوه فأبى أن يأكل ، وقال : خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير . كذا في الترغيب (٥ / ١٤٨ ، ١٥١) .

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : إنّ فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي ﷺ كسرة من خبز الشعير ، فقال لها : « هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام » . وأخرجه الطّبراني ، وزاد فقال : « ما هذه ؟ » فقالت : قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكِسرة . فقال : فذكره قال الهيثمي (١٠ / ٣١٢) – بعد ما ذكره عن أحمد والطبراني – : ورجالهم ثقات . وعند ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقي بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتي رسول الله ﷺ بطعام سُخْن فأكل . فلما فرغ قال : « الحمد لله ؛ ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا » . كذا في الترغيب (٥ / ١٤٩) .

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : ما رأى رسول الله ﷺ النقيّ [٥] من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله . فقيل : هل كان لكم في عهد رسول

---

(١) الخوان شيء مرتفع عن الأرض يأكل عليه الناس .

(٢) أي ما رأى شاة مشوية كاملة في بيته وهذا لا يمنع من أن يكون قد جاءته شاة سميطة فأمر بتقسيمها على جيرانه وأصحابه قبل أن يضع يده فيها أو يراها بعينه .

(٣) طاوين : جائعين . (٤) مشوية .

(٥) الخبز الجيد المستدير الذي نخل دقيقه مرة بعد مرة .

الله ﷺ مُنخُل ؟ قال : ما رأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله ، فقيل : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال : كنا نطحنه وننفخه فيطر ما طار وما بقى ثرَّيْنَاه [١] . كذا فى الترغيب (٥ / ١٥٣) . وأخرج الطبرانى بإسناد حسن عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان يبقى على مائدة رسول الله ﷺ من خبز الشعير قليل ولا كثير . وفى رواية له : ما رفعت مائدة رسول الله ﷺ من بين يدى رسول الله ﷺ وعليها فضْلة من طعام قط ، كذا فى الترغيب (٥ / ١٥١) . قال الهيثم (١٠ / ٣١٣) : وروى البزَّار بعضه .

وضعه عليه الصلاة والسلام والصحابة الحجر على بطونهم من الجوع

وأخرج الترمذى عن أبى طلحة رضى الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ، ورفعنا ثيابنا عن حَجَر على بطوننا ؛ فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين ، كذا فى الترغيب (٥ / ١٥٦) . وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن بُجير رضى الله عنه وكان من أصحاب النبى ﷺ - قال : أصاب النبى ﷺ جوع يوماً ، فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال : « ألا ربَّ نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعةٌ عاريةٌ يوم القيامة . ألا ربَّ مُكْرِم لنفسه وهو لها مهين . ألا ربَّ مُهين لنفسه وهو لها مكرم » . كذا فى الترغيب (٣ / ٤٢٢) . وأخرجه أيضاً الخطيب ، وابن منده كما فى الإصابة (٢ / ٤٨٦) .

قول عائشة رضى الله عنها فى الشبع

وأخرج البخارى فى كتاب الضعفاء وابن أبى الدنيا فى كتاب الجوع عن عائشة رضى الله عنها قالت : أول بلاء حدث فى هذه الأمة بعد نبيها الشِّبع ، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم ، فضَعُفت قلوبهم ، وجمحت شهواتهم ، كذا فى الترغيب (٣ / ٤٢٠) .

جوعه ﷺ وجوع أهل بيته وأبى بكر وعمر رضى الله عنهم

جوعه عليه السلام وأبى بكر وعمر وخبرهم مع أبى أيوب

أخرج الطبرانى ، وابن حبان فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج أبو بكر رضى الله عنه بالهاجرة [٢] إلى المسجد ، فسمع عمر رضى الله عنه فقال : يا أبا بكر ، ما أخرجك هذه الساعة ؟ قال : ما أخرجنى إلاَّ ما أجد من حاقِّ [٣] الجوع . قال : وأنا - والله - ما أخرجنى غيره . فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما

---

(١) بللناه بالماء .   (٢) الهاجرة : وقت اشتداد الحر بعد الظهيرة .

(٣) حاقّ الجوع : بتشديد القاف شدته .

رسول الله ﷺ فقال : « ما أخرجكما هذه الساعة » ؟ قالا : والله ما أخرجنا إلا ما نجده فى بطوننا من حاقّ الجوع قال : « وأنا – والذى نفسى بيده – ما أخرجنى غيره ! فقوما » ، فانطلقوا فأتَوا باب أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه ، وكان أبو أيوب يدّخر لرسول الله ﷺ طعاماً كان أو لبناً ، فأبطأ عليه يومئذ فلم يأت لحينه ، فأطعمه لأهله ، وانطلق إلى نخله يعمل فيه .

فلما انتهوا إلى الباب خرجت امرأته فقالت : مرحباً بنبى الله وبمن معه . قال لها نبى الله ﷺ : « أين أبو أيوب ؟ » فسمعه – وهو يعمل فى نخل له – فجاء يشتد فقال : مرحباً بنبى الله وبمن معه . يا نبى الله ، ليس بالحين الذى كنت تجىء فيه ؟! فقال ﷺ : « صدقت » . قال : فانطلق فقطع عذْقاً من النخل فيه كلٌ من التمر والرُّطَب والبُسْر [1] فقال ﷺ : « ما أردت إلى هذه ، ألاَ جَنَيت لنا من تمره ؟ » قال : يا رسول الله أحببت أن تأكل من تمره ورُطَبه وبُسْره ، ولأذبحنّ لك مع هـذا . قال : « إن ذبحتَ فلا تذبحنَّ ذاتَ دَرّ » فأخذ عَناقاً [2] أو جدياً فذبحه ، وقال لامرأته : اخبِزى واعجنى لنا وأنت أعلم بالخبز . فأخذ نصف الجدى فطبخه وشوَى نصفه . فلما أدرك الطعام [3] ووُضع بين يدى النبى ﷺ وأصحابه ؛ أخذ من الجدْى فجعله فى رغيف وقال : يا أبا أيوب : أبلغ بهذا فاطمة فإنها لم تُصب مثل هذا منذ أيام » . فذهب أبو أيوب إلى فاطمة . فلما أكلوا وشبعوا قال النبى ﷺ « خبز ، ولحم ، وتمر ، وبُسْر ، ورُطب ، – ودمعت عيناه – ، والذى نفسى بيده إنَّ هذا هو النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة » .

فكَبُر ذلك على أصحابه فقال : « بل إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا بسم الله ، فإذا شبعتم فقولوا : الحمـد لله الذى هو أشبعنا وأنعم علينا فأفضل ؛ فإن هذا كفاف [4] بهذا » فلما نهض قال لأبى أيوب : « ائتنا غداً » وكان لا يأتى أحد إليه معروفاً إلاَّ أحبَّ أن يجازيه . قال : وإن أبا أيوب لم يسمع ذلك ؛ فقال عمر رضى الله عنه : إن النبى ﷺ يأمرك أن تأتيه غداً . فأتاه من الغد فأعطاه وليدته ؛

---

(١) البسر : ردىء التمر . (٢) الأنثى من الماعز لم تبلغ سنة .

(٣) أدرك الطعام : نضج .

(٤) المعنى انكم إذا حمدتم الله على النعمة واثنيتم عليه بما هو اهله لا يسالكم ربكم عن هذا النعيم لانكم اديتم شكره لكن يشترط ان يقول المسلم ذلك الدعاء بلسانه وقلبه ويجعل للفقراء نصيباً مما انعم الله به عليه فالشكر إنما يكون بالقول والعمل كما دلت عليه النصوص الشرعية .

فقال : « يا أبا أيوب استوصِ بها خيراً فإنَّا لم نَرَ إلا خيراً ما دامت عندنا » . فلما جاء أبو أيوب من عند رسول الله ﷺ قال : لا أجد لوصية رسول الله ﷺ خيراً له من أن أعتقها فأعتقها ، كذا في الترغيب (٣ / ٤٣١) .

وأخرجه البزار ، وأبو يعلى ، والعُقَيْلى ، وابن مردَوَيه ، والبيهقى فى الدلائل ، وسعيد بن منصور عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة فوجد أبا بكر رضى الله عنه فى المسجد فقال : « ما أخرجك فى هذه الساعة ؟ » فقال : أخرجنى الذى أخرجك يا رسول الله ، وجاء عمر بن الخطاب فقال : « ما أخرجك يا ابن الخطاب ؟ » قال : أخرجنى الذى أخرجكما ، فقعد عمر ، وأقبل رسول الله ﷺ يحدِّثهما ، ثم قال : « هل بكما قوة تنطلقان إلى النَّخْل فتصيبان طعاماً وشراباً وظلاً ؟ » قال : « سيروا بنا إلى منزل أبى الهيثم بن التَّيِّهان الأنصارى فذكر الحديث بطوله كما فى كنز العمال (٤ / ٤٠) . وأخرجه مسلم مختصراً ولم يُسمِّ الرجل الأنصارى ؛ وهكذا رواه مالك بلاغاً [1] باختصار . قال الحافظ المنذرى : (٥ / ١٦٧) : والظاهر أن هذه القصة اتفقت مرة مع أبى الهيثم ومرة مع أبى أيوب أ . هـ .

جوع على وفاطمة رضى الله عنهما

وأخرج الطبرانى - بإسناد حسن - عن فاطمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ أتاها يوماً ، فقال : « أين ابناى ؟! » يعنى حسناً وحسيناً - قالت : أصبحنا وليس فى بيتنا شىء يذوقه ذائق ، فقال علىّ : أذهبُ بهما فإنى أتخوَّف أن يبكيا عليك وليس عندك شىء ، فذهب إلى فلان اليهودى ، فتوجه إليه النبى ﷺ فوجدهما يلعبان فى شَرَبة [2] ، وبين أيديهما فضل من تمر ، فقال : « يا على ، ألا تُقْلب [3] ابنَىّ قبل أن يشتد الحر ؟ » قال : أصبحنا وليس فى بيتنا شىء ، فلو جلست يا رسول الله حتى أجمعَ لفاطمة فَضْلَ تمرات ، فجلس رسول الله ﷺ حتى اجتمع لفاطمة فَضْل من تمر ، فجعله فى خِرْقة ثم أقبل ، فحمل النبى ﷺ أحدهما وعلى الآخر حتى أقلباهما ، كذا فى الترغيب (٥ / ١٧١) . وقال الهيثمى (١٠ / ٣١٦) : إسناده حسن .

وأخرج هَنَّاد عن عطاء رضى الله عنه قال : نُبِّئت أن علياً رضى الله عنه قال :

---

(١) أى من غير ذكر السند وبلاغات مالك كلها صحيحة إن شاء الله تعالى .

(٢) شرَبة : بفتح الراء حوض يكون فى أصل النخلة وحولها يملأ ماء لتشربه .

(٣) تقلب : ترجع .

مكثنا أياماً ليس عندنا شيء ولا عند النبي ﷺ ، فخرجت فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق ، فمكثت هنيهة أوامر نفسي في أخذه أو تركه ، ثم أخذته لما بنا من الجَهْد ، فأتيت به الضَفاطين (١) فاشتريت به دقيقاً ، ثم أتيت به فاطمة فقلت : اعجني واْخبُزي ، فجعلت تعجن – وإن قُصَّتها لتضرب حرف الجَفنة من الجَهْد الذي بها – ثم خبزت ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فقال : « كلوه فإنه رزق رزقكموه الله عزّ وجلّ » ، وأخرجه العدني عن محمد بن كعب القرظي مطولاً ، كذا في الكنز (٧ / ٣٢٨) ، وأخرجه أبو داود (١ / ٢٤٠) ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه مطوّلاً .

وأخرج أحمد عن محمد بن كعب القرظي أن علياً رضي الله عنه قال : لقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإن صدقة مالي لتبلغ أربعين ألف دينار – وفي رواية : وإن صدقتي اليوم لأربعون ألفاً – ورجال الروايتين رجال الصحيح غير شَريك بن عبد الله النَخَعي وهو حسن الحديث ، ولكن اختلف في سماع محمد بن كعب من علي رضي الله عنه . كذا في مجمع الزوائد للهيثمي (٩ / ١٢٣) .

أمره عليه الصلاة والسلام أمَّ سليم بالصبر على الجوع

وأخرج الطبراني عن أم سُلَيم رضي الله عنها : قال لها رسول الله ﷺ : « اصبري – فوالله – ما في آل محمد شيء منذ سبع ، ولا أوقد تحت بُرْمة لهم منذ ثلاثة . والله ، لو سألتُ الله يجعل جبال تِهامة كلّها ذهباً لفعل » . كذا في الكنز (٤ / ٤٢) .

جوع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١ / ٩٣) عن سعد رضي الله عنه قال : كنا قوماً يُصيبنا ظَلَف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته ؛ فلما أصابنا البلاء اعترفنا (٢) لذلك ومَرَنَّا عليه وصبرنا له ، ولقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول ، وإذا أنا أسمع بقعقعة شيء تحت بَوْلي ، فإذا قطعة جلد بعير ، فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين ، ثم استففتها وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثاً .

سعد أول من رمى بسهم في سبيل الله

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : إنّي لأول العرب

---

(١) التجار . (٢) خَضعنا له ورضينا به .

رمى بسهم فى سبيل الله . ولقد كنّا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحُبْلة[1] وهذا السَّمر ، حتى إن كان أحدنا ليضع [2] كما تضع الشاة ماله خلط كذا فى الترغيب (٥ / ١٧٩) . وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (١ / ١٨) ، وابن سعد (٣ / ٩٩) بنحوه .

جوع المقداد بن الأسود وصاحبيه رضى الله عنهم

أخرج أبو نعيم فى الحلية (١ / ١٧٣) . عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه قال : جئت أنا وصاحبان لى قد كادت تذهب أسماعنا وأبصارنا من الجَهْد ، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ فما يقبلنا أحد ، حتى انطلق بنا رسول الله ﷺ إلى رَحْله - ولآل محمد ثلاث أعنُز يحتلبونها - فكان النبى ﷺ يوزع اللبن بيننا ، وكنا نرفع لرسول الله ﷺ نصيبه . فيجىء فيسلم تسليماً يُسمع اليقظان ولا يوقظ النائم . فقال لى الشيطان : لو شربت هذه الجُرعة ، فإنَّ النبى ﷺ يأتى الأنصار فيتحفونه ، فما زال بى حتى شربتها . فلما شربتها ندّمنى وقال : ما صنعت ؟ يجىء محمد ﷺ فلا يجد شرابه فيدعو عليك فتهلك . وأما صاحباى فشربا شرابهما وناما، وأما أنا فلم يأخذنى النوم وعلىّ شَمْلة لى إذا وضعتها على رأسى بدت منها قدماى ، وإذا وضعتها على قدمى بدا رأسى . وجاء النبى ﷺ كما كان يجىء فصلّى ما شاء الله أن يصلّى ، ثم نظر إلى شرابه فلم ير شيئاً فرفع يده ، فقلت : يدعو علىّ الآن فأهلك . فقال رسول الله ﷺ : « اللّهمّ أطعم من أطعمني ، واسقِ من سقاني » . فأخذتَ الشفرة وأخذت الشَّمْلة وانطلقت إلى الأعنُز أجسّهن أيتهن أسمن كى أذبحه لرسول الله ﷺ . فإذا حُفَّل [3] كلّهن ، أخذت إناء لآل محمد ﷺ ، كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه ، فحلبته حتى عَلَتْه الرَّغْوة . ثم أتيت رسول الله ﷺ فشرب، ثم ناولني فشربت ، ثم ناولته فشرب ، ثم ناولني فشربت ، ثم ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض. فقال لى : « إحدى سوءاتك يا مقداد » فأنشأت أحدّثه بما صنعت . فقال رسول الله ﷺ : « ما كانت إلا رحمة من الله عزّ وجلّ ، لو كنتَ أيقظت صاحبيك فأصابا منها » . قلت : والذى بعثك بالحق ، ما أبالى إذا أصبتَها أنت وأصبتُ فضلتك من أخطأتْ من الناس . وأخرج أيضاً من طريق طارق عن المقداد رضى الله عنه قال : لما نزلنا المدينة عشّرنا رسول الله ﷺ عشرة عشرة - يعنى فى كل بيت - قال : فكنت فى العشرة الذين كان النبى ﷺ فيهم . قال : ولم يكن لنا إلا شاة نتجزّأ لبنها . كذا فى الحلية (١ / ١٧٤) .

---

(١) الحبلة : نوع من الشجر يخرج فى البادية أو هو شجر العضاة .

(٢) المعنى أنه كان يخرج الغائط يابسا جافا .

(٣) ممتلئات الضروع .

جوع أبى هريرة رضى الله عنه

أخرج أحمد عن مجاهد أن أبا هريرة رضى الله عنه كان يقول : والله إنْ كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدُّ الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه ، فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عزّ وجلّ ما سألته إلا ليستتبعنى فلم يفعل ، فمر عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعنى فلم يفعل ، فمر أبو القاسم ﷺ فعرف ما فى وجهى وما فى نفسى ، فقال : « أبا هريرة » قلت له : لبيك يا رســـول الله ، فقال : « الحقْ » ، واستأذنت فأذن لى ؛ فوجدت لبناً فى قَدَح ، قال : « من أين لكم هذا اللبن؟ » فقالوا : أهداه لنا فلان – أو آل فلان – قال : « أبا هرّ » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « انطلق إلى أهل الصُّفَّة فادعُهم لى » قال : وأهل الصفة أضيافُ الإســـلام ، لم يأووا إلى أهل ولا مال ، إذا جاءت رسول الله ﷺ هديةٌ أصاب منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقةُ أرسل بها إليهم ولم يصب منها – قال : وأحزننى ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى به بقية يومى وليلتى ، وقلت : أنا الرسول ، فإذا جاء القوم كنت أنا الذى أعطيهم ؛ وقلت : ما يبقى لى من هذا اللبن ؟! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بدّ ، فانطلقت فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا ، فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت ، ثم قال : « أباهر ، خُذْ فأعطهم » فأخذت القَدح فجعلت أعطيهم ، فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح ، حتى أتيت على آخرهم ، ودفعتُ إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ القدح فوضعه فى يده وبقى فيه فضلة ثم رفع رأسه ونظر إلىّ وتبسم وقال : « أبا هّر » قلت : لبيك رسول الله ﷺ ، قال : « بقيت أنا وأنت » فقلت : صدقت يا رسول الله ، قال : « فاقعد فاشرب » قال : فقعدت فشربت ، ثم قال لى : « اشرب » ، فشربت ؛ فما زال يقول لى : « اشرب » ، فأشرب حتى قلت : لا والذى بعثك بالحق ، ما أجد له فىّ مسلكاً !! قال : « ناولنى القدح » ، فرددت إليه القدح فشرب من الفَضْلة ، وأخرجه أيضاً البخارى ؛ والترمذى وقال : صحيح كذا فى البداية (٦ / ١٠١) . وأخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

وأخرج ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتت علىَّ ثلاثة أيام لم أطعَم ، فجئت أريد الصّفّة فجعلت أسقط . فجعل الصبيان يقولون : جُنّ أبو هريرة . قال : فجعلت أناديهم وأقول : بل أنتم المجانين ، حتى انتهينا إلى الصّفّة . فوافقت رسول الله ﷺ أُتى بقصعتين من ثريد . فدعا عليها أهل الصفة

وهم يأكلون منها ، فجعلت أتطاول كي يدعوني ، حتى قام القوم وليس في القصعة إلا شيء في نواحي القصعة . فجمعه رسول الله ﷺ فصارت لقمة ، فوضعه على أصابعه فقال لي : « كُلْ ، بسم الله » ، فوالذي نفسي بيده ، ما زلت آكل منها حتى شبعت كذا في الترغيب (٥ / ١٧٦) .

وأخرج البخاري والترمذي عن ابن سيرين قال : كنا عند أبي هريرة رضي الله عنه وعليه ثوبان مُمَشَّقان من كتَّان . فمخط في أحدهما ثم قال : بَخٍ ، بَخٍ !! يتمخط أبو هريرة في الكتّان ، لقد رأيتُني وإني لأخرّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ وحجرة عائشة مغشياً عليَّ ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي يرى أن بي الجنون وما هو إلا الجوع . كذا في الترغيب (٣ / ٣٩٧) . وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في الحلية (١ / ٣٧٨) ، وعبد الرزاق بنحوه ؛ وابن سعد (٤ / ٥٣) نحوه ، وزاد : ولقد رأيتُني وإني لأجيرٌ لابن عفان وابنة غزوان بطعام بطني وعُقبة رِجلي ، أسوق بهم إذا ركبوا وأخدمهم إذا نزلوا . فقالت لي يوماً : لَتَرِدَنّه حافياً ولتركبّنه قائماً . قال فزوَّجنيها الله بعد ذلك . فقلت لها : لتردَنّه حافية ولتركبنَّه قائمة — وفي رواية لابن سعد قبلها : عن سليم بن حَيَّان قال : سمعت أبي يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : نشأت يتيماً ، وهاجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً لبُسْرة بنت غزوان بطعام بطني وعُقْبة رجلي ، فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدُوا إذا ركبوا ، فزوّجنيها الله ؛ فالحمد لله الذي جعل الدين قِواماً وجعل أبا هريرة إماماً .

وأخرج أحمد — ورواته رواة الصحيح — عن عبد الله بن شقيق قال : أقمت مع أبي هريرة رضي الله عنه بالمدينة سنة . فقال لي ذات يوم — ونحن عند حجرة عائشة رضي الله عنها : لقد رأيتُنا ومالنا ثياب إلا الأبرادُ الخشنة ، وإنه ليأتي على أحدنا الأيام ما يجد طعاماً يقيم به صلبه ، حتى إنْ كان أحدنا ليأخذ الحجر فيشدّ به على أخمص بطنه ، ثم يشدّه بثوبه ليقيم صلبه . كذا في الترغيب (٥ / ١٧٧) . وقال الهيثمي (١٠ / ٣٢١) : رجاله رجال الصحيح ، وعند أحمد أيضاً عنه قال: إنما كان طعامنا مع نبي الله ﷺ التمر والماء . والله ما كنا نرى سمراءكم [1] هذه ، ولا ندري ما هي ؟ وإنما كان لباسنا مع رسول الله ﷺ النِّمار يعني بُرْد الأعراب . قال الهيثمي (١٠ / ٣٢١) : رجاله رجال الصحيح . ورواه البزار باختصار . انتهى .

جوع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

أخرج الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : كنت مرة في

---

(١) السمراء : الحنطة وهي القمح .

أرض أقطعها النبى ﷺ لأبى سَلَمة والزبير فى أرض بنى النضير ، فخرج الزبير مع رسول الله ﷺ ولنا جار من اليهود ، فذبح شاة فطُبخت ، فوجدت ريحها فدخلنى ما لم يدخلنى من شىء قط ، وأنا حامل بابنتى خديجة فلم أصبر ، فانطلقت فدخلت على امرأة اليهودى أقتبس منها ناراً لعلها تطعمنى ، وما بى من حاجة إلى النار ، فلما شممتُ الريح وأريته ازددت شرهاً فأطفأته ، ثم جئت ثانياً أقتبس ؛ ثم ثالثة ؛ ثم أبكىَ وأدعو الله ، فجاء زوج اليهودية فقال : أدخل عليكم أحد قالت : العربية تقتبس ناراً ، قال : فلا آكل منها أبداً أو ترسلى إليها منها ، فأرسل إلىَّ بقَدحة - يغن غَرْفة - فلم يكن شىء فى الأرض أعجب إلىَّ من تلك الأُكلة ، كذا فى الإصابة (٤ / ٢٨٤) ، قال الهيثمى (٨ / ١٦٦) وفيه : ابن لهيعة ، وحديثه حسن ؛ وبقية رجاله رجال الصحيح - انتهى .

جوع عامة أصحاب النبى ﷺ رضى الله عنهم

ما أصاب الصحابة من الجوع والقرّ ليلة الخندق

أخرج أبو نُعيم عن أبى جهاد رضى الله عنه - وكان من أصحاب النبى ﷺ فقال له ابنه : يا أبتاه ، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه !! والله ، لو رأيته لفعلت وفعلت فقال له أبوه : اتَّقِ الله وسدِّد ، فوالذى نفسى بيده ، لقد رأيتُنا معه ليلة الخندق وهو يقول : « من يذهب فيأتِينا بخبرهم - جعله الله رفيقى يوم القيامة - ؟ » فما قام من الناس أحد من صميم (١) ما بهم من الجوع والقر (٢) ، حتى نادى فى الثالثة : يا حذيفة ، وأخرجه الدَّوْلابى من هذا الوجه ، كذا فى الإصابة (٤ / ٣٥) . وسيأتى حديث حذيفة رضى الله عنه بطوله فى تحمُّل القرّ بمعناه .

وأخرج البزار - بإسناد جيد - عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : نظر رسول الله ﷺ إلى الجوع فى وجوه أصحابه فقال : « أبشروا فإنه سيأتى عليكم زمان يُغدَى على أحدكم بالقصعة من الثريد ويُراح عليه بمثلها » ، قالوا : يا رسول الله ، نحن يومئذ خير ، قال : « بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ » كذا فى الترغيب (٣ / ٤٢٢) .

وأخرج ابن أبى الدنيا - بإسناد جيد - عن محمد بن سيرين رضى الله عنه قال إن كان الرجل من أصحاب النبى ﷺ يأتى عليه ثلاثة أيام لا يجد شيئاً يأكله ، فيأخذ الجلدة فيشويها فيأكلها ، فإذا لم يجد شيئاً أخذ حجراً فشدَّ صُلبه ، كذا فى الترغيب (٥ / ١٧٩) .

---

(١) أى من شدة ما بهم .

(٢) القر : بالضم البرد .

وقوع بعض الصحابة من قيامهم فى الصلاة من الجوع والضعف

وأخرج الترمذى – وصححه – وابن حبّان فى صحيحه عن فَضالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذ اصلّى بالناس يخرُّ رجال من قامتهم فى الصلاة من الخَصَاصة (١) – وهم أصحاب الصُّفّة – حتى يقول الأعراب : هؤلاء مجانين . أو مجانون – فإذا صلّى رسول الله ﷺ انصرف إليهم ، فقال : « لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة » كذا فى الترغيب (٥ / ١٧٦) . وأخرجه أبو نُعيم فى الحلية (١ / ٣٣٩) مختصراً .

أكل الصحابة الورق فى سبيل الله وبعض قصصهم فى تحمل الجوع

وأخرج الطبراني عن أنس رضى الله عنه قال : إنْ كان السبعة من أصحاب رسول الله ﷺ ليَمصّون التمرة الواحدة ، وأكلوا الخَبَط (٢) حتى ورمت أشداقهم . قال الهيثمى (١٠ / ٣٢٢) : وفيه خُلَيد بن دعلج وهو ضعيف أ . هـ .

وأخرج ابن ماجه -- بإسناد صحيح -- عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه أصابهم جوع وهم سبعة ، قال : فأعطانى النبى ﷺ سبع تمرات ، لكل إنسان تمرة . كذا فى الترغيب (١ / ١٧٨) .

وعند ابن سعد (٤ / ٣٢٩) عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : خرجت يوماً من بيتى إلى المسجد لم يخرجنى إلا الجوع ، فوجدت نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا هريرة ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقلت : ما أخرجنى إلا الجوع . فقالوا : نحن -- والله -- ما أخرجنا إلا الجوع . فقمنا فدخلنا على رسول الله ﷺ . فقال : « ما جاء بكم هذه الساعة ؟ » فقلنا : يا رسول الله ، جاء بنا الجوع !! قال : فدعا رسول الله ﷺ بطبق فيه تمر فأعطى كل رجل منا تمرتين ، فقال : « كلوا هاتين التمرتين واشربوا عليهما من الماء ، فإنهما ستجزيانكم يومكم هذا » قال أبو هريرة : فأكلت تمرة وجعلت تمرة فى حُجْزتى (٣) ، فقال رسول الله ﷺ « يا أبا هريرة ، لمَ رفعت هذه التمرة ؟ » فقلت : رفعتها لأمى . فقال : « كُلْها ، فإنا سنعطيك لها تمرتين » ؛ فأعطانى لها تمرتين .

وأخرج البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق لهم . فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال :

اللّهمَّ إنّ العَيْش عيش الآخرهْ فاغفر الأنصار والمهاجره

فقالوا – مجيبين له - :

نحن الذين بايعــوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

---

(١) الخصاصة : الجوع والضعف . (٢) الورق الساقط المر . (٣) أى معقد إزارى .

وعنده أيضاً عن أنس رضى الله عنه قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم [1] ، ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمداً　　على الإسلام ما بقينا أبداً

قال : يقول النبى ﷺ - مجيباً لهم - :

اللهمَّ إنّه لا خيرَ إلاّ خيرَ الآخره　　فبارك فى الأنصار والمهاجره

قال : يؤتون بملء كفّي من الشعير ، فيُصنع لهم بإهالة سَنِخَة [2] توضع بين يدى القوم ، والقوم جياع وهى بشعة فى الحلق ولها ريح منتن . كذا فى البداية (٤ / ٩٥) .

وأخرج البخارى أيضاً عن جابر رضى الله عنه قال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدْية [3] شديدة ، فجاؤوا النبى ﷺ فقالوا : هذه كُدْية عرضت فى الخندق فقال : « أنا نازل » ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوقُ ذواقاً ، فذكر الحديث بطوله . كذا فى البداية (٤ / ٩٧) وعند الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : احتفر رسول الله ﷺ الخندق وأصحابه قد شدُّوا الحجارة على بطونهم - من الجوع ، فذكر الحديث . كذا فى البداية (٤ / ١٠٠) وسنذكرهما فى « باب كيف أُيِّدت الصحابة بالتأييدات الغيبية » وحديث جابر رضى الله عنه أخرجه ابن أبى شيبة . وقال فى آخره : وأخبرنى أنهم كانوا ثمان مائة . كذا فى البداية (٤ / ٩٨) .

وأخرج أبو نُعيم فى الحلية (١ / ١٧٩) عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه رضى الله عنه قال : إنْ كان رسول الله ﷺ ليبعثنا فى السرية ما لنا زاد إلا السَّلْف يعنى الجراب من التمر - فيقسمه صاحبه بيننا قبضة قبضة حتى يصير إلى تمرة ، قال : فقلت : وما كان يبلغ من التمرة ؟ قال : لا تقل ذلك يا بنى ، ولَبعد أن فقدناها فاختلطنا إليها . وأخرجه أيضاً أحمد ، والبزار ، والطبرانى ، قال الهيثمى (١٠ / ٣١٩) : وفيه : المسعودى وقد اختلط ، وكان ثقة .

تحمل أبى عبيدة وأصحابه الجوع فى السفر

وأخرج البيهقى عن جابر رضى الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة نتلّقى عيراً لقريش ، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة . قال : فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نَمصّها كما

---

(١) ظهورهم .　(٢) الإهالة ما أُزيب من الالية والشحم والسنخة متغيرة الريح .

(٣) صخرة شديدة صلبة .

يَمصّ الصبى ، ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل . وكنا نضرب بعصيِّنا الخَبَط ثم نبلّه بالماء ، فنأكله . فذكر الحديث . كذا فى البداية (٤ / ٢٧٦) .

ما تحمله عليه الصلاة والسلام والصحابة من الجوع فى غزوة تهامة

وأخرج البزار والطبراني – ورجاله ثقات – عن أبى خُبَيش الغفارى رضى الله عنه : أنه كان مع رسول الله ﷺ فى غزوة تهامة ، حتى إذا كنا بفسطاط [١] جاءه الصحابة فقالوا : يا رسول الله ، جَهَدنَا الجـوع ، فأذن لنا فى الظّهر نأكلـه . قال : « نعم » . فأخبر بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأتى النبى ﷺ فقال : يا نبى الله ، ماذا صنعت ؟ أمرت الناس أن ينحروا الظّهر فعلامَ يركبون ؟ قال : « فما ترى يا ابن الخطاب » قال : أرى أن تأمرهم أن يأتوا بفَضْل أزوادهم فتجمعه فى تَوْر[٢] ، ثم تدعو الله لهم . فأمرهم ، فجعلوا فَضْل أزوادهم فى تَوْر ؛ ثم دعا لهم ثم قال : « ائتوا بأوعيتكم » فملأ كل إنسان منهم وعاءه . فذكر الحديث كذا في الهيثمـى (١٠ / ٣٠٣) .

وعند أبى يَعْلى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كنّا مع النبى ﷺ فى غَزَاة ، فقلنا : يا رسول الله ، إنّ العدو قد حضر ، وهم شباع والناس جياع ، فقالت الأنصار : ألا ننحر نواضحنا [٣] فنطعمها الناس ؟ فقال النبى ﷺ : « من كان عنده فَضْل طعام فليجىء به » . فجعل الرجل يجىء بالمدّ والصاع وأكثر وأقلّ ، فكان جميع ما فى الجيش بضعة وعشرين صاعاً . فجلس النـبى ﷺ إلى جنبه ودعا بالبركة . فقال النبى ﷺ : « خُذوا ولا تنتهبوا » . فجعل الرجل يأخذ فى جرابه وفى غرارته[٤] ، وأخذوا أوعيتهم حتى إنّ الرجل ليربط كمّ قميصه فيملؤه ، ففرغوا والطعام كما هو . ثم قال النبى ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنّى رسول الله ، لا يأتى بها عبد محقّ إلاّ وقاه الله حرّ النار » قال الهيثمى (٨ / ٣٠٤) : وفيه : عاصم ابن عبيد الله العمرى وثّقه العجْلى ، وضعْفه جماعة : وبقية رجاله ثقات . انتهى .

قصة المرأة التى كانت تطعم بعض الصحابة يوم الجمعة

وأخرج البخارى عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : كانت منا أمرأة تجعل فى مزرعة لها سلْقا [٥] . فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله فى قدْر ، ثم تجعل قبضة من شعير تطحنه ، فتكون أصول السلق عَرْقه . قال سهل : كنا

(١) هو خيمة تبنى فى السفر أو الحضر .
(٢) تور : إناء من نحاس أو فخار أو حجارة . (٣) النواضح : الابل التى يسقى عليها .
(٤) الغرارة : الكيس يوضع فيه المتاع .
(٥) السلق : هو النبات المعروف الذى يشبه الجرجير .

ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلّم عليها ، فتقرّب ذلك الطعام إلينا ، فكنا نتمنّى يوم الجمعة لطعامها ذلك – وفى رواية : ليس فيها شحم ولا وَدَك ، وكنا نفرح بيوم الجمعة . كذا فى الترغيب (٥ / ١٧٣) .

أكل الصحابة الجراد ، وكيف أنَّهم لم يكونوا فى الجاهلية يأكلون خبز القمح

وأخرج ابن سعد (٤ / ٣٦) عن ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل فيهن الجراد . وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (٧ / ٢٤٢) عن ابن أبى أوفَى رضى الله عنه – نحوه .

وأخرج الطبرانى – ورواته رواة الصحيح – عن أبى بَرْزة رضى الله عنه قال : كنا فى غَزَاة لنا ، فلقينا أناساً من المشركين ، فأجهضناهم [١] عن مَلَّة [٢] لهم . فرقعنا فيها فجعلنا نأجل منها ؛ وكنا نسمع فى الجاهلية أنه من أكل الخبز سَمِن . فلما أكلنا ذلك الخبز جعل أحدنا ينظر فى عِطفيه [٣] هل سمن ؟! – كذا فى الترغيب (٥ / ١٧٧) . قال الهيثمى (١٠ / ٣٢٤) : وفى رواية كنا يوم خيبر مع رسول الله ﷺ فأجهضناهم عن خبزة لهم من نَقىّ . – رواه كله الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح . انتهى . وعند أبى نُعَيم فى الحلية (٦ / ٣٠٧) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما افتتحنا خيبر مررنا بناس يهود يخبزون مَلَّة لهم فطردناهم عنها . ثم اقتسمنا ، فأصابتنى كسرة إنَّ بعضها ليحترق . قال وقد كان بلغنى أنه من أكل الخبز سمن ، فأكلتها ، ثم نظرت فى عطفَّى هل سمنت ؟!

تحمّل شدةَ العطش فى الدعوة إلى الله

ما أصاب الصحابة رضى الله عنهم من شدّة العطش فى غزوة تبوك

أسند ابن وهْب عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حدثنا عن شأن ساعة العُسْرة ، فقال عمر : خرجنا إلى تبوك فى قَيْظ شديد فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أنَّ رقابنا ستنقطع ، حتى إنَّ الرجل لينحر بعيره فيعتصر فَرثَه فيشربه ثم يجعل ما بقى على كبده . فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا رسول الله ، إن الله قد عوَّدك فى الدعاء خيراً فادعُ الله لنا . فقال : « أو تحبّ ذلك ؟ » قال : نعم . قال : فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى

---

(١) أخرجناهم . (٢) الملة : الرماد الحار يحمى فيدخن فيه الخبز لينضج .

(٣) عطفا الرجل : جانباه عن يمين وشمال ، وشقاه من لدن رأسه إلى وركه . انظر لسان العرب .

قالت [١] السماء فأطلّت [٢] ثم سكبت ، فملأوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر ، إسناده جيد ، ولم يخرِّجوه ، كذا فى البداية (٥ / ٩) ، وأخرجه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب بإسناده مثله ، كما فى التفسير لابن كثير (٢ / ٣٩٦) ، وأخرجه البزّار ، والطبرانى فى الأوسط ، ورجال البزار ثقات ، قاله الهيثمى (٦ / ١٩٤) .

تحمُّل الحارث وعكرمة وعيّاش العطش يوم اليرموك

وأخرج أبو نُعيم ، وابن عساكر عن حبيب بن أبى ثابت رضى الله عنه : أن الحارث بن هشام ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعيَّاش بن أبى ربيعة – رضى الله عنهم – جُرحوا يوم اليرموك حتى أُثبتوا [٣] ، فدعا الحارث بن هشام بماء ليشربه ، فنظر إليه عكرمة ، فقال : ادفعه إلى عكرمة ، فلما أخذه عكرمة نظر إليه عيَّاش ، قال : ادفعه إلى عيَّاش ، فما وصل إلى عيَّاش حتى مات ، وما وصل إلى أحد منهم حتى ماتوا ، كذا فى كنز العمال (٥ / ٣١٠) وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٣ / ٢٤٢) بنحوه ، وأخرجه الزبير عن عمه عن جده عبد الله بن مصعب رضى الله عنه ، فذكره بمعناه إلا أنه جعل مكان عيَّاش : سهيل بن عمرو ، وأخرجه ابن سعد عن حبيب نحو رواية أبى نُعيم ، كذا فى الاستيعاب (٣ / ١٥٠) .

تحمُّل أبى عمرو الأنصارى العطش فى سبيل الله

وأخرج الطبرانى عن محمد بن حنفيَّة رضى الله عنه قال : رأيت أبا عمرو الأنصارى – وكان بَدْرياً ، عَقَبياً ، أُحُدياً [٤] ، وهو صائم – يتلوَّى من العطش وهو يقول لغلامه : ويحك ، ترّسنى [٥] ، فتَرّسَهُ الغلام حتى نزع بسهم نزعًا ضعيفًا حتى رمى بثلاثة أسهم ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رمى بسهم فى سبيل الله قَصُر – أو بلغ – كان له نورًا يوم القيامة » ، فقُتل قبل غروب الشمس ،

---

(١) قال ابن الاثير : العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بيده أى أخذ ، وقال برجله أى مشى ... ويقال : قال بمعنى أقبل ، وبمعنى مال ، واستراح وضرب وغلب ، وغير ذلك ، انظر النهاية ، ولسان العرب .

(٢) أى أنزلت الطّل وهو المطر الخفيف . (٣) حتى ثقلوا من كثرة الجراح عن القيام .

(٤) بدريا : نسبة إلى غزوة بدر ، عقبيا : نسبة إلى بيعة العقبة الثانية ، أحديا : نسبة إلى غزوة أحد .

(٥) احمنى وكن لى ساترا ، مأخوذ من الترس : وهو صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف .

كذا فى الترغيب (٢ / ٤٠٤) . وأخرجه الحاكم (٣ / ٣٩٥) ، وفى رواية : ويحك ، رُشَّنى [١] ، فرشه الغلام .

تحمل شدة البرد فى الدعوة إلى الله

أخرج أحمد ؛ والنسائى ، والطبرانى عن أبى ريحانة رضى الله عنه أنه كان مع النبى ﷺ فى غزوة . قال : فأوينا ذات ليلة إلى شَرَف [٢] ، فأصابنا برد شديد حتى رأيت الرجال يحفر أحدهم الحفرة فيدخل فيها ويلقى عليه حجَفَته [٣] . فلمّا رأى ذلك رسول الله ﷺ قال : « من يحرسنا الليلة فأدعو له بدعاء يصيب فضله ؟ » فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله . قال : « من أنت ؟ » قال : فلان قال : « ادنُهْ » ، فدنا فأخذ ببعض ثيابه ثم استفتح الدعاء . فلما سمعت : قلت : أنا رجل. قال : « من أنت ؟ » قال : أبو ريحانة . قال : فدعا لى دون ما دعا لصاحبى ، ثم قال : « حُرِّمت النار على عين حرست فى سبيل الله » . الحديث . كذا فى الإصابة (٢ / ١٥٦) . قال الهيثمى (٥ / ٢٨٧) : رجال أحمد ثقات . وأخرجه البيهقى (٩ / ١٤٩) أيضاً بنحوه . وفى الباب حديث حذيفة رضى الله عنه كما سيأتى .

تحمل قلة الثياب فى الدعوة إلى الله

أخرج الطبرانى عن خبّاب بن الأرتّ رضى الله عنه : لقد رأيت حمزة وما وجدنا له ثوباً نكفِّنه فيه غير بُرْدة [٤] ، إذا غطَّينا بها رجله خرج رأسه ، وإذا غطَّينا بها رأسه خرجت رجلاه ؛ فغطَّينا رأسه ووضعنا على رجليه الإِذْخِر [٥] . كذا فى المنتخب (٥ / ١٧٠) .

وأخرج الطبرانى والبيهقى عن الشَّفَّاء بنت عبد الله رضى الله عنها قالت : أتيت رسول الله ﷺ أسأله [٦] ، فجعل يعتذر إلىَّ وأنا ألومه . فحضرت الصلاة فخرجت ، فدخلت على ابنتى وهى تحت شرحبيل بن حسنة فوجدت شرحبيل فى البيت ، فقلت : قد حضرت الصلاة وأنت فى البيت ؟! وجعلت ألومه . فقال : يا خالة ، لا تلومينى فإنَّه كان لى ثوب فاستعاره النبى ﷺ . فقلت : بأبى وأمى ، كنت ألومه منذ اليوم وهذه حاله وأنا لا أشعر !! فقال شرحبيل : ما كان إلاَّ درْعاً [٧] رقعناه .

---

(١) اسكب علىّ شيئا من الماء . (٢) الشرف : المكان المرتفع .
(٣) الحجفة : بفتح الحاء والجيم: الترس . (٤) بردة : ثوب يمانية .
(٥) الإذخر : نبت طيب الرائحة . (٦) أى أطلب منه صدقة .
(٧) الدرع : القميص ، وهو أيضاً الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة فى بيتها . قال فى التهذيب : الدرع ثوب تجوب المرأة وسطه ، وتجعل له يدين ، وتخيط فرجيه .

كذا فى الترغيب (٣ / ٣٩٦) . وأخرجه أيضاً ابن عساكر كما فى الكنز (٤ / ٤١) ؛ وابن أبى عاصم ومن طريقه أبو نعيم كما فى الإصابة (٤ / ٣٤٢) ، وقال : وفى سنده : عبد الوهاب بن الضحّاك وهو واهٍ . وأخرجه أيضاً ابن منده كما فى الإصابة (٢ / ٢٧١) ؛ والحاكم فى المستدرك (٤ / ٥٨) .

وأخرج أبو نُعَيم فى الحلية (٧ / ١٠٥) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : بينا النبى ﷺ جالس وعنده أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه – وعليه عباءة قد جلّلها فى صدره بجلال (١) – إذا نزل عليه جبريل عليه السلام ، فأقرأه من الله السلام ، وقال : يا رسول الله ؛ ما لى أرى أبا بكر عليه عباءة قد جللها على صدره بجلال . قال : « يا جبريل ، أنفق ماله علىّ قبل الفتح » . قال : فأقرئه من الله السلام وقل له : يقول لك ربك : أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ فالتفت النبى ﷺ إلى أبى بكر فقال : « يا أبا بكر : هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول : أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ » فبكى أبو بكر وقال : أعلى ربى أغضب ؟! أنا عن ربى راضٍ ، أنا عن ربى راضٍ ، وأخرجه أبو نُعيم فى فضائل الصحابة عن أبى هريرة رضى الله عنه بمعناه ، قال ابن كثير : فيه غرابة شديدة ، وشيخ الطبرانى عبد الرحمن بن معاوية العُتْبى ، وشيخه محمد بن نصر الفارسى لا أعرفهما ، ولم أرَ أحداً ذكرهما . كذا فى منتخب كنز العمال (٤ / ٣٥٣) .

وأخرج هَنَّاد والدينَوَرى عن الشَّعْبى قال : قال على رضى الله عنه : لقد تزوجت فاطمة بنت محمد ﷺ ومالى ولها فراش غيرُ جلد كَبْش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا (٢) بالنهار ، ومالى خادم غيرها . كذا فى الكنز (٧ / ١٣٣) .

وأخرج أبو داود ، والترمذي – وصحّحه – وابن ماجه عن ابن أبى بريدة رضى الله عنه قال : قال لى أبى : لو رأيتُنا ونحن مع نبينا وقد أصابتنا السماء ؛ حسبت أنَّ ريحَنا ريحُ الضأن . كذا فى الترغيب (٣ / ٣٩٤) . وأخرجه ابن سعد (٤ / ٨٠) عن سعيد ابن أبى بردة عن أبيه قال : قال لى أبى – يعنى أبا موسى رضى الله عنه – : يا بنى ، لو رأيتنا ونحن مع نبينا ﷺ إذا أصابتنا السماء وجدت منا ريح الضأن من لباسنا الصوف . وهكذا أخرجه الطبرانى عن أبى موسى ، وزاد : إنما

---

(١) غلفها بغلاف أو ربطها برباط ، والجل من المتاع : القطف والأكسية والبسط ونحوه وجلال كل شيء : غطاؤه .

(٢) الناضح : بعير يحمل عليه الماء .

لباسنا الصوف ، وطعامنا الأسودان : التمر والماء . قال الهيثمي (١٠ / ٣٢٥) : رجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو داود باختصار أ . هـ .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصُّفَّة ، ما منهم رجل عليه رداء ، إمّا إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم ، فمنها ما يبلغ نصف السَّاقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين ، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته كذا في الترغيب (٣ / ٣٩٧) . وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في الحلية (١ / ٣٤١) . وعند أبي نُعيم أيضاً عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : كنت من أصحاب الصُّفَّة ، وما منا أحد عليه ثوب تامّ ، قد اتخذ العَرَق في جلودنا طوقاً من الوسخ والغبار . وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها : أن رجلاً دخل عليها وعندها جارية لها ، عليها دِرْع [١] ثمنه خمسة دراهم ، فقالت : ارفع بصرك إلى جاريتي ، أنظر إليها فإنها تزهو [٢] على أن تلبسه في البيت . وقد كان لي منهن درع على عهد رسول الله ﷺ ، فما كانت امرأة تُقيَّن [٣] بالمدينة إلا أرسلت إليَّ تستعيره . كذا في الترغيب (٥ / ١٦٤) .

تحمّل شدة الخوف في الدعوة إلى الله

أخرج الحاكم ، والبيهقي (٩ / ١٤٨) عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة رضي الله عنه قال : ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه : أما – والله – لو كنا شهدنا ذلك لكنّا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة : لا تمنَّوا ذلك ، لقد رأيتُنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قعود ، وأبو سفيان ومَنْ معه فوقَنا ، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قطُّ أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها . في أصوات رِيحها أمثالُ الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه ، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون : إنَّ بيوتنا عورة [٤] وما هي بعورة ، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون . ونحن ثلاث مائة ونحو ذلك . إذا استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً ، حتى أتى عليَّ وما عليَّ جنة [٥] من العدو ولا من البرد إلا مِرْط [٦] لامرأتي ما يجاوز ركبتي . قال : فأتاني وأنا جاثٍ [٧]

---

(١) الدرع : الثوب الصغير تلبسه الجاريه الصغيرة في بيتها .

(٢) أي تترفع عنه ، وتأنف من لبسه .

(٣) أي تزيّن .

(٤) عورة : أي سهلة المنال لمن أرادها .

(٥) جنة – بضم الجيم : الترس ، أي ما لي مانع من العدو والبرد الشديد إلا هذا المرط .

(٦) المرط : كساء من صوف أو خز .

(٧) جالس .

على ركبتي ، فقال : « من هذا ؟ » فقلت حذيفة ، فقال : « حذيفة » ، فتقاصرت للأرض ، فقلت : بلى يا رسول الله – كراهية أن أقوم – فقمت ، فقال : « إنه كائن في القوم خبر فائتني بخبر القوم » ، قال : وأنا من أشدّ الناس فزعاً وأشدهم قرّاً (١) ، قال : فخرجت ، فقال رسول الله ﷺ : « اللّهمّ احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » ، قال : فوالله ، ما خلق الله فزعاً ، ولا قرّاً في جوفي إلا خرج من جوفي ، فما أجد فيه شيئاً ، قال : فلما ولّيت قال : « يا حذيفة لا تُحدثّن في القوم شيئاً حتى تأتيني » ، قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم تُوقد ، وإذا رجل أدهم (٢) ضخم – يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيلَ ، الرحيلَ ، – ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك – فانتزعت سهماً من كنانتي (٣) أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تُحدِثنّ فيهم شيئاً حتى تأتيني » ، فامسكت ورددت سهمي إلى كنانتي ، ثم إني شجّعت نفسي حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون : يا آل عامر ، الرحيلَ ، الرحيلَ ، لا مُقام لكم ، وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضرب بها ، ثم إني خرجت نحو رسول الله ﷺ ، فلما انتصفتْ بي الطريق أو نحو من ذلك - إذا أنا بنحو من عشرين فارساً – أو نحو ذلك - مُعتمّين (٤) فقالوا : أخبر صاحبك أنّ الله قد كفاه ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شَمْلة يصلّي ؛ فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القرّ وجعلت أقرقف (٥) ، فأومأ إليّ رسول الله ﷺ بيده وهو يصلّي ؛ فدنوتُ منه فاسبل عليّ شملته – وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلّي – فأخبرته خبر القوم ،أخبرته أني تركتهم وهو يرحلون ، قال: وأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيُّها الّذين آمنوا اذْكرُوا نعْمَةَ الله علَيْكُمْ ، إذْ جاءتكُمْ جُنُودٌ فأرْسَلْنا علَيهِمْ رِيحاً وجُنوداً لَم تروْها ﴾إلى قوله :﴿ وكَفَى اللهُ المؤْمنينَ القتالَ وكانَ اللهُ قَوياً عَزِيزاً ﴾ (٦) كما في البداية (٤ / ١١٤) ، وأخرجه أبو داود وابن عساكر بسياق آخر مطولاً كما في كنز العمال (٥ / ٢٧٩) .

وأخرجه مسلم عن يزيد التّيْمي قال : كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال له

(١) برداً .
(٢) أدهم : أسود .
(٣) الكنانة : جعبة من جلد أو خشب تجعل فيها السهام .
(٤) معتمين : من الاعتمام وهو لف العمامة على الرأس .
(٥) ارجف وأرعد من البرد الشديد .
(٦) سورة الأحزاب : ٩ - ٢٥ .

رجل : لو أدركتُ رسول الله ﷺ قاتلتُ معه وأبليتُ ، فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟! لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب فى ليلة ذات ريح شديدة وقرّ ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ؟ » فذكر الحديث نحو حديث عبد العزيز باختصار ، وفى حديثه : فأتيتُ رسول الله ﷺ فأصابنى البرد حين رجعت وقررْت ، فأخبرت رسول الله ﷺ وألبسنى من فَضْل عباءة كانت عليه يصلّى فيها ، فلم أبرح نائماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ : « قم يا نَوْمان » ، وأخرجه ابن إسحاق عن محمد بن كعب القُرَظى رضى الله عنه منقطعاً ، وفى حديثه : فقال : « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ؟ » فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة ؛ « أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة » ، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد .

تحمّل الجراح والأمراض فى الدعوة إلى الله

أسند ابن إسحاق عن أبى السائب رضى الله عنه : أن رجلاً من بنى عبد الأشهل قال : شهدت أحُداً أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذّن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج فى طلب العدو قلت لأخى – أو قال لى – : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله مالنا من دابة نركبها ومامنا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان إذا غلب حملته عُقبة ومشى عُقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، كذا فى البداية (٤ / ٤٩) ، وذكر ابن سعد (٣ / ٢١) عن الواقدى : أن عبد الله بن سهل وأخاه رافع بن سهل رضى الله عنهما هما اللذان خرجا إلى حمراء الأسد وهما جريحان ، يحمل أحدهما صاحبه ولم يكن لهما ظهرٌ(١) .

وأسند ابن إسحاق عن أشياخ من بنى سلِمة قالوا : كان عمرو بن الجموح رضى الله عنه رجلاً أعرج شديد العرَج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه (٢) ، وقالوا : إنّ الله قد عَذَرك ، فأتى رسول الله ﷺ وقال : إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله ، إنّى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه الجنة ، فقال رسول الله ﷺ :«أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك » ، وقال لبنيه :«ما عليكم أن لا تمنعوه لعلّ الله أن يرزقه الشهادة » ، فخرج معه فقتل يوم أحد ، كذا فى البداية (٤ /٣٧) . وأخرج أحمد عن أبى قتادة رضى الله عنه : أنه حضر ذلك قال : أتى عمرو بن

(١) أى دابة يركبونها .   (٢) أى منعه من القتال .

الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن قاتلتُ في سبيل الله حتى أقتل ، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ؟ - وكانت رجله عرجاء - فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . فقتلوه يوم أُحد هو وابن أخيه ومولًى لهم . فمرّ عليه رسول الله ﷺ فقال : « كأني أنظر إليه يمشي برجله هذه صحيحة في الجنة » . فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما ، فجُعلوا في قبر واحد . قال الهيثمي (٩ / ٣١٥) : رجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة انتهى . وأخرجه البيهقي (٩ / ٢٤) من طريق ابن إسحاق بنحوه .

وأخرج البيهقي عن يحيى بن عبد الحميد عن جدته : أن رافع بن خديج رضي الله عنه رُمِيَ - قال عمر بن مرزوق : لا أدري أيُّهما قال : يوم أُحد أو يوم حُنين - بسهم في ثُنْدُوته (١) . فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، انزع لي السهم . فقال له : « يا رافع إن شئتَ نزعتُ السهم والقُطْبة (٢) جميعاً ، وإن شئت نزعت السهم وتركت القُطْبة ، وشهدت لك يوم القيامة أنّك شهيد » . فقال : يا رسول الله ، انزع السهم واترك القُطْبة ، واشهد لي يوم القيامة أنّي شهيد . قال : فعاش بها حتى كانت خلافة معاوية رضي الله عنه انتقض به الجرح ، فمات بعد العصر . هكذا وقع في هذه الرواية . والصحيح : أنه مات بعد خلافة معاوية رضي الله عنه كذا في البداية . قال في الإصابة (١ / ٤٩٦) : ويحتمل أن يكون بين الانتقاض والموت مدة . وأخرجه أيضاً الباوَرْدي وابن منْدَه ، والطبراني كما في الإصابة (٤ / ٤٧٤) ، وابن شاهين كما في الإصابة (١ / ٤٩٦) . وستأتي الأحاديث في باب الصبر .

* * *

(١) الثندوة - بالضم - : للرجل بمنزلة الثدي للمرأة . (٢) نصل السهم .

الباب الرابع

باب الهجرة

كيف تركت الصحابة أوطانهم العزيزة مع أن فراق الوطن شديد على النفوس ، بحيث أنّهم لم يرجعوا إلى أوطانهم إلى الموت ؟! وكيف كان ذلك أحبَّ إليهم من الدنيا ومتاعها ؟! وكيف قدّموا الدّين على الدنيا ، فلم يبالوا بضياعها ولم يلتفتوا إلى فنائها ؟! وكيف يفرّون من بلاد إلى بلاد احتفاظاً لدينهم من الفتنة ، فكأنهم كانوا قد خَلقوا للآخرة وكانوا من أبنائها فصارت الدنيا كأنها خَلقت لهم !!

هجرة النبى ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه

أخرج الطبرانى عن عروة رضى الله عنه – مرسلاً – قال : ومكث رسول الله ﷺ بعد الحج بقيّة ذى الحجّة والمحرَّم وصَفَر ،، ثم إنَّ مشركى قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم حين ظنوا أن رسول الله ﷺ خارج ، وعلموا أن الله قد جعل له بالمدينة مأوى ومَنَعة ، وبلغهم إسلام الأنصار ومن خرج إليهم من المهاجرين ، فأجمعوا أمرهم على أن يأخذوا رسول الله ﷺ ؛ فإما أن يقتلوه ، وإما أن يسجنوه - أو يحبسوه ، شك عمرو بن خالد – وإما أن يخرجوه ، وإما أن يوثقوه ؛ فأخبره الله عزّ وجلّ بمكرهم ، فقال تعالى : ﴿ وإذْ يمكُرُ بكَ الذّينَ كفرُوا ليُثبتُوكَ ، أو يقتُلوكَ ، أو يخرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ ويَمكُرُ اللهُ ، واللهُ خيرُ الماكرِينَ ﴾ (١) . وبلغه ذلك اليوم الذى أتى فيه رسول الله ﷺ دار أبى بكر رضى الله عنه أنَّهم مُبَيِّتوه إذا أمسى على فراشه .

وخرج من تحت الليل هو وأبو بَكر قِبَل الغار بثَوْر (٢) . وهو الغار الذى ذكره الله عزّ وجلّ فى القرآن (٣) . وعَمَد على بن أبى طالب رضى الله عنه فرقد على فراشه يوارى عنه العيون . وبات المشركون من قريش يختلفون ويأتمرون إن نَجْثم على صاحب الفراش فنوثقه ، فكان ذلك حديثهم حتى أصبحوا . فإذا علىٌّ رضى الله عنه يقوم عن الفراش ، فسألوه عن النبى ﷺ ، فأخبرهم أنه لا علم له به ، فعلموا عند ذلك أنه خرج . فركبوا فى كل وجه يطلبونه ، وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم ، ويجعلون لهم الجُعْل العظيم ؛ وأتَوا على ثَوْر الذى فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه حتى طلعوا فوقه . وسمع النبى ﷺ أصواتهم ، فأشفق أبو بكر عند ذلك وأقبل على الهمّ والخوف ، فعند ذلك قال له النبى ﷺ : « لا تحزن إن الله معنا » ودعا فنزلت عليه سـكينة من الله عزّ وجلّ : ﴿ فأنزلَ اللهُ سَكِينَتهُ عَلَيْه وأيّدهُ بجُنُودٍ لَمْ تَروْهَا وَجَعَلَ كَلمةَ الّذينَ كَفرُوا السّفْلَى وكَلمَةُ اللهِ هِى العُلْيا واللهُ عزيزٌ حَكِيـمٌ ﴾ (٤) .

وكانت لأبى بكر مِنْحة تروح عليه وعلى أهله بمكة ، فأرسل أبو بكر عامر بن فُهيرة مولى أبى بكر أميناً مؤتمناً حسن الإسلام ، فاستأجر رجلاً من بنى عبد بن عدى يقال له « ابن الأيقط » ، كان حليفاً لقريش فى بنى سَهْم من بنى العاص بن وائل ،

---

(١) سورة الأنفال : ٣٠ . (٢) ثور : جبل بأسفل مكة ، وسمى الغار باسمه .
(٣) ذلك فى سورة التوبةالآية : ٤٠ ﴿ ثانِى اثنينِ إذْ هُما فى الغارِ ﴾ .
(٤) سورة التوبة الآية : ٤٠ .

وذلك يومئذ العدويُّ مشرك وهو هادى بالطريق . فخبا بأظهرنا تلك الليالى ، وكان يأتيهما عبد الله بن أبى بكر حين يمسى بكل خبر يكون فى مكة ، ويُريح عليهما عامر بن فُهيرة الغنم فى كل ليلة ، فيحلبان ويذبحان ، ثم يسرح بكرة فيصبح فى رُعيان [(١)] الناس ولا يُفطن له ، حتى إذا هَدَت [(٢)] . عنهم الأصوات ، وأتاهم أن قد سُكت عنهما جاءا صاحبهما ببعيريهما وقد مكثا فى الغار يومين وليلتين ؛ ثم انطلقا وانطلقا معهما بعامر بن فُهيرة يحدوهما ويخدمهما ويعينهما ، يردفه أبو بكر ويعقُبه على راحلته ليس معه أحد من الناس غير عامر بن فهيرة وغير أخى بنى عدىّ يهديهم الطريق . قال الهيثمى (٦ / ٥١) : وفيه : ابن لهيعة ، وفيه كلام ؛ وحديثه حسن أ . هـ .

وأخرج ابن إسحاق عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان لا يخطىء رسول الله ﷺ أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار : إما بُكرة ، وإما عشيَّة ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه لرسوله ﷺ فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرَى قومه ، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله ﷺ فى هذه الساعة إلاّ لأمر حدث . قالت : فلما دخل تأخَّر له ، أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبى بكر أحد إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر . فقال رسول الله ﷺ : « أخرجْ عنى من عندك » قال : يا رسول الله ، إنما هُما ابنتاى ، وما ذاك فداك أبى وأمى ؟! قال : « إنَّ الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة » . قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله قال : « الصحبة » فوالله ما شعرت قطُّ قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى ، ثم قال : يا نبى الله ، إنَّ هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجَرا عبد الله بن أرقط رجلاً من بنى الدئل بن بكر وكانت أمه من بنى سهم بن عمرو – وكان مشركا – يدلهما على الطريق ، ودفعا إليه راحلَتْيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما . وأخرج البغوى بإسناد حسن عن عائشة رضى الله عنها شيئاً منه ، وفى حديثه : قال أبو بكر : الصحابةَ قال : « الصحابَة » . قال أبو بكر : إن عندى راحلتين قد علفتهما من ستة أشهر لهذا فخذ إحداهما ، فقال : بل أشتريها ، فاشتراها منه فخرجا فكانا فى الغار . فذكر الحديث كما فى كنز العمال (٨ / ٣٣٤) .

وأخرج الطبرانى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : كان النبى ﷺ يأتينا بمكة كل يوم مرتين ، فلما كان يوم من ذلك جاءنا فى الظهيرة ، فقالت

---

(١) رعيان : جامع راع . (٢) سكنت .

يا أبت ، هذا رسول الله ﷺ ، فبأبى وأمى ، ما جاء به هذه الساعة إلا أمر . فقال رسول الله ﷺ « هل شعَرت أنَّ الله قد أذن لى فى الخروج ؟ » فقال أبو بكر رضى الله عنه : فالصحابَة يا رسول الله . قال : « الصحابَة » . قال : إنَّ عندى راحلتين قد علفتهما منذ كذا وكذا انتظاراً لهذا اليوم ، فخذ إحداهما ، فقال : « بثمنها يا أبا بكر » ، فقال : بثمنها – بأبى وأمى – إن شئت . قالت : فهيّأنا لهم سُفْرة [١] ، ثم قطعت نطاقها [٢] فربطتها ببعضه . فخرجا فمكثا فى الغار فى جبل ثور . فلما انتهيا إليه دخلَ أبو بكر الغار قبله ، فلم يترك فيه جُحْراً إلا أدخل فيه أصبعه مخافة أن يكن فيه هامَّة . وخرجت قريش حين فقدوهما فى بُغائهما [٣] وجعلوا فى النبى ﷺ مائة ناقة ، وخرجوا يطوفون فى جبال مكة حتى انتهَوا إلى الجبل الذى هما فيه . فقال أبو بكر – لرجل مواجه الغار – : يا رسول الله ، إنَّه ليرانا ، فقال « كلاَّ إنَّ ملائكة تسترنا بأجنحتها » . فجلس ذلك الرجل فبال مواجه الغار ، فقال رسول الله ﷺ : « لو كان يرانا ما فعل هذا » . فمكثا ثلاث ليال ، يُرَوِّحُ عليهما عامر بن فُهَيرة مولى أبى بكر غنماً لأبى بكر ، ويُدلج [٤] من عندهما ، فيصبح مع الرعاة فى مراعيها ، ويَروُحُ معهم ويبطىء فى المشى ، حتى إذا أظلم الليل انصرف بغنمه إليهما ؛ فتظن الرعاة أنه معهم . وعبد الله بن أبى بكر يظلّ بمكة يتطلّب الأخبار ، ثم يأتيهما إذا أظلم الليل فيخبرهما ، ثم يُدلج من عندهما فيصبح بمكة .

ثم خرجا من الغار فأخذا على الساحل ، فجعل أبو بكر يسير أمامه ، فإذا خشى أن يُؤتى من خلفه سار خلفه ، فلم يزل كذلك مسيره . وكان أبو بكر رجلاً معروفاً فى الناس ، فإذا لقيه لاقٍ فيقول لأبى بكر : من هذا معك ؟ فيقول : هادٍ يهدينى – يريد الهدى فى الدِّين – ويحسب الآخر دليلاً ، حتى إذا كان بأبيات قُدَيد [٥] – وكان على طريقهما – جاء إنسان إلى بنى مُدْلج فقال : قد رأيت راكبين نحو الساحل ، فإنِّى لأجدهما لصاحب قريش الذى تبغون . فقال سراقة بن مالك : ذانك راكبان ممن بعثنا فى طَلَبة القوم ، ثم دعا جاريته فسارَّها ، فأمرها أن تخرج فرسه ثم خرج فى آثارهما . قال سراقة : فدنوت منهما – فذكر قصته كما

---

(١) السفرة – بالضم – : طعام المسافر .

(٢) النطاق : ما يشد به الوسط .

(٣) أى فى طلبهما .

(٤) يدلج : يسير فى الدلجة وهى ظلمة الليل .

(٥) قديد : اسم موضع قرب مكة ، كما فى كتاب مراصد الاطلاع .

ستأتى . قال الهيثمى (٦ / ٥٤) : وفيه : يعقوب بن حُمَيد بن كاسب وثَّقه ابن حِبَّان وغيره ، وضعَّفه أبو حاتم وغيره ؛ وبقية رجاله رجال الصحيح أ . هـ .

وأخرج البيهقى عن ابن سِيرين قال : ذكر رجال على عهد عمر رضى الله عنه فكأنهم فضَّلوا عمر على أبى بكر ، فبلغ ذلك عمر فقال : والله لليلةٌ من أبى بكر خيرٌ من آل عمر ، وليومٌ من أبى بكر خيرٌ من آل عمر . لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال : « يا أبا بكر ، ما لك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدى ؟ » فقال : يا رسول الله ، أذكر الطَّلَب (١) فأمشى خلفك ، ثم أذكر الرَّصَد (٢) ، فأمشى بين يديك . فقال : « يا أبا بكر ، لو كان شىء لأحببتَ أن يكون بك دونى ؟ » قال : نعم ، والذى بعثك بالحق . فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك - يا رسول الله - حتى أستبرىء لك الغار . فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرىء الجِحَرَة (٣) ، فقال : مكانك - يا رسول الله - حتى أستبرىء فدخل فاستبرأ ، ثم قالَ : انزل يا رسول الله ، فنزل . ثم قال عمر : والذى نفسى بيده ، لتلك الليلة خيرٌ من آل عمر . كذا فى البداية (٣ / ١٨٠) . وأخرجه الحاكم أيضاً كما فى منتخب كنز العمال (٤ / ٣٤٨) . وأخرجه البغوى عن ابن مُلَيكة مرسلاً بمعناه . قال ابن كثير : هذا مرسل حسن كما فى كنز العمال (٨ / ٣٣٥) .

وأخرج الحافظ أبو بكر القاضى عن الحسن البصرى قال : انطلق النبى ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه إلى الغار ، وجاءت قريش يطلبون النبى ﷺ ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخل أحد . وكان النبى ﷺ قائماً يصلى وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبى ﷺ : هؤلاء قومك يطلبونك ، أما - والله - ما على نفسى أُئلُّ (٤) ، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبى ﷺ : « يا أبا بكر ، لا تَخف إن الله معنا » . وعند أحمد عن أنس رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عه حدّثه قال : قلت للنبى ﷺ - ونحن فى الغار - لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، فقال : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما » . كذا فى البداية (٣ / ١٨١ ، ١٨٢) . وأخرجه أيضاً الشيخان ، والترمذى ، وابن سعد ، وان أبى شيبة ، وغيرهم كما فى الكنز (٨ / ٣٢٩) .

---

(١) أذكر الطلب : أى اذكر من يسعى فى طلبك من خلفك .

(٢) الرصد : هو من ينتظرك فى طريقك ويرقبك .

(٣) فى الأصل « الحجر » وهو مفرد « حَجِرة » بكسر الجيم ، والحَجِرة هى ما تحفره السباع والهَوام لأنفسها فيقال حجر ضب وحجر حية ونحو ذلك .

(٤) أخاف وأحزن وأتوجع .

حديث أبى بكر عن هجرته مع رسول الله ﷺ وقصة سراقة معهما

وأخرج أحمد [١] عن البراء ابن عازب رضى الله عنهما قال : اشترى أبو بكر من عازب سَرْجاً بثلاثة عشر درهماً ، فقال أبو بكر لعازب : مُر البراءَ فليحملْه إلى منزلى . فقال : لا ، حتى تحدِّثنا كيف صنعتَ حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه ؟ فقال أبو بكر : خرجنا فأدلجنا ، فأحثثنا [٢] يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة ، فضربت بصرى هل أرى ظلاً نأوى إليه ، فإذا أنا بصخرة فأهويتُ إليها ، فإذا بقية ظلّها ، فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة ، وقلت : اضطجع يا رسول الله ، فاضطجع ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلَب ؟ فإذا أنا براعى غنم فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من قريش — فسمَّاه فعرفته — فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم . قلت : هل أنت حالب لى ؟ قال : نعم . فأمرته فاعتقل شاة منها ، ثم أمرته فنفض ضِرْعها من الغبار ، ثم أمرته فنفض كفَّيه من الغبار ، ومعى إداوةٌ [٣] على فمها خِرقة ، فحلب لى كُثْبة من اللبن [٤] ، فصب على القدح حتى برد أسفله ؛ ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ ، فقلت : اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت ، ثم قلت : هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جُعْشُم على فرس له . فقلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا . قال : « لا تحزن إن الله معنا » ، حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين ، — أو قال : رمحين أو ثلاثة — قلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا وبكَيت . قال : « لم تبكى ؟ » قلت : أما — والله — ما على نفسى أبكى ، ولكن أبكى عليك . فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال : « اللهم اكفناه بما شئت » فساخت [٥] قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صَلْد [٦] ، ووثب عنها وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك ، فادعُ الله أن ينجينى مما أنا فيه ، فوالله لأعمين على من ورائى من الطلب . وهذه كنانتى [٧] فخذ منها سهماً ، فإنك ستمر بإبلى وغنمى بموضع كذا وكذا ، فخذ منها حاجتك . فقال رسول الله ﷺ : « لا حاجة لى فيها »، ودعا له رسول الله ﷺ ، فاطلق ورجع إلى أصحابه . ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلَّقاه الناس ؛ فخرجوا فى الطريق على الأناجير [٨] ، واشتد الخدم والصبيان فى الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله !! جاء محمد ﷺ !! . قال :

---

(١) المسند (١ / ٣) . (٢) احتثنا : أسرعنا . (٣) إناء من جلد ونحوه .
(٤) كثبة من اللبن : قليل منه . (٥) آى غاصت . (٦) الصلد : اليابس الأملس .
(٧) الكنانة : كيس من جلد أو جعبة من خشب توضع فيها السهام .
(٨) الأماكن المرتفعة .

وتنازع القوم : أيُّهـم ينزل عليه ؟ قال : فقال رسـول الله ﷺ !! « أنزل الليلةَ على بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك » . فلما أصبح غدا حيث أُمر . وأخرجه الشيخان فى الصحيحين كما فى البداية (٣/١٨٧ ، ١٨٨) . وأخرجه أيضاً ابن أبى شيْبة ، وابن سعد (٣ / ٨٠) بنحوه مطوَّلاً مع زيادة ، وابن خُزَيمة وغيرهم كما فى الكنز (٨ / ٣٣٠) .

قدومه عليه السلام المدينة ونزوله بقُباء وفرح أهل المدينة بقدومه

وأخرج البخارى عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين - كانوا تجاراً قافلين من الشام - فكسا الزبيرُ رسول الله ﷺ وأبا بكر رضى الله عنه ثيابا بياض . وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرَّة فينتظرونه حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم . فلما أوَوا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطُم (١) من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مُبيَّضين يزول بهم السراب ؛ فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب ، هذا جَدُّكم (٢) الذى تنتظرون . فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلَّقوا رسول الله ﷺ بظهرة الحرَّة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول . فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار ممّن لم يَرَ رسول الله ﷺ يحيِّى أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلَّل عليه بردائه ،، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك . فلبث رسول الله ﷺ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أُسس على التقوى ، وصلّى فيه رسول الله ﷺ ، ثم ركب راحلته وسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين ؛ وكان مِرْبداً (٣) للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حِجْر أسعد بن زُرارة رضى الله عنه . فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلتـه : « هذا إن شاء الله المنزل » ، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسـجداً . فقالا : بل نهبه لك يا رسـول الله ، فأبى رسـول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة ، حتى ابتـاعه (٤) منهما ، ثم بناه مسـجداً . فطفق رسول الله صلى

---

(١) اى صعد على حصن من حصونهم . (٢) جدكم : اى حظكم ونصيبكم .

(٣) المربد : مكان يوضع فيه التمر ليجف كالبيدر للقمح ونحوه وهو ما يسمى عندنا بالجرن .

(٤) ابتاعه : اشتراه .

الله عليه وآله وسلم ينقـل معهـم اللَّبن (١) فى بنـيانه ، وهو يقول – حين ينقل اللَّبِن – :

هذا الحِمالُ لا حِمالَ خيبر (٢) هـذا أبرّ ربَّنا وأطهـرْ

ويقول :

لا هُمَّ إن الأجرَ أجرُ الآخـره فارحـم الأنصار والمهاجره

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسمَّ لى ، قال ابن شهاب : ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هـذه الأبيات – هذا لفظ البخارى ، وقد تفرّد بروايته دون مسلم ، وله شواهد من وجوه أُخر ، كذا فى البداية (٣ / ١٨٦) .

وأخرجه أحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : إنى لأسعى فى الغلْمان يقولون : جاء محمد ، فاسعى ولا أرى شيئاً ، ثم يقولون : جاء محمد ، فاسعى ولا أرى شيئاً ؛ قال : حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه ، فَكَمَنَّا فى بعض خِرَاب المدينة ، ثم بعثا رجلاً من أهل البادية يؤذن (٣) بهما الأنصار ، فاستقبلهما زُهاء خمس مائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما ، فقالت الأنصار : انطلقا آمنين مطاعَين ، فاقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم ، فخرج أهل المدينة حتى إنَّ العواتق (٤) لفوق البيوت يترا أينه يقلن : أيهم هو ؟ أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به ، قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينـا ويوم قُبض فلم أر يومين شبيهاً بهما ، ورواه البيهقى ، بنحوه ، كذا فى البداية (٣ / ١٩٨) .

وأخرج البيهقى عن ابن عائشة رضى الله عنهما يقول : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يَقُلْنَ :

طلع البـدر علينا من ثَنيـات الوداعِ
وجب الشكرُ علينا ما دعـا للهِ داعِ

كذا فى البداية (٣ / ١٩٧) .

هجرة عمر بن الخطاب والصحابة رضى الله عنهم

أخرج ابن شيبة عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مُصعب بن عمير وابن أمّ مكتوم رضى الله عنهما ، فجعلا

---

(١) اللبن : جمع لبنة وهى ما يتخذ من الطين للبناء من غير ان تُدخَل فى النار .

(٢) حمال خيبر : المراد بها احمال التمر التى اشتهرت بها .

(٣) يؤذن : يعلم . (٤) العواتق : الأبكار .

يقرئاننا القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد رضي الله عنهم ، ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرين ، ثم جاء رسول الله ﷺ ؛ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به ، فما قدم حتى قرأتُ : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [1] ، في سورٍ من المفصَّل ، كذا في كنز العمال (٨ / ٣٣١) ، وعند أحمد في حديث البراء عن أبي بكر رضي الله عنهما في الهجرة ؛ قال البراء : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار ، ثم قدم علينا ابن أمّ مكتوم الأعمى رضي الله عنه أحد بني فِهْر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرين راكباً ، فقلنا : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال : هو على إثْري ، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، قال البراء : ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصَّل ، وأخرجه أيضاً البخاري ومسلم ، كذا في البداية (٣ / ١٨٨) .

وأخرج ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما قال : اتَّعدنا[2] لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة وهشام ابن العاص التناضب من أضاة بني غفار فوق سَرِف [3] وقلنا : أيُّنا لم يصبح عندها فقد حُبس ، فليمضِ صاحباه ، قال فأصبحت أنا وعيَّاش عند التناضب وحبس عنا هشام وفتن فافتتن ، فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش – وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمهما – حتى قدما المدينة ، ورسول الله ﷺ بمكة ، فكلَّماه وقال له : إنَّ أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مُشط حتى تراك ولا تستظلَّ من شمس حتى تراك ، فرقَّ لها ، فقلت له : إنه – والله – إنْ يريدك القوم إلاَّ ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حرّ مكة لا ستظلّت ، قال : فقال : أبّر قَسَمَ أمي ولي هنالك مال فآخذه ، قال : قلت : والله إنك لتعلم أنّي لمن أكثر قريش مالاً ، فلك نصف مالي ، ولا تذهب معهما ، قال : فأبى عليَّ إلاَّ أن يخرج معهما ، فلما أبَى إلاَّ ذلك قلت : أمَا إذ قد فعلت ما فعلت ، فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذَلول ، فالزم ظهره ، فإن رابك من أمر القوم رَيب فانجُ عليها .

فخرج عليها معهما حتى إذا كان ببعض الطريق ، قال له أبو جهل : يا أخي – والله – لقد استغلظت بعيري هذا ، أفلا تُعقبُني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى ، فأناخ وأناخا ليتحوَّل عليها ، فلما استوَوْا بالأرض عَدَوَا عليه فأوثقاه رباطاً ، ثم دخلا به

---

(١) سورة الأعلى الآية : ١ .
(٢) اتعدنا : وعد بعضنا بعضاً .
(٣) موضع يبعد عن مكة بنحو ستة أميال .

مكة وفتناه فافتتن . قال عمر رضى الله عنه : فكنا نقول : لا يقبل الله ممن افتَتَن توبة ، وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنزل الله : ﴿ قُل يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُم مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ (١) . قال عمر : فكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص . قال هشام : فلما أتتني جعلت أقرؤها بذى طُوى (٢) أصعِّد بها وأُصوِّب ولا أفهمها ، حتى قلت : اللَّهمَّ فهِّمْنيها ، فالقى الله فى قلبى أنها إنما أُنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ، ويقال فينا : قال : فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة . كذا فى البداية (٣ / ١٧٢) . وأخرجه أيضاً ابن السَكَن بسند صحيح عن ابن إسحاق بإسناده مطوَّلاً كما أشار إليه الحافظ فى الإصابة (٣ / ٦٠٤) ، والبزار بطوله نحوه ؛ قال الهيثمى (٦ / ٦١) ورجاله ثقات . وأخرجه البيهقى (٩ / ١٣) ، وابن سعد (٣ / ١٦٤) ، وابن مردويهْ ، والبزار عن عمر رضى الله عنه مختصراً كما فى كنز العمال (١ / ٢٦٢) . وأخرجه الطبرانى عن عروة مرسلاً : وفيه ابن لَهيعة ، وفيه ضعف . وعن ابن شهاب مرسلاً ، ورجاله ثقات . كذا فى المجمع (٦ / ٦٢) .

هجرة عثمان بن عفان رضى الله عنه

أخرج البيهقى عن قتادة رضى الله عنه قال : أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه . سمعت النضر بن أنس يقول : سمعت أبا حمزة — يعنى أنساً رضى الله عنه . يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية رضى الله عنهما بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة ، فابطأ على رسول الله ﷺ خبرهما ، فقدمت امرأة من قريش فقالت : يا محمد ، قد رأيت خَتَنَك (٣) ومعه امرأته . قال : « على أىِّ حال رأيتهما ؟ » قالت : رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدَّبَّابة(٤) وهو يسوقها . فقال رسول الله ﷺ : « صحبهما الله . إنَّ عثمان أول من هاجر بعد لوط عليه السلام » . كذا فى البداية (٣ / ٦٦) . وأخرجه أيضاً ابن المبارك عن أنس رضى الله عنه بمعناه كما فى الإصابة (٤ / ٣٠٥) ؛ والطبران عن أنس بمعناه ، وفى حديثه :واحتبس على النبى ﷺ خبرهم،فكان يخرج يتوكف (٥) .

---

(١) سورة الزمر الآيات : ٥٢ — ٥٥ . (٢) ذو طوى : موضع بالقرب من مكة المكرمة .

(٣) ختنك : صهرك .

(٤) الدبابة : الضعاف التى تدب فى المشى ولا تسرع . (٥) ينظر وقوعه .

عنهم الخبر ، فجاءته امرأة فأخبرته ، قال الهيثمى (٨ / ٨١) : وفيه الحسن بن زياد البُرجُمى ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات ، انتهى .

هجرة على بن أبى طالب رضى الله عنه

أخرج ابن سعد عن على رضى الله عنه قال : لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة فى الهجرة أمرنى أن أقيم بعده حتى أؤدّى ودائع كانت عنده للناس ؛ ولذا كان يسمى الأمين ، فأقمت ثلاثاً ، فكنت أظهر ما تغيّبتُ يوماً واحداً ، ثم خرجت فجعلت أتبع طريق رسول الله ﷺ ، حتى قدمت بنى عمرو بن عوف ورسول الله ﷺ مقيم ، فنزلت على كُلثوم بن الهِدْم وهنالك منزل رسول الله ﷺ ، كذا فى كنز العمال (٨ / ٣٣٥) .

هجرة جعفر بن أبى طالب والصحابة رضى الله عنهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة

أخرج أحمد والطبرانى – ورجاله رجال الصحيح – عن محمد بن حاطب رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّى رأيت أرضاً ذات نخل فاخرجوا » ، قال : فخرج حاطب وجعفر رضى الله عنهما فى البحر ، قال : فولدت أنا فى تلك السفينة ، كذا فى مجمع الزوائد للهيثمى (٦ / ٢٧) ، وأخرج الطبرانى والبزار عن عُمير بن إسحاق قال : قال جعفر رضى الله عنه : يا رسول الله ، ائذن لى أن آتى أرضاً أعبد الله فيها لا أخاف أحداً ، قال : قال فأذن له فيها ، فأتى النجاشى – فذكر الحديث بطوله كما سيأتى ، قال الهيثمى (٦ / ٢٩) : وعمير ابن إسحاق وثّقه ابن حِبّان وغيره ، وفيه كلام لا يضرّ ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، انتهى .

إرسال قريش عمرو بن العاص إلى النجاشى ليرد الصحابة إليهم

وأخرج ابن إسحاق عن أُم سَلَمة رضى الله عنها أنها قالت : لما ضاقت مكة وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ وفُتنوا ، ورأوا ما يُصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم ، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ فى مَنَعَة من قومه ومن عمّه لا يصل إليه شىء ممّا يكره وممّا ينال أصحابَه – فقال لهم رسول الله ﷺ : « إنَّ بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً ممّا أنتم فيه » فخرجنا إليها أرسالاً [1] حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظلماً ، فلّما رأت قريش أنّا

---

(١) أرسالاً : جماعة بعد جماعة .

قد أصبنا داراً وأمناً ، غارُوا منا ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردّنا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقته (١) ، فلم يدَعُوا منهم رجلا إلا هيؤا له هدية على حدة ، وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلّموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، فإن استطعتم أن يردّهم عليكم قبل أن تتكلّموا فافعلوا ، فقدما عليه فلم يبقَ بطْريق من بطارقته إلاّ قدّموا إليه هديته ، فكلّموه فقالوا له : إنما قدمنا على هذا الملك فى سفهائنا ، فارقوا أقوامهم فى دينهم ولم يدخلوا فى دينكم ، فبعثّنا قومُهم ليردّهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلمناه فاشيروا عليه بأن يفعل ، فقالوا : نفعل ، ثم قدّموا إلى النجاشى هداياه ، وكان من أحبِّ ما يُهدون إليه من مكة الأدَم (٢) ، فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك ، إنَّ فتيةً منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجؤوا إلى بلادك ، وقد بعثَنا إليك فيهم عشائرهُم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردّهم عليهم، فإنهم أعلى بهم عيناً(٣) ، فإنهم لن يدخلوا فى دينك فتمنعهم لذلك ، فغضب ثم قال : لا ، لعمر الله ، لا أردّهم عليهم حتى أدعوهم ، فأكلمهم وأنظُرَ ما أمرُهم ؛ قوم لجؤوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ، ولم أدخل بينهم وبينهم ، ولم أنعم عيناً ،

خبر الصحابة مع النجاشي

فلما دخلوا عليه سلّموا ولم يسجدوا له ، فقال : أيها الرهْطُ ، الا تُحَدّثُونى ما لكم لا تحيونى كما يحيينى من أتانا من قومكم ؟! فأخبرونى ماذا تقولون فى عيسى؟ وما دينكم ؟ أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا ، قال : أفيهود أنتم ؟ قالوا : لا ، قال : فعلى دين قومكم ؟ قالوا : لا ، قال : فما دينكم ؟ قالوا : الإسلام ، قال : وما الإسلام ؟ قالوا : نعبد الله ، لا نشرك به شيئاً ، قال : من جاءكم بهذا ؟ قالوا : جاءنا به رجل من أنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه ، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلَنا ، فأمرنا بالبر ، والصدقة ، والوفاء ، وأداء الأمانة ؛ ونهانا أن نعبد الأوثان ، وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فصدَّقناه ، وعرفنا كلام الله ، وعلمنا أنَّ الذى جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبّى الصادقَ وكذّبوه وأرادوا قتله ،

---

(١) البطارقة : جمع بطريق وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم ،

(٢) الأُدم : جمع أديم وهو الجلد المدبوغ ،

(٣) أى أبصر بحالهم من غيرهم إذ كلما كانت العين فى مكان مرتفع كانت أكثر إبصاراً فهو من الكنايات والأمثال ،

وأرادونا على عبادة الأوثان ، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا . قال : والله ، إنّ هذا لمن المشكاة [1] التى خرج منها أمر موسى . قال جعفر رضى الله عنه : وأما التحية ، فإنّ رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة : السلام ، وأمَرنا بذلك ، فحيّيناك بالذى يحيّى بعضنا بعضاً . وأما عيسى بن مريم عليهما السلام ، فعبد الله ، ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروحٌ منه ، وابن العذراء البتول [2] . فأخذ عوداً وقال : والله ، ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود . فقال عظماء الحبشة : والله ، لئن سمعت الحبشة لتخلعنّك . فقال : والله لا أقول فى عيسى عليه السلام غير هذا أبداً ، وما أطّاع الله الناسَ فىَّ حين ردَّ على ملكى فأطيع الناس فى دين الله !! معاذ الله من ذلك . كذا فى البداية (٣ / ٧٢) .

وأخرجه أيضاً أحمد عن أُم سلمة – زوج النبى ﷺ – بطوله ، وفى حديثه قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم . فلما جاءهم رسوله اجتمعوا فقال بعضهم لبعض : ما تقولون فى الرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول – والله – ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً فى ذلك ما هو كائن . فلما جاؤوه – وقد دعا النجاشى أساقفته [3] فنشروا مصاحفهم حوله – سألهم فقال : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الأمم ؟ – قالت : وكان الذى كلّمه جعفر بن أبى طالب قال : أيها الملك ، كنّا قوماً أهل جاهليّة ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوىُّ منا الضعيف ، فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه . فدعانا إلى الله عزّ وجلّ لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلَة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش ، وشهادة الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة . وأمرنا أن نعبد الله ، لا نشرك به شيئاً ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة – قالت : فعدّد عليه أُمور الإسلام – فصدّقناه ، وآمنا به واتّبعناه على ما جاء به ، فعبدنه الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرم الله علينا ، وأحللنا ما أحلَّ لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذّبونا ، وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عزّ وجلّ ، وأن نستحلّ ما كنا نستحلُّ

---

(١) المشكاة : الطاق الذى يوضع فيه المصباح .

(٢) العذراء البتول : البكر الطاهرة المنقطعة للعبادة .

(٣) الاساقفة : علماء النصارى ورؤسائهم .

من الخبائث . فلّما قهرونا وظلمونا وشقّوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ؛ خرجنا إلى بلدك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

قالت : فقال النجاشي : هل معك ما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر رضي الله عنه : نعم . قالت : فقال النجاشي : فاقرأه . فقرأ عليه صدراً من ﴿ كهيعص ﴾ (١) . قالت : فبكى النجاشي حتى أخْضَلَ لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تُلى عليهم . ثم قال النجاشي : إنَّ هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد .

قالت أم سلمة : فلّما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينّهم غداً أعيِّبهم عنده بما استأصل به خضراءهم ، فقال له عبد الله بن أبى ربيعة - وكان أتقى الرجلين فينا - : لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرنّه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عَبْدٌ . قالت : ثم غدا عليه ، فقال : يا أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولاً عظيماً فارسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم يسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلُها ؛ واجتمع القوم فقال بعضهم لبعض : ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاء به نبينا ﷺ : هو عبد الله ، ورسوله ، وروحه ، وكلمته آلقاها إلى مريم العذراء البتول . قالت : فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال : (والله) ما عَدَا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود !! فتناخرت (٢) بطارقة حوله حين قال ما قال . (فقال) : وإن نخرتم والله !! اذهبوا فأنتم سيوم بأرضى - والسيوم الآمنون - ؛ من سبَّكم غرِم ، ثم (قال) : من سبَّكم غَرِم ، ثم (قال) من سبَّكم غَرِم ، ما أحبُّ أن لى دَبْراً ذهباً وأنى آذيت رجلاً منكم - والدَّبْر بلسان الحبشة : الجبل - رُدّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين ردّ عليّ ملكى فآخذ فيه الرشوة ، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه . فخرجا من عنده مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به .

وأقمنا عنده فى خير دار مع خير جار ، فوالله إنه لَعَلى ذلك إذ نزل به مَنْ ينازعه فى ملكه . قالت : والله ما علمتنا حَزِنًا (حزنا) قط كان أشد من حزن حَزِنّاه عند ذلك ؛ تخوفاً أن يظهر ذلك (الرجل) على النجاشي ؛ فيأتى رجل لا يعرف من

---

(١) سورة مريم الآية : ١ . (٢) أى تكلمت بغضب ونفور .

حقًّنا ما كان النجاشي يعرف . قالت : وسار النجاشي وبينهما عَرْضُ النِّيل . قالت : فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَنْ رجلٌ خرج حتى يحضر وقيعة القـوم ، ثم يأتينا (بالخبر) ؟ قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا (قالوا : فأنت) قالت : وكان من أحدث القوم سنّاً . قالت : فنفخوا له قِربة فجعلها في صدره ، فَسَبَحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم . قالت : ودعونا الله عزّ وجلّ للنجاشي بالظهور على عدوّه والتمكين له في بلاده (قالت : فوالله إنا لَعَلَى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير وهو يسعى فلمع بثوبه ، وهو يقول : ألاَ أبشروا فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ، ومكّن له في بلاده ، قالت : فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قطّ مثلها . قالت ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده) واستوسق (١) عليه أمر الحبشة فكنّا عنده ، في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة . قال الهيثمي (٦ / ٢٧) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق ، وقد صرّح بالسماع . انتهى . كذا في الأصل ، والظاهر أنه ابن إسحاق ، وقد تقدم الحديث من طريقه ، وأخرجه أيضا أبو نعيم في الحلية (١ / ١١٥) من طريق ابن إسحاق نحوه مطوّلاً ؛ والبيهقي (٩ / ٩) ذكر صدر الحديث من طريق ابن إسحاق بسياقه ، ثم قال وذكر الحديث بطوله ، وذكر الحديث في السِّيَر (٩ / ١٤٤) .

وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي – ونحن نحوٌ من ثمانين رجلاً – فيهم : عبد الله بن مسعود ، وجعفر، وعبد الله بن عُرْفُطَة ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى (٢)، فأتَوا النجاشي ، وبعثت قريش عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالا له : إنَّ نفراً من بني عمنا نزلوا

---

(١) استوسق : استقر له الملك .

(٢) وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي ﷺ بالمدينة فالقتهم السفينة بأرض الحبشة ، فحضروا مع جعفر إلى النبي ﷺ بخيبر ، ويمكن الجمع بان يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فاسلم فبعثه النبي مع من بعث إلى الحبشه فتوجه إلى بلاد قومه وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي ، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة ، فالقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشه فهذا محتمل .. وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد والله أعلم كذا ، في فتح الباري (٧ / ١٣٠) .

أرضك ورغبوا عنا وعن ملّتنا . قال : فأين هم ؟ قالا : فى أرضك فابعث إليهم ؛ فبعث إليهم . فقال جعفر رضى الله عنه : أنا خطيبكم اليوم ، فاتّبعوه ، فسلّم ولم يسجد . فقالوا له : مالك لا تسجد للملك؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ، قال : وماذاك ؟ قال : إن الله بعث إلينا رسولاً ، ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو : فإنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم . قال : فما تقولون فى عيسى بن مريم وأمه ؟ قال : نقول كما قال الله : هو كلمته ، وروحه ، ألقاها إلى العذراء البتول التى لم يمسها بشر ولم يفرضها ولد (١) . قال : فرفع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيّسين والرهبان ! والله ما يُزيدون على الذى نقول فيه ما سوى هذا ، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ! أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذى نجد فى الإنجيل ، وأنه الرسول الذى بشّر به عيسى بن مريم . انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه ؛ وأمر بهدية الآخرين فردّت إليهما . ثم تعجّل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حتى أدرك بدراً . وهذا إسناد جيد قوى ، وسياق حسن -- قاله ابن كثير فى البداية (٣ / ٦٩) . وحسّن إسناده الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٧ / ١٣٠) . وقال الهيثمى (٦ / ٢٤) -- بعد ما ذكر الحديث -- : رواه الطبرانى وفيه خديج بن معاوية ، وثّقه أبو حاتم ، وقال فى بعض أحاديثه ضعف ، وضعّفه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله ثقات . انتهى .

وأخرج الطبرانى أيضاً عن أبى موسى رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى النجاشى ، فبلغ ذلك قريشاً ، فبعثوا عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد -- فذكره بمعنى حديث ابن مسعود ، وفى حديثه : ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبّل نعليه ، امكثوا فى أرضى ما شئتم ، وأمر لنا بطعام وكسوة . قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح (٦ / ٣١) أ . هـ . وأخرج حديث أبى موسى أيضاً أبو نُعيم فى الحلية (١ / ١١٤) ، والبيهقى قال : هذا إسناد صحيح -- كما فى البداية (٣ / ٧١) .

وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبى سفيان إلى النجاشى . فقالوا له -- ونحن عنده -- : قد صار إليك ناس من سفلتنا وسفهائنا ، فادفعهم إلينا . قال : لا ، حتى أسمع كلامهم . قال : فبعث إلينا . فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال قلنا : هؤلاء

---

(١) لم يفرضها ولد : أى لم يشقها ولد ، فالفرض فى اللغة من معانيه القطع والشق .

قوم يعبدون الأوثان ، وإن الله بعث إلينا رسـولاً فآمنا به وصدَّقناه . فقال لهم النجاشي : أعبيدٌ هُمْ لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلـكم عليهم دَيْن ؟ قالوا : لا . قال : فخلُّوا سبيلهم . قال : فخرجنا من عنده . فقال عمرو بن العاص : إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول . قال : إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار . فأرسل إلينا ، فكانت الدعـوة الثانية أشدّ علينا من الأولى . قال ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم ؟ قلنا : يقول : هو روح الله ، وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول . قال : فأرسل ، فقال : ادعوا لي فلان القَسّ ، فلان الراهب . فأتاه ناس منهم فقال : ما تقولون في عيسـى بن مريم ؟ فقالوا : أنت أعلمنا ، فما تقول ؟ قال النجاشي – وأخذ شيئاً من الأرض – قال : ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ، ثم قال : أيؤذيكم أحد ؟ قالوا : نعم . فنادى منادٍ . من آذى أحداً منهم فاغرموه أربعة دراهم ، ثم قال : أيكفيكم ؟ قلنا : لا ، فاضْعَفَهَا .

قال : فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له : إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة ، وقتل الذين كنا حدَّثناك عنهم ، وقد أردنا الرحيل إليه ، فُردّنا . قال : نعم : فحمّلنا وزوّدنا . ثم قال : أخبر صاحبك بما صنعت إليكم وهكذا صاحبي معكم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وقل له : يستغفر لي . قال جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقّاني رسول الله ﷺ واعتنقني ، ثم قال : « ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر ! » ووافق ذلك فتحَ خيبر ، ثم جلس ، فقال رسول النجاشي : هذا جعفر ، فسَلْه ما صنع به صاحبنا ؟ فقال : نعم ، فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزوّدنا ، وشـهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . وقال لي : قل له يستغفر لي . فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ، ثم دعا ثلاث مرات : « اللهم اغفر للنجاشي » . فقال المسلمون : آمين . ثم قال جعفر : فقلت للرسول : انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ . قال ابن عساكر : حسن غريب . كذا في البداية (٣ / ٧١) . وأخرج الطبراني من طريق أسد بن عمرو عن مُجالد وكلاهما ضعيف ، وقد وُثّقا – قاله الهيثمي (٦ / ٢٩) .

فضيلة من هاجر إلى الحبشة ثم إليه ﷺ

وأخرج ابن إسحاق عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حَثْمة رضي الله عنها قالت : والله إنا لنترحَّل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر فوقف عليّ وهو على شركه فقالت : وكنّا نلقى منه أذى لنا وشدَّة علينا – قالت : فقال : إنه الانطلاق يا أم عبد الله ؟ قلت :

نعم ، والله لنخرجنَّ فى أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجاً ، قالت : فقال : صحبكم الله !! ورأيت له رقّة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا ، قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر آنفاً ورقّته وحزنه علينا .

قال : أطمعت فى إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ، قال : لا يُسلم الذى رأيت حتى يسلمَ حمارُ الخطّاب ، قالت : يأساً منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام . كذا فى البداية (٣ / ٧٩) . واسم أم عبد الله : ليلى ؛ كما فى الإصابة (٤ / ٤٠٠) . وأخرجه أيضاً الطبرانى ؛ وقد صرح ابن إسحاق بالسماع فهو صحيح . قاله الهيثمى (٦ / ٢٤) . وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٤ / ٥٨) بسياق ابن إسحاق من طريقه إلا أنه وقع فى الإسناد عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر ابن ربيعة عن أبيه عن أمه أم عبد الله ، وهذا هو الظاهر – والله أعلم .

وفى آخره : قال : يأساً منه . وأخرج ابن مَنْده وابن عساكر عن خالد بن سعيد ابن العاص - وكان من مهاجرة الحبشة هو وأخوه عمرو - : ولّما قدموا على رسول الله ﷺ تلقّاهم حين دنوا منه وذلك بعد بدر بعام ، فحزنوا أن لا يكونوا شهدوا بدراً ، فقال رسول الله ﷺ : « وما تحزنون ؟ إنَّ للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان ، هاجرتم حين خرجتم إلى صاحب الحبشة، ثم جئتم من عند صاحب الحبشة مهاجرين إلى » . كذا فى كنز العمال (٨ / ٣٣٢) .

وأخرج البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه ، قال : بلغنا مخرج النبى ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهم ، أحدهم أبو بُردة والآخر أبو رُهم - إمّا قال فى بضع وإما قال فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى - ، فركبنا سفينة فالقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبى طالب فاقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبى ﷺ حيث افتتح خيبر . فكان أناس من الناس يقولون لنا - يعنى لأهل السفينة : سبقناكم بالهجرة . ودخلت أسماء بنت عُميس وهى ممّن قدم معنا على أمّ المؤمنين حفصة زوج النبى ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر ، فدخل عمر رضى الله عنه على حفصة وأسماء عندها ، فقال - حين رأى أسماء - : من هذه ؟ قالت : أسماء ابنة عُميس ، قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم ، قال : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحقُّ برسول الله ﷺ منكم ، فغضبت وقالت : كلا ، والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ؛ وكنا فى دار - أوفى أرض البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك فى الله وفى رسول الله ﷺ ؛ وأيّمُ الله ، لا أطعم

طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكَر ما قلتَ للنبى ﷺ وأسأله ، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبى ﷺ قالت : يا نبى الله ، إن عمر قال كذا وكذا، قالت قال : « فما قلتِ له ؟ » قالت قلت : كذا كذا ، قال : « ليس بأحق بى منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » . قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتونى أرسالاً (١) يسألونى عن هذا الحديث : ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم النبى ﷺ . قال أبو بُردة عن أبى موسى : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث منى . وقال أبو بُردة عن أبى موسى : قال النبى ﷺ : « إنى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام : إذا لقى العدو - أو قال : الخيل - قال لهم : إن أصحابى يأمرونكم أن تنظروهم » . وهكذا رواه مسلم . كذا فى البداية (٤ / ٢٠٥) .

وعند ابن سعد بإسناد صحيح عن الشَّعْبى قال : قالت أسماء ابنة عُميس رضى الله عنها : يا رسول الله ، إنَّ رجالاً يفخرون علينا ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين ، فقال : « بل لكم هجرتان : هاجرتم إلى أرض الحبشة ، ثم هاجرتم بعد ذلك » . كذا فى فتح البارى (٧ / ٣٤١) . وأخرج هذا الأثر ابن أبى شيبة أيضاً أطول منه كما فى كنز العمال (٧ / ١٨) . وأخرج حديث أبى موسى أيضاً الحسن بن سفيان وأبو نُعيم مختصراً كما فى الكنز أيضاً (٨ / ٣٣٣) .

هجرة أبى سلمة وأم سَلَمة رضى الله عنهما إلى المدينة

أخرج ابن إسحاق عن أم سَلَمة رضى الله عنها قالت : لما أجمَع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحّل لى بعيره ، ثم حملنى عليه ، وجعل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج يقود بى بعيره . فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلَبْتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذونى منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سَلَمة وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا قالت : فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة ؛ قالت : ففُرِّق

(١) أرسالاً : أى أفواجا وفرقا متقطعه ، بعضهم يتلو بعض واحدهم رَسَل - بفتح الراء والسين انظر لسان العرب .

بينى وبين ابنى وبين زوجى ، قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس فى الأبطح ، فما أزال أبكى حتى أمسى سنة أو قريباً منها ؛ حتى مرّ بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة ، فرأى ما بى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك إن شئت ، قالت : فردّ بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك ابنى ، قالت : فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجْرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، قالت : وما معى أحد من خلق الله ، حتىَ إذا كنت بالتنعيم (١) لقيت عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار ، فقال : إلى أين يا ابنة أبى أُمية ؟ قلت : أُريد زوجى بالمدينة ، قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : ما معى أحد إلا الله وبُنَىَّ هذا ، فقال : والله مالكِ من مترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معى يهوى (٢) بى ؛ فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قطُّ أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحطَّ عنه ، ثم قيّده فى الشجر ، ثم تَنَحَّى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحَّله ، ثم استأخر عنى وقال : اركبى ، فإذا ركبت فاستويت (٣) على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقُباء قال : زوجك فى هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلاً - فأدخليها على بركة الله - ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، فكانت تقول : ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سَلَمة ؛ وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ، أسلم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى هذا بعد الحديبية ، وهاجر هو وخالد بن الوليد رضى الله عنه معاً ، كذا فى البداية (٣ / ١٦٩) .

هجرة صهيب بن سنان رضى الله عنه

أخرج البيهقى عن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أريت دار هجرتكم سَبْخَة (٤) بين ظهرانى حرّتين (٥) ، فإما ان تكون هَجَر أو تكون يثرب » ، قال : وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر رضى الله عنه ، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدنى فتيان من قريش ، فجعلت ليلتى تلك أقوم لا

---

(١) هو واد قريب من مكة . (٢) أى يسرع بى .

(٣) جلست باعتدال ، من الاستواء .

(٤) السبخة : أرض تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر .

(٥) الحرة : ارض ذات حجارة سود نخرات كأنها احرقت بالنار . انظر لسان العرب .

أقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه – ولم أكن شاكياً – فناموا ، فخرجت ولحقنى منهم ناس بعدما سرت يريدوا ليردونى ، فقلت لهم : إن أعطيتكم أواقى [١] من ذهب وتخلوا سبيلى وتوفون لى ؟ ففعلوا ، فتبعتهم إلى مكة فقلت : احفروا تحت أُسْكُفَّة [٢] الباب فإن بها أواقىَّ ؛ واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحُلَّتَين ، وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحوّل [٣] منها ، فلما رآنى قال : « يا أبا يحيى ربح البيع !! » فقلت : يا رسول الله ، ما سبقنى إليك أحد ، وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام ، كذا فى البداية (٣ / ١٧٣) ، وأخرجه الطبرانى أيضاً نحوه – قال الهيثمى (٦ / ٦٠) : وفيه جماعة لم أعرفهم ، انتهى ، وأخرجه أيضاً أبو نُعيم فى الحلية (١ / ١٥٢) .

وأخرج أيضاً هو وابن سعد (٣ / ١٦٢) ، والحارث وابن المنذر ، وابن عساكر ، وابن أبى حاتم عن سعيد بن المسيِّب أنَّ صهيباً رضى الله عنه أقبل مهاجراً نحو النبى ﷺ ، فتبعه نفر من قريش مشركون ، فنزل فانتثل [٤] كنانته فقال : قد علمتم يا معشر قريش أنى أرماكم رجلاً بسهم ، وايْمُ الله لا تصلون إلىَّ حتى أرميكم بكل سهم فى كنانتى ، ثم أضربكم بسيفى ما بقى فى يدى منه (شىء) ، ثم شأنكم بعد ذلك ، وإن شئتم دللتم على مالى بمكة وتخلُّوا سبيلى ، قالوا : نعم ، فتعاهدوا على ذلك فدلَّهم ، فأنزل الله على رسوله القرآن : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ** ﴾ [٥]، حتى فرغ من الآية ، فلما رأى النبى ﷺ صهيباً قال : « ربح البيع يا أبا يحيى !! ربح البيع يا أبا يحيى !! » وقرأ عليه القرآن ، كذا فى كنز العمال (١ / ٢٣٧) ، وأخرجه أيضاً ابن عبد البَر فى الاستيعاب (٢ / ١٨٠) عن سعيد نحوه ، وأخرج الحاكم فى المستدرك (٣ / ٣٩٨) من طريق سليمان بن حرب عن حمّاد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال : لما خرج صهيب رضى الله عنه مهاجراً تبعه أهل مكة ، فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهماً ، فقال : لا تصلون إلىّ حتى أضع فى كل رجل منكم سهماً ، ثم أصير بعد إلى السيف فتعلمون أنى رجل ، وقد خلَّفت بمكة قينتين [٦] فهما لكم ، قال : وحدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه – نحوه : ونزلت على النبى ﷺ :

---

(١) أواقى : جمع أوقية ، وهى أربعون درهما ،
(٢) أسكفة الباب : خشبة الباب التى يوطأ عليها ، (٣) يتحول منها : أى يغادرها ،
(٤) انتثل كنانته : أى استخرج ما فيها من السهام ، انظر لسان العرب ،
(٥) سورة البقرة الآية : ٢٠٧ ، (٦) أى أمتين ،

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ﴾ – الآية ، فلما رآه النبى ﷺ قال : « أبا يحيى ربح البيع » . قال : وتلا عليه الآية ، قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه ، وأخرجه أيضاً ابن أبى خَيْثمة بمعناه كما فى الإصابة (٢ / ١٩٥) ، وقال : ورواه ابن سعد أيضاً من وجه آخر عن أبى عثمان النَّهْدى ، ورواه الكلبى فى تفسيره عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وله طريق أخرى . انتهى . وأخرجه ابن مَرْدَويه من طريق أبى عثمان النَّهدى عن صهيب رضى الله عنه قال : لَّما أردت الهجرة من مكة إلى النبى ﷺ قالت لى قريش : يا صهيب : قدمتَ إلينا ولا مال لك ، وتخرج أنت ومالك ، والله لا يكون ذلك أبداً . فقلت لهم : أرأيتم إن دفعت إليكم مالى تخلّون عنى ؟ قالوا : نعم . فدفعت إليهم مالى ، فخلّوا عنى ؛ فخرجت حتى قدمت المدينة : فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « ربح صهيب ، ربح صهيب » مرتين . كذا فى التفسير لابن كثير (١ / ٢٤٧) . وأخرجه ابن سعد (٣ / ١٦٢) من طريق أبى عثمان – بنحوه .

هجرة عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

أخرج أبو نعيم فى الحلية (١ / ٣٠٣) عن عمر بن محمد بن زيد عن أبيه قال : كان ابن عمر رضى الله عنهما إذا مر بَربْعهم (١) . وقد هاجر منه - غمَّض عينيه (٢) ولم ينظر إليه ولم ينزله قط . وعند البيهقى فى الزهد بسند صحيح عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر يقول : ما ذكر ابن عمر رسول الله ﷺ إلا بكى ، ولا مّر على رَبْعهم إلا غمَّض عينيه . كذا فى الإصابة (٢ / ٣٤٩) .

هجرة عبد الله بن جحش رضى الله عنه

أخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن عبد الله بن جحش رضى الله عنه ، وكان آخر من بقى ممّن هاجر ، وكان قد كُفَّ بصره ؛ فلما أجمع على الهجرة كرهت امرأته ذلك بنت (أبى سفيان بن حرب بن أُمية) ، وجعلت تشير عليه أن يهاجر إلى غيره ، فهاجر بأهله وماله مكتتماً من قريش حتى قدم المدينة على رسول الله ﷺ . فوثب أبو سفيان بن حرب فباع داره بمكة ، فمّر بها بعد ذلك أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وحويطب بن عبد العزى وفيها أُهُبٌ (٣) معْطُونة (٤) . فذرفت عينا عتبة وتمثل ببيت من شعر :

---

(١) الربع : المنزل والدار بعينها ، والوطن متى كان وباى مكان كان انظر لسان العرب .

(٢) غمض عينيه : اطبق جفنيه . (٣) اهب : جمع إهاب وهو الجلد من البقر والغنم .

(٤) عطن الجلد : وضع فى الدباغ .

وكلُّ دار وإن طالت سلامتها يوماً ستدركها النكباء [1] والحوب [2]

قال أبو جهل – وأقبل على العباس – فقال : هذا ما أدخلتم علينا ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح قام أبو أحمد يَنشُد داره [3] ، فأمر النبى ﷺ عثمان ابن عفان ، فقام إلى أبى أحمد فانتحاه [4] ، فسكت أبو أحمد عن نشيد داره ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : وكان أبو أحمد يقول – والنبى ﷺ متكىء على يده يوم الفتح . :

حبذا مكة من وادى بها أمشى بلا هادى
بها يكثر عُوَّادى بها تركز أوتادى

قال الهيثمى (٦ / ٦٤) : وفيه عبد الله بن شبيب وهو ضعيفى أ . هـ قال ابن إسحاق : كان أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة وعبد الله بن جحش رضى الله عنهما ، احتمل بأهله وبأخيه عبد أبى أحمد ، وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت أُمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم رضى الله عنها ، فغُلِّقت دار بنى جحش هجرة ، فمرّ بها عتبة فذكر قصتهم بمعنى ما تقدم كما فى البداية (٣ / ١٧٠) ، فالظاهر أنه سقط ذكر أبى أحمد فى الحديث ، أو عبد الله تصحيفاً ، والصحيح عبد بن جحش فإنه كان ضرير البصر ، لا أخوه عبد الله بن جحش وقال : أبو أحمد بن جحش هذا فى هجرتهم كما ذكر ابن كثير فى البداية عن ابن إسحاق (٣ / ١٧١) :

ولّما رأتنى أم أحمدَ غادياً بذمّة من أخشى بغيب وأرهَبُ
تقول فإمّا كنت لابدَّ فاعلاً فيمّم بنا البلدان ولتنأ يثربُ
(فقلت لها ما يثرب بمظنّة) وما يشأ الرحمن فالعبد يركب
إلى الله وجهى والرسول ومنَ يُقم إلى الله يوماً وجهه لا يُخَيَّب
فكم قد تركنا من حميم مناصح وناصحة تبكى بدمع وتندُب
ترى أنّ وترا نأيُنا عن بلادنا ونحن نرى أن الرغائب نَطْلُب
دعوت بنى غنّم لحقن دمائهم وللحق لما لاح للناس مَلْحَب

---

(١) النكباء : ريح تهلك المال وتحبس المطر . (٢) الحوب : الوحشة .

(٣) ينشد داره : يطلبها .

(٤) أى مال به إلى ناحية وناجاه سراً .

أجابوا بحمد الله لّما دعاهم إلى الحق داعٍ والنجاحِ فأوْعبوا
وكنا وأصحاباً لنا فارقوا الهدى أعانوا علينا بالسلام وأجلبوا (١)
كفَوجين أما منهما فموفَّق على الحق مهدى وفوج معذّب
طَغَوا (٢) وتمنَّوا كذبة وأزلهم عن الحق إبليس فخابوا وخيّبوا
ورعنا (٣) إلى قول النبى محمدٍ فطاب ولاة الحق منا وطيبوا
نَمُتُّ (٤) بأرحام إليهم قريبةٍ ولا قرب بالأرحام إذ لا تُقرّب
فأىّ ابن أخت بعدنا يأمننكم وأية صهْر بعد صهرىَ ترقب
ستعلم يوماً أيُّنا إذ تزايلوا (٥) وزُيّل (٦) أمر الناس للحق أصوب

هجرة ضمرة بن أبى العيص أو ابن العيص

أخرج الفريابى عن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال : لما أنزلت : ﴿ **لاَ يَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيرُ أُولِى الضَّرَرِ** ﴾ (٧) ـ الآية ، ثم ترخَّص عنها أناس من المساكين ممّن بمكة حتى نزلت : ﴿ **إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الملائِكَةُ ظَالِمى أنفُسِهِمْ** ﴾ (٨) ـ الآية ، فقالوا : هذه مُرْجِفة (٩) حتى نزلت : ﴿ **إلاَّ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً** ﴾ (١٠) ، فقال ضمرة بن العيص ــ أحد بنى لَيْث وكان مُصاب البصر ، وكان موسراً (١١) : لئن كان ذهاب بصرى إنى لأستطيع الحيلة ، لى مال ورقيق ، احملونى ، فحُمل ودَبَّ (١٢) وهو مريض ، فأدركه الموت وهو عند التَنْعيم ؛ فدفن عند مسجد التَنْعيم ، فنزلت فيه خاصة : ﴿ **وَمَنْ يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ (١٣) ـ الآية ، وعلّقه ابن مَنْده لهُشَيم عن سالم ، وأخرجه ابن أبى حاتم من طريق إسرائيل عن سالم الأفطس ، فقال : عن سعيد بن جبير عن أبى ضمـرة بن العيص الزُرَقى رضى الله عنه ، كذا فى الإصـابة (٢ / ٢١٢) ، وأخرجه أبو يعلى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً فقال لأهله : احملونى ، فأخرجونى من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ ، فمات فى الطريـق قبل أن يصـل إلى النبى ﷺ فنزل الوحـى :

---

(١) جلبوا : تجمعوا من كل وجه للحرب . (٢) طغوا : جاوزوا الحد .
(٣) رجعنا . (٤) المت : التوسل والتوصل بحرمة أو قرابة .
(٥) تزايلوا : تفرقوا . (٦) زيل : ميّز .
(٧) سورة النساء الآية : ٩٥ . (٨) سورة النساء الآية : ٩٧ .
(٩) مرجفة : مخيفه . (١٠) سورة النساء الآية : ٩٨ .
(١١) غنيا . (١٢) أى مشى رويداً . (١٣) سورة النساء الآية : ١٠٠ .

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ ﴾ – حتى بلغ – ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ . قال الهيثمى فى المجمع (٧ / ١٠) : ورجاله ثقات .

هجرة واثلة بن الأسقع رضى الله عنه

أخرج ابن جرير عن خالد بن الوليد عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنهما قال : خرجت من أهلى وأريد الإسلام ، فقدمت على رسول الله ﷺ وهو فى الصلاة فصففت فى آخر الصفوف فصلَّيت بصلاتهم . فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة انتهى إلىَّ وأنا فى آخر الصفوف . فقال : « ما حاجتك ؟ » قلت : الإسلام . قال : « هو خير لك » . قال : « وتهاجر ؟ » قلت : نعم . قال : « هجرةَ البادى أو هجرة الباتى ؟ » قلت : أيتها خير ؟ قال : « هجرة الباتى » . قال : « وهجرة الباتى أن تثبت مع رسول الله ﷺ ، وهجـرة البادى أن يرجـع إلى باديته » . قال : « وعليك الطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثَرَة [١] عليك » . قلت : نعم . فقدَّم يده وقدمت يدى . فلما رآنى لا أستثنى لنفسى شيئاً قال : « فيما استطعت » . فقلت : فيما استطعت . فضرب على يدى . كذا فى كنز العمال (٨ / ٣٣٣) .

هجرة بنى سليم

أخرج أبو نُعيم عن إياس بن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : أصاب أسْلَم وجعٌ . فقال رسول الله ﷺ : « يا أسلمُ ابدوا [٢] » . قالوا: يا رسول الله نكره أن نرتد [٣] ، ونرجع على أعقابنا . فقال رسول الله ﷺ : « أنتم باديتنا ونحن حاضرتكم، إذا دعوتمونا أجبناكم وإذا دعوناكم أجبتمونا ؛ أنتم المهاجرون حيث كنتم » . كذا فى كنز العمال (٧ / ١٤٢) .

هجرة جنادة بن أبى أمية رضى الله عنه

أخرج أبو نُعيم والحسن بن سفيان عن جنادة بن أبى أمية الأزدى رضى الله عنه قال : هاجرنا على عهد النبى ﷺ فاختلفنا فى الهجرة ، فقال بعضنا : قد انقطعت ؛ وقال بعضنا : لم تنقطع « فدخلت على رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال : لا تنقطع الهجرة ، ما قوتل الكفار » . كذا فى الكنز (٨ / ٣٣١) . وعند ابن منده وابن عساكر عن عبد الله بن السعدى رضى الله عنه قال : وفدت فى نفر من بنى سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ سبعة أو ثمانية وأنا من أحدثهم سناً ، فأتوا رسول الله ﷺ

---

(١) أى وفى حالة تجد فيها نفسك مفضولاً قد آثر الحاكم أحداً بشىء دونك ورأيت أنك أحق به منه فالصبر منك على هذه الاثرة يكون طاعة لله عز وجل .

(٢) ابدوا : اخرجوا إلى البادية .　　(٣) أى إلى البادية .

فقضوا حوائجهم وخلّفوني في رَحْل لهم ، فجئت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أخبرني عن حاجتي ، فقال : « وما حاجتك ؟ » قلت : رجال يقولون : قد انقطعت الهجرة ، فقال : « أنت خيرهم حاجة - أو حاجاتهم - لا تنقطع الهجرة ، ما قوتل الكفار » ، كذا في الكنز (٨ / ٣٣٣) ، وأخرجه أيضاً أبو حاتم ، وابن حبّان ، والنِّسائي ، وقال أبو زُرعة : حديث صحيح متقن ، رواه الأثْبات عنه ؛ كما في الإصابة (٢ / ٣١٩) .

ما قيل لصفوان بن أمية وغيره في الهجرة

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قيل لصفوان بن أمية - وهو بأعلى مكة - : إنه لا دين لمن لم يهاجر ، فقال : لا أصل إلى بيتي حتى أقْدُم المدينة ، فقدم المدينة فنزل على العباس بن عبد المطلب ، ثم أتى النبي ﷺ فقال : « ما جاء بك يا أبا وَهْب ؟ » قال : قيل : إنه لا دين لمن لم يهاجر ، فقال النبي ﷺ : « ارجع أبا وَهْب إلى أباطح [١] مكة ، فقرّوا [٢] على مسكنكم ، فقد انقطعت الهجرة ، ولكن جهاد ونية فإن استُنفرتم فانفروا » ، كذا في كنز العمال (٨ / ٣٣٣) ، وأخرجه البيهقي أيضاً بلفظه (٩ / ١٧) ، وعند عبد الرزاق عن طاووس قال : قيل لصفوان بن أمية : هلك من نُفيت له هجرة ، فحلف أن لا يغسل رأسه حتى يأتي النبي ﷺ ، فركب راحلته ثم انطلق ، فصادف النبي ﷺ عند باب المسجد ، فقال : يا رسول الله ، إنه قيل لي : هلك من لا هجرة له ، فآليتُ [٣] بيمين لا أغسل رأسي حتى آتيك ، فقال النبي ﷺ : « إنَّ صفوان سمع بالإسلام فرضي به ديناً ، إن الهجرة قد انقطعت بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استُنفرتم فانفروا [٤] » كذا في الكنز (٣ / ٨٤) .

وأخرج البغوي ، وابن مَنْده ، وأبو نُعيم عن صالح بن بشير ابن فُديك : أن جده فُديكاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنهم يزعمون أن من لم يهاجر هلك ، فقال النبي ﷺ : « يا فُدَيك ، أقم الصلاة ، وآت الزكاة ، واهجر السوء ، واسكن من أرض قومك حيث شئت تكن مهاجراً » ، كذا في الكنز (٨ / ٣٣١) ، وأخرجه

---

(١) أباطح : جمع أبطح وهو مسيل الوادي .

(٢) قروا : أي اسكنوا واثبتوا .

(٣) آليت : حلفت .

(٤) قال النووي : يريد أن الخير الذي بانقطاع الهجرة يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة ، وإذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة فاخرجوا إليه . (كذا في فتح الباري ٦ / ٢٥) .

البيهقى (٩ / ١٧) . وأخرج البخارى عن عطاء بن أبى رباح قال : زُرت عائشة رضى الله عنها مع عبيد بن عمير الليثى فسألناها عن الهجرة . فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يُفتن عليه . فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام واليوم يعبد ربه حيث شاء ، ولكن جهاد ونية . أخرجه البيهقى (٩ / ١٧) . أيضاً .

هجرة النساء والصبيان

هجرة أهل بيت النبى ﷺ وأبى بكر رضى الله عنهم

أخرج ابن عبد البَرّ عن عائشة رضى الله عنها قالت : لَما هاجر رسول الله ﷺ خلّفنا وخلّف بناته ، فلما استقر بعث زيد بن حارثه وبعث معه أبا رافع مولاه ، وأعطاهما بعيرين وخمس مائة درهم أخذاها من أبى بكر رضى الله عنه يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظَّهْر ، وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط ببعيرين أو ثلاثة ، وكتب إلى عبد الله بن أبى بكر أن يحمل أمّى أم رومان وأنا وأختى أسماء امرأة الزبير ، فخرجوا مصطحبين . فلما انتهوا إلى قُدَيد [١] اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمس مائة درهم ثلاثة أبْعرة ، ثم دخلوا مكة جميعاً ، فصادفوا طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه يريد الهجرة ، فخرجوا جميعاً ، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسَوْدة بنت زَمْعة ، وحمل زيد أم أيمن وأسامة ، حتى إذا كنا بالبيداء نَفَر بعيرى وأنا فى محفّة [٢] معى فيها أمى ، فجعلت تقول : وابنتاه ، واعروساه ، حتى أدرك [٣] بعيرنا وقد هبط الثنية ثنية هَرْشى [٤] فسلّم الله . ثم إنَّا قدمنا المدينة ، فنزلت مع آل أبى بكر ، ونزل آل النبى ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يبنى مسجده وأبياتاً حول المسجد ، فأنزل فيها أهله ، فمكثنا أياماً — فذكر الحديث بطوله فى تزويج عائشة . كذا فى الاستيعاب (٤ / ٤٥٠) . وأخرجه الزبير أيضاً كما فى الإصابة (٤ / ٤٥٠) . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩ / ٢٢٧) — إلا أنه سقط عنه ذكر مخرجه وقال : وفيه محمد بن الحسن بن زُبالة وهو ضعيف . ثم ذكر عن عائشة رضى الله عنها قالت : قدمنا مهاجرين ، فسلكنا فى ثنيّة ضعينة فنفر جمل كنت

---

(١) قديد : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) محفه بالكسر : مركب للنساء كالهودج إلا أنها لا يجعل فوقها قبة .

(٣) أى : هدأ ووقف .

(٤) موضع بين مكة والمدينة ، وقيل هرشى : جبل قرب الجحفة .

(٥) أى استمر فى نفروه .

عليه نفوراً منكراً ، فوالله ما أنسى قول أمي : يا عُرَيِّسة ! فركب بي رأسه [1] ، فسمعت قائلاً يقول : ألقي خطامه ، فألقيته ، فقام يستدير كأنما إنسان قائم تحته ، ثم قال : (٩ / ٢٢٨) : رواه الطبراني وإسناده حسن . انتهى . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٤) بطوله .

هجرة زينب ابنته ﷺ وقوله فيها بسبب ما أصابها من الأذى في الطريق

وأخرج ابن إسحاق عن زينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ أنّها قالت : بينا أنا أتجهّز لقيتني هند بنت عتبة فقالت : يا ابنة محمد ، ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك . قالت : فقلت : ما أردت ذلك . فقالت : أيّ ابنةَ عم لا تفعلي ، إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغينْ به إلى أبيك فإن عندي حاجتك ، فلا تضْطَبنـي [2] مني ، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال [3] . قالت : والله ما أُراها قالت ذلك إلاّ لتفعل . قالت : ولكني خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك . قال ابن إسحاق : فتجهّزتْ ، فلما فرغت من جهازها قدّم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهي في هودج لها ، وتحدّث بذلك رجال من قريش ، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طُوىً ، وكان أول من سبق إليها هَبّار بن الأسود الفهْري ، فروّعها هبّار بالرماح وهي في الهودج ، وكانت حاملاً - فيما يزعمون - فَطرحت ، وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً ، فتَكَرْكر الناس عنه [4] ، وأتى أبو سفيان في جلّة [5] من قريش ، فقال : يا أيها الرجل ، كفّ عنا نبلك حتى نكلمك ، فكفّ . فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال : إنك لم تُصب ، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانيةً على رؤوس الناس من بين أظهرنا أنَّ ذلك عن ذلّ أصابنا وأن ذلك ضعف منا ووَهن ، ولعمري ، ما لنا بحبسها من أبيها حاجةٌ وما لنا من ثؤُرة [6] ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدَّث الناس أن قد رددناها ؛ فسُلَّها سراً وألحقها بأبيها . قال ففعل . كذا في البداية (٣ / ٣٣٠) .

---

(١) أي : استمر في نفوره .   (٢) أي لا تكتميني شيئاً .

(٣) أي أن ما بين الرجال من العداوة والشحناء لا شأن لنا بها نحن النساء .

(٤) تراجعوا عنه .   (٥) جماعة من أشراف قريش وأجلائهم .   (٦) ثؤرة : ثأر .

وعند الطبرانى عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما : أن رجلاً أقبل بزينب رضى الله عنها بنت رسول الله ﷺ ، فلحقه رجلان من قريش فقاتلاه حتى غلباه عليها فدفعاها ، فوقعت على صخرة فأسقطت وهُريقت دماً ، فذهبوا بها إلى أبى سفيان ، فجاءته نساء بنى هاشم فدفعها إليهن . ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة ، فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع ؛ فكانوا يرون أنها شهيدة . قال الهيثمى (٩ / ٢١٦) : وهو مرسل ، ورجاله رجال الصحيح أ . هـ .

وعند الطبرانى فى الكبير عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ : أن رسول الله ﷺ لما قدم من مكة خرجت ابنته زينب رضى الله عنها من مكة مع كِنانة - أو ابن كِنانة فخرجوا فى طلبها ، فأدركها هَبَّار بن الأسود ، فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها وألقت ما فى بطنها ، فتحملت (١) ؛ واشتجر (٢) فيها بنو هاشم وبنو أُمية ، فقال بنو أُمية : نحن أحقّ بها وكانت تحت ابن عمهم أبى العاص ؛ وكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة ، وكانت تقول : هذا فى سبب أبيك . فقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : « ألا تنطلق فتجيء بزينب ؟ » قال : بلى يا رسول الله ، قال : فخذ خاتمى فأعطها إيّاه ، فانطلق زيد فلم يزل يتلطف ، فلقى راعياً فقال : لمن ترعى؟ فقال : لأبى العاص . فقال : لمن هذه الغنم ؟ فقال : لزينب بنت محمد ، فسار معه شيئاً ثم قال : هل لك أن أعطيك شيئاً تعطيها إياه ولا تذكره لأحد ؟ قال : نعم . فأعطاه الخاتم ، فعرفته . فقالت : من أعطاك هذا ؟ قال : رجل . قالت : فأين تركته؟ قال : بمكان كذا وكذا . فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه فلما جاءته قال لها : اركبى بين يدى على بعيره - . قالت : لا ، ولكن اركب أنت بين يدى ، فركب وركبت وراءه حتى أتت ، فكان رسول الله ﷺ يقول : « هى خير بناتى أُصيبت فى » فبلغ ذلك على بن حسين رضى الله عنهما ، فانطلق إلى عروة فقال : ما حديث بلغنى عنك أنك تحدثه تنتقص حقَّ فاطمة ؟ فقال عروة : والله ما أحب أن لى ما بين المشرق والمغرب وأنى أنتقص فاطمة حقاً لها ، وأما بعد ذلك إنى لا أحدّث به أبداً . قال الهيثمى (٩ / ٢١٣) : رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بعضه ؛ ورواه البزار ؛ ورجاله رجال الصحيح . انتهى .

هجرة درّة بنت أبى لهب رضى الله عنها

أخرج الطبرانى عن ابن عمر وأبى هريرة وعمار بن ياسر رضى الله عنهم قالوا : قدمت درّة بنت أبى لهب رضى الله عنها مهاجرة ، فنزلت دار رافع بن المُعلَّى الزُّرقى

---

(١) أى تحاملت على الألم وقامت . (٢) تنازع .

رضى الله عنه ، فقال لها نسوة جلسن إليها من بني زُرَيق : أنت بنت أبى لهب الذى قال الله فيه : ﴿ تبّت يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [١] ؛ ما يغنى عنك مهاجَرُك ، فاتت درة النبى ﷺ فشكت إليه ما قلن لها ، فسكّنها رسول الله ﷺ وقال : اجلسى ، ثم صلّى بالناس الظهر وجلس على المنبر ساعة وقال : « يا أيها الناس ، ما لى أوذَى فى أهلى ، فوالله إن شفاعتى لتنال حىّ حا ، وحَكم ، وصُدا ، وسَهلب [٢] يوم القيامة ، قال الهيثمى (٩ / ٢٥٧) : وفيه عبد الرحمن ابن بشير الدمشقى وثّقه ابن حبّان ، وضعّفه أبو حاتم ؛ وبقية رجاله ثقات ، وقد تقدّمت هجرة أم سَلَمة فى هجرة أبى سلمة رضى الله عنهما (ص ٣٥٨) ؛ وهجرة أسماء بنت عُميس وأُم عبد الله ليلى ابنة أبى حَثْمة رضى الله عنهما فى هجرة جعفر ابن أبى طالب والصحابة رضى الله عنهم إلى الحبشة (ص ٣٤٧) .

هجرة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وغيره من الصبيان

أخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان قدومنا على رسول الله ﷺ لخمس من الهجرة ، خرجنا متوصّلين مع قريش عام الأحزاب ، وأنا مع أخى الفضل ، ومعنا غلامنا أبو رافع ، حتى انتهينا إلى العرْج فضلّ لنا فى الطريق ركوبة وأخذنا فى ذلك الطريق على الجثجاثة ،

حتى خرجنا على بنى عمرو بن عوف حتى دخلنا المدينة ، فوجدنا رسول الله ﷺ فى الخندق وأنا يومئذ ابن ثمان سنين ، وأخى ابن ثلاث عشرة سنة ، قال الهيثمى (٦ / ٦٤) : رواه الطبرانى فى الأوسط من طريق عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارى عن سليمان بن داود بن الحصين ، وكلاهما لم يوثّق ولم يضعّف ، وبقية رجاله ثقات ، انتهى .

* * *

---

(١) سورة المسد ١-٢ . (٢) أسماء قبائل .

الباب الخامس

باب النّصرة

كيف كانت نُصْرة الدين القويم والصراط المستقيم أحبَّ إليهم من كل شيء ؟ وكيف كانوا يفتخرون بذلك ما لم يفتخر أحد منهم بالعزّة الدنيوية ؟ وكيف صبروا مع ذلك عن لذّاتها ؟ فكأنهم فعلوا كلَّ ذلك ابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ ، واتّباعاً لما أمرهم رسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه ، وبارك ، وسلّم ٠

ابتداء أمر الأنصار رضي الله عنهم

حديث عائشة رضى الله عنها فى هذا الباب

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فى كل سنة على قبائل من العرب ؛ أن يؤووه إلى قومهم حتى يبلّغ كلام الله ورسالاته ولهم الجنّة . فليست قبيلة من العرب تستجيب له ، حتى أراد الله إظهار دينه ، ونصر نبيه ، وإنجاز ما وعده - ساقه الله إلى هذا الحى من الأنصار ، فاستجابوا له ، وجعل الله لنبيّه ﷺ دار هجرة . قال الهيثمى (٦ / ٤٢) : وفيه عبد الله بن عمر العُمَرى . وثّقه أحمد وجماعة ، وضعّفه النّسائى وغيره ؛ رجاله ثقات أ . هـ .

حديث عمر رضى الله عنه فى الباب وقوله فيهم

وأخرة البزار - وحسّنه - عن عمر رضى الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ بمكة يعرض نفسه على قبائل العرب قبيلة قبيلة في الموسم ، ما يجد أحداً يجيبه حتى جاء الله بهذا الحّى من الأنصار ، لمَا أسعدهم الله وساق لهم من الكرامة ، فآووا ونصروا ، فجزاهم الله عن نبيهم خيراً . كذا فى كنز العمال (٧ / ١٣٤) . وزاد فى جمع الفوائد (٢ / ٣٠) فى حديث عمر رضى الله عنه هذا : والله ما وفينا لهم كما عاهدناهم عليه ، إنا قلنا لهم : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، ولئن بقيت إلى رأس الحول لا يبقى لى عامل إلا أنصارى . وقال : للبزّار بضعف ، وهكذا ذكره فى مجمع الزوائد (٦ / ٤٢) عن البزار بتمامه ، وقال : رواه البزار وحسَّن إسناده ، وفيه ابن شبيب وهو ضعيف .

حديث جابر رضى الله عنه فى الباب

وأخرجه الإمام أحمد [١] عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : « هل من رجل يحملنى إلى قومه ، فإنَّ قريشاً قد منعونى أن أبلّغ كلام ربى عزّ وجلّ ؟ » فأتاه رجل من همْدان ، فقال : ممن أنت ؟ فقال الرجل: من همْدان . فقال : هل عند قومك من منعة ؟ قال : نعم، ثم إنّ الرجل خشى أن يُخفِره قومه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : آتيهم

(١) المسند (٣ / ٣٩٠) .

أخبرهم ، ثم آتيك من قابل ، قال : نعم ، فانطلق وجاء وفد الأنصار فى رجب ، قال الهيثمى (٦ / ٣٥) : رجاله ثقات ، وعزاه الحافظ فى الفتح ((٧ / ١٥٦) إلى أصحاب السُّنَن ، والإمام أحمد ، وقال : صحَّحه الحاكم ، وقد تقدم (ص ٢٤٥) فى « البَيْعة على النّصرة » من حديث جابر رضى الله عنه عند الإمام أحمد قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم عُكاظ ومجَنَّة وفى المواسم ، يقول : « من يؤوينى ، من ينصرنى ، حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة ؟ » فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره ، حتى إنَّ الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر فيأتيه قومه وذو رحمه فيقولون : احذر غلام قريش ، لا يفتنكَ ! ويمضى بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله إليه من يثرب ، فآويناه وصدَّقناه، فيخرج الرجل منها فيؤمن به ويُقرئه القرآن ، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه،حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رَهْط من المسلمين يظهرون الإسلام ثم ائتمروا جميعاً فقلنا ، حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد فى جبال مكة ويخاف ؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه فى الموسم ، فواعدناه شِعْب العَقَبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا ، فقلنا : يا رسول الله ، عَلام نبايعك ؟ ... فذكر الحديث ، وأخرجه الحاكم (٢ / ٦٢٥) وقال : صحيح الإسناد .

حديث عروة رضى الله عنه فى الباب

وأخرج الطبرانى عن عروة رضى الله عنه مرسلاً قال : لما حضر الموسم حجَّ نفر من الأنصار من بنى مازن بن النجار ، منهم : معاذ بن عفراء ، وأسعد بن زُرارة ؛ ومن بنى زُرَيق : رافع بن مالك ، وذكوان بن عبد القيس ؛ ومن بنى عبد الأشهل : أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، ومن بنى عمرو بن عوف : عُويم بن ساعدة - رضوان الله عليهم أجمعين - وأتاهم رسول الله ﷺ وأخبرهم خبر الذى اصطفاه الله من نبوته وكرامته ، وقرأ عليهم القرآن ، فلما سمعوا قوله ، أنصتوا واطمأنت أنفسهم إلى دعوته ، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من ذكرهم إيّاه بصفته وما يدعوهم إليه ، فصدَّقوه وآمنوا به ، وكانوا من أسباب الخير ، ثم قالوا له : قد علمتَ الذى بين الأوس والخزرج من الدماء ، ونحن نحبّ ما أرشد الله به أمرك ، ونحن لله ولك مجتهدون ، وإنا نشير عليك بما ترى ، فامكث على اسم الله حتى نرجع إلى قومنا فنخبَرهم بشأنك وندعَوهم إلى الله ورسوله ، فلعلّ الله يصلح بيننا ويجمع أمرنا، فإنا اليوم متباعدون متباغضون ، فإن تَقْدَمْ علينا اليوم ولم نصطلح لم يكن لنا جماعة عليك ، ونحن نواعدك الموسم من العام القابل ، فرضى رسول الله ﷺ الذى

قالوا : فرجعوا إلى قومهم فدعَوهم سِراً ، وأخبروهم برسول الله ﷺ ، والذى بعثه الله به ، ودعا عليه بالقرآن ، حتى قلّ دار من دور الأنصار إلاّ أسلم فيها ناس لا محالة ـ فذكر الحديث كما تقدم فى « دعوة مصعب بن عمير رضى الله عنه » قال الهيثمى (٦ / ٤٢) : فيه ابن لَهيعة وفيه ضعف ، وهو حسن الحديث ؛ وبقية رجاله ثقات . انتهى .

أبيات لصِرْمة بن قيس فى الباب

وأخرج الحاكم (٢ / ٦٢٦) : عن يحيى بن سعيد قال : سمعت عجوزاً من الأنصار تقول : رأيت ابن عباس رضى الله عنهما يختلف إلى صِرْمة بن قيس يتعلم منه هذه الأبيات :

ثوى[١] فى قريشٍ بضْع[٢] عشرة حجة ... يذكّر لو ألفى[٣] صديقاً مواتياً[٤]

ويعرض فى أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا

فلما أتانا واستقرّت به النَوَى [٥] ... وأصبح مسروراً بطَيْبة راضيا

وأصبح ما يخشى ظُلامَة ظالمٍ ... بعيد ، وما يخشى من الناس باغيا

بذلنا له الأموال من جُلِّ مالنا ... وأنفسّنا عند الوغى [٦] والتآسيا

نعادى الذى عادَى من الناس كلَّهم ... بحق وإن كان الحبيبَ المواتيا

ونعلم أنَّ الله لا شيءَ غيره ... وأن كتاب الله أصبح هاديا

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم

قصة عبد الرحمن بن عوف مع سعد بن الربيع

أخرج الإمام أحمد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة ، فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى رضى الله عنه ، فقال له سعد : أىْ أخى ، أنا أكثر أهل المدينة مالا ، فانظر شَطْر مالى فخُذْه ؛ وتحتى امرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلّقها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلّونى على السوق ، فدلّوه ، فذهب فاشترى وباع فربح ، فجاء بشىء من أقطٍ [٧]

---

(١) ثوى : أقام .

(٢) بضع بالكسر وقد يفتح : ما بين الثلاث إلى التسع وقيل : ما بين الواحد إلى العشرة .

(٣) ألفى : وجد (٤) مواتياً : موافقاً .

(٥) أى استقر به الحال بعد طول المدة والمسير .

(٦) الوغى : الحرب والجلبة . (٧) الأقط : الجبين ونحوه .

وسمن ، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث ، فجاء وعليه رَدْع زعفران ، فقال رسول الله ﷺ : « مَهْيَمْ »(١) ؟ فقال : يا رسول الله ، تزوجت امرأة ، قال: « ما أصدقتها »؟(٢) قال : وَزْن نَواة من ذهب ، قال : « أوْلِم ولو بشاة » قال عبد الرحمن : فلقد رأيتُنى ولو رفعتُ حَجَراً لرجوتُ أن أصيب ذهباً وفضة !!(٣)كذا فى البداية (٣ / ٢٢٨) . وأخرجه أيضاً الشيخان عن أنس رضى الله عنه ، والبخارى من حديث عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه . كما فى الإصابة (٢ / ٢٦) ؛ وابن سعد (٣ / ٨٩) عن أنس رضى الله عنه .

التوارث بين المهاجرين والأنصار

وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهـاجرى الأنصارى دون ذوى رَحِمه للأخوّة التى آخى النبى ﷺ بينهم ، فلما نزلت : ﴿ ولكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِىَ ﴾(٤) ، نُسخت(٥) ، هكذا وقع فى هذه الرواية أنّ ناسخ ميراث الحليف هـذه الآية ، وفى الحق أنَّ الناسـخ هو نزول : ﴿ وأُولُو الأرْحامِ بعضُهُمْ أولَى ببَعْضٍ ﴾(٦) الآية ، قال الحافظ : هذا هو المعتمد ، ويحتمل أن يكون النسخ وقع مرتين : الأولى حيث كان المعاقد يرث وحده دون العصبة فنزلت ﴿ ولكلٍّ جعَلْنا ﴾ الآية ، فصاروا جميعاً يرثون ، وعلى هذا يُتَنَزَّل حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، ثم نسخ ذلك آية الأحزاب وخُصّ الميراث بالعصبة ، وبقى للمعاقد النصر والإرفاد(٧) ونحوهما؛وعلى هذا تنزيل بقية الآثار ا . هـ وعند أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه نحوه كما فى فتح البارى (٧ / ١٩١) ، وذكر ابن سعد بأسانيد الواقدى إلى جماعة من التابعين قالوا : لما قدم النبى ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين ، وآخى بين المهاجرين والأنصار على المؤاساة ، وكانوا يتوارثون ، وكانوا تسعين نفساً بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار - وقيل : كانوا مائة - فلّما نزل ﴿ وأُولُو الأرْحامِ ﴾ بطلت الموارث بينهم بتلك المؤاخاة ، كذا فى الفتح (٧ ، ١٩١) .

---

(١) أى ما شانك . (٢) أى ماذا جعلت لها من المهر .

(٣) كناية عن إقبال الدنيا عليه وكثرة ثرائه .

(٤) الموالى هم العصبة والورثة : سورة النساء الآية : ٣٣ .

(٥) انظر الحديث بتمامه فى صحيح البخارى جـ٥ كتاب التفسير سورة النساء باب ولكل جعلنا موالى .

(٦) سورة الأنفال الآية : ٧٥ . (٧) الإرفاد : المعونه .

مواساة الأنصار المهاجرين بأموالهم
قسم الثمر ورد الأنصار معاوضة ما أنفقوا

أخرج البخارى (١ / ٣١٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قالت الأنصار للنبى ﷺ : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل ، قال : « لا » . فقالوا : أفتكفوننا المؤونة ونشرككم فى الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ للأنصار : « إنَّ إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » ، فقالوا : أموالنا بيننا قطائع [١] ، فقال رسول الله ﷺ : « أوَ غير ذلك ؟ قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » . قالوا : نعم ، كذا فى البداية (٣ / ٢٢٨) .

وأخرج الإمام أحمد عن يزيد عن حميد عن أنس رضى الله عنه قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسنَ مواساةً فى قليل ، ولا أحسن بذلاً من كثير ، لقد كَفَونا المؤونة وأشركونا فى المهنأ [٢] ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كلّه ، قال : « لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » هذا حديث ثلاثى الإسناد على شرط الصحيحين ، ولم يخرّجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه . كذا فى البداية (٣ / ٢٢٨) . وأخرجه أيضاً ابن جرير ، والحاكم ، والبيهقى كما فى كنز العمال (٧ / ١٣٦) .

وأخرج البزار عن جابر رضى الله عنه قال : كانت الأنصار إذا جزّوا نخلهم قسم الرجل تمره قسمين أحدُهم أقل من الآخر ، ثم يجعلون السّعَف مع أقلهما ، ثم يخيّرون المسلمين ، فيأخذون أكثرهما ، ويأخذ الأنصار أقلهما من أجل السّعَف حتى فُتحت خيبر . فقال رسول الله ﷺ : « قد وفَّيتم لنا بالذى كان عليكم ، فإن شئتم أن تطيب أنفسكم بنصيبكم من خيبر ويطيب ثماركم فعلتم ، قالوا : إنه قد كان لك علينا شروط ولنا عليك شرط بأن لنا الجنة الذى سألتنا بأنّ لنا شرطنا . قال : « فذاكم لكم » قال الهيثمى (١٠ / ٤٠) رواه البزّار من طريقين وفيهما مجالد وفيه خلاف ، وبقية رجال إحداهما رجال الصحيح . انتهى .

وأخرج البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : دعا النبى ﷺ الأنصار أن يُقطع لعم البحرين . قالوا: لا ، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها . قال : « أمّا لا ، فاصبروا حتى تلقَونى ، فإنه سيصيبكم أثَرَةٌ » .

---

(١) أى قسمة بيننا وبينكم . (٢) المهنأ : ما أتاك بلا مشقة .

كيف قطعت الأنصار رضى الله عنهم
حبال الجاهلية لتشييد حبال الإسلام
قتل كعب بن الأشرف اليهودى

أخرج البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ : « من لكعب بن الأشرف فإنّه قد آذى الله ورسوله ؟ » فقام محمد بن مَسْلَمة رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، أتحب أن أقتله ؟ قال : « نعم » . قال : فأذنْ لى أن أقول شيئاً ، قال : « قل » . فأتاه محمد بن مَسْلَمة فقال: إنّ هذا الرجل قد سألنا صدقة ، وإنّه قد عنَّانا (١) ، وإنى قد أتيتك أستسلفك (٢) . قال : وأيضاً – والله – لتَمَلُّنَّه !! قال : إنَّا قد اتّبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شيء يصير شأنه . وقد أردنا أن تُسلفَنا وسقاً أو وَسْقين ، فقال : نعم ، ارهنونى ، قالوا : أى شيء تريد؟ قال : ارهنونى نساءكم ، قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال : فارهنونى أبناءكم . قالوا : كيف نرهنك أبناءنا ؟ فيُسَبّ أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسْقين ، هذا عار علينا !! ولك نرهنك اللأْمَة . يعنى السلاح -- فواعده أن يأتيه ليلاً .

فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة ، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟! فقال : إنَّما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة -- وفى رواية : قالت : أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم . قال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة ، إن الكريم لو دُعى إلى طعنة بليل لأجاب – قال : ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين ، فقال : إذا ما جاء فإنِّى قائل بشعره فأشَمُّهُ ، فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكمْ فاضربوه .

فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطِّيب . فقال : ما رأيت كاليوم ريحاً -- أى أطيب -- قال : عندى أعطر نساء العرب وأكمل العرب !! فقال :أتأذن لى أن أشمَّ رأسك ؟ قال : نعم . فشمّه ثم شَمَّ أصحابه . ثم قال : أتأذن لى ؟ قال : نعم . فلّما استمكن منه قال : دونكم ، فقتلوه ، ثم أتوا النبى ﷺ فأخبروه . وفى رواية عروة : فأخبروا النبى ﷺ ، فحمد الله تعالى . وفى رواية ابن سعد : فلما بلغوا بَقيع الغَرْقد كبروا . وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلِّى . فلما سمع تكبيرهم كبّر، وعرف أن قد قتلوه . ثم انتهوا إليه فقال : « أفلحت الوجوه » فقالوا : ووجهك يا رسول الله ورموا رأسه بين يديه . فحمد الله على قتله ، وفى مرسل عكرمة : فأصبحت يهودُ مذعورين ، فأُتَوا النبى ﷺ فقالوا : قُتل سيدنا

---

(١) عنانا : أى أتعبنا وكلفنا المشقة . (٢) استسلفك : استقرضك .

غيلَة (١) ، فذكَّرهم النبى ﷺ صنيعه وما كان يحرِّض عليه ويؤذى المسلمين ، زاد ابن سعد : فخافوا فلم ينطقوا ، كذا فى فتح البارى (٧ / ٢٣٩) .

وعند ابن إسحاق : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ لى بابن الأشرف ؟ » فقال محمد بن مسلمة رضى الله عنه : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ، قال : « فافعل إن قدرتَ على ذلك » ، قال : فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلاّ ما يُعْلق به نفسَه ، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له : « لم تركتَ الطعام والشراب ؟ » فقال : يا رسول الله ، قلت لك قولاً لا أدرى هل أفى لك به أم لا ، قال : « إنما عليك الجُهد » ، وعنده أيضاً من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد ، ثم وجَّههم وقال : « انطلقوا على اسم الله اللَّهمَّ أعنهم » ، كذا فى البداية (٤ / ٧) ، وحسَّن الحافظ ابن حجر إسناد حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، كذا فى فتح البارى (٧ / ٢٣٧) .

قتل أبى رافع سَلاّم ابن أبى الحُقَيق

أخرج ابن إسحاق عن عبد الله بن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيَّين من الأنصار : الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه غَنَاء عن رسول الله ﷺ إلا وقالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ ، فلا ينتهون حتى يُوقعوا مثلَها ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك ، قال : ولما أصابت الأوس كعبَ بن الأشرف فى عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً ، قال : فتذاكروا مَنْ رجلٌ لرسول الله ﷺ فى العداوة كابن الأشرف ، فذكروا ابن أبى الحُقَيق وهو بخيبر ، فاستأذنوا الرسول ﷺ فى قتله ، فأذن لهم ، فخرج من الخزرج من بنى سَلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أُنَيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربعى ، وخُزاعي بن الأسود -- حليف لهم من أسلَم فخرجوا ، وأمّر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبى الحُقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً فى الدار حتى أغلقوه على أهله ، قال : وكان علِّية له إليها عجلة ، قال : فأسندوه إليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتمس الميرة (٢) ، قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، فلما دخلنا

(١) أى بالمكر والخديعة .

(٢) الميرة : الطعام .

أغلقنا علیناوعلیه الحجرة تَخَوُّفاً أن یکون دون مجاولة [١] تحول بیننا وبینه، قال: فصاحت امرأته فنوَّهت [٢] بنا فابتدرناه – وهو على فراشه – بأسیافنا، فوالله ما یدلنا علیه فی سواد اللیل إلا بیاضه، کأنه قُبْطیّة [٣] ملقاة، قال: فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا یرفع علیها سیفه ثم یذکر نهی رسول الله ﷺ فیکفّ یده، ولولا ذلك لفرغنا منها بلیل، قال: فلما ضربناه بأسیافنا تحامل علیه عبد الله بن أُنیس بسیفه فی بطنه حتى أنفذه وهو یقول: قَطْنی قَطْنی – أی حَسْبی حَسْبی – قال: وخرجنا – وکان عبد الله بن عتیك سیّیء البصر – فوقع من الدرجة، فوثئت [٤] یده وثئاً شدیداً، وحملناه حتى نأتی به مَنْهَراً [٥] من عیونهم فندخل فیه، قال: فأوقدوا النیران واشتدوا فی کل وجه یطلبوننا حتى إذا یئسوا رجعوا إلیه فاکتنفوه [٦] وهو یقضی بینهم.

قال: فقلنا: کیف لنا بأن نعلم أن عدوَّ الله قد مات؟ قال: فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لکم، فانطلق حتى دخل فی الناس، قال: فوجدتها – یعنی امرأته – ورجال یهود حوله وفی یدها المصباح تنظر فی وجهه تحدِّثهم، وتقول: أما – والله – لقد سمعت صوت ابن عتیك ثم أکذبت نفسی وقلت: أنَّى ابن عتیك بهذه البلاد؟! ثم أقبلت علیه تنظر فی وجهه فقالت: فاظَ [٧]، وإله یهود!! فما سمعت کلمة کانت ألذّ على نفسی منها، قال: ثم جاءنا فأخبرنا، فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله فأخبرنا بقتل عدو الله، واختلفنا عنده فی قتله، کلنا یدّعیه، قال: فقال: « هاتوا أسیافکم » فجئنا بها فنظر إلیها فقال لسیف عبد الله بن أُنیس: « هذا قتله، أرى فیه أثر الطعام »، کذا في البدایة (٤ / ١٣٧)، وسیرة ابن هشام (٢ / ١٩٠).

وعند البخاری عن البراء رضی الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبی رافع الیهودی رجالاً من الأنصار، وأمّر علیهم عبد الله بن عتیك رضی الله عنه، وکان أبو رافع یؤذی رسول الله ﷺ ویُعین علیه، وکان فی حصن له بأرض الحجاز، فلما دَنوا

---

(١) المجاولة: الجماعة التی تجول فی الطرقات لحمایة البیوت والتجسس على الأعداء وتستدرك الخطر قبل وقوعه. (٢) نوهت: رفعت صوتها تخبر بوجودنا.

(٣) قبطیة: هی من ثیاب مصر دقیقة بیضاء نسبت إلى القبط وهم أهل مصر.

(٤) وثئت: شرفت وأصابها الوهن.

(٥) منهراً: مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله.

(٦) اکتنفوه: أحاطوا به. (٧) فاظ: مات.

منه – وقد غربت الشمس وراح الناس بسَرْحهم (١) – قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطِّف (٢) للبواب لعلّي أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنع بثوبه ، كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس ؛ فهتف به البواب : يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب ، فدخلت فكمنتُ . فلّما دخل الناس أغلق الباب ، ثم علّق الأغاليق (٣) على ودّ (٤) . قال فقمت إلى الأقاليد (٥) وأخذتها وفتحت الباب ، وكان أبو رافع يُسمر عنده ، وكان في عَلالّي (٦) له . فلما ذهب عنه أهل سَمره صعدت إليه ، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليّ من داخل فقلت : إن القومَ نذروا (٧) بي لم يخلُصوا إليّ حتى أقتله ، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم – وَسْطَ عياله – لا أدري أين هو من البيت . قلت : أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه (٨) بالسيف ضربة وأنا دهش (٩) فما أغنيت شيئاً (١٠) ، وصاح فخرجت من البيت ، فأمكث (١١) غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأمِّك الويل !! إنَّ رجلاً في البيت ضربني قَبْلُ بالسيف . قال : فأضربه ضربة أثخنته (١٢) ولم أقتله ، ثم وضعت ظُبَةَ (١٣) السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له ، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقي ، فعصبتها بعمامة ثمَّ انطلقت ، حتى جلست على الباب ، فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته . فلما صاح الديك قام الناعي على السور ، فقال : أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز ؛ فانطلقت إلى أصحابي فقلت : النجاء ، فقد قتل الله أبا رافع . فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدَّثته . فقال : « ابسط رجلك » فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها قط .

---

(١) بسرحهم : أي بمواشيهم .

(٢) متلطف : محتال كما في قوله تعالى : ﴿ وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً ﴾ .

(٣) الأغاليق : المفاتيح .

(٤) الود : الوتد أدغمت التاء في الدال وهي لغة مشهورة فيه .

(٥) الأقاليد : المفاتيح ويقال لها المقاليد .

(٦) علالي جمع علية وهي بيت منفصل عن الأرض كالشرفة .

(٧) نذروا بي : علموا بي وفي الأصل « سدروا لي » أي تعرضوا لي وأرسلوا أعينهم نحوي .

(٨) فاضربه : أي لأضربه فالفاء هنا للتعليل .

(٩) دهش : خائف .

(١٠) أي فما أصبته .

(١١) أي لأمكث فالفاء هنا للتعليل أيضاً .

(١٢) أي جرحته جرحاً بالغاً .

(١٣) أي حده .

وأخرجه البخارى أيضاً بسياق آخر ، تفرّد به البخارى بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة ، ثم قال : قال الزهرى : قال أُبّى بن كعب : فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال : « أفلحت الوجوه » . قالوا أفلح وجهك يا رسول الله قال : « أفتكتموه ؟ » [1] قالوا: نعم . قال : « ناولنى السيف » ، فسلّه فقال : « أجل هذا طعامه [2] فى ذُباب [3] السيف » . كذا فى البداية (٤ / ١٣٧) .

قتل ابن شيبة اليهودىّ

أخرج أبو نُعيم عن بنت مُحَيِّصة عن أبيها رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » فوثب مُحيّصة على ابن شيبة – رجل من تجار يهود وكان يلابسهم ويبايعهم – فقتله ؛ وكان حُويّصة إذ ذاك لم يسلم وكان أسنَّ من محيِّصه . فلما قتله جعل حويّصة يضربه ويقول : أى عدو الله ، قتلته ؟! أما – والله – لربَّ شحم فى بطنك من ماله !! فقلت : والله ، لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك !! قال : فوالله إنْ كان لأول إسلام حويِّصة . قال : والله إن أمرك محمد بقتلى لتقتلنى ؟! قال محيِّصة : نعم والله !! قال حويصة : فوالله إن دينا بلغ بك هذا إنه لعجب . كذا فى كنز العمال (٧ / ٩٠) . وأخرجه أيضاً ابن إسحاق نحوه ، وفى حديثه : قال محيِّصة فقلت : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك !! وزاد فى آخره : فأسلم حويِّصة . وأخرجه أيضاً أبو داود من طريقه إلا أنه اقتصر إلى قوله : « فى بطنك من ماله » ؛ ولم يذكر ما بعده .

غزوات بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة
وما وقع من الأنصار فى ذلك

حديث بنى قَيْنقاع

أخرج ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر جمع يهود فى سوق بنى قينقاع ، فقال : « يا يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشاً يوم بدر » فقالوا : إنَّهم كانوا لا يعرفون القتال ، ولو قاتلتَنا لعرفتَ أنّا الرجال . فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾ – إلى قوله – ﴿ لِأُولِى الْأَبْصَارِ ﴾ [4] . كذا فى فتح البارى (٧ / ٣٣٤) . وأخرجه أيضاً أبو داود (٤ / ١٤١) من طريق ابن إسحاق بمعناه ، وفى حديثه : قالوا : يا محمد ، لا يغرَّنَّك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا

---

(١) أى : اقتلتموه ؟
(٢) أى إثر طعامه الذى كان فى بطنه .
(٣) ذباب السيف : طرفه .
(٤) سورة آل عمران الآيتان : ١٢ ، ١٣ .

أغماراً [١] لا يعرفون القتال ؛ إنّك لو قاتلتّنا لعرفتَ أنّا نحن الناس ، وأنك لن تَلْقَ مثلنا !

وعند ابن جرير كما فى التفسير لابن كثير (٢ / ٦٩) عن الزُّهرى قال : لّما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود : أسلموا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر ، فقال مالك بن الصيَّف : أغرّكم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال ، أما لو أسررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يَد أن تقاتلونا ، فقال عبادة بن الصامت رضى الله عنه : يا رسول الله ، إنّ أوليائى من اليهود كانت شديدةً أنفسهم ، كثيراً سلاحهم ، شديدةً شوكتهم ، وإنى أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود ، ولا مولى إلا الله ورسوله ، فقال عبد الله بن أبىّ : لكنى لا أبرأ من ولاية يهود ، إنى رجل لابدّ لى منهم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا الحباب ، أرأيتَ الذى نَفسْت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه » ، فقال : إذاً أقبل ، قال : فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمنُوا لاَ تتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [٢] .

وعند ابن إسحاق عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه كما فى البداية (٤ / ٤) : قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبّث بأمرهم عبد الله بن أبىّ بن سلول وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصامت رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ ، وكان من بنى عوف له من حلفهم مثل الذى لهم من عبد الله بن أبّى ، فخلّعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولّى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم ، قال : وفيه وفى عبد الله نزلت الآيات من « المائدة » : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا لاَ تَتَّخذُوا الْيهُودَ والنَّصارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَمَن يَتَولَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِين آمَنُوا فإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ ﴾ [٣] .

حديث بنى النَّضير

أخرج ابن مردويه بإسناد صحيح إلى مَعْمَر عن الزُّهرى : أخبرنى عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أُبّى وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهدّدونهم بإيوائهم النبى ﷺ وأصحابه ويتوعّدونهم أن يغزوهم بجميع العرب ، فهمّ ابن أبىّ ومن معه بقتال

---

(١) ليست لهم دراية بالحروب ، (٢) سورة المائدة الآيات : ٥١ ٦٧ .
(٣) سورة المائدة الآيات : ٥١ ٥٦ .

المسلمين ، فأتاهم النبي ﷺ فقال : « ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش ، يريدون أن تُلقوا بأسكم بينكم » فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فتفرّقوا . فلما كانت وقعة بدر كتبت كفار قريش بعدها إلى اليهود : إنكم أهل الحَلْقة والحصون ، يتهدّدونهم ، فأجمع بنو النضير على الغدر ، فأرسلوا إلى النبي ﷺ : أخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا ، فإنا آمنوا بك اتّبعاك ؛ ففعل . فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر ، فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير ، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم ، فرجع وصبّحهم بالكتائب فحصرهم يومه ، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم فعاهدوه ، فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء ، وعلى أنّ لهم ما أقلّت الإبل إلا السلاح ، فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم ، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها ، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام . وكذا أخرجه عَبْدُ بن حُمَيد في تفسيره عن عبد الرزاق ، وفي ذلك ردٌّ على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد . كذا في فتح الباري (٧ / ٢٣٢) . وأخرجه أيضاً أبو داود من طريق عبد الرزاق عن مَعْمَر بطوله مع زيادة ؛ وعبد الرزاق ، وابن منذر ، والبيهقي في الدلائل كما في بذل المجهود (٤ / ١٤٢) عن الدر المنثور .

وأخرج البيهقي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم ، وأن يُسيِّرهم إلى أذْرِعات [١] الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم : بعيراً وسِقاء . وأخرج أيضاً عن محمد ابن مسلمة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النَّضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام . كذا في التفسير لابن كثير (٤ / ٣٣٣) . وعن ابن سعد : أن رسول الله ﷺ أرسل إليهم محمد ابن مسلمة رضي الله عنه : « أن أخرجوا من بلدي ، فلا تساكنوني بعد أن هممتم بما هممتم به من الغدر ، وقد أجلتكم عشراً » كذا في الفتح (٧ / ٢٣٣) .

حديث بني قريظة

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت يوم الخندق أقفوا [٢] الناس ، فسمعت وئيد الأرض [٣] ورائي ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن

---

(١) أذرعات : بلد في أطراف الشام . (٢) أقفوا الناس أتبع أثرهم .
(٣) وئيد الأرض : صوتها .

أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجَنَّة ، قالت : فجلست إلى الأرض ، فمرَّ سعد وعليه دِرْعٌ من حديث قد خرجت منها أطرافه ، فأنا أتخوف على أطراف سعد ، قالت : وكان سعد من أعظمِ الناس وأطولهم ، فمرّ وهو يرتجز ويقول :

لَبِّثْ قليلاً يدرك الهيجا جَمَلْ ما يحسن الموت إذا حان الأجلْ

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة ، فإذا نفر من المسلمين ، فإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سَبْغة له - تعنى المِغْفر - فقال عمر : ما جاء بك ؟ والله إنك لجريئة ، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو تَحَوُّز ، فما زال يلومنى حتى تمنَّيت أن الأرض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها ، فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا هو طلحة ابن عبيد الله : فقال : يا عمر ، ويحكم إنك قد أكثرتَ منذ اليوم ، وأين التحوّز أو الفرار إلاَّ إلى الله عزّ وجلّ . قالت : ويرمى سعداً رجل من قريش يقال له ابن العَرِقة وقال : خذها وأنا ابن العرقة ، فأصاب أكْحَلة (١) فقطعه ؛ فدعا الله سعدٌ فقال : اللَّهمَّ لا تمتنى حتى تقرّ عينى من بنى قريظة . قالت : وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية . قالت : فرقأ كَلْمه (٢)، وبعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً .

فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عُيَينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنّوا فى صياصيهم (٣) ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وأمر بقبة من أدَم فضُربت على سعد فى المسجد . قالت : فجاء جبريل عليه السلام وإن على ثناياه لَنَقْعُ الغبار . فقال : (أقد وضعتَ السلاح ! لا ، والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، أخرج إلى بنى قريظة فقاتلهم) قالت : فلبس رسول الله ﷺ لأُمَتَه ، وأذَّن فى الناس بالرحيل أن يخرجوا ؛ فمرّ على بنى غَنْم - وهم جيران المسجد حوله - فقال : « من مَر بكم ؟ » قالوا : مَر بنا دحية الكلبى - وكان دحية الكلبى تشبه لحيته وسنّه ووجهه جبرائيل عليه السلام - فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة . فلما اشتد حَصْرُهم واشتد البلاء قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فاستشاروا أبا لُبابة بن عبد المنذر ، فأشار إليهم إنّه الذَّبْح قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فقال رسول الله ﷺ : « انزلوا على حكم سعد بن معاذ » . فأُتَى به على حمار عليه إكاف من ليف ، قد حُمل عليه وحفَّ به قومه . فقالوا : يا أبا عمرو ، حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت . قالت: ولا يَرجِع إليهم شيئاً ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى

---

(١) الأكحل : عرق فى الذراع . (٢) أى التأم جرحه . (٣) حصونهم .

قومه ، فقال : قد آن لى أن لاأبالى فى الله لومة لائم ، قالت : قال أبو سعيد رضى الله عنه : فلما طلع قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيّدكم فانزلوه » قال عمر : سيدنا الله قال : « أنزلوه » فأنزلوه ، قال رسول الله ﷺ : « احكم فيهم » قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل مقاتِلَتُهم ، وتُسبى ذراريهم ، وتقسم أموالهم ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله » ثم دعا سعد فقال : اللّهمَّ إن كنت أبقيتَ على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، وإن كنتَ قطعتَ الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك ، قالت : فانفجر كَلْمه ، وكان قد برىء حتى لا يُرى منه إلا مثلُ الخُرص (١) ، ورجع إلى قبّته التى ضرب عليه رسول الله ﷺ ، قالت عائشة : فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، قالت : فوالذى نفس محمد بيده ، إنى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حُجْرتى ، وكانوا كما قال الله : ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢) ، قال علقمة فقلت : يا أُمَّهْ ، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجدَ (٣) ، فإنما هو آخذ بلحيته ، وهذا الحديث إسناده جيد ، وله شواهد من وجوه كثيرة ، كذا فى البداية (٤ / ١٢٣) ، وأخرجه ابن سعد (٣ / ٣) عن عائشة رضى الله عنها مثله ، وقال الهيثمى (٦ / ١٣٨) رواه أحمد وفيه : محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات ، انتهى ، وقال الحافظ فى الإصابة (١ / ٢٧٤) : حديث صحيح ، صحّحه ابن حبان ، انتهى ، وأخرجه أيضاً أبو نُعيم بطوله كما فى الكنز (٧ / ٤٠) ، وقد زاد بعد هذا الحديث عدة أحاديث من طريق محمد بن عمرو ، وهذا فى فضائل سعد بن معاذ رضى الله عنه .

وعند ابن جرير فى تهذيبه كما فى كنز العمال (٧ / ٤٢) عن عائشة رضى الله عنها : أن النبى ﷺ بكى وبكى أصحابه حين توفى سعد بن معاذ رضى الله عنه ، قالت : وكان النبى ﷺ إذا اشتد وَجْده فإنّما هو آخذ بلحيته ، قالت عائشة رضى الله عنها : وكنت أعرف بكاء أبى من بكاء عمر ، وعند الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها قالت : رجع رسول الله ﷺ من جنازة سعد بن معاذ ودموعه تَحَادَر على لحيته ، قال الهيثمى (٩ / ٣٠٩) : وسهل أبو حريز ضعيف .

فخر الأنصار رضى الله عنهم بالعزة الدينيّة

أخرج أبو يَعلى ، والبزار ، والطبرانى : — ورجالهم رجال الصحيح — كما قال

---

(١) الخرص : الحلقة الصغيرة من الحلى توضع فى أذن الصبى .

(٢) سورة الفتح الآية : ٢٩ .   (٣) وجد : حزن .

الهيثمى (١٠ / ٤١) عن أنس رضى الله عنه قال : افتخر الحيّان الأوس والخزرج ، فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب ، ومنا من اهتز له العرش سعد ابن معاذ ، ومنا من حمته الدَّبْر (١) عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجليت خُزيمة بن ثابت رضوان الله عليهم أجمعين . وقالت الخزرجيون : منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يجمعه غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد ، رضوان الله عليهم أجمعين . وأخرجه أيضاً أبو عَوانة ، وابن عساكر وقال : هذا حديث حسن صحيح كما فى المنتخب (٥ / ١٣٩) .

صبر الأنصار عن اللّذات الدنيوية والأمتعة الفانية والرضاء بالله تعالى وبرسوله ﷺ

قصة الأنصار فى فتح مكة

أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن رَبَاح رضى الله عنه قال : وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذلك فى رمضان : فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام ، قال : وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا ، قال هاشم : يكثر أن يدعونا إلى رحله ، قال: فقلت : ألا أصنع طعاماً فادعوهم إلى رَحْلى ؟ قال : فامرت بطعام يُصنع ، فلقيت أبا هريرة من العشاء ؛ قال : قلت : يا أبا هريرة الدعوة عندى الليلة ، قال : أسبقتنى قال هاشم : قلت : نعم ، فدعوتهم فهم عندى ، فقال أبو هريرة : ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار ؟ قال : فذكر فتح مكة ، قال : أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة ، قال : فبعث الزبير على أحد المجنَّبَتَيْن ، وبعث خالد على المجنبة الأخرى ، وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر (٢) ، وأخذوا بطن الوادى ، ورسول الله ﷺ فى كتيبته ؛ وقد وبَّشَت (٣) قريش أوباشها (٤) ، قال : قالوا : نُقدِّم هؤلاء ، فإن كان لهم شىء كنّا معهم ، وإن أصيبوا أعطيناه الذى سُألنا ، قال أبو هريرة : فنظر ، فرآنى فقال : « يا أبا هريرة » : فقلت : لبيك رسول الله ، فقال : « اهتفْ لى بالأنصار ، ولا يأتينى إلا أنصارى » ، فهتفت بهم ، فجاؤوا فاطافوا برسول الله ﷺ ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداهما على

---

(١) الدبر : جماعة النحل والزنابير ، وقد حمت عاصماً - رضى الله عنه - من المشركين أن يحزوا رأسه يوم الرجيع .
(٢) الحُسَّر : الذين لا دروع عليهم يحتمون بها .
(٣) وبشت : جمعت .
(٤) الأوباش : سفلة الناس وأخلاطهم .

الأخرى : « احصدوهم حصداً حتى توافونى بالصَّفا » قال : فقال أبو هريرة : فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد منهم يوجِّه إلينا منهم شيئاً ، قال : فقال أبو سفيان : يا رسول الله ، أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » قال : فغلَّق الناس أبوابهم ، قال : وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحَجَر فاستلمه ، ثم طاف بالبيت ، قال : وفى يده قوس آخذ بسيَة (١) القوس ، قال : فأتى فى طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه ، قال : فجعل يطعن بها فى عينه ويقول : ﴿ جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ ، إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ (٢) ، قال : ثم أتى الصَّفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه ، قال : والأنصار تحت ، قال : يقول بعضهم لبعض : أمَّا الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته ، قال أبو هريرة : وجاء الوحى ، وكان إذا جاء لم يخفَ علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طَرْفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضى ، قال هاشم : فلما قضى الوحْى رفع رأسه ، ثم قال : « يا معشر الأنصار، أقلتم أما الرجل فادركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته ؟ » قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله ، قال : « فما اسمى إذاً ، كلاّ إنى عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم والممات مماتكم » ، قال : فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذى قلنا إلاَّ الضنَّ بالله ورسوله ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « إن الله ورسوله يصدِّقانكم ويَعذرانكم » وقد رواه مسلم والنسائى من حديث أبى هريرة نحوه ، كذا فى البداية (٤ / ٣٠٧) ، وأخرجه ابن أبى شيبة مختصراً كما فى الكنز (٧ / ١٣٥) .

قصة الأنصار فى غزوة حنين وما قاله ﷺ فى صفتهم

وأخرج البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : لما كان يوم حُنين أقبلت هوازن وغَطفان وغيره بنَعَمهم وذراريهم ، ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطلقاء (٣) ، فأدبروا عنه حتى بقى وحده ، فنادى يومئذ نداءَين لم يخلط بينهما ، التفت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله ، ابشر نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال : « يا معشر الأنصار » فقالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك — وهو على بغلة بيضاء — فنزل ، فقال : « أنا عبد الله ورسوله » ، فانهزم المشركون ،

---

(١) سية القوس : ما عطف من طرفيها . (٢) سورة الإسراء الآية : ٨١ .

(٣) أى الذين خلى رسول الله ﷺ سبيلهم بعد فتح مكة وقال لهم « اذهبوا فانتم الطلقاء » .

وأصاب يومئذ مغانم كثيرة ، فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعطِ الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار : إذا كانت شديدةً فنحن نُدعى ، ويُعطى الغنيمة غيرنا ، فبلغه ذلك فجمعهم فى قبة فقال : « يا معشر الأنصار ، ما حديث بلغنى ؟! فسكتوا ، فقال : يا معشر الأنصار ، ألا ترضونَ أن يذهب الناس بالدنيا ، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم » قالوا ؛ بلى ، فقال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعْب الأنصار » قال هشام : قلت : يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك ، قالَ : وأين أغيبَ عنه ، كذا فى البداية (٤ / ٣٥٧) ، وأخرجه أيضاً ابن أبى شيبة ، وابن عساكر بنحوه كما فى الكنز (٥ / ٣٠٧) ،

وعند ابن إسحاق من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين ، وقسم للمتألّفين من قريش وسائر العرب ما قسم ، ولم يكن فى الأنصار منها شيء قليل ولا كثير – وجَد (١) هذا الحيُ من الأنصار فى أنفسهم حتى قال قائلهم : لقي – والله – رسول الله ﷺ قومَه ، فمشى سعد بن عبادة رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم ، فقال : « فيم ؟ » قال : فيما كان من قَسْمك هذه الغنائم فى قومك وفى سائر العرب ، ولم يكن فيهم من ذلك شيء ، فقال رسول الله ﷺ : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ » قال : ما أنا إلا امرؤ من قومى ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة ، فإذا اجتمعوا فأعلمنى » ، فخرج سعد فصرخ فيهم ، فجمعهم فى تلك الحظيرة ، فجاء رجال من المهاجرين فأذن لهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم ، حتى إذا لم يبقَ من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال : يا رسول الله ، قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصار حيث أمرتنى أن أجمعهم ،

فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً ، فحمد الله عليه بما هو أهله ثم قال : « يا معشر الأنصار ، ألم آتكم ضُلاَّلاً فهداكم الله ؛ وعالة فأغناكم الله وأعداء فألّف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى ، ثم قال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ » قالوا : وما نقول يا رسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المَن لله ولرسوله ، قال : « والله ، لو شئتم لقلُتم فصدَقْتُم وصُدِّقْتُم : جئتنا طريداً فآويناك وعائلاً فآسيناك ، وخائفاً فأمنّاك ، ومخذولاً فنصرناك » ، فقالوا : المَن لله ولرسوله ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(٢) وجدوا : أى غضبوا ،

« أَوَجَدتم فى نفوسكم يا معشر الأنصار فى لُعاعة (١) من الدنيا تألّفت بها قوماً أسلموا ووكلتكم إلى قسم الله لكم من الإسلام ؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفسى بيده ، لو أن الناس سلكوا شعباً ، وسلكت الأنصار شعباً لسلكتُ شعْب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، اللّهمّ ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » قال : فبكى القوم حتى أخْضَلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله رباً ورسوله قَسْماً ، ثم انصرف وتفرّقوا . وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح . كذا فى البداية (٤ / ٣٥٨) . وقال الهيثمى (١٠ / ٣٠) : رجال أحمد رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق ، وقد صرح بالسماع – انتهى – . وأخرجه أيضاً ابن أبى شيبة من حديث أبى سعيد رضى الله عنه – بطوله بمعناه كما فى الكنز (٧ / ١٣٥) . وأخرج البخارى شيئاً من هذا السياق من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضى الله عنه كما فى البداية (٤ / ٣٥٨) ؛ وابن أبى شيبة أيضاً كما فى الكنز (٧ / ١٣٦) .

وأخرج الطبرانى من حديث السائب بن يزيد رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قسم الفىء الذى أفاء الله بحُنين من غنائم هوازن ، فأحسن ، فأفشى فى أهل من قريش وغيرهم ، فغضبت الأنصار . فلما سمع بذلك النبى ﷺ أتاهم فى منازلهم ، ثم قال : « من كان ها هنا من الأنصار فليخرج إلى رحله » ثم تشهدً رسول الله ﷺ ، فحمد الله عزّ وجلّ ، ثم قال : « يا معشر الأنصار : قد بلغنى من حديثكم فى هذه المغانم التى آثرت بها أُناساً أتألّفهم على الإسلام لعلهم أن يشهدوا بعد اليوم ، وقد أدخل الله قلوبهم الإسلام ، ثم قال : « يا معشر الأنصار ، ألم يمنّ الله عليكم بالإيمان ، وخصَّكم بالكرامة ، وسماكم بأحسن الأسماء أنصارَ الله وأنصارَ رسوله ؟ ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وسلكتم وادياً لسلكت واديكم ؛ أفلا ترضَوْن أن يذهب الناس بالشاء والنعم والبعير ، وتذهبون برسول الله ﷺ » . فلما سمعت الأنصار قول رسول الله ﷺ قالوا : رضينا . قال : أجيبونى فيما قلت . قالت الأنصار : يا رسول الله ، وجدتَنا فى ظلمة فأخرجنا الله بك إلى النور ، ووجدتنا علي شَفا حفرة من النار فانقذنا الله بك ، ووجدتنا ضُلاَّلاً فهدانا الله بك ؛ قد رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، فاصنع يا رسول الله ما شئت

---

(١) اللعاعة : الشىء الصغير التافه وأصلها نبت ناعم قليل قصير .

في أوسع الحِلّ (١) . فقال رسول الله ﷺ : « والله لو أجبتموني بغير هذا القول لقلت : صدقتم . لو قلتم : ألم تأتنا طريداً فآويناك ، ومكذّباً فصدّقناك ، وقبلنا ما ردَّ الناس عليك ؟ لو قلتم هذا لصُدِّقْتُم » . فقال الأنصار : بل لله ولرسوله المنّ ، ولرسوله المنّ والفضل علينا وعلى غيرنا . ثم بكوا ، فكثر بكاؤهم وبكى النبي ﷺ معهم . قال الهيثمي (١٠ / ٣١) : وفيه رِشْدِين بن سعد ، وحديثه في الرِقاق ونحوها حسن ، وبقية رجاله ثقات . انتهى .

وأخرج البخاري أيضًا من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن ، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل ، فقالوا : يغفرُ الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشًا ويتركنا ، وسيوفنا تقطُر من دمائهم ؟ قال أنس بن مالك : فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قُبة أدَم يَدْع معهم غيرهم . فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال : « ما حديث بلغني عنكم ؟ » فقال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا - يا رسول الله - فلم يقولوا شيئا ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟! فقال رسول الله ﷺ : « فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألّفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنبي إلى رحالكم ؟ فوالله لَمَا تنقلبون به خير مما ينقلبون به » . قالوا : يا رسول الله ، قد رضينا . فقال لهم النبي ﷺ : « فستجدون أثَرَة شديدة ، فاصبروا حتى تلقَوا الله ورسولَه ، فإنّي على الحوض » . قال أنس : فلم يصبروا . وعند أحمد أيضًا من حديث أنس : قال : « أنتم الشِّعار (٢) والناس الدِّثار (٣) . أما ترضَوْن أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم ؟ » قالــوا : بلى . قال : « الأنصار كَرِشي (٤) وعَيْبتي (٥) ، لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكتُ شعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار » . كذا في البداية (٤ / ٣٥٦) .

صفة الأنصار رضي الله عنهم

أخرج العسكري في الأمثال عن أنس رضي الله عنه قال : قُدم على رسول الله ﷺ بمال من البحرين ، فتسامعت به المهاجرون والأنصار . فغَدوا إلى رسول الله ﷺ .

---

(١) المعنى : أنت مفوض فيما تفعل .

(٢) الشعار : الثوب الذي يلي الجسد ، أي أنتم الخاصة والعامة .

(٣) الدثار : الثوب الذي فوق الشعار .

(٤) كرشي : أي جماعتي الذين لا استغني عنهم . (٥) عيبتي : موضع سري .

وذكر حديثًا طويلاً ، وفيه : وقال للأنصار : « إنكم - ما علمتُ - تكثرون عند الفزع ، وتقلّون عنّ الطمع » كذا في كنز العمال (٧ / ١٣٦) .

وأخرج البزار عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبى طلحة رضى الله عنه : « اقرأ قومك السلام ، وأخبرهم أنهم ما علمتهم أعفَّةٌ صُبُرٌ » قال الهيثمى (١٠ / ٤١) وفيه محمد بن ثابت البُنانى وهو ضعيف . وسيأتى ذلك من وجه آخر عن أنس . وأخرجه أبو نُعيم عن أنس رضىَ الله عنه كما فى الكنز (٧ / ١٣٦) . قال دخل أبو طلحة رضى الله عنه على النبى ﷺ فى شكواه الذى قُبض فيه ، فقال : « اقرأ قومك السلام ، فإنهم أعفَّةٌ صُبُرٌ » وأخرج الحاكم (٤ / ٧٩) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرّجاه . ووافقه الذهبى فقال : صحيح .

ما قاله ﷺ لسعد بن معاذ عند موته

وأخرج ابن سعد (٣ / ٩) عن عبد الله بن شدّاد رضى الله عنه يقول : دخل رسول الله ﷺ على سعد بن معاذ رضى الله عنه - وهو يكيد بنَفْسه [1] - فقال : « جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت الله ما وعدته ، وليُنْجزنَّك الله ما وعدك » .

وأخرج الإمام أحمد ، والبزار عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما يضر امرأةً نزلت بين بيتين من الأنصار ، أو نزلت بين أبويها » . قال الهيثمى (١٠ / ٣٠) : رجالهما رجال الصحيح .

إكرام الأنصار رضي الله عنهم وخدمتهم

إكرامه ﷺ الأنصار وقصة أسيد بن حضير معه

أخرج ابن عدى ، والبيهقى ، وابن عساكر عن أنس رضى الله عنه قال : جاء أسيد بن حضير رضى الله عنه إلى النبى ﷺ وقد كان قسم طعاماً ، فذكر له أهل بيت من الأنصار من بنى ظَفَرَ فيهم حاجة ، وجُلّ أهل ذلك البيت نسوة . فقال له النبى ﷺ : « تركتنا - أسيد - حتى ذهب ما فى أيدينا ، فإذا سمعت بشيء قد جاءنا ، فاذكر لى أهل ذلك البيت » . فجاءه بعد ذلك طعام من خيبر شعيراً وتمراً ، فقسم رسول الله ﷺ فى الناس ، وقسم فى الأنصار وأجزل ، وقسم فى أهل ذلك البيت فأجزل . فقال أسيد بن حضير متشكّراً : جزاك الله أىْ نبى الله أطيب الجزاء أو قال : خيراً - فقال النبى ﷺ : « وأنتم معشر الأنصار ، فجزاهم الله أطيب الجزاء - أو قال : خيراً ، فإنكم ما علمت أعفَّة صُبُرٌ ، وسترون بعدى أثَرة فى الأمر والقَسْم ، فاصبروا حتى تلقَونى على الحوض » . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرّجاه . وقال الذهبى : صحيح أ . هـ .

وعند الإمام أحمد عن أسيد بن حضير رضى الله عنه قال : أتانى أهل بيتين من

---

(١) يكيد بنفسه : يجود بنفسه .

قومى أهل بيت من ظَفَر وأهل بيتٌ من بنى معاوية ، فقالوا : كلِّم لنا رسول الله ﷺ يَقسم لنا أو يُعطينا أو نحو هذا ، فكلمته ، فقال : « نعم ، أقسم لكل واحد منهم شطرًا ، فإن عاد الله علينا عدنا عليه » . قال : قلت : جزاك الله خيراً يا رسول الله . قال : « وأنتم فجزاكم الله خيرا ، فإنكم ما علمتكم أعِفَّةٌ صُبُرٌ ، إنكم ستلقون أثَرَة بعدى » . فلما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قسم بين الناس فبعث إلىّ منها بحُلّة ، فاستصغرتها ، فبينا أنا أصلى إذ مّر بى شاب من قريش عليه حُلّة من تلك الحلل يجرّها ، فذكرت قول رسول الله ﷺ : « إنكم ستلقون أثَرة [1] بعدى » فقلت : صدق الله ورسوله ؛ فانطلق رجل إلى عمر رضى الله عنه فأخبره ، فجاء وأنا أصلّى فقال : صلِّ يا أسيد ، فلما قضيت صلاتى قال : كيف قلت ؟ فأخبرته ، فقال : تلك حُلّة بعثت بها فلان وهو بدرىّ أحدىّ عَقَبّى ، فأتاه هذا الفتى فابتاعها منه ، فلبسها ، فظننت أن ذلك يكون فى زمانى ؟ قال قلت : قد — والله — يا أمير المؤمنين ، ظننت أن ذلك لا يكون فى زمانك . قال الهيثمى (١٠ / ٣٣) : رواه الإمام أحمد ، ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلّس وهو ثقة أ . هـ .

قصة محمد بن مسلمة مع عمر رضى الله عنهما

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن مسلمة رضى الله عنه قال : توجّهت إلى المسجد فرأيت رجلاً من قريش عليه حُلّة ، فقلت : من كساك هذه ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : فجاوزت فرأيت رجلاً من قريش عليه حُلّة ، فقلت : من كساك هذه؟ قال : أمير المؤمنين . قال : فدخل المسجد فرفع صوته بالتكبير ، فقال : الله أكبر ، صدق الله ورسوله ، الله أكبر ، صدق الله ورسوله ! قال : فسمع عمر رضى الله عنه صوته ، فبعث إليه أن ائتنى . فقال : حتى أصلّى ركعتين ، فردّ عليه الرسول يعزم عليه لمّا جاء . فقال محمد بن مسلمة رضى الله عنه : وأنا أعزم على نفسى أن لا آتيه حتى أصلى ركعتين فدخل فى الصلاة . وجاء عمر رضى الله عنه فقعد إلى جنبه . فلما قضى صلاته قال : أخبرنى عن رفعك صوتك فى مصلّى رسول الله ﷺ بالتكبير، وقولك : صدق الله ورسوله ما هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أقبلتُ أريد المسجد فاستقبلنى فلان بن فلان القرشى عليه حُلّة قلت : من كساك هذه ؟ قال : أمير المؤمنين ، فجاوزت فاستقبلنى فلان بن فلان القرشى عليه حلة فقلت : من كساك هذه ؟ قال : أمير المؤمنين ، فجاوزت فاستقبلنى فلان بن فلان الأنصارى عليه حُلّة دون الحلتين فقلت من كساك هذه ؟ قال : أمير المؤمنين . إن رسول الله ﷺ قال :

(١) الأثرة : ضد الإيثار ويسميها الناس اليوم بالأنانية .

« أما إنكم سترون بعدى اثره »، وإنى لم أحبَّ أن تكون على يديك يا أمير المؤمنين : قال : فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال : أستغفر الله ولا أعود ، قال : فما رُؤى بعد ذلك اليوم فضّلَ رجلاً من قريش على رجل من الأنصار ، كذا فى كنز العمال (٢ / ٣٢٩) .

إكرامه عليه السلام لسعد بن عبادة رضى الله عنه

واخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : دخل سعد بن عبادة رضى الله عنه على رسول الله ﷺ ومعه ابنه فسلم ، فقال رسول الله ﷺ : « ها هنا وها هنا » ، واجلسه عن يمينه ، وقال : « مرحبًا بالأنصار ، مرحبًا بالأنصار » واقام [١] ابنه بين يدى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله : « اجلس » فجلس فقال : « ادنُ » فدنا فقبَّل يدى رسول الله ﷺ ورجلَه ، فقال النبى ﷺ : « وأنا من الأنصار وأنا من فراخ [٢] الأنصار » ، فقال سعد رضى الله عنه : أكرمك الله كما أكرمتنا ، فقال : « إنَّ الله اكرمكم قبل كرامتى ، إنكم ستلقَون بعدى أثرة ، فاصبروا حتى تلقونى على الحوض » ، وفيه عاصم بن عبد العزيز الأشجعى ، قال الخطيب : ليس بالقوى : كذا فى كنز العمال (٧ / ١٣٤) . وكذا قال النِّسَائى ، والدارقطنى ، وقال البخارى : فيه نظر ، قلت : روى عنه على بن المدينى ، ووثَّقه معن القزّاز ، كذا فى الميزان (٢ / ٣) .

خدمة جرير أنسًا رضى الله عنهما

واخرج البغوى ، والبيهقى ، وابن عساكر ، عن أنس رضى الله عنه قال : كان جرير معى فى سفر ، فكان يخدمنى ، فقال : إنى رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئًا ، فلا أرى احداً منهم إلا خدمته ، كذا فى كنز العمال (٧ / ١٣٦) .

نزول أبى أيوب الأنصارى على ابن عباس وخدمته له

واخرج الرُويانى ، وابن عساكر عن حبيب بن ابى ثابت أن أبا أيوب أتى معاوية فشكا عليه [٣] ان عليه دينًا ، فلم يَر منه ما يحبُّ ورأى ما يكرهه ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنكم سترون بعدى أثَرة » ، قال ؛ فأىُّ شيء قال لكم ؟ قال : « اصبروا » قال : فاصبروا ، فقال : والله لا اسالك شيئًا أبداً ، فقدم البصرة فنزل على ابن عباس رضى الله عنهما ففرّغ له بيته وقال : لأصنعنّ بك كما صنعت برسول الله ﷺ فامر اهله فخرجوا ، وقال : لك ما فى البيت كلُّه واعطاه

---

(١) ولعل الأصح « وقام ابنه » .

(٢) اى من أولاد الأنصار .

(٣) الأصح « فشكا إليه » .

أربعين ألفًا ، وعشرين مملوكًا ، كذا في كنز العمال (٧ / ٩٥) ، وأخرجه أيضًا الحاكم من طريق مُقسِّم - فذكره بمعناه ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرِّجاه ، وقال الذهبي : صحيح .

وأخرجه الطبراني أيضًا كما في المجمع (٩ / ٣٢٣) ، وفي حديثه : فأتى عبدَ الله بن عباس رضي الله عنهما بالبصرة ، وقد أمَّره عليهما عليّ رضي الله عنه . فقال : يا أبا أيوب، إني أريد أن أخرج لك عن مسكني كما خرجت لرسول الله ﷺ ، فأمر أهله فخرجوا ، وأعطاه كل شيء أغلق عليه الدار . فلما كان انطلاقه قال : حاجتَك (١) . قال : حاجتي عطائي وثمانية أعبد يعملون في أرضي ، وكان عطاؤه أربعة آلاف فاضعفها له خمس مرات فأعطاه عشرين ألفًا ، وأربعين عبدًا . قال الهيثمي : ذكر الحديث - أي الطبراني - بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح ، إلاَّ أن حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من أبي أيوب رضي الله عنه . قلت : وأخرجه الحاكم (٣ / ٤٦١) أيضًا من طريق حبيب بن أبي ثابت هذا ، فزاد بعده :عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما - فذكر الحديث بسياق الطبراني بطوله ، ثم قال قد تقدَّم هذا الحديث بإسناد متصل صحيح ، وأعدتُه للزيادات فيه بهذا الإسناد . انتهى .

سعي ابن عباس في قضاء حاجة الأنصار عند الوالي

وأخرج الحاكم (٣ / ٥٥٤) : عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه وعبد الله بن فضل بن عباس بن أبي ربيعة بن الحارث أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال : إنا معشر الأنصار طلبنا إلى عمر أو إلى عثمان - شك ابن أبي الزِّناد - فمشينا بعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وبنفر معه من أصحاب رسول الله ﷺ ، فتكلم ابن عباس وتكلّموا ، وذكروا الأنصار ومناقبهم ، فاعتلَّ الوالي . قال حسان : وكان أمرًا شديدًا طلبناه . قال : فما زال يراجعهم حتى قاموا وعذَّروه إلا عبد الله بن عباس فإنه قال : لا والله ، ما للأنصار من منزل ، لقد نصروا وآوَوا وذكر من فضلهم وقال : إنَّ هذا لشاعر رسول الله ﷺ والمنافح عنه ، فلم يزل يراجعه عبد الله بكلام جامع يسدّ عليه كل حاجة ، فلم يجد بدًا من أن قضى حاجتنا . قال : فخرجنا وقد قضى الله عزّ وجل حاجتنا بكلامه ، فأنا آخذ بيد عبد الله أُثني عليه وأدعو له ، فمررت في المسجد بالنفر الذين كانوا معه فلم يبلغوا ما بلغ ، فقلت حيث يسمعون : إنّه كان أولاكم بنا . قالوا : أجل . فقلت لعبد الله : إنها - والله - صُبابة (٢) النبوّة ، ووراثة أحمد ﷺ كان أحقكم بها . قال حسان - وأنا أشير إلى عبد الله - :

---

(١) أي اطلب حاجتك .

(٢) الصبابة : البقية اليسيرة .

إذا قال لم يترك مقالاً لقـــائل بملتفظات لا يُرى بينـــها فصلا
كفى وشفى ما فى الصدور فلم يدع لذى إربة (١) فى القول جداً ولا هزلا
ســموتَ إلى العليا بغير مشـقَّة فنلت ذراهـا لا دَنيـا ولا وَغْلا (٢)

وأخرجه أيضًا الطبرانى عن حسان بن ثابت رضى الله عنه كما فى مجمع الزوائد (٩ / ٢٨٤) بنحوه ، وفى حديثه : إنه - والله - كان أولاكم بها ، إنّها - والله - صُبابة النبوة ، ووراثة أحمد ﷺ ، ويهديه أعراقه (٣) وانتزاع شبْه طباعه .

فقال القوم : أجملْ يا حسان ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما صدقوا ، فأنشأ يمدح ابن عباس رضى الله عنهما فقال :

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهـه رأيتَ له فى كل مجمعـة فضـلا

ثم ذكر الأشعار الثلاثة المذكورة ، ثم زاد بعدها :

خُلقت حليفاً للمـروءة والنَّدَى بليغاً ولم تخلق كَهاماً (٤) ولا حَلا (٥)

فقال الوالى : والله ما أراد بالكهام غيرى ، والله بينى وبينه .

الدعاء للأنصار رضى الله عنهم

دعاء النبى عليه السلام للأنصار

وما قاله فيهم أبو بكر فى بعض خطبه

أخرج الإمام أحمد (٦) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : شقَّ على الأنصار النواضح (٧) ، فاجتمعوا عند النبى ﷺ يسألونه أن يكرى لهم نهراً سَحّاً ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « مرحباً بالأنصار ، مرحباً بالأنصار ، مرحباً بالأنصار . لا تسألونى اليوم شيئاً إلا أعطيتكموه ؛ ولا أسأل الله لـكم شيئاً إلا أعطانيه » فقال بعضهم لبعض : اغتنموها وسلوه المغفرة ؛ قالوا : يا رسـول الله ، ادع لنا بالمغفـرة . فقال : « اللّهمّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصـار » . وفى رواية : « ولأزواج الأنصار » . قال الهيثمى (١٠ / ٤٠) : رواه الإمام أحمد ، والبزار بنحوه ، وقال : « مرحباً بالأنصار » ثلاثاً . والطبرانى فى الأوسط والصغير والكبير بنحوه ، وقال « وللكنائن » . وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح . انتهى . وعند البزّار ، والطبرانى عن رفاعة بن رافع رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللّهمّ اغفر

---

(١) إربة : حاجة . (٢) الوغل : اللئيم . (٣) اعراقه : أصوله ونسبه .
(٤) الكهام : الكليل العاجز البطىء . (٥) الحلا : الضعف والفتور والخور .
(٦) المسند (٣ / ١٣٩) .
(٧) النواضح : إبل السقى .

للأنصار ولذرارى الأنصار ، ولذرارى ذراريهم وجيرانهم » قال الهيثمى (١٠ / ٤٠) : ورجالهما رجال الصحيح غير هشام بن هارون وهو ثقة . انتهى . وعند الطبرانى عن عوف الأنصارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللّهمّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولموالى الأنصار » . قال الهيثمى (١٠ / ٤١) : وفيه من لم أعرفهم . انتهى . وعند البزّار عن عثمان رضى لله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الإيمان يمان ، الإيمان فى قحطان ، القسوة فى ولد عدنان ، حِمْيَر رأس العرب ونابُها ، ومَذْحِج هامتها وعصمتها ، والأزد كاهلها وجمجمتها ، وهَمْدان غاربها وذروتها اللّهمّ أعزّ الأنصار الذين أقام الله الدين بهم ، الذين آوَوْنى ، ونصرونى ، وحَمَونى ، وهم أصحابى فى الدنيا وشيعتى فى الآخرة ، وأول من يدخل الجنة من أمتى » قال الهيثمى : (١٠ / ٤١) : وإسناده حسن . انتهى . وأخرج ابن أبى الدنيا فى الأشراف كما فى الكنز (٧ / ١٣٤) عن عثمان بن محمد بن الزبيرى قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى بعض خطبه : نحن . والله .. والأنصار كما قال :

جزى الله عنا جعفراً حين اشرقت ... بنا نعلـنا للـواطئين فزلّت

أبَوا ان يملّـونا ولـو أن أمّنا ... تُلاقى الذى يلْقون منّا لملّت

إيثار الأنصار رضى الله عنهم فى أمر الخلافه

قوله عليه السلام فى قريش

أخرج الإمام أحمد ، وابن جرير بإسناد حسن عن حُميد بن عبد الرحمن الحميرى قال : توفى رسول الله ﷺ ، وأبو بكر رضى الله عنه فى طائفة المدينة ، فجاء فكَشفت عن وجهه ، فقال : فدىً لك أبى وأمى ! ما أطيبك حيّاً وميّتاً !! مات محمد وربّ الكعبة . وانطلق ابو بكر وعمر رضى الله عنهما يتقاودان حتى أتوهم . فتكلم أبو بكر فلم يترك أبو بكر شيئاً أُنزل فى الأنصار ، ولا ذكره رسول الله ﷺ فى شائنهم إلاّ ذكرهه . وقال : لقد علمت أن رسول الله ﷺ قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً لسلكت وادى الأنصار » ولقد علمتَ . يا سعد . أن رسول الله ﷺ قال ـ وانت قاعد : « قريش ولاة هذا الأمر ، فبرُّ الناس تبعٌ لبَرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » . فقال له سعد رضى الله عنه : صدقت . نحن الوزراء وأنتم الأمراء كذا فى الكنز (٣ / ١٣٧) . وقال الهيثمى (٥ / ١٩١) : رواه الإمام أحمد ـ وفى الصحيح طرف من أوله ، ورجاله ثقـات إلا أنَّ حُميـد بن عبد الرحمن لم يدرك أبا بكر . انتهى .

وأخرج الطيالسي ، وابن سعد (٣ / ١٥١) وابن أبي شيبة ، والبيهقي (٨ / ١٤٣) وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار ، فجعل الرجل منهم يقول : يا معشر المهاجرين إنّ رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا ، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان أحدهما منكم والآخر منا ؛ فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك . فقام زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال : إن رسول الله كان من المهاجرين وإن الإمام يكون من المهاجرين ، ونحن أنصاره كما كنّا أنصار رسول الله ﷺ . فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال : جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً ، وثبّت قائلكم ؛ ثم قال : أما – والله – لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم . ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر فقال : هذا صاحبكم فبايعوه . فذكر الحديث كما في كنز العمال (٣ / ١٣١) . وقال الهيثمي (٥ / ١٨٣) : رواه الطبراني ، وأحمد ورجاله رجال الصحيح . انتهى . وأخرجه الطبراني عن أبي طلحة رضي الله عنه – بنحوه كما في الكنز (٣ / ١٤٠) .

وأخرج ابن سعد ، وابن جرير عن القاسم بن محمد أن النبي ﷺ لما توفي اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه . فأتاهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهم ، فقام حباب بن المنذر رضي الله عنه – وكان بدرياً – فقال : منّا أمير ومنكم أمير ، فإنّا – والله – ما نَنْفَس (١) هذا الأمر عليكم أيها الرهط ، ولكنّا نخاف أن يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخوتهم . فقال له عمر رضي الله عنه : إذا كان ذلك فمُتْ إن استطعت ؛ فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فقال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفين كقدّ الأُبْلُمة – يعني الخوصة – ، فبايع أولُ الناس بشيرُ بن سعد أبو النعمان رضي الله عنه . فلما اجتمع الناس على أبي بكر قسم بين الناس قَسْماً ، فبعث إلى عجوز من بني عدي بن النجار قَسْمها مع زيد بن ثابت رضي الله عنه ، فقالت : ما هذا ؟ قال : قَسْم قسمه أبو بكر للنساء . فقالت : أتراشوني عن ديني . فقالوا : لا . فقالت : أتخافون أن أدَعَ ما أنا عليه ؟ فقالوا : لا . فقالت : فوالله لا آخذ منه شيئاً أبداً . فرجع زيد إلى أبي بكر فأخبره بما قالت : فقال أبو بكر : ونحن لا نأخذ مما أعطيناها شيئاً أبداً . كذا في كنز العمال (٣ / ١٣٠) .

* * *

(١) أي ما نبخل بهذا الأمر عليكم ولا نحسدكم فيه .

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الباب الثانى

الباب الثالث

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الباب الخامس

الموضوع | الصفحة

تم بتوفيق الله طباعة الجزء الأول
من حياة الصحابة
وبإذن الله تعالى يليه الجزء الثاني

